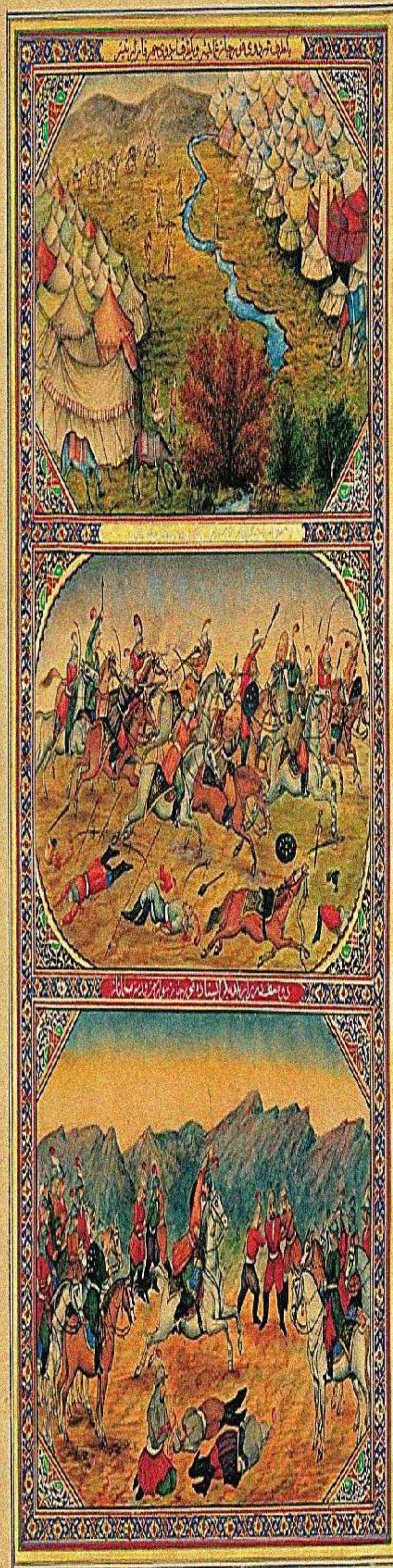
ألف ليلة وليلة

المجلد الرابع





ألف ليلة وليلة

ذات الحوادث العجيبة والقصص المطربة الغريبة ؛ لياليها غرام فى غرام وتفاصيل . حب وعشق وهيام ! وحكايات ونوادر فكاهية ، ولطائف وطرائف أدبيـــة ، بالصور المدهشة البديعة من أبدع ما كان ومناظر أعجوبة من عجائب الزمان

المجلد الرابع

يطلب من
مكتبة الجمهورية العربية
لصاحبها : عبد الفتاح عبد الحميد مراد
بشارع الصنادقية بجوار الأزهر - بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
(وفى ليلة ٧٤٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن اخته قالت له وابو نائب من جملة نوابه فلا يقدر عليه من كثرة عساكره واتساع مملكته وكثرة ماله وقد جعل لأولاده البنات التى رأيتهن مسيرة سنة كاملة طولا وعرضا وقد زاد على ذلك القطر نهر عظيم محيط به فلا يقدر أحد أن يصل الى ذلك المكان لا من الانس ولا من الجان وله من البنات الضاربات بالسيوف الطاعنات بالرماح خمسة وعشرون ألفا كل واحدة منهن اذا ركبت جوادها ولبست آلة حربها تقاوم الف فارس من الشجعان وله سبع من البنات فيهن من الشجاعة والفروسية ما فى اخواتهن وأزيد وقد ولى على هذا القطر الذى عرفتك به ابنته الكبرى وهى أكبر اخواتها وفيها من الشجاعة والفروسية والخداع والمكر والسحر ما تغلب به أهل مملكتها وأما البنات التى معها فهن أرباب دولتها وأعوانها وخواصها من ملكها وهذه الجلود الريش التى يطرن بها انما هى صنعة سحرة الجان واذا أردت أن تملك هذه الصبية وتتزوج بها فاقعد هنا وانتظرها لأنهن يحضرن على رأس كل شهر فى هذا المكان فاذا رأيتهن قد حضرن فاختف واياك أن تظهر فتروح أرواحنا جميعا فاعرف الذى أقوله لك واحفظه فى ذهنك واقعد فى مكان يكون قريبا منهن بحيث انك تراهن وهن لا يرونك فاذا قلعن ثيابهن فالق نظرك على الثوب الريش الذى هو للكبيرة التى فى مرادك وخذه ولا تأخذ شيئا غيره فانه هو الذى يوصلها الى بلادها فانك اذا ملكته ملكتها واياك أن تخدعك وتقول يامن سرق ثوبى رده على وها أنا عندك وبين يديك وفى حوزتك فانك ان اعطيتها اياه قتلتك وتخرب علينا القصور وتقتل أبانا فاعرف حالك كيف تكون فاذا رأى اخواتها ان ثوبها قد سرق طرن وتركنها قاعدة وحدها فادخل عليها وامسكها من شعرها واجذبها فاذا اجذبتها اليك فقد ملكتها وصارت فى حوزتك فاحتفظ بعد هذا على الثوب الريش فانه مادام عندك فهى فى قبضتك وأسرك لانها لا تقدر أن تطير الى بلادها الا به فاذا أخذتها فاحملها وانزل بها الى مقصورتك ولا تبين لها انك أخذت الثوب فلما سمع حسن كلام أخته اطمأن قلبه وسكن روعه وزال ما به من الالم ثم انتصب قائما على قدميه وقبل رأس أخته وبعد ذلك قام ونزل من فوق القصر هو وأخته وناما ليلتهما وهو يعالج نفسه الى ان أصبح الصباح فلما طلعت الشمس قام وفتح الباب وطلع الى فوق وقعد ولم يزل قاعدا الى العشاء فطلعت له أخته بشىء من الاكل والشرب وغيرت ثيابه ونام ولم تزل معه على هذه الحالة فى كل يوم الى ان هل الشهر فلما رأى الهلال صار يرتقبهن فبينما هو كذلك واذا بهن قد أقبلن عليه مثل البرق فلما رآهن اختفى فى مكان بحيث يراهن وهن لا يرينه فنزلت الطيور وقعدت كل طيرة منهن فى مكانها وقلعن ثيابهن وكذلك البنت التى يحبها وكان ذلك فى مكان قريب من حسن ثم نزلت البحيرة مع اخواتها فعند ذلك قام حسن ومشى قليلا وهو مختف وستر الله عليه فأخذ الثوب ولم تنظره

واحدة منهن بل كن يلعبن مع بعضهن فلما فرغن طلعن ولبست كل واحدة منهن ثوبها الريش وجاءت محبوبته لتلبس ثوبها فلم تجده فصاحت ولطمت على وجهها وشقت ثيابها فاقبلن عليها اخواتها وسألنها عن حالها فأخبرتهن ان ثوبها الريش قد فقد فبكين وصرخن ولطموا على وجوههن وحين أمسى عليهن الليل لم يقدرون أن يقعدن عندها فتركنها فوق القصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ٧٤٤ ليلة) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا لما أخذ ثوب البنت طلبته فلم تجده وطار اخواتها وتركنها وحدها فلما رآهن حسن طرن وغبن عنها اصغى اليها فسمعها تقول يامن أخذ ثوبي وأعراني سألتك أن ترده علي وتستر عورتي فلا أذاقك الله حسرتي فلما سمع حسن هذا الكلام منها سلب عقله في عشقها وازدادت محبته لها ولم يطق أن يصبر عنها فقام من مكانه وصار يجري حتى هجم عليها وأمسكها ثم جذبها اليه ونزل بها الى أسفل القصر وأدخلها مقصورته ورمى عليها عباءته وهي تبكي وتعض على يديها فاغلق عليها الباب وراح لاخته واعلمها أنه حصلها وظفر بها ونزل بها الى مقصورته وقال لها انها الآن قاعدة تبكي وتعض على يديها فلما سمعت أخته كلامه قامت وتوجهت الى المقصورة ودخلت عليها فرأتها تبكي وهي حزينة فقبلت الارض بين يديها ثم سلمت عليها فقالت لها الصبية يا بنت الملك أهكذا تفعل الناس مثلكم هذه الفعال الرديئة مع بنات الملوك وأنت تعرفين ان أبي ملك عظيم وان جميع ملوك الجان تفزع منه وتخاف من سطوته وعنده من السحرة والحكماء والكهان والشياطين والمردة ما لا طاقة لاحد عليه وتحت يده خلق لا يعلم عددهم الا الله تعالى وكيف يصلح لكم يا بنات الملوك ان تأوين رجال الانس عندكن وتطلعنهم على أحوالنا وأحوالكن والا فمن أين يصل هذا الرجل الينا فقالت لها أخت حسن يا بنت الملك ان هذا الانسي كامل المروءة وليس قصده أمرا قبيحا وانما هو يحبك وما خلقت النساء الا للرجال ولولا أنه يحبك ما مرض لاجلك وكادت روحه ان تزهق في هواك وحكت لها جميع ما أخبرها به حسن من عشقه لها وكيف عملت البنات في طيرانهن واغتسالهن وأنه لم يعجبه من جميعهن غيرها لان كلهن جوار لها وانها كانت تغطسهن في البحيرة وليست واحدة منهن تقدر ان تمد يدها اليها فلما سمعت كلامها يئست من الخلاص فعند ذلك قامت أخت حسن وخرجت من عندها واحضرت لها بدلة فاخرة فالبستها اياها وأحضرت لها شيئا من الاكل والشرب فاكلت هي واياها وطيبت قلبها وسكنت روعها ولم تزل تلاطفها بلين ورفق وتقول لها ارحمي من نظرك نظرة فاصبح قتيلا في هواك ولم تزل تلاطفها وترضيها وتحسن لها القول والعبارة وهي تبكي الى أن طلع الفجر فطابت نفسها وامسكت عن بكائها لما علمت انها وقعت ولا يمكن خلاصها وقالت لاخت حسن يا بنت الملك بهذا حكم الله على ناصيتي من غربتي وانقطاعي عن بلدي واهلي واخواتي فصبر جميل على ما قضاه ربي ثم ان اخت حسن أخلت لها مقصورة في القصر لم يكن هناك أحسن منها ولم تزل عندها تسليها وتطيب خاطرها حتى رضيت وانشرح صدرها وضحكت وزال ما عندها من الكدر وضيق الصدر من فراق الاهل

والاوطان وفراق اخواتها وأبو يها وملكها ثم ان أخت حسن خرجت اليه وقالت له قم ادخل عليها في مقصورتها وقبل يديها ورجليها فدخل وفعل ذلك ثم قبلها بين عينيها وقال لها ياسيدة الملاح وحياة الارواح ونزهة الناظرين كوني مطمئنة القلب انا ماأخذتك الا لاجل أن أكون عبدك الى يوم القيامة وأختي هذه جاريتك وأنا ياسيدتي ماقصدي الا ان اتزوجك بسنة الله ورسوله واسافر الى بلادي وأكون أنا وأنت في مدينة بغداد واشتري لك الجواري والعبيد ولي والدة من خيار النساء تكون في خدمتك وليس هناك بلاد أحسن من بلادنا وكل مافيها أحسن مما في غيرها من سائر البلاد وأهلها وناسها ناس طيبون بوجود صباح فبينما هو يخاطبها ويؤانسها وهي لا تخاطبه بحرف واحد واذا بدق يدق باب القصر فخرج حسن ينظر من بالباب فاذا هن البنات قد حضرن من الصيد والقنص ففرح بهن وتلقاهن وحياهن فدعون له بالسلامة والعافية ودعا لهن الآخر ثم نزلن عن خيولهن ودخلن القصر ودخلت كل واحدة منهن مقصورتها ونزعت ما كان عليها من الثياب الرثة ولبست قماشا مليحا وقد اصطدن شيئا كثيرا من الغزلان وبقر الوحوش والارانب والسباع والضباع وغير ذلك وقدمن منه شيئا الى الذبح وتركن الباقي عندهن في القصر وحسن واقف بينهن مشدود الوسط يذبح لهن وهن يلعبن وينشرحن وقد فرحن بذلك فرحا شديدا فلما فرغن من الذبح قعدن يعملن شيئا ليتغذوا به فتقدم حسن الى البنت الكبيرة وقبل رأسها وصار يقبل رؤسهن واحدة بعد واحدة فقلن له لقد اكثرت التنزل الينا يا أخانا وعجبنا من فرط تودد لك الينا وأنت رجل آدمي ونحن من الجن فدمعت عيونه وبكى بكاء شديدا فقلن ما الخبر ومايبكيك فقد كدرت عيشنا ببكائك في هذا اليوم كأنك اشتقت الى والدتك والى بلادك فان كان الامر كذلك فنجهزك ونسافر بك الى وطنك وأحبابك فقال لهن والله مامرادي فراقكن فقلن له وحينئذ من شوش عليك منا حتى تكدرت فخجل أن يقول ماشوش على الا عشق الصبية خيفة أن ينكرن عليه فسكت ولم يعلمهن بشيء من حاله فقامت أخته وقالت لهن اصطاد طيرة من الهواء ويريد منكن ان تعنه على تأهيلها فالتفتن اليه كلهن وقلن له نحن كلنا بين يديك ومهما طلبته فعلناه لكن قص علينا خبرك ولا تكتم عنا شيئا من حالك فقال لاخته قصي خبري عليهن فاني استحي منهن ولا أقدر ان أقابلهن بهذا الكلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٤٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسنا قال لاخته قصي عليهن قصتي فاني استحي منهن ولا أقدر أن أقابلهن بهذا الكلام فقالت أخته لهن يا اخواتي اننا لما سافرنا وخليناهذا المسكين وحده ضاق عليه القصر وخاف ان يدخل عليه أحد وانتن تعرفن ان عقول بني آدم خفيفة ففتح الباب الموصل الى سطح القصر حين ضاق صدره وصار منفردا وحده وطلع فوقه وقعد هناك واشرف على الوادي وصار يطل على جهة الباب خوفا ان يقصد أحد القصر فبينما هو جالس يوما من الايام واذا بالعشر طيور اقبلن عليه قاصدات القصر ولم يزلن سائرات حتى جلسن على البحيرة التي فوقها المنظرة فنظر الى الطيرة التي هي أحسنهن وهي تنقرهن ومافيهن

واحدة تقدر ان تمد يدها اليها ثم جعلن مخالبهن في أطواقهن فشققن الثياب الريش وخرجن منها وصارت كل واحدة منهن صبية مثل البدر ليلة تمامه ثم خلعن ما عليهن وحسن واقف ينظر اليهن ونزلن الماء وصرن يلعبن والصبية الكبيرة تغطسهن وليس منهن واحدة تقدر ان تمد يدها اليها وهي أحسنهن وجها وأعدل منهن قدا وأنظفهن لباسا ولم يزلن على هذه الحالة الى ان قرب العصر ثم طلعن من البحيرة ولبسن ثيابهن ودخلن في القماش الريش والتففن فيه وطرن فاشتغل فؤاده واشتعل قلبه بالنار من أجل الطيرة الكبيرة وندم لكونه لم يسرق قماشها الريش فمرض وأقام فوق القصر ينتظرها فامتنع من الأكل والشرب والنوم ولم يزل كذلك حتى لاح الهلال فبينما هو قاعد واذا بهن قد أقبلن على عادتهن فقلعن ثيابهن ونزلن البحيرة فسرق ثوب الكبيرة فلما عرف انها لا تقدر ان تطير الا به أخذه وأخفاه خيفة ان يطلعن عليه فيقتلنه ثم صبر حتى طرن فقام وقبضها ونزل بها من فوق القصر فقال لها اخواتها واين هي قالت لمن هي عنده في المخدع الفلاني فقلن صفيها لنا يا أختي فقالت هي أحسن من البدر ليلة تمامه ووجهها أضوأ من الشمس وريقها أحلى من الشراب وقدها أرشق من القضيب ذات طرف أحور ووجه أقمر وجبين أزهر وصدر كأنه جوهر ونهدين كأنهما رمانتان وخدين كأنهما تفاحتان وبطن مطوي الاعكان وسرة كأنها حق عاج بالمسك ملآن وفخذين كأنهما من المرمر عامودان تأخذ القلوب بطرف كحيل ورقة خصر نحيل وردف ثقيل وكلام يشفي العليل مليحة القوام حسنة الابتسام كأنها بدر التمام فلما سمعت البنات هذه الاوصاف التفتن الى حسن وقلن له ارنا اياها فقام معهن وهو ولهان الى ان أتى بهن الى المخدع الذي فيه بنت الملك وفتحه ودخل وهن خلفه فلما رأينها وعاين جمالها قبلن الارض بين يديها وتعجبن من حسن صورتها وظرف معانيها وسلمن عليها وقلن لها والله يا بنت الملك الاعظم ان هذا شيء عظيم ولو سمعت بوصف هذا الانسي عند النساء لكنت تتعجبين منه طول دهرك وهو متعلق بك غاية التعلق الا انه يا بنت الملك لم يطلب فاحشة وما طلبك الا في الحلال ولو علمنا ان البنات تستغني عن الرجال لكنا منعناه عن مطلوبه مع انه لم يرسل اليك رسولا بل أتى اليك بنفسه وأخبرنا انه أحرق الثوب الريش والا كنا أخذناه منه ثم ان واحدة من البنات اتفقت هي واياها وتوكلت في العقد وعقدت عقدها على حسن وصافحها ووضع يده في يدها وزوجنها له باذنها وعملن في فرحها ما يصلح لبنات الملوك وادخلنه عليها فقام حسن وفتح الباب وكشف الحجاب وفض ختمها وتزايدت محبته فيها وتعاظم وجده وشغفه بها وحيث حصل مطلوبه هنى نفسه وأنشد هذه الابيات

قوامك فتان وطرفك احور ... ووجهك من ماء الملاحة يقطر
تصورت في عيني أجل تصور ... فنصفك ياقوت وثلثك جوهر
وخمسك من مسك وسدسك عنبر ... وأنت شبيه الدر بل أنت أزهر
وما ولدت حواء مثلك واحدا ... ولا في جنان الخلد مثلك آخر
فان شئت تعذيبي فمن سنن الهوى ... وان شئت ان تعفي فانت مخير

فيا زينة الدنيا ويا غاية المنى فمن ذا الذي عن حسن وجهك يصبر

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٤٦) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان حسنا لما دخل على بنت الملك و ازال بكارتها التذ بها لذة عظيمة وزادت محبته لها ووجده بها فانشد فيها الابيات المذكورة وكانت البنات واقفات على الباب فلما سمعن الشعر قلن لها يا بنت الملك اسمعي قول هذا الانسي وكيف تلوميننا وقد أنشد الشعر فى هواك فلما سمعت ذلك انبسطت وانشرحت وفرحت ثم ان حسنا أقام معها أربعين يوما فى حظ وسرور ولذة وحبور والبنات يجددن له كل يوم فرحا ونعمة وهدايا وتحفا وهو بينهن فى سرور وانشراح وطاب لبنت الملك القعود بينهن ونسيت أهلها ثم بعد الاربعين يوما كان حسن نائما فرأى والدته حزينة عليه وقد رق عظمها وانتحل جسمها واصفر لونها وتغير حالها وكان هو فى حالة حسنة فلما رأته على هذه الحالة قالت له يا ولدي يا حسن كيف تعيش فى الدنيا منعما وتنساني فانظر حالي بعدك وأنا ما أنساك ولا لساني يترك ذكرك حتى أموت وقد عملت لك قبرا عندي فى الدار حتى لا أنساك أبدا أترى أعيش يا ولدي وأنظرك عندي ويعود شملنا مجتمعا كما كان فانتبه حسن من نومه وهو يبكي وينوح ودموعه تجري على خديه مثل المطر وصار حزينا كئيبا لا ترتفع دموعه ولا يجيئه نوم ولم يقر له قرار ولم يبق عنده اصطبار فلما أصبح دخلن عليه البنات وصبحن عليه وانشرحن معه على عادتهن فلم يلتفت اليهن فسألن زوجته عن حاله فقالت لهن ما أدري فقلن لها اسأليه عن حاله فتقدمت اليه وقالت له ما الخبر يا سيدي فتنهد وتضجر وأخبرها بما رآه فى منامه ثم أنشد هذين البيتين

قد بقينا موسوسين حيارى نطلب القرب ما اليه سبيل

فدواهي الهوى تزيد علينا ومقام الهوى علينا ثقيل

فأخبرتهن زوجته بما قاله لها فلما سمعت البنات الشعر رققن لحاله وقلن له تفضل بسم الله ما نقدر ان نمنعك من زيارتها بل نساعدك على زيارتها بكل ما نقدر عليه ولكن ينبغي ان تزورنا ولا تنقطع عنا ولو فى كل سنة مرة واحدة فقال لهن سمعا وطاعة فقامت البنات من وقتهن وعملن له الزاد وجهزن له العروسة بالحلي والحلل وكل شيء غال يعجز عنه الوصف وهيأن له تحفا تعجز عن حصرها الاقلام ثم انهن ضربن الطبل فجاءت النجائب اليهن من كل مكان فاخترن منها ما يحمل جميع ما جهزنه وأركبن الجارية وحسنا وحملن اليها خمسة وعشرين تختا من الذهب وخمسين من الفضة ثم سرن معهما ثلاثة أيام فقطعن فيها مسافة ثلاثة أشهر ثم انهن ودعنهما وأردن الرجوع عنهما هذا ما كان منهن (وأما) ما كان من أمر حسن فانه سار طول الليل والنهار يقطع مع زوجته البراري والقفار والاودية والاوعار فى الهواجر والاسحار وكتب الله تعالى لهما السلامة فسلما ووصلا الى مدينة البصرة ولم يزالا سائرين حتى أناخا على باب داره بنجائبهما ثم صرف النجائب وتقدم الى الباب ليفتحه فسمع والدته وهي تبكي بصوت رقيق من كبد ذاقت عذاب الحريق وهي تنشد هذه الابيات

وكيف يذوق النوم من عدم الكرى ويسهر ليلا والانام رقود

وقد كان ذا مال واهل وعزة ... فاضحى غريب الدار وهو وحيد
له جمر بين الضلوع وأنة ... وشوق شديد ماعليه مزيد
تولى عليه الوجد والوجد حاكم ... ينوح بما يلقاه وهو جليد
وحالته فى الحب تخبر أنه ... حزين كئيب والدموع شهود

فبكى حسن لما سمع والدته تبكى وتندب ثم طرق الباب طرقة مزعجة فقالت امه من بالباب فقال لها افتحي ففتحت الباب ونظرت اليه فلما عرفته خرت مغشيا عليها فمازال يلاطفها الى ان فاقت فعانقها وعانقته وقبلته ثم نقل حوائجه ومتاعه الى داخل الدار والجارية تنظر الى حسن وأمه ثم ان أم حسن لما اطمأن قلبها وجمع الله شملها بولدها أنشدت هذه الابيات

رق الزمان لحالتى ... ورثى لطول تحرقي
وأنالنى ماأشتهى ... وازال مما أتقي
فلاصفحن عماجنا ... من الذنوب السبق
حتى جنايته بما ... فعل المشيب بمفرقى

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٤٧) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان والدة حسن قعدت هى واياه يتحدثان وصارت تقول له كيف حالك ياولدى مع الأعجمي فقال لها ياأمى ما كان أعجميا بل كان مجوسيا يعبد النار دون الملك الجبار ثم انه أخبرها بما فعل به من انه سافر به وحطه فى جلد الجمل وخيطه عليه وحملته الطيور وحطته فوق الجبل واخبرها بما رآه فوق الجبل من الخلائق الميتين الذين كان يحتال عليهم المجوسى ويتركهم فوق الجبل بعد ان يقضوا حاجته وكيف رمى روحه في البحر من فوق الجبل وسلمه الله تعالى واوصله الى قصر البنات ومؤاخات البنت له وقعوده عند البنات وكيف اوصل الله المجوسى الى المكان الذى هو فيه وقتله اياه واخبرها بعشق الصبية وكيف أصطادها وبقصتها كلها الى ان جمع الله شملهما ببعضهما فلما سمعت أمه حكايته تعجبت وحمدت الله تعالى على عافيته وسلامته ثم قامت الى تلك الحمول فنظرتها وسألته عنها فاخبرها بما فيها ففرحت فرحا عظيما ثم تقدمت الى الجارية تحدثها وتؤانسها فلما وقعت عينها عليها اندهش عقلها من ملاحتها وفرحت وتعجبت من حسنها وجمالها وقدها واعتدالها ثم قالت ياولدى الحمد لله على السلامة وعلى رجوعك سالما ثم ان أمه قعدت جنب الصبية وآنستها وطيبت خاطرها ثم نزلت فى بكرة النهار الى السوق فاشترت عشر بدلات من أفخر مافى المدينة من الثياب واحضرت لها الفرش العظيم والبست الصبية وجملتها بكل شيء مليح ثم أقبلت على ولدها وقالت ياولدى نحن بهذا المال لا نقدر ان نعيش في هذه المدينة وأنت تعرف اننا ناس فقراء والناس يتهموننا بعمل الكيمياء فقم بنا نسافر الى مدينة بغداد دار السلام لنقيم فى حرم الخليفة وتقعد أنت فى دكان فتبيع و تشترى وتتقى الله عزوجل فيفتح عليك بهذا المال فلما سمع حسن كلامها استصوبه وقام من وقته وخرج من عندها وباع البيت وأحضر النجائب وحمل عليها جميع أمواله وامتعته وامه وزوجته وسار ولم يزل سائرا الى ان وصل الي الدجلة فاكترى مركبا لبغداد ونقل فيها جميع ماله وحوائجه ووالدته وزوجته وكل ما كان عنده ثم ركب

بالمركب فتقاربت بهم المركب في ريح طيبة مدة عشرة أيام حتى أشرفوا على بغداد فلما أشرفوا عليها فرحوا ودخلت بهم المركب المدينة فطلع من وقته وساعته الى المدينة واكترى مخزنا في بعض الخانات ثم نقل حوائجه من المركب اليه وطلع وأقام ليلة في الخان فلما أصبح غير ما عليه من الثياب فلما رآه الدلال سأله عن حاجته وعما يريده فقال أريد دارا تكون مليحة واسعة فعرض عليه الدور التي عنده فأعجبته دار كانت لبعض الوزراء فاشتراها منه بمائة ألف دينار من الذهب وأعطاه الثمن ثم عاد الى الخان الذي نزل فيه ونقل جميع ماله وحوائجه الى الدار ثم خرج الى السوق وأخذ ما يحتاج اليه الدار من آنية وفرش وغير ذلك واشترى خدما ومن جملتهما عبدا صغيرا للدار وأقام مطمئنا مع زوجته في ألذ عيش وسرور مدة ثلاث سنين وقد رزق بغلامين سمي أحدهما ناصرا والآخر منصورا وبعد هذه المدة تذكر اخواته البنات وتذكر احسانهن اليه وكيف ساعدنه على مقصوده فاشتاق اليهن وخرج الى أسواق المدينة فاشترى منها شيأ من حلي وقماش نفيس ونقل ما رأين مثله قط ولا يعرفنه فسألته أمه عن سبب شراء تلك التحف فقال لها اني عزمت على أن أسافر الى أخواتي اللاتي فعلن معي كل جميل ورزقي الذي أنا فيه من خيرهن واحسانهن فاني أريد ان أسافر اليهن وانظرهن وأعود قريبا ان شاء الله تعالى فقالت له ياولدي لا تغب علي فقال لها اعلمي يا امي كيف تكونين مع زوجتي وهذا ثوبها الريش في صندوق مدفون في الارض فاحرصي عليه لئلا تقع عليه فتأخذه وتطير هي واولادها ويروحون وابقى لا أقع لهم على خبر فاموت كمدا من أجلهم واعلمي يا امي اني أحذرك من ان تذكري ذلك لها واعلمي انها بنت ملك الجان وما في ملوك الجان أكبر من أبيها ولا أكثر منه جنودا ولا مالا واعلمي انها سيدة قومها وأعز من عند أبيها فهي عزيزة النفس جدا فاخدميها أنت بنفسك ولا تمكنيها من أن تخرج من الباب أو تطل من الطاقة أو من حائط فاني أخاف عليها من الهواء اذا هب واذا جرى عليها أمر من امور الدنيا فانا أقتل روحي من أجلها فقالت أمه أعوذ بالله من مخالفتك ياولدي هل أنا مجنونة حتى توصيني بهذه الوصية واخالفك فيها سافر ياولدي وطب نفسا وسوف تحضر في خير وتنظرها ان شاء الله تعالى وتخبرك بما جرى لها مني ولكن ياولدي لا تقعد غير مسافة الطريق وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٤٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان حسنا لما أراد السفر الى البنات وصى أمه على زوجته على حسب ما ذكرنا وكانت زوجته بالامر المقدر تسمع كلامه وهما لا يعرفان ذلك ثم ان حسنا قام وخرج الى خارج المدينة ودق الطبل فحضرت له النجائب فحمل عشرين من تحف العراق وودع والدته وزوجته واولاده وكان عمر واحد من ولديه سنة والآخر سنتين ثم انه رجع الى والدته واوصاها ثانيا ثم انه ركب وسافر الى اخواته ولم يزل مسافرا ليلا ونهارا في اودية وجبال وسهول واوعار مدة عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر وصل الى القصر ودخل على اخواته ومعه الذي احضره اليهن فلما رأينه فرحن به وهنينه بالسلامة واما اخته فانها زينت القصر ظاهره وباطنه ثم انهن اخذن الهدية وانزلنه في مقصورة مثل العادة وسألنه عن والدته

وهن زوجته فاخبرهن انها ولدت منه ولدين ثم ان اخته الصغيرة لما راته طيبا بخير فرحت فرحا شديدا وانشدت هذا البيت

واسأل الريح عنكم كلما خطرت   وغيركم في فؤادى قط ماخطرا

ثم انه أقام عندهن فى الضيافة والكرامة مدة ثلاثة أشهر وهو فى فرح وسرور وغبطة وحبور وصيد وقنص هذا ما كان من حديثه (وأما) ما كان من حديث أمه وزوجته فانه لما سافر حسن أقامت زوجته يوما وثانيا مع أمه وقالت لها فى اليوم الثالث سبحان الله هل أقعد معه ثلاث سنين ما أدخل الحمام وبكت فرقت أمه لحالها وقالت لها يا بنتى نحن غرباء وزوجك ما هو فى البلد فلو كان حاضرا كان يقوم بخدمتك أما انا فلا أعرف أحدا ولكن يا بنتى اسخن لك الماء وأغسل رأسك فى حمام البيت فقالت لها ياسيدتى لو قلت هذا القول لبعض الجوارى كانت طلبت البيع فى السوق وما كانت تقعد عندكم ولكن ياسيدتى ان الرجال معذورون فان عندهم غيرة وعقولهم تقول لهم ان المرأة إذا خرجت من بيتها ربما تعمل فاحشة والنساء ياسيدتى ما كلهن سواء وأنت تعرفين أن المرأة إذا كان لها غرض في شيء ما يغلبها أحد ولا يقدر أن يحرص عليها ولا يصونها ولا يمنعها من الحمام ولا غيره ولا من أن تعمل كل ما تختاره ثم انها بكت ودعت على نفسها وصارت تعدد على نفسها وغربتها فرقت لحالها أم زوجها وعلمت أن كل ما قالته لا بد منه فقامت وهيأت حوائج الحمام التى يحتاجان اليها وأخذتها وراحت الى الحمام فلما دخلتا الحمام قلعت ثيابها فصار النساء جميعا ينظرن ويسبحن الله عز وجل ويتأمل فيما خلق من الصورة البهية وصار كل من جاز من النساء على الحمام يدخل ويتفرج عليها وشاع فى البلد ذكرها وازدحم النساء عليها وصار الحمام لا ينشق من كثرة النساء اللاتي فيه فاتفق بسبب ذلك الامر العجيب انه حضر الى الحمام فى ذلك اليوم جارية من جوارى أمير المؤمنين هرون الرشيد يقال لها تحفة العوادة فرأت النساء فى زحمة والحمام لا ينشق من كثرة النساء والبنات وسألت عن الخبر فاخبرتها بالصبية فجاءت عندها ونظرتها اليها وتأملت فيها فتحير عقلها من حسنها وجمالها وسبحت الله جل جلاله على ما خلق من الصور الملاح ولم تدخل ولم تغتسل وانما صارت قاعدة وباهتة فى الصبية إلى أن فرغت الصبية من الغسل وخرجت لبست ثيابها فزادت حسنا على حسنها فلما خرجت من الحرارة قعدت على البساط والمساند وصارت النساء ناظرات اليها فالتفتت اليهن وخرجت فقامت تحفة العوادة جارية الخليفة وخرجت معها حتى عرفت بيتها وودعتها ورجعت إلى قصر الخليفة وما زالت سائرة حتى وصلت بين أيادى السيدة زبيدة وقبلت الارض بين يديها فقالت السيدة زبيدة يا تحفة ما سبب ابطائك فى الحمام فقالت ياسيدتى رأيت اعجوبة ما رأيت مثلها فى الرجال ولا فى النساء وهي التى شغلتني وادهشت عقلى وحيرتني حتى انني ما غلست رأسي فقالت وما هي يا تحفة قالت ياسيدتى رأيت جارية فى الحمام معها ولدان صغيران كأنهما قمران ما رأى أحد مثلها لا قبلها ولا بعدها وليس مثل صورتها فى الدنيا باسرها وحق نعمتك ياسيدتى ان عرفت بها أمير المؤمنين قتل زوجها وأخذها منه لأنه لا يوجد مثلها واحدة من النساء

وقد سألت عن زوجها فقالوا ان زوجها رجل تاجر اسمه حسن البصرى وتبعتها عند خروجها من الحمام إلى أن دخلت بيتها فرأيته بيت الوزير الذى له بابان باب من جهة البحر وباب من جهة البر. وأنا أخاف ياسيدتى أن يسمع بها أمير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوج بها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٤٩) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن جارية أمير المؤمنين لما رأت زوجة حسن البصرى ووصفت حسنها للسيدة زبيدة وقالت ياسيدتى انى أخاف أن يسمع بها أمير المؤمنين فيخالف الشرع ويقتل زوجها ويتزوج بها فقالت السيدة زبيدة ويلك ياتحفة هل بلغت هذه الجارية من الحسن والجمال أن أمير المؤمنين يبيع دينه بدنياه ويخالف الشرع لاجلها والله لابد لى من النظر إلى هذه الصبية فان لم تكن كما ذكرت أمرت بضرب عنقك يافاجرة ان فى سراية أمير المؤمنين ثلثمائة وستين جارية بعدد أيام السنة مافيهن واحدة بالصفات التى تذكرينها فقالت ياسيدتى لا والله ولا فى بغداد باسرها مثلها بل ولا فى العجم ولا فى العرب ولا خلق الله عز وجل مثلها فعند ذلك دعت السيدة زبيده بمسرور فحضر وقبل الارض بين يديها فقالت له يامسرور اذهب الى دار الوزير التى بابين باب على البحر وباب على البر وائت بالصبية التى هناك هي واولادها والعجوز التى عندها بسرعة ولا تبطىء فقال مسرور السمع والطاعة فخرج من بين يديها حتى وصل الى باب الدار فطرق الباب فخرجت له العجوز ام حسن وقالت من بالباب فقال لها مسرور خادم أمير المؤمنين ففتحت الباب ودخل فسلم عليها وسلمت عليه وسألته عن حاجته فقال ان السيدة زبيده بنت القاسم زوجة امير المؤمنين هرون الرشيد السادس من بنى العباس عم النبي ﷺ تدعوك اليها أنت وزوجة ابنك واولادها فان النساء اخبرتها عنها وعن حسنها فقالت ام حسن يامسرور نحن ناس غرباء وزوج البنت ولدى ماهو فى البلد ولم يأمرنى بالخروج انا ولا هى لاحد من خلق الله تعالى وانا اخاف ان يجرى امر ويحضر ولدى فيقتل روحه فمن احسانك يامسرور ان لا تكلفنا مالا نطيق فقال مسرور ياسيدتى لو علمت ان فى هذا خوف عليكم ما كلفتكم الرواح وانما مراد السيدة زبيده ان تنظرها وترجع فلا تخالفى تندمى وكما آخذكما اردكما الى هنا سالمين ان شاء الله تعالى فما قدرت ام حسن أن تخالفه فدخلت وهيأت الصبية واخرجتها هي واولادها وسار واخلف مسرور وهو قدامهم الى قصر الخليفة فطلع بهم حتى اوقفهم قدام السيدة زبيدة فقبلوا الارض بين يديها ودعوا لها والصبية مستورة الوجه فقالت لها السيدة زبيدة اما تكشفين عن وجهك لانظره فقبلت الصبية الارض بين يديها واسفرت عن وجه يخجل البدر فى افق السماء فلما نظرتها شخصت اليها وسرحت فيها النظر واضاء القصر من نور وجهها واندهشت زبيدة من حسنها وكذلك كل من فى القصر وصار كل من رآها مجنونا لا يقدر ان يكلم احدا ثم ان السيدة زبيدة قامت واوقفت الصبيه وضمتها الى صدرها واجلستها معها على السرير وامرت ان يزينوا القصر ثم امرت بان يحضر لها بدلة من افخر الملبوس وعقدا من انفس الجواهر والبست الصبية اياهما وقالت لها ياسيدة الملاح انك اعجبتيني وملأت عيني

أي شيء عندك من الذخائر فقالت الصبية ياسيدتي لي ثوب ريش لو لبسته بين يديك لرأيت احسن ما تتعجبين منه و يتحدث بحسنه كل من يراه جيلا بعد جيل فقالت واين ثوبك هذا قالت هو عند ام زوجي فاطلبيه لي منها فقالت السيدة زبيدة يا امي بحياتي عندك ان تنزلي وتأتي لها بثوبها الريش حتى تفرجنا على الذي تفعله وخذيه ثانيا فقالت العجوز ياسيدتي هذه كذابة هل رأينا أحدا من النساء له ثوب من الريش فهذا لا يكون الا للطيور فقالت الصبية للسيدة زبيدة وحياتك ياسيدتي لي عندها ثوب ريش وهو في صندوق مدفون في الخزانة التي في الدار فقلعت السيدة زبيدة من عنقها عقد جوهر يساوي خزائن كسري وقيصر وقالت لها يا امي خذي هذا العقد وناولتها اياه وقالت لها بحياتي ان تنزلي و تأتي بذلك الثوب لنتفرج عليه وخذيه بعد ذلك فحلفت لها انها مارأت هذا الثوب ولا تعرف له طريقا فصرخت السيدة زبيدة على العجوز واخذت منها المفتاح ونادت مسرورا فحضر فقالت له خذ هذا المفتاح واذهب الى الدار وافتحها وادخل الخزانة التي بابها كذا وكذا وفي وسطها صندوقا فاخرجه واكسره وهات الثوب الريش الذي فيه واحضره بين يدي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٥٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السيدة زبيدة لما أخذت المفتاح من ام حسن واعطته لمسرور وقالت له خذ هذا المفتاح وافتح الخزانة الفلانية واخرج منها الصندوق واكسره واخرج منه الثوب الريش الذي فيه واحضره بين يدي فقال سمعا وطاعة ثم انه تناول المفتاح من يد السيدة زبيدة وصار فقامت معه العجوز ام حسن وهي باكية العين ندمانة على مطاوعة الجارية ورواحها الحمام معها ولم تكن الصبية طلبت الحمام الا مكيدة ثم ان العجوز دخلت هي ومسرور وفتحت باب الخزانة فدخل واخرج الصندوق واخرج منه القميص الريش ولفه معه في فوطه واتى به الى السيدة زبيدة فاخذته وقلبته وتعجبت من حسن صناعته ثم ناولته لها وقالت لها هل هذا ثوبك الريش قالت نعم ياسيدتي ومدت الصبية يدها اليه وأخذته منها وهي فرحي ثم ان الصبية تفقدته فرأته صحيحا كما كان عليها ولم يضع منه ريشة ففرحت به وقامت من جنب السيدة زبيدة واخذت القميص وفتحته واخذت اولادها في حضنها واندرجت فيه وصارت طيرة بقدرة الله عز وجل فتعجبت السيدة زبيده من ذلك وكذلك كل من حضر وصار الجميع يتعجبون من فعلها ثم ان الصبية تمايلت وتمشيت ورقصت ولعبت وقد شخص لها الحاضرون وتعجبوا من فعلها ثم قالت لهم بلسان فصيح ياسادتي هل هذا مليح فقال لها الحاضرون نعم ياسيدتي الملاح كل ما فعلتيه مليح ثم قالت وهذا الذي أعمله احسن منه ياسادتي وفتحت اجنحتها وطارت باولادها وصارت فوق القبة ووقفت على سطح القاعه فنظروا اليها بالاحداق وقالوا لها والله هذه صنعة غريبة مليحة ما رأيناها قط ثم ان الصبية لما أرادت أن تطير الى بلادها تذكرت حسنا وقالت اسمعوا ياسادتي وانشدت هذه الابيات

يامن خلا عن ذي الديار وسارا نحو الحبائب مسرعاً ، فرارا
أتظن انى فى نعيم بينكم والعيش منكم لم يكن أكدارا
لما أسرت وصرت فى شرك الهوى جعل الهوى سجنى وشط مزارا
لما اختفى ثوبى تيقن انني لم ادع فيه الواحد القهارا
قد صار يوصى أمه بحفاظه في مخدع وعدا على وجارا
فسمعت ماقالوه ثم حفظته ورجوت خيرا زائدا مدرارا
فرواحي الحمام كان وسيلة حتى غدت فى العقول حيارى
وتعجبت عرس الرشيد لبهجتى اذ شاهدتنى يمنة ويسارا
ناديت ياامرأة الخليفة ان لى ثوبا من الريش العلى فخارا
لوكان فوقى تنظرين عجائبا تمحو العنا وتبدد الاكدارا
فاستفسرت عرس الخليفة أين ذا فاجبت فى دار الذى قد دار
فانقض مسرور واحضره لها واذا به قد أشرق الانوارا
فاخذته من كفه وفتحته ورأيت منه الجيب والازرارا
فدخلت فيه ثم أولادي معي وفردت أجنحتى وطردت فرارا
ياأم زوجى أخبريه اذا أتي ان حب وصلى فليفارق دارا

فلما فرغت من شعرها قالت لها السيدة زبيدة أما تنزلين عندنا حتى نتملى بحسنك ياسيدة الملاح فسبحان من أعطاك الفصاحة والصباحة فقالت هيهات أن يرجع ما فات ثم قالت لام حسن الحزين المسكين والله ياسيدتي ياأم حسن انك توحشيني فاذا جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهى القرب والتلاق وهزته أرياح المحبة والاشواق فليجئني الى جزائر واق الواق ثم طارت هي وأولادها وطلبت بلادها فلما رأت أم حسن ذلك بكت ولطمت وجهها حتى غشي عليها فلما أفاقت قالت لها السيدة زبيدة ياسيدتى الحاجة ما كنت أعرف أن هذا يجرى ولو كنت أخبرتيني به ما كنت أتعرض لك وما عرفت انها من الجن الطيارة الا فى هذا الوقت ولو عرفت أنها على هذه الصفة ما كنت مكنتها من لبس الثوب ولا كنت أخليها تأخذ اولادها ولكن ياسيدتي اجعليني فى حل فقالت العجوز وماوجدت فى يدها حيلة أنت فى حل ثم خرجت من قصر الخلافة ولم تزل سائرة حتى دخلت بيتها وصارت تلطم على وجهها حتى غشي عليها فلما أفاقت من غشيتها استوحشت الى الصبية والى اولادها والى رؤية ولدها ثم قامت وحفرت فى البيت ثلاث قبور واقبلت عليها بالبكاء آناء الليل واطراف النهار وحين طالت غيبة ولدها وزادبها القلق والشوق والحزن وانشدت هذه الابيات

خيالك بين طابقة الجفون وذكرك فى الخوافق والسكون
وحبك قد جرى فى العظم منى كجري الماء في ثمر الغصون
ويوم لااراك يضيق صدرى وتعذرني العواذل فى شجونى

أيا من قد تملكنى هواه   وزاد على محبته جنونى
خف الرحمن فى وكن رحيما   هواك أذاقنى ريب المنون

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ١٥٧) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان ام حسن صارت تبكى آناء الليل واطراف النهار لفراق ولدها وزوجته وأولادها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر ولدها حسن فانه لما وصل الى البنات حلفن عليه ان يقيم عندهن ثلاثة أشهر ثم بعد ذلك جهزن له المال وهيأن له عشرة أحمال خمسة من الذهب وخمسة من الفضة وهيأن له من الزاد حملا واحدا وسفرنه وخرجن معه فحلف عليهن ان يرجعن فاقبلن على عناقه من أجل التوديع فتقدمت اليه البنت الصغيرة وعانقته وبكت حتى غشى عليها وأنشدت هذين البيتين

متى تنطفي نار الفراق بقربكم   ويقضى بكم ربى ونبقى كما كنا
لقد راعنى يوم الفراق وضربى   وقد زادنى التوديع ياسادتى وهنا

ثم تقدمت البنت الثانية وعانقته وأنشدت هذين البيتين

وداعك مثل وداع الحياة   وفقدك يشبه فقد النديم
وبعدك نار كوت مهجتى   وقربك فيه جنات النعيم

ثم تقدمت الثالثة وعانقته وأنشدت هذين البيتين

ماتركنا الوداع يوم افترقنا   عن ملال ولا لوجه قبيح
أنت روحى على الحقيقة قطعا   كيف أختار أن أودع روحي

ثم تقدمت البنت الرابعة وعانقته وأنشدت هذين البيتين

لم يبكنى الا حديث فراقه   لما اسربه الى مودعى
هو ذلك الدر الذى أودعته   فى مسمعي أجريته من مدمعى

ثم تقدمت البنت الخامسة وعانقته وانشدت هذين البيتين

لا ترحلن فمالى عنكم جلد   حتي أطيق به توديع مرتحل
ولا من الصبر ما ألقى الفراق به   ولا من الدمع ماأذرى على طلل

ثم تقدمت البنت السادسة وعانقته وأنشدت هذين البيتين

قد قلت مذ سار السباق بهم   والشوق ينهب مهجتي نهبا
لوكان لى ملك أصول به   لأخذت كل سفينة غصبا

ثم تقدمت البنت السابعة وعانقته وأنشدت هذين البيتين

اذا رأيت الوداع فاصبر   ولا يهولنك البعاد
وانتظر العود عن قريب   فان قلب الوداع عادوا

ثم ان حسنا ودعهن وبكى الى ان غشى عليه بسبب فراقهم وأنشد هذه الابيات

ولقد جرت يوم الفراق سوافحي درر انظمت عقودها من أدمعي
وحدابهم حادي الركاب فلم أجد جلدا ولاصبرا ولا قلبي معي
ودعتهم في انثنيت بحسرة وتركت أنس معاهدي والاربع
فرجعت لاأدري الطريق ولم تطب نفسي انى أراك بمرجعي
ياصاحبي انصت لاخبار الهوى حاشى لقلبك أن أقول ولا يعي
يانفس مذ فارقتهن ففارقي طيب الحياة وفي البقا لاتطمعي

ثم انه جد في المسير ليلا ونهارا حتى وصل الى بغداد دار السلام وحرم الخلافة العباسية ولم يدر بالذي جري بعد سفره فدخل الدار على والدته وسلم عليها فرآ ها قد انتحل جسمها ورق عظمها من كثرة النوح والسهر والبكاء والعويل حتى صارت مثل الخلال ولم تقدر ان ترد الكلام فصرفه النجائب وتقدم اليها فلما رآ ها على تلك الحالة قام في الدار وفتش على زوجته وعلى أولادها فلم يجد لهم أثرا ثم انه نظر في الخزانة فوجدها مفتوحة والصندوق مفتوحا ولم يجد فيه الثوب فعند ذلك عرف انها تمكنت من الثوب الريش وأخذته وطارت وأخذت اولادها معها فرجع الي أمه فرآها قد أفاقت من غشيتها فسألها عن زوجته وعن أولادها فبكت وقالت ياولدي عظم الله أجرك فيهم وهذه قبورهم الثلاثة فلما سمع كلام أمه صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه واستمر كذلك من اول النهار الى الظهر فازدادت أمه غما على غمها وقد يئست من حياته فلما أفاق بكى ولطم على وجهه وشق ثيابه وصار دائرا في الدار متحيرا ثم أنشد هذين البيتين

شكا ألم الفراق الناس قبلي وروع بالنوى حي وميت
وأما مثل ماضمت صلوعي فانى لا سمعت ولا رأيت

فلما فرغ من شعره أخذ سيفه وسله وجاء الى أمه وقال لها ان لم تعلميني بحقيقة الحال ضربت عنقك وقتلت روحي فقالت له ياولدي لا تفعل ذلك وأنا أخبرك ثم قالت له أغمد سيفك واقعد حتى أحدثك بالذي جرى فلما أغمد سيفه وجلس الى جانبها أعادت عليه القصة من أولها الى آخرها وقالت له ياولدي لولا انى رأيتها بكت على طلب الحمام وخفت منك أن تجيء وتشكوا اليك فتغضب على ما كنت ذهبت بها اليه ولولا ان السيدة زبيدة غضبت على وأخذت مني المفتاح قهرا ما كنت أخرجت الثوب ولو كنت أموت وياولدي أنت تعرف ان يد الخلافة لا تطاولها يد فلما أحضروا لها الثوب أخذته وقبلته وكانت تظن انه فقد منه شيء ففرحت وأخذت أولادها وشدتهم في وسطها ولبست الثوب الريش بعد ما قلعت لها الست زبيدة كل ماعليها اكراما لها ولجمالها فلما لبست الثوب الريش انتفضت وصارت طيرة ومشت في القصر وهم ينظرون اليها ويعجبون من حسنها وجمالها ثم طارت وصارت فوق القصر وبعد ذلك نظرت الى وقالت لي اذا جاء ولدك وطالت عليه ليالي الفراق واشتهى القرب مني والتلاقي وهزته رياح المحبة والاشواق فليفارق وطنه ويذهب الى جزائر واق الواق هذا ما كان من حديثهما في غيبتك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٥٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان حسنا لما سمع كلام أمه حين حكت له جميع ما فعلت زوجته وقت ما طارت صرخ صرخة عظيمة ووقع مغشيا عليه ولم يزل كذلك الى اخر النهار فلما أفاق لطم على وجهه وصار يتقلب على الارض مثل الحية فقعدت أمه تبكي عند رأسه الى نصف الليل فلما أفاق من غشيته بكى بكاء عظيما وانشد هذه الابيات

قفوا وانظروا حال الذي تهجرونه لعلكم بعد الجفاء ترحمونه
فان تنظروه تنكروه لسقمه كانكم والله لا تعرفونه
وماهو إلا ميت فى هواكم يعد من الاموات الا أنينه
ولا تحسبوا ان التفرق هين يعز على المشتاق والموت دونه

فلما فرغ من شعره قام وجعل يدور في البيت وينوح ويبكي وينتحب مدة خمسة أيام لم يذق فيها طعاما ولا شرابا فقامت اليه أمه وحلفته واقسمت عليه ان يسكت من البكاء فما قبل كلامها ومازال يبكي وينتحب وأمه تسليه وهو لا يسمع منها شيئا ومازال حسن على هذه الحالة يبكي الى الصباح ثم غفلت عيناه فرأى زوجته حزينة وهي تبكي فقام من نومه وهو صارخ وأنشد هذين البيتين

خيالك عندي ليس يبرح ساعة جعلت له في القلب أشرف موضع
ولولا رجاء الوصل ماعشت لحظة ولولا خيال الطيف لم أتهجع

فلما أصبح الصباح زاد نحيبه وبكاؤه ولم يزل باكي العين حزين القلب ساهر الليل قليل الاكل واستمر على هذه الحالة مدة شهر كامل فلما مضى ذلك الشهر خطر بباله انه يسافر الى اخواته لاجل ان يساعدنه على قصده من حصولها فاحضر النجائب ثم حمل خمسين هجينة من تحف العراق وركب واحدة منها ثم أوصى والدته على البيت واودع جميع حوائجه الا قليلا أبقاه في الدار ثم سار متوجها الى أخواته لعله ان يجد عندهن مساعدة على اجتماع زوجته ولم يزل سائرا حتى وصل إلى قصر البنات في جبل السحاب فلما دخل عليهن قدم اليهن الهدايا ففرحن بها وهنينه بالسلامة وقلن له يا أخانا ماسبب مجيئك بسرعة ومالك غير شهرين فبكى وأنشد هذه الابيات

أرى النفس في فكر لفقد حبيبها فلا تتهنى بالحياة وطيبها
سقامي داء ليس يعرف طبه وهل يبرىء الاسقام غير طبيبها
فيامانعي طيب المنام تركتني اسائل عنك الريح عند هبوبها
قريبة عهد من حبيبي وقد حوي محاسن تدعو مقلتي لصبيبها
فيا أيها الشخص والملم بارضه عسى نفحة تحيا القلوب بطيبها

فلما فرغ من شعره صرخ عظيمة صرخة وخر مغشيا عليه وقعدت البنات حوله يبكين عليه حتى فاق من غشيته فلما أفاق أنشد هذين البيتين

عسى وامل الدهر يلوى عنانه ويأتي بحبيبي والزمان غيور
ويسعدني دهري فتنقضي حوائجي وتحصل من بعد الامور أمور

فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه فلما أفاق من غشيته انشد هذه الابيات

أفي العشق والتبريح دنتم كما دنا　　وهل ودنا منكم كما ودكم منا
الا قاتل الله الهوى ماأمره　　فياليت شعري مايريد الهوى منا
وجوهكم الحسنا وان شطت النوى　　تمثل في أبصارنا أينما كنا
فقلبي مشغول بتذكار حبكم　　ويطربني صوت الحمام اذا غنى
ألا ياحماما يدعو أليفه　　لقد زدتني شوقا واصحبتني حزنا
تركت جفوني لاتمل من البكا　　على سادة غابوا برؤيتهم عنا
أحن اليهم كل وقت وساعة　　واشتاق في الليل البهيم اذا جنا

ولما سمعت كلامه أخته خرجت اليه فرأته راقدا مغشيا عليه فصرخت ولطمت فسمعها اخواتها فخرجن اليها فرأين حسنا راقدا مغشيا عليه فاحتطن به وبكين عليه ولم يخف عليهن حين رأينه ماحل به من الوجد والهيام والشوق والغرام فسألنه عن حاله فبكى واخبرهن بما جري في غيابه حيث طارت زوجته وأخذت أولادها معها فحزن عليها وسألنه عن الذي قالت عند ماراحت قال ياأخواتي انها قالت لوالدتي قولي لولدك اذجاء وطالت عليه ليالي الفراق واشتهى القرب مني وهزته أرياح المحبة والاشواق فليجئني الى جزائر واق الواق فلما سمعن كلامه تغامزن وتذاكرن وصارت كل واحدة تنظر الى أختها وحسن ينظر اليهن ثم اطرقن برؤسهن الى الارض ساعة وبعد ذلك رفعنها وقلن لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قلن له امدد يدك الى السماء فان وصلت الي السماء تصل الى زوجتك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

وفي ليلة ٧٥٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان البنات لما قلن لحسن امدد يدك الى السماء فان وصلت اليها تصل الى زوجتك واولادك جرت دموعه على خديه مثل المطر حتى بلت ثيابه وأنشد هذه الابيات

قد هيجتني الخدود الحمر والحدق　　وفارق الصبر لما أقبل الارق
بيض نواعم اضنت بالجفا جسدي　　لم يبق منه لابصار الورى رمق
حور تميس كغزلان النقا سفرت　　عن بهجة لورآها الاولياء علقوا
يمشين مثل نسيم الروض في سحر　　يعشقهن عراة الهم والقلق
علقت منهم آمالي بغانية　　قلبي لها بلظى النيران يحترق
خوداء ناعمة الاطراف مائسة　　في وجهها الصبح بل في شعرها الغسق
قد هيجتني بكم في الحب من بطل　　قد هيجته جفون البيض والحدق

فلما فرغ من شعره بكى وبكت البنات لبكائه وأخذتهن الشفقة والغيرة عليه وصرن يتلطفن به ويصبرنه ويدعين له بجمع الشمل فأقبلت عليه أخته وقالت له ياأخي طب نفسا وقر عينا واصبر تبلغ مرادك فمن صبر وتأنى نال ماتمنى والصبر مفاتيح الفرج فقد قال الشاعر

دع المقادير تجرى فى أعنتها ولا تبيتن الا خالى البال
مابين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال الى حال

ثم قالت له قوقلبك واشدد عزمك فان ابن عشرة لايموت وهو فى تسعة والبكاء والغم والحزن يمرض ويسقم واقعد عندنا حتى تستريح وانا أتحيل لك فى الوصول الى زوجتك واولادك ان شاء الله تعالى فبكى بكاء شديدا وانشد هذين البيتين

لئن عوفيت من مرض بجسمى فما عوفيت بمرض بقلبى
وليس دواء امراض التصابى سوى وصل الحبيب مع المحب

ثم جلس الى جانب اخته وصارت تحدثه وتسليه وتساله عن الذى كان سببا فى رواحها فاخبرها عن سبب ذلك فقالت له والله ياأخي انى اردت ان اقول لك احرق النوب الريش فانسانى الشيطان ذلك وصارت تحدثه وتلاطفه فلما طال عليه الامر وزاد به القلق أنشد هذه الابيات

تمكن من قلبي حبيب الفته وليس لما قد قدر الله مدفع
من العرب قد حاز الملاحة كلها غزال ولكن في فؤادى يرتع
لئن عز صبرى فى هواه وحيلتى بكيت على ان البكا ليس ينفع
مليح له سبع وسبع كأنه هلال له خمس وخمس واربع

فلما نظرت اخته الى ما فيه من الوجد والهيام وتباريح الهوى والغرام قامت الى اخواتها وهى باكية العين حزينة القلب وبكت بين أيديهن ورمت نفسها عليهن وقبلت اقدامهن وسألتهن مساعدة أخيها على قضاء حاجته واجتماعه باولاده وزوجته وعاهدتهن على أن يدبرن أمرا يوصله الى جزائر واق الواق ومازالت تبكي بين يدى اخواتها حتى ابكتهن وقلن لها طيبى قلبك باننا مجتهدات فى اجتماعه باهله ان شاء الله تعالى ثم أنه أقام عندهن سنة كاملة وعينه لم تمسك عن الدموع وكان لاخواتها عم أخو والدهن شقيقه وكان اسمه عبد القدوس وكان يحب البنت الكبيرة محبة كثيرة وكان فى كل سنة يزورها مرة واحدة ويقضى حوائجها وكانت البنات قد حدثته بحديث حسن وما وقع له مع المجوسى وكيف قدر على قتله ففرح عمهن بذلك ودفع للبنت الكبيرة صرة فيها بخور وقال لها يابنت أخي اذا أهمك امرا ونالك مكروه أو عرضت لك حاجة فالقى هذا البخور فى النار واذكرينى فانى احضر لك بسرعة واقضى حاجتك وكان هذا الكلام فى أول يوم من السنة فقالت البنت لبعض اخواتها ان السنة قد مضت بتمامها وعمي لم يحضر قومي اقدحى الزناد وائتنى بعلبة البخور فقامت البنت وهي فرحانة وأحضرت علبة البخور وفتحتها وأخذت منها شيء يسير وناولته لاختها فاخذته ورمته فى النار وذكرت عمها فما فرغ البخور الا وغبرة قد ظهرت من صدر الوادى ثم بعد ساعة انكشف الغبار فبان من تحته شيخ راكب على فيل وهو يصيح من تحته فلما نظرته البنات صار يشير اليهن بيديه ورجليه ثم بعد ساعة وصل اليهن فنزل عن الفيل ودخل عليهن فعانقنه وقبلن يديه وسلمن عليه ثم أنه جلس وصارت البنات يتحدثن معه ويسألنه عن غيابه فقال

انى كنت فى هذا الوقت جالسا أنا و زوجة عمكن فشممت البخور رخضرت اليكن على هذا الفيل فما تريدين يا بنت أخي فقالت ياعم اننا اشتقنا اليك وقد مضت السنة وما عادتك ان تغيب عنا اكثر من سنة فقال لهن انى كنت مشغولا وكنت عزمت على ان أحضر اليكن غدا فشكرنه ودعون له وقعدن يتحدثن معه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٥٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البنات لما قعدن يتحدثن مع عمهن قالت البنت الكبيرة ياعمى اننا كنا حدثناك بحديث حسن البصرى الذى جاء به بهرام المجوسى وكيف قتله وحدثناك بالصبية بنت الملك الاكبر التى أخذها وماقاسى من الامور الصعاب والاهوال وكيف اصطاد بنت الملك وتزوج بها وكيف سافر بها الى بلاده قال نعم فما حدث له بعد هذا قالت له انها غدرت به وقد رزق منها بولدين فاخذتهما وسافرت بهما الى بلادها وهو غائب وقالت لامه اذا حضر ولدك وطالت عليه ليالى الفراق وأراد منى القرب والتلاق وهزته رياح المحبة والاشتياق فليجئنى الى جزائر واق الواق فحرك رأسه وعض على أصبعه ثم أطرق رأسه الى الارض وصار ينكت فى الارض بأصبعه ثم التفت يمينا وشمالا وحرك رأسه وحسن ينظره وهو متوار عنه فقالت البنات لعمهن رد علينا الجواب فقد تفتتت منا الاكباد فهز رأسه اليهن وقال لهن يابناتى لقد اتعب هذا الرجل نفسه ورمى روحه فى هول عظيم وخطر جسيم فانه لا يقدر ان يقبل على جزائر واق الواق فعند ذلك نادت البنات حسنا فخرج اليهن وتقدم الى الشيخ عبد القدوس وقبل يده وسلم عليه ففرح به وأجلسه بجانبه فقالت البنات لعمهن ياعم بين لأخينا حقيقة ماقلته فقال له ياولدى اترك عنك هذا العذاب الشديد فانك لا تقدر ان تصل الى جزائر واق الواق ولو كان معك الجن الطيارة والنجوم السيارة لان بينك و بين الجزائر سبع أودية وسبع بحار وسبع جبال عظام وكيف تقدر ان تصل الى هذا المكان ومن يوصلك اليه بالله عليك ان ترجع من قريب ولا تتعب سرك فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس بكى حتى غشى عليه وقعدت البنات حوله يبكين لبكائه وأما البنت الصغيرة فانها شقت ثيابها ولطمت على وجهها حتى غشى عليها فلما رآهم الشيخ عبد القدوس على هذه الحالة من الهم والوجد والحزن رق لهم وأخذته الرأفة عليهم فقال اسكتوا ثم قال لحسن طيب قلبك وأبشر بقضاء حاجتك ان شاء الله تعالى ثم قال ياولدي قم وشد حيلك واتبعنى فقام حسن على حيله بعد أن ودع البنات وتبعه وقد فرح بقضاء حاجته ثم ان الشيخ عبد القدوس استدعى الفيل فحضر فركبه وأردف حسنا خلفه وسار به مدة ثلاثة أيام بلياليها مثل البرق الخاطف حتى وصل جبل عظيم أزرق وفى ذلك الجبل مغارة وعليها باب من الحديد الصينى فاخذ الشيخ بيد حسن وأنزله ثم نزل الشيخ وأطلق الفيل ثم تقدم الى باب المغارة وطرقه فانفتح الباب وخرج اليه عبد أسود أجرد كأنه عفريت و بيده اليمنى سيف والاخرى ترس من بولاد فلما نظر الشيخ عبد القدوس رمى السيف الترس من يده وتقدم الى الشيخ عبد القدوس وقبل يده ثم أخذ الشيخ بيد حسن ودخل هو اياه وقفل العبد الباب خلفهما فرأى حسن المغارة كبيرة واسعة جدا ولها دهليز معقود ولم يزالوا

سائرين مقدار ميل ثم انتهى بهم السير الى فلاة عظيمة وتوجهوا الى ركن فيه بابان عظيمان مسبوكان من النحاس الاصفر ففتح الشيخ عبد القدوس بابا منهما ودخل وردّه وقال لحسن اقعد على هذا الباب واحذر أن تفتحا وتدخل حتى أدخل وارجع اليك عاجلا فلما دخل الشيخ غاب مدة ساعة فلكية ثم خرج ومعه حصان ملجم ان سار طار وان طار لم يلحقه غبار فقدمه الشيخ لحسن وقال له اركب ثم ان الشيخ فتح الباب الثانى فبان منه برية واسعة فركب حسن الحصان وخرج الاثنان من الباب وسارا في تلك البرية فقال الشيخ لحسن ياولدى خذ هذا الكتاب وسر على هذا الحصان الى الموضع الذى يوصلك اليه فاذا نظرته وقف على مغارة مثل هذه فانزل عن ظهره واجعل عنانه فى قربوس السرج واطلقه فانه يدخل المغارة فلا تدخل معه وقف على باب المغارة مدة خمسة أيام ولا تضجر فانه فى اليوم السادس يخرج اليك شيخ أسود عليه لباس اسود وذقنه بيضاء طويلة نازلة الى سرته فاذا رأيته فقبل يديه وامسك ذيله واجعله على رأسك وابك بين يديه حتى يرحمك فانه يسألك عن حاجتك فاذا قال لك ما حاجتك فادفع اليه هذا الكتاب فانه يأخذه منك ولا يكلمك ويدخل ويخليك فقف مكانك خمسة أيام أخرى ولا تضجر وفى اليوم السادس انتظره فانه يخرج اليك فان خرج اليك بنفسه فاعلم ان حاجتك تقضى وان خرج اليك أحدا من غلمانه فاعلم ان الذى خرج اليك يريد قتلك والسلام واعلم ياولدى ان كل من خاطر بنفسه اهلك نفسه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٥٤) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الشيخ عبد القدوس لما أعطى حسنا الكتاب اعلمه بما يحصل وقال له ان كل من خاطر بنفسه أهلك نفسه فان كنت تخاف على نفسك فلا تلقى بها الى الهلاك وان كنت لا تخاف فدونك وما تريد فقد بينت لك الامور وان شئت الرواح لصواحبك فهذا الفيل حاضرا فانه يسير بك الى بنات أختى وهن يوصلنك الى بلادك ويردنك الى وطنك ويرزقك الله خيرا من هذه البنت التى تعلقت بها فقال حسن للشيخ وكيف تطيب لى الحياة من غير ان ابلغ مرادى والله انى لا ارجع أبدا حتى ابلغ مرادى من حبيبتى او تدركنى منيتى ثم بكى وأنشد هذه الابيات

على فقد حبى مع تزايد صبوتى ... وقفت أنادى بانكسار وذله
وقبلت ترب الربع شوقا لاحله ... ولم يجدنى الا تزايد حسرتى
رعى الله من باتوا وفى القلب ذكرهم ... فوصلت آلامى وفارقت لذتى
يقولون لى صبرا وقد رحلوا به ... وقد اضرموا يوم الترحل زفرتى
وما راعنى الا الوداع وقوله ... اذا غبت فاذكرنى ولا تنس صحبتى
لمن التجى ء من ارتجى بعد فقدهم ... وكانوا رجائى فى رخائى وشدتى
فوا حسرتى لما رجعت مودعا ... وسرت عداى المبغضون برجعتى
فوا أسفا هذا الذى كنت حاذرا ... ويالوعتى زيدى لهيبا بمهجتى

كأن غاب أحبابي فلاعيش بعدهم   وان رجعوا يافرحتي ومسرتي
فوالله لم ينفض دمعي من البكا   على فقدهم بل عبرة بعد عبرة

فلما سمع الشيخ عبد القدوس انشاده وكلامه علم أنه لا يرجع عن مراده وان الكلام لا يؤثر فيه وتيقن أنه لا بد أن يخاطر بنفسه ولو تلفت مهجته فقال اعلم ياولدي ان جزائر واق الواق سبع جزائر فيها عسكر عظيم وذلك العسكر كله بنات أبكار وسكان الجزائر الجوانية شياطين ومردة وسحرة وارهاط مختلفة وكل من دخل أرضهم لا يرجع وماوصل اليهم أحد قط ورجع فبالله عليك ان ترجع الى أهلك من قريب واعلم ان البنت التي قصدتها بنت ملك هذه الجزائر كلها وكيف تقدر أن تصل اليها فاسمع مني ياولدي ولعل الله يعوضك خيرا منها فقال والله ياسيدي لو قطعت في هواها أربا أربا ما ازددت الا حبا وطربا ولا بد من رؤية زوجتي وأولادي والدخول في جزائر واق الواق وان شاء الله تعالى ما ارجع الا بها وبأولادي فقال له الشيخ عبد القدوس حينئذ لا بد لك من السفر فقال نعم وانما أريد منك الدعاء بالاسعاف والاعانة لعل الله يجمع شملي بزوجتي وأولادي عن قريب ثم بكى من عظم شوقه وأنشد هذه الابيات

أنتم مرادي وأنتم أحسن البشر   أحلكم في محل السمع البصر
ملكتم القلب مني وهو منزلكم   وبعد سادتي أصبحت في كدر
فلا تظنوا انتقالي عن محبتكم   فحبكم صير المسكين في حذر
غبتم فغاب سروري بعد غيبتكم   واصبح الصفو عندي غاية الكدر
تركتموني اراعي النجم من الم   أبكي بدمع يحاكي هاطل المطر
ياليل طلت على من بات في قلق   من شدة الوجد يرعي طلعة القمر
ان جزت ياريح حيا فيه قد نزلوا   بلغ سلامي لهم فالعمر في قصر
وقل لهم بعض ما لقيت من ألم   ان الاحبه لا يدرون عن خبري

فلما فرغ حسن من شعره بكى بكاء شديدا حتى غشي عليه فلما أفاق قال له الشيخ عبد القدوس ياولدي ان لك والدة فلا تذقها ألم فقدك فقال حسن للشيخ والله ياسيدي ما بقيت ارجع الا بزوجتي أو تدركني منيتي ثم بكى وناح وأنشد هذه الابيات

وحق الهوى ماغير البعد عهدكم   وما أنا ممن للعهود يخون
وعندي من الاشواق ما لو شرحته   الى الناس قالوا قد عراه جنون
فوجد وحزن وانتحاب ولوعة   ومن حاله هذا فكيف يكون

فلما فرغ من شعره علم الشيخ أنه لا يرجع عما هو فيه ولو ذهبت روحه فناوله الكتاب ودعا له وأوصاه بالذي يفعله وقال له قد أكدت لك في الكتاب على أبي الريش ابن بلقيس بنت معين فهو شيخي ومعلمي وجميع الانس والجن يخضعون له ويخافون منه ثم قال له توجه على بركة الله تعالى فتوجه وترخى عنان الحصان فطار به اسرع من البرق ولم يزل حسن مسرعا بالحصان مدة عشرة أيام حتى

نظر أمامه شبحا عظيما أسود من الليل قد سد ما بين المشرق والمغرب فلما قرب حسن منه صهل الحصان تحته فاجتمعت خيول كثيرة مثل المطر لا يحصى لها عدد ولا يعرف لها مدد وصارت تتمسح في الحصان فخاف حسن وفزع ولم يزل حسن سائرا والخيول حوله الى ان وصل الى المغارة التي وصفها له الشيخ عبد القدوس فوقف الحصان على بابها فنزل حسن من فوقه ووضع عنانه في سرجه فدخل الحصان المغارة ووقف حسن على الباب كما أمره الشيخ عبد القدوس وصار متفكرا في عاقبة أمره كيف يكون حيران ولهان لا يعلم الذي يجرى له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٥٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان حسنا لما نزل من فوق ظهر الحصان ووقف على باب المغارة متفكرا في عاقبة أمره كيف يكون لا يعلم الذي يجرى له ولم يزل واقفا على باب المغارة خمسة أيام بلياليها وهو سهران حزنان حيران متفكرا حيث فارق الاهل والاوطان والاصحاب والخلان باكي العين حزين القلب ثم أنه تذكر والدته وتفكر فيما يجرى له وفي فراق زوجته وأولاده وما قاساه فأنشد هذه الابيات

لديكم دوا القلب والقلب ذائب ... ومن سفح اجفاني دموع سواكب
فراق وحزن واشتياق وغربة ... وبعد عن الاوطان والشوق غالب
وما انا الا عاشق ذو صبابة ... ببعد الذي يهوى دهته المصائب
فان كان عشقي قد رماني بنكبة ... فأي كريم لم تصبه النوائب

فما فرغ حسن من شعره الا والشيخ أبو الريش قد خرج له وهو أسود وعليه لباس أسود فلما نظره حسن عرفه بالصفات التي أخبره بها الشيخ عبد القدوس فرمى نفسه عليه ومرغ خديه على قدميه وامسك ذيله وحطه على رأسه وبكى قدامه فقال الشيخ أبو الريش ما حاجتك يا ولدي فمد يده بالكتاب وناوله للشيخ أبي الريش فاخذه منه ودخل المغارة ولم يرد عليه جوابا فقعد حسن في موضعه على الباب مثل ما قال له الشيخ عبد القدوس وهو يبكي ومازال قاعدا مكانه مدة خمسة أيام وقد ازداد به القلق واشتد به الخوف ولازمه الارق فصار يبكي ويتضجر من الم البعاد وكثرة السهاد ثم انشد هذه الابيات

سبحان جبار السما ... ان المحب لفي عنا
من لم يذق طعم الهوى ... لم يدر ماجهد البلا
لو كنت أحبس عبرتي ... لوجدت أنهار الدما
كم من صديق قد قسا ... قلبا وأولع بالشقا
فاذا تعطف لامني ... فاقول ما بي من بكا
لكن ذهبت لارتدى ... فاصابني عين الردى
بكت الوحوش لوحشتي ... وكذلك سكان الهوى

ولم يزل حسن يبكي الى أن لاح الفجر واذا بالشيخ أبو الريش قد خرج اليه وهو لابس لباسا أبيض وأومأ اليه بيده أن يدخل فدخل حسن فأخذه الشيخ من يده ودخل به المغارة ففرح وأيقن أن حاجته قد قضيت ولم يزل الشيخ سائرا وحسن معه مقدار نصف نهار ثم وصلا الى باب مقنطر عليه

باب من البولاد ففتح الباب ودخل هو وحسن فى دهليز معقود بحجارة من الجزع المنقوش بالذهب ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى قاعة كبيرة مرخمة واسعة فى وسطها بستان فيه من سائر الاشجار والازهار والاثمار والاطيار على الاشجار تناغى وتسبح الملك القهار وفى القاعة أربعة لواوين يقابل بعضها بعضا وفى كل ليوان مجلس فيه فسقية وعلى كل ركن من اركان كل فسقية صورة سبع من الذهب وفى كل مجلس كرسي وعليه شخص جالس وبين يديه كتب كثيرة جدا وبين ايديهم مجامر من ذهب فيها نار وبخور وكل شيخ منهم بين يديه طلبته يقرؤن عليه الكتب فلما دخلا عليهم قاموا اليهما وعظموهما فاقبل عليهم وأشار لهم ان يصرفوا الحاضرين فصرفوهم وقام أربعة مشايخ وجلسوا بين يدى الشيخ ابى الريش وسالوه عن حال حسن فعند ذلك أشار الشيخ أبو الريش الى حسن وقال له حدث الجماعة بحديثك وبجميع ماجري لك من أول الامر الى آخره فعند ذلك بكي حسن بكاء شديدا وحدثهم بحديثه فلما فرغ حسن من حديثه صاحت المشايخ كلهم وقالوا اهل هذا هو الذى أطلعه المجوسي الي جبل السحاب والنسور وهو فى جلد الجمل فقال لهم حسن نعم فأقبلوا على الشيخ أبى الريش وقالوا له ياشيخنا ان بهرام تحيل فى طلوعه على الجبل وكيف نزل وما الذى راه فوق الجبل من العجائب فقال الشيخ أبو الريش يا حسن حدثهم كيف نزلت واخبرهم بالذى رأيته من العجائب فاعاد لهم ماجرى له من أوله الى آخره وكيف ظفر به وقتله وكيف غدرت به زوجته وأخذت أولاده وطارت وبجميع ماقاساه من الاهوال والشدائد فتعجب الحاضرون مما جرى له ثم اقبلوا على الشيخ أبى الريش وقالوا له ياشيخ الشيوخ والله ان هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته وأولاده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٥٦) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنا لما حكى للمشايخ قصته قالوا للشيخ أبى الريش هذا الشاب مسكين فعساك أن تساعده على خلاص زوجته وأولاده فقال لهم الشيخ أبو الريش يا اخوانى ان هذا أمر عظيم خطر وما رأيت أحدا يكره الحياة غير هذا الشاب وانتم تعرفون ان جزائر واق الواق صعبة الوصول ماوصل اليها أحد الا خاطر بنفسه وتعرفون قوتهم واعوانهم وانا حالف انى ما ادوس لهم أرضا ولا أتعرض لهم فى شيء وكيف يصل هذا الى بنت الملك الاكبر ومن يقدر أن يوصله اليها أو يساعده على هذا الامر فقالوا ياشيخ الشيوخ ان هذا الرجل أتلفه الغرام وقد خاطر بنفسه وحضر اليك بكتاب أخيك الشيخ عبد القدوس فحينئذ يجب عليك مساعدته فقام حسن وقبل قدم أبى الريش ورفع ذيله ووضعه على رأسه وبكى وقال له سالتك بالله أن تجمع بينى وبين أولادى وزوجتى ولو كان فى ذلك ذهاب روحى ومهجتى فبكى الحاضرون لبكائه وقالوا للشيخ أبى الريش اغتنم أجر هذا المسكين وافعل معه جميل لاجل أخيك الشيخ عبد القدوس فقال ان هذا الشاب مسكين مايعرف الذى هو قادم عليه ولكن نساعده على قدر الطاقة ففرح حسن لما سمع كلامه وقبل يديه وقبل ايادى الحاضرين واحدا بعد واحد وسالهم المساعدة فعند ذلك أخذ أبو الريش ورقة ودواة وكتب كتابا وختمه وأعطاه لحسن ودفع له خريطة من الادم فيها بخور

وآلات نار من زناد وغيره وقال له احتفظ على هذه الخريطة ومتى وقعت فى شدة فبخر بقليل منه واذكرني فاني أحضر عندك وأخلصك منها ثم أمر بعض الحاضرين ان يحضر له عفريتا من الجن الطيارة فى ذلك الوقت فحضر فقال له الشيخ ما اسمك قال عبدك دهنش ابن فقطش فقال له أبو الريش أدن مني فدنا منه فوضع الشيخ أبو الريش فاه على أذن العفريت وقال له كلاما فحرك العفريت رأسه ثم قال الشيخ لحسن ياولدي قم اركب على كتف هذا العفريت دهنش الطيار فاذا رفعك الى السماء وسمعت تسبيح الملائكة فى الجو فلا تسبح فتهلك أنت وهو فقال حسن لا اتكلم أبدا ثم قال له الشيخ ياحسن اذا سار بك فانه يضعك ثانى يوم فى وقت السحر على أرض بيضاء نقية مثل الكافور فاذا وضعك هناك فامش عشرة أيام وحدك حتى تصل الى باب المدينة فاذا وصلت اليها فادخل واسأل على ملكها فاذا اجتمعت به فسلم عليه وقبل يده وأعطه هذا الكتاب ومهما أشار اليك فافهمه فقال حسن سمعا وطاعة وقام مع العفريت وقام المشايخ ودعوا له ووصوا العفريت عليه فلما حمله العفريت على عاتقه ارتفع به الى عنان السماء ومشى به يوما وليلة حتى سمع تسبيح الملائكة فى السماء فلما كان الصبح وضعه فى أرض بيضاء مثل الكافور وتركه وانصرف فلما أدرك حسن أنه على الارض ولم يكن عنده أحد سار فى الليل والنهار مدة عشرة أيام الى أن وصل الى باب المدينة فدخلها وسأل عن الملك فدلوه عليه وقالوا ان اسمه الملك حسون ملك أرض الكافور وعنده من العسكر والجنود ما يملا الارض فى طولها والعرض فاستأذن حسن فأذن له فلما دخل عليه وجده ملكا عظيما فقبل الارض بين يديه فقال له الملك ما حاجتك فقبل حسن الكتاب وناوله اياه فأخذه وقرأه ثم حرك رأسه ساعة ثم قال لبعض خواصه خذ هذا الشاب وانزله فى دار الضيافة فأخذه وسار حتى انزله هناك فاقام بها مدة ثلاثة أيام فى أكل وشرب وليس عنده الا الخادم الذى معه فصار ذلك الخادم يحدثه ويؤانسه ويسأله عن خبره وكيف وصل الى هذه الديار فأخبره بجميع ما حصل له وكل ما هو فيه وفى اليوم الرابع أخذه الغلام واحضره بين يدى الملك فقال له ياحسن أنت قد حضرت عندى تريد ان تدخل جزائر واق الواق كما ذكر لنا شيخ الشيوخ ياولدى أنا أرسلك فى هذه الايام الا أن فى طريقك مهالك كثيرة وبرارى معطشة كثيرة المخاوف ولكن أصبر ولا يكون الا الخير فلا بد أن أتحيل وأوصلك الى ما تريد ان شاء الله تعالى واعلم ياولدى ان هنا عسكرا من الديلم يريدون الدخول فى جزائر واق الواق مهيئين بالسلاح والخيل والعدد وما قدروا على الدخول ولكن ياولدى لاجل شيخ الشيوخ أبى الريش ابن بلقيس بن معن ما أقدر أن أردك اليه الا مقضى الحاجة وعن قريب تأتى الينا مراكب من جزائر واق الواق وما بقي لها الا القليل فاذا حضرت واحدة منها انزلتك فيها وأوصى البحرية عليك ليحفظوك ويرسلوك الى جزائر واق الواق وكل من سألك عن حالك وخبرك فقل له أنا صهر الملك حسون صاحب أرض الكافور واذا رست المركب على جزائر واق الواق وقال لك الريس اطلع البر فاطلع ترى دككا كثيرة فى جميع جهات البر فاختر لك دكة واقعد تحتها ولا تتحرك فاذا جن الليل ورأيت عسكر النساء قد أحاط بالبضائع فمد يدك وامسك صاحبة

هذه الدكة التي أنت تحتها واستجر بها واعلم ياولدى اذا جارتك قضيت حاجتك فتصل الى زوجتك وأولادك وان لم تجرك فاحزن على نفسك وايأس من الحياة وتيقن هلاك نفسك واعلم ياولدى انك مخاطر بنفسك ولا أقدر لك على شيء غير هذا والسلام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(في ليلة ٧٥٧) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان حسنا لما قال له الملك حسون هذا الكلام وأوصاه بالذى ذكرناه وقال له أنا لا أقدر لك على شيء غير هذا قال بعد ذلك واعلم أنه لولا حصلت لك عناية من رب السماء ماوصلت الى هنا فلما سمع حسن كلام الملك حسون بكي حتي غشى عليه فلما أفاق انشد هذين البيتين

لابد من مدة محتومة فاذا انقضت أيامها مات
لوصارعتنى الاسد فى غاباتها لقهرتها مادام لى وقت

فلما فرغ حسن من شعره قبل الارض بين يدى الملك وقال له أيها الملك العظيم وكم بقى من الايام حتي تاتى المراكب قال مدة شهر ويمكثون هنا البيع مافيها مدة شهرين ثم يرجعون الى بلادهم فلا تترج سفرك فيها الا بعد ستة أشهر كاملة ثم أن الملك أمر حسنا ان يذهب الى دار الضيافة وأمر ان يحمل اليه كل مايحتاج اليه من مأكول ومشروب وملبوس من الذى يناسب الملوك فاقام فى دار الضيافة شهرا وبعد الشهر حضرت المراكب فخرج الملك والتجار وأخذ حسنا معه الى المراكب فرأى مركبا فيها خلق كثير مثل الحصى مايعلم عددهم الا الذى خلقهم وتلك المركب فى وسط البحر ولها زوارق صغار تنقل مافيها من البضائع الى البر فاقام حسن عندهم حتى نزع أهلها البضائع منها الى البر وباعوا واشتروا ومابقى للسفر الا ثلاثة أيام فاحضر حسنا بين يديه وجهزله مايحتاج اليه وانعم عليه انعاما عظيما ثم بعد ذلك استدعي رئيس المركب وقال له خذ هذا الشاب معك فى المركب ولا تعلم به أحدا وأوصله الى جزائر واق الواق واتركه هناك ولا تات به فقال الريس سمعا وطاعة ثم ان الملك أوصي حسنا وقال له لا تعلم أحدا من الذين معك فى المركب بشيء من حالك ولا تطلع أحدا على قصتك فتهلك قال سمعا وطاعة ثم ودعه بعد ان دعاله بطول البقاء والدوام والنصر على جميع الحساد والاعداء وشكره الملك على ذلك ودعاله بالسلامة وقضاء حاجته ثم سلمه للريس فأخذه وحطه فى صندوق وأنزله فى قارب ولم يطلعه فى المركب الا والناس مشغولون فى نقل البضائع وبعد ذلك سافرت المركب ولم تزل مسافرة مدة عشرة أيام فلما كان اليوم الحادى عشر وصلوا الى البر فطلعه الريس من المركب فلما طلع من المركب الى البر رأى فيه دككا لا يعلم عددها الا الله فمشى حتى وصل الى دكة ليس لها نظير واختفي تحتها فلما أقبل الليل جاء خلق كثير من النساء مثل الجراد المنتشر وهن ماشيات على اقدامهن وسيوفهن مشهورة فى ايديهن ولكنهن غائصات فى الزرد فلما رأت النساء البضائع اشتغلن بها ثم بعد ذلك جلسن لاجل الاستراحة فجلست واحدة منهن على الدكة التى تحتها حسن فأخذ حسن طرف ذيلها وحطه فوق رأسه ورمى نفسه عليها وصار يقبل يديها

وقدميها وهو يبكي فقالت له ياهذا اقم واقفا قبل أن يراك أحد فيقتلك فعند ذلك خرج حسن من تحت الدكة ونهض قائما على قدميه وقبل يديها وقال لها ياسيدتي انا في جيرتك ثم بكى وقال لها ارحمي من فارق أهله وزوجته وأولاده وبادر الى الاجتماع بهم وخاطر بروحه ومهجته فارحميني وايقني انك تؤجرين على ذلك بالجنة وان لم تقبليني فاسالك بالله العظيم الستار ان تستري على فصارت التجار شاخصة له وهو يكلمها فلما سمعت كلامه ونظرت تضرعه رحمته ورق قلبها اليه وعلمت أنه ماخطر بنفسه وجاء الى هذا المكان الا لامر عظيم فعند ذلك قالت لحسن ياولدي طب نفسا وقر عينا وطيب قلبك وخاطرك وارجع الى مكانك واختف تحت الدكة كما كنت أولا الى الليلة الآتية يفعل الله مايريد ثم ودعته ودخل حسن تحت الدكة كما كان ثم ان العساكر بتن يوقدون الشموع الممزوجة بالعود الند والعنبر الخام الى الصباح فلما طلع النهار رجعت المراكب الى البر واشتغل التجار بنقل البضائع والامتعة الى أن اقبل الليل وحسن مختبف تحت الدكة باكي العين حزين القلب ولم يعلم بالذي قدر له في الغيب فبينما هو كذلك اذ أقبلت عليه المرأة التاجرة التي كان استجار بها وناولته زردية وسيفا وحياصة مذهبا ورمحا ثم انصرفت عنه خوفا من العسكر فلما رأى ذلك علم أن التاجرة ما أحضرت له هذه العدة الا ليلبسها فقام حسن ولبس الزردية وشد الحياصة على وسطه وتقلد بالسيف تحت ابطه واخذ الرمح بيده وجلس على تلك الدكة ولسانه لم يغفل عن ذكر الله تعالى بل يطلب منه الستر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٧٥٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان حسنا لما اخذ السلاح الذي عطته اياها الصبية التي استجار بها وقالت له اجلس تحت الدكه ولا تخل احد يفهم حالك وتقلد به ثم جلس فوق الدكه ولسانه لم يغفل عن ذكر الله تعالى وصار يطلب من الله الستر فبينما هو جالس اذا أقبلت المشاعل والفوانيس والشموع وأقبلت عساكر النساء فقام حسن واختلط بالعسكر وصار كواحدة منهن فلما قرب طلوع الفجر توجهت العساكر وحسن معهن حتى وصلن الى خيامهن ودخلت كل واحدة خيمتها فدخل حسن خيمة واحدة منهن واذا هي خيمة صاحبته التي كان استجار بها فلما دخلت خيمتها ألقت سلاحها وقلعت الزرديه والنقاب وألقى حسن سلاحه فنظر الى صاحبته فوجدها زرقاء العينين كبيرة الانف وهي داهية من الدواهي اقبح مايكون في الخلق بوجه اجدر وحاجب امعط وأسنان مكسره وخدود معجرة وشعر شائب وفم بالرياله سائل وهي كما قال في مثلها الشاعر

لها في زوايا الوجه تسع مصائب فواحدة منهن تبدي جهنما
بوجه بشيع ثم ذات قبيحة كصورة خنزير تراه مرمرما

وهي بذات معطاء كحية رقطاء فلما نظرت العجوز الى حسن تعجبت وقالت كيف وصل هذا الى هذه الدار وفي اي المراكب حضر وكيف سلم وصارت تسأله عن حاله وتتعجب من وصوله فعند ذلك وقع حسن على أقدامها ومرغ وجهه على رجليها وبكى حتى غشي عليه فلما افاق انشد هذه الابيات

متى الايام تسمح بالتلاقي وتجمع شملنا بعد الفراق

واحظى بالذى ارضاه منهم   عتابا ينقضى والود باقى
لو ان النيل يجرى مثل دمعى   لما خلى على الدنيا شراقى
وفاض على الحجاز وأرض مصر   كذاك الشام مع ارض العراق
وذاك لأجل صدك ياحبيبى   ترفق بى وواعد بالتلاقى

فلما فرغ من شعره اخذ ذيل العجوز ووضعه فوق رأسه وصار يبكى ويستجير بها فلما رأت العجوز احتراقه ولوعته وتوجعه وكربته حن قلبها اليه واجارته وقالت له لا تخف ابدا ثم سألته عن حاله فحكى لها جميع ماجرى له من المبتدا الى المنتهى فتعجبت العجوز من حكايته وقالت له طيب قلبك وطيب خاطرك ما بقى عليك خوف وقد وصلت الى مطلوبك وقضاء حاجتك ان شاء الله تعالى ففرح حسن بذلك فرحا شديدا ثم ان العجوز أرسلت الى قواد العسكر ان يحضروا وكان ذلك فى آخر يوم من الشهر فلما حضروا بين يديها قالت لهم اخرجوا ونادوا فى جميع العسكر ان يخرجوا فى غد بكرة النهار ولا يتخلف احد منهم فان تخلف احد راحت روحه فقالوا لها سمعا وطاعة ثم خرجوا ونادوا فى جميع العسكر بالرحيل فى غد بكرة النهار ثم عادوا وأخبروها بذلك فعلم حسن انها رئيسة العسكر وصاحبة الرأى فيه وهى المقدمة عليه ثم ان حسنا لم يقلع السلاح من فوق بدنه فى ذلك النهار وكان اسم تلك العجوز التى هو عندها شواهى وتكنى بام الدواهى فما فرغت العجوز من امرها ونهيها الا وقد طلع الفجر فخرج العسكر جميعه من اماكنها ولم تخرج العجوز معهم فلما سار العسكر خلت منه الاماكن قالت شواهى لحسن ادن منى ياولدى فدنا منها ووقف بين يديها فاقبلت عليه وقالت له ما السبب فى مخاطرتك بنفسك ودخولك الى هذه البلاد وكيف رضيت نفسك بالهلاك فاخبرنى بالصحيح عن جميع شأنك ولا تخف عنى منه شيئا ولا تخف فانك قد صرت فى عهدى وقد اجرتك ورحمتك ورثيت لحالك فان اخبرتنى بالصدق أعنتك على قضاء حاجتك ولو كان فيها رواح الارواح وهلاك الاشباح وحيث وصلت الى ما بقى عليك بأس ولا اخلى احدا يصل اليك بسوء ابدا من كل ما فى جزائر واق الواق فحكى لها قصته من أولها الى آخرها وعرفها بشأن زوجته وبالطيور وكيف اصطادها من بين العشرة وكيف تزوج بها ثم اقام معها حتى رزق منها بولدين وكيف اخذت اولادها وطارت حين عرفت طريق الثوب الريش ولم يخف من حديثه شيئا من اوله الى يومه الذى هو فيه فلما سمعت العجوز كلامه حركت رأسها وقالت سبحان الله الذى سلمك واوصلك الى هنا واوقعك عندى ولو كنت وقعت عند غيرى كانت روحك راحت ولم تقض لك حاجة ولكن صدق نيتك ومحبتك وفرط شوقك الى زوجتك واولادك هو الذى اوصلك الى حصول بغيتك ولولا انك لها محب وبها ولهان ما كنت خاطرت بنفسك هذه المخاطرة والحمد لله على السلامة وحينئذ يجب علينا ان نقضى لك حاجتك ونساعدك على مطلوبك حتى تنال بغيتك عن قريب ان شاء الله تعالى ولكن اعلم ياولدى ان زوجتك فى الجزيرة السابعة من جزائر واق الواق ومسافة ما بيننا وبينها سبعة اشهر ليلا ونهارا فاننا نسير من هنا حتى نصل الى ارض يقال لها ارض الطيور ومن شدة صياح الطيور وخفقان

اجنحتها لا يسمع بعضنا كلام بعض وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٥٨) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان العجوز قالت لحسن ان زوجتك في الجزيرة السابعة من جزائر واق الواق ومسافة ما بيننا وبينها سنة كاملة للراكب المجد فى السير وعلى شاطىء هذا النهر جبل آخر يسمى جبل واق وهذا الاسم علم على شجرة اغصانها تشبه رؤس بنى آدم فاذا اطلعت الشمس عليها تصيح تلك الرؤس جميعا وتقول فى صياحها واق واق سبحان الملك الخلاق فاذا سمعنا صياحها نعلم ان الشمس قد طلعت وكذلك اذا غربت الشمس تصيح تلك الرؤس وتقول فى صياحها ايضا واق واق سبحان الملك الخلاق فنعلم ان الشمس غربت ولا يقدر احد من الرجال ان يقيم عندنا ولا يصل الينا ولا يطأ أرضنا وبيننا وبين الملكة التى تحكم على هذه الارض مسافة شهر من هذا البر وجميع الرعية التى فى ذلك البر تحت يد تلك الملكة وتحت يدها ايضا قبائل الجان المردة والشياطين وتحت يدها من السحرة ما لا يعلم عددهم الا الذى خلقهم فان كنت تخاف ارسلت معك من يوصلك الى الساحل واجىء بالذى يحملك معه فى مركب ويوصلك الى بلادك وان كان يطيب على قلبك الاقامة معنا فلا أمنعك وأنت عندى فى عينى حتى تقضى حاجتك ان شاء الله تعالى فقال حسن ياسيدتى ما بقيت افارقك حتى اجتمع بزوجتى او تذهب روحى فقالت له هذا امر يسير فطيب قلبك وسوف تصل الى مطلوبك ان شاء الله تعالى ولا بد ان أطلع الملكة عليك حتى تكون مساعدة لك على بلوغ قصدك فدعا لها حسن وقبل يديها ورأسها وشكرها على فعلها وفرط مروءتها وسار معها وهو متفكر فى عاقبة امره واهوال غربته فصار يبكى و ينتحب وجعل ينشد هذه الابيات

من كان الحبيب هب نسيم ... فترانى من فرط وجدى اهيم
ان ليل الوصال صبح مضىء ... ونهار الفراق ليل بهيم
ووداع الحبيب صعب شديد ... وفراق الأنيس خطب جسيم
لست اشكو جفاه الا اليه ... لم يكن فى الوري صديق حميم
وسلوى عنكم محال فانى ... ليس يسلى قلبى عذول ذميم
ياوحيد الجمال عشقى وحيد ... ياعديم المثال قلبى عديم
كل من يدعى المحبة فيكم ... ويهاب الملام فهو ملوم

ثم ان العجوز امرت بدق طبل الرحيل وسار العسكر وسار حسن صحبة العجوز وهو غرقان فى بحر الافكار يتضجر و ينشد الاشعار والعجوز تصبره وتسليه وهو لا يفيق ولا يعى ما اليه تلقيه ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى جزيرة من الجزائر السبعة وهى جزيرة الطيور فلما دخلوها ظن حسن أن الدنيا قد انقلبت من شدة الصياح واوجعته راسه وطاش عقله وعمى بصره وانسدت اذناه وخاف خوفا شديدا وأيقن بالموت وقال فى نفسه اذا كانت هذه ارض الطيور فكيف ارض الوحوش فلما رأته العجوز المسماه بشواهي على هذه الحالة ضحكت عليه وقالت له ياولدى اذا كان هذا حالك من اول جزيرة فكيف بك اذا وصلت الى بقية الجزائر فسأل الله وتضرع اليه وطلب منه

ان يعينه على ما بلاه وان يبلغه مناه ولم يزالوا سائرين حتى قطعوا ارض الطيور وخرجوا منها ودخلوا في ارض الجان فلما راها حسن خاف وندم على دخوله فيها معهم ثم استعاذ بالله تعالى وسار معهم فعند ذلك خلصوا من ارض الجان ووصلوا الى النهر فنزلوا تحت جبل عظيم شاهق ونصبوا اخيامهم على شاطىء النهر ووضعت العجوز لحسن دكة من المرمر مرصعة بالدر والجوهر وسبائك الذهب الاحمر في جنب النهر فجلس عليها وتقدمت العساكر فعرضتهم عليه ثم بعد ذلك نصبوا اخيامهم حوله واستراحوا ساعة ثم اكلوا وشربوا وناموا مطمئنين لانهم وصلوا الى بلادهم وكان حسن واضعا على وجهه لثاما بحيث لا يظهر منه غير عينه واذا بجماعة من البنات مشين الى قرب النهر ثم قلعن ثيابهن ونزلن في النهر فصار حسن ينظر اليهن وهن يغتسلن فصرن يلعبن وينشرحن ولا يعلمن انه ناظر اليهن لانهن ظنن انه من بنات الملوك فاشتد على حسن وتره حيث كان ينظر اليهن وهن مجردات من ثيابهن وقد رأى ما بين افخاذهن انواع مختلفة ما بين ناعم ومقبقب وسمين مربرب وغليظ المشافر وكامل وبسيط ووافر ووجوههن كالاقمار وشعورهن كليل على نهار لانهن من بنات الملوك ثم ان العجوز نصبت له سريرا واجلسته فوقه فلما خلصن طلعن من النهر وهن متجردات كالقمر ليلة البدر وقد اجتمع جميع العسكر قدام حسن لان العجوز امرت ان ينادى في جميع العسكر ان يجتمعن قدام خيمته ويتجردن من ثيابهن وينزلن في النهر ويغتسلن فيه لعل زوجته ان تكون فيهن فيعرفها وصارت العجوز تسأله عنهن طائفة بعد طائفة فيقول ماهي في هؤلاء يا سيدتي . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٥٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان العجوز كانت تسأل حسنا عن البنات طائفة بعد طائفة لعله يعرف زوجته بينهن وكلما سألته عن طائفة يقول ماهي في هؤلاء يا سيدتي ثم بعد ذلك تقدمت جارية في آخر الناس وفي خدمتها ثلاثون خادمة كلهن نهد ابكار فنزعن عن ثيابهن ونزلن معها في النهر فصارت تتدلل عليهن وترميهن في البحر وتغطسهن ولم تزل معهن على هذا الحال ساعة زمانية ثم طلعن من النهر وقعدن فقدمن اليها مناشف من حرير مزركشة بالذهب فأخذتها وتنشفت بها ثم قدموا اليها ثيابا وحللا وحليا من عمل الجن فاخذتها ولبستها وقامت تخطر بين العسكر هي وجواريها فلما رآها حسن طار قلبه وقال هذه اشبه الناس بالطيرة التي رأيتها في البحيرة في قصر اخواتي البنات وكانت تتدلل على اتباعها مثلها فقالت العجوز يا حسن هذه زوجتك فقال لا وحياتك يا سيدتي ماهذه زوجتي ولا مثل قدها واعتدالها وحسنها وجمالها فقالت صفها لي وعرفني بجميع اوصافها حتى تكون في ذهني فاني اعرف كل بنت في جزائر واق الواق لاني بقية عسكر البنات والحاكمة عليهن وان وصفتها لي عرفتها وتحيلت لك في اخذها فقال لها حسن ان زوجتي صاحبة وجه مليح وقد رجيح أسيلة الخد قائمة النهد دعجاء العينين ضخمة الساقين بيضاء الاسنان حلوة اللسان ظريفة الشمائل كانها غصن مائل بديعة الصفة حمراء الشفة بعيون كحال وشفايف رقاق على فخذها الايمن شامة وعلى بطنها من تحت سرتها علامة ووجهها منير كالقمر المستدير وخصرها

تخيل وردهم الثقيل ور يقها يشفي العليل كانه الكوثر او السلسبيل فقالت العجوز زدني في اوصافها بيانا ازادك الله تعالى فيها افتتانا فقال لها حسن ان زوجتي ذات وجه جميل وعنق طويل وطرف كحيل وخدود كالشقيق وفم كخاتم عقيق وثغر لامع البريق يغني عن الكاس والابريق في هيكل اللطافة وبين فخذيها تخت الخلافة مامثل حرمة بين المشاعر كما قال في حقه الشاعر

اسم الذي جيرني حروفه مشتهره * اربعه في خمسة وسته في عشره

ثم بكى حسن وغنى بهذا الموال

وجدي بكم وجد هندي ضيع القصعه اووجد ساعي وفي رجله اليمين قصعه

اووجد مضني عليل بجروح متسعة اووجد من حرر السبعة على العشرين

ولعنة الله على من يتبع التسعه

اطرقت العجوز برأسها الى الارض ساعة من الزمان ثم رفعت رأسها الى حسن وقالت سبحان الله العظيم الشان اني بليت بك ياحسن فياليتني ما كنت عرفتك لان المرأة التي وصفتها لي هي زوجتك بعينها فأني قد عرفتها بصفتها وهي بنت الملك الاكبر الكبيرة التي تحكم على جزائر واق الواق بأسرها فافتح عينك ودبر امرك وان كنت نائما فانتبه فانه لا يمكنك الوصول اليها ابدا وان وصلت اليها لا تقدر على تحصيلها لان بينك وبينها مثل ما بين السماء والارض فارجع ياولدي من قريب ولا ترم نفسك في الهلاك وترميني معك فاني اظن انه ليس لك فيها نصيب وارجع من حيث اتيت لئلا تروح ارواحنا وخافت على نفسها وعليه فلما سمع حسن كلام العجوز بكى بكاء شديدا حتى غشي عليه فما زالت العجوز ترش على وجهه الماء حتى افاق من غشيته وصار يبكي حتى بل ثيابه بالدموع من عظم ما لحقه من الهم والغم من كلام العجوز وقد يئس من الحياة ثم قال للعجوز ياسيدتي وكيف ارجع بعد ان وصلت الى هنا وما كنت اظن في نفسي انك تعجزين عن تحصيل غرضي خصوصا وانت نقيبة عسكر البنات والحاكمة عليهن قالت بالله ياولدي ان تختار لك بنتا من هؤلاء البنات وانا اعطيك اياها عوضا عن زوجتك لئلا تقع في يد الملوك فلا يبقى لي في خلاصك حيلة فبالله عليك ان تسمع مني وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير تلك البنت وترجع الى بلادك من قريب سالما ولا تجرعني غصتك والله لقد رميت نفسك في بلاء عظيم وخطر جسيم لا يقدر احد ان يخلصك منه فعند ذلك اطرق حسن رأسه وبكى بكاء شديدا وانشد هذه الابيات

فقلت لعذالي لاتعذلوني لغير الدمع ماخلقت جفوني

مدامع مقلتي طفحت ففاضت على خدي واحبابي جفوني

دعوني في الهوى قد رق جسمي لاني في الهوى اهوى جنوني

ويا أحباب قد زاد اشتياقي اليكم مالكم لاترحموني

جفوتم بعد ميثاقي وعهدي وخنتم صحبتي وتركتموني

ويوم البين لما قد رحلتم سقيت من الصدود شراب هون

فيا قلبي عليهم ذب غراما وجردي بالمدامع ياعيوني

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٦٠) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز لما قالت لحسن بالله عليك ياولدي ان تسمع كلامي وتختار لك واحدة من هؤلاء البنات غير زوجتك وترجع الى بلادك من قريب سالما فاطرق رأسه وبكى بكاء شديدا وانشد الابيات المذكوره فلما فرغ من شعره بكى حتى غشي عليه فمازالت العجوز ترش على وجهه الماء حتى افاق من غشيته ثم قبلت عليه وقالت له ياسيدي ارجع الى بلادك فاني متى سافرت بك الى المدينة راحت روحك وروحي لان الملكة اذا علمت بذلك تلومني على دخولي بك الى بلادها وجزائرها التي لم يصلها احد من بني آدم وتقتلني حيث حملتك معي واطلعتك على هؤلاء الابكار التي رأيتهن في البحر مع انه لم يمسهن فحل ولم يقربهن بعل فحلف حسن انه ما نظر اليهن نظر سوء قط فقالت له ياولدي ارجع الى بلادك وانا اعطيك من المال والذخائر والتحف ما تستغني به عن جميع النساء فاسمع كلامي وارجع من قريب ولا تخاطر بنفسك فقد نصحتك فلما سمع كلامها بكى ومرغ خديه على اقدامها وقال ياسيدتي ومولاتي وقرة عيني كيف ارجع بعد ما وصلت الى هذا المكان ولم انظر من اريد وقد قربت من دار الحبيب وترجيت اللقاء عن قريب لعله ان يكون لي في الاجتماع نصيب ثم انشد هذه الابيات

ياملوك الجمال رفقا باسرى	لجفون تملكت ملك كسرى
قد غلبتم روائح المسك طيبا	وبهرتم محاسن الورد زهرا
ونسيم النعيم حيث حللتم	فالصبا من هناك تعبق نشرا
عاذلي كف عن ملامي ونصحي	انما جئت بالنصيحة نكرا
ما على صبوتي من العذل واللوم	اذا لم تحط بذلك خبرا
اسرتني العيون وهي مراض	ورمتني في الحب عنفا وقهرا
انثرا الدمع حين انظم شعري	هاك مني الحديث نظما ونثرا
حمرة الخد قد اذابت فؤادي	فتلظت مني الجوارح جمرا
خبراني متى تركت حديثي	فبأي الحديث اشرح صدرا
طول عمري اهوى الحسان ولكن	يحدث الله بعد ذلك امرا

فلما فرغ حسن من شعره رقت له العجوز ورحمته واقبلت عليه وطيبت خاطره وقالت له طب نفسا وقر عينا واخل فكرك من الهم والله لاخاطرن معك بروحي حتى تبلغ مقصودك او تدركني منيتي فطاب قلب حسن وانشرح صدره وجلس يتحدث مع العجوز الى آخر النهار فلما اقبل الليل تفرقت البنات كلهن فمنهن من دخلت قصرها في البلد ومنهن من باتت في الخيام ثم ان العجوز اخذت حسنا معها ودخلت به الى البلد فاخلت له مكانا وحده لئلا يطلع عليه احد فيعلم الملكة به فتقتله وتقتل من اتى به ثم صارت تخدمه بنفسها وتخوفه من سطوة الملك الاكبر ابا زوجته وهو يبكي بين يديها

ويقول ياسيدتي قد اخترت الموت لنفسي وكرهت الدنيا ان لم اجتمع بزوجتي واولادي فانا اخاطر بروحي اما ان أبلغ مرادي واما ان اموت فصارت العجوز تتفكر في كيفية وصوله واجتماعه بزوجته وكيف تكون الحيلة في امر هذا المسكين الذي رمى روحه في الهلاك ولم ينزجر عن قصده بخوف ولا غيره وقد سلا جسمه وصاحب المثل يقول العاشق لا يسمع كلام خلي وكانت تلك البنت ملكة الجزيرة التي هم نازلون فيها وكان اسمها نور الهدى وكان لهذه الملكة سبع اخوات بنات ابكار مقيمات عند أبيهن الملك الاكبر الذي هو حاكم على السبع جزائر واقطار واق الواق وكان تخت ذلك الملك في المدينه التي هي أكبر مدن ذلك البر وكانت بنته الكبيرة وهي نور الهدى هي الحاكمة على تلك المدينه التي فيها حسن وعلى سائر اقطارها ثم ان العجوز لما رأت حسنا محترقا على الاجتماع بزوجته واولاده قامت وتوجهت الى قصر الملكة نور الهدى فدخلت عليها وقبلت الارض بين يديها وكان للعجوز فضل عليها لانها ربت بنات الملك جميعهن ولها على الجميع سلطنة وهي مكرمة عندهم عزيزة عند الملك فلما دخلت العجوز على الملكة نور الهدى قامت لها وعانقتها واجلستها جنبها وسألتها عن سفرتها فقالت لها والله ياسيدتي انها كانت سفرة مباركة وقد استصحبت لك معي هدية سأحضرها بين يديك ثم قالت لها يا بنتي يا ملكة العصر والزمان اني اتيت معي بشيء عجيب وأريد أن أطلعك عليه لاجل ان تساعديني على قضاء حاجته فقالت لها وما هو فاخبرتها بحكاية حسن من أولها الى آخرها وهي ترتعد كالقصبة في يوم الريح العاصف حتى وقعت بين يدي بنت الملك وقالت لها ياسيدتي قد استجار بي شخص على الساحل كان مختفيا تحت الدكة فاجرته واتيت به معي بين عسكر البنات وهو حامل السلاح بحيث لا يعرفه أحد وادخلته البلد ثم قالت لها وقد خوفته من سطوتك وعرفته بباسك وقوتك وكلما أخوفه يبكي و ينشد الاشعار و يقول لا بد لي من رؤية زوجتي وأولادي أو أموت ولا ارجع الى بلادي من غيرهم وقد خاطر بنفسه وجاء الى جزائر واق الواق ولم أر عمري آدميا أقوى قلبا منه ولا أشد باسا منه لان الهوى قد تمكن منه غاية التمكن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٦١) قالت بلغني ايها الملك السعيد أن العجوز لما حكت للملكة نور الهدى حكاية حسن قالت لها وما رأيت أقوى قلبا منه لان الهوى قد تمكن منه غاية التمكن فلما سمعت الملكة كلامها وفهمت قصة حسن غضبت غضبا شديدا وأطرقت براسها الى الارض ساعة ثم رفعت رأسها و نظرت الى العجوز وقالت لها ياعجوز النحس هل بلغ من خبثك انك تحملين الذكور وتأتين بهم معك الى جزائر واق الواق وتدخلين بهم علي ولا تخافي من سطوتي وحق رأس الملك لولا مالك علي من التربية لقتلتك أنت واياه في هذه الساعة أقبح قتله حتى يعتبر المسافرون بك يا ملعونة لئلا يفعل أحد مثل ما فعلت من هذه الفعلة العظيمة التي لا يقدر أحد عليها ولكن أخرجي واحضريه في هذه الساعة حتى أنظره فخرجت العجوز من بين يديها وهي مدهوشة لا تدري اين تذهب وتقول كل هذه المصيبة ساقها الله لي من هذه الملكة على يد حسن و مضت الى ان دخلت على حسن فقالت

لها قم كلم الملكة يامن آخر عمره قد دنا فقام معها ولسانه لا يفتر عن ذكر الله تعالى ويقول اللهم الطف بي في قضائك وخلصني من بلائك فسارت به حتى أوقفته بين يدي الملكة نور الهوى واوصته العجوز في الطريق بما يتكلم به معها فلما تمثل بين يدي نور الهدى ورآها ضاربة لثاما فقبل الارض بين يديها وسلم عليها وأنشد هذين البيتين

أدام الله عزك في سرور وخولك الاله بما حباك
وزادك ربنا عزا ومجدا وايدك القدير على عداك

فلما فرغ من شعره أشارت الملكة الى العجوز ان تخاطبه قدامها لتسمع مجاوبته فقالت العجوز ان الملكة ترد عليك السلام وتقول لك ما اسمك ومن أي البلاد أتيت وما اسم زوجتك وأولادك الذين جئت من أجلهم وما اسم بلادك فقال لها وقد ثبت جنانه وساعدته المقادير ياملكة العصر والاوان ووحيدة الدهر والزمان أما أنا فاسمي حسن الكثير الحزن وبلدي البصرة وأما زوجتي فلا أعرف لها اسما وأما اسم أولادي فواحد اسمه ناصر والآخر منصور فلما سمعت الملكة كلامه وحديثه قالت فمن أين أخذت أولادها فقال لها ياملكة من مدينة بغداد من قصر الخلافة فقالت وهل قالت لكم شيئا عند ما طارت قال انها قالت لوالدتي اذا جاء ولدك وطالت عليه أيام الفراق واشتهى القرب مني والتلاق وهزته رياح المحبة والاشتياق فليجئني الى جزائر واق الواق فحركت الملكة نور الهدى رأسها ثم قالت له انها لو كانت ما تريدك ما قالت لامك هذا الكلام وتشتهي قربك ما كانت اعلمتك بمكانها ولا طلبتك الى بلادها فقال حسن ياسيدة الملوك والحاكمة على كل ملك ومملوك ان الذي جرى أخبرتك به ولا أخفيت منه شيأ وانا أستجير بالله وبك ان لا تظلميني فارحميني واربحي أجري وثوابي وساعديني على الاجتماع بزوجتي وأولادي وردي لهفتي وقري عيني باولادي واسعفيني برؤيتهم ثم بكى وحن واشتكى وأنشد هذين البيتين .

لاشكرنك ما ناحت مطوقة جهدي وان كنت لا اقضي الذي وجبا
فما تقلبت في نعماء سابغة الاوجدتك فيها الاصل والسببا

فأطرقت الملكة نور الهدى رأسها الى الارض وحركتها زمانا طويلا ثم رفعتها وقالت له قد رحمتك ورثيت لك وقد عزمت على ان أعرض عليك كل بنت في المدينه وفي بلاد جزيرتي فان عرفت زوجتك سلمتها اليك وان لم تعرفها قتلتك وصلبتك على باب دار العجوز فقال لها حسن قبلت ذلك منك ياملكة الزمان ثم انشد هذه الابيات

أقمتم غرامي في الهوى وقعدتم واسهرتم جفني القريح ونمتم
وعاهدتموني أنكم لن تماطلوا فلما أخذتم بالقياد غدرتم
عشقتكم طفلا ولم ادر الهوى فلا تقتلوني انني متظلم
اما تتقون الله في قتل عاشق يبيت يراعي النجم والناس نوم
فبالله ياقومي اذا مت فاكتبوا على لوح قبري ان هذا متيم

لعل فتى مثلى اضر به الهوى اذا ما رأى قبري على يسلم

فلما فرغ من شعره قال رضيت بالشرط الذى شرطتيه ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فعند ذلك أمرت الملكة نور الهدى ان لا تبقى بنت فى المدينة الا تطلع القصر وتمر أمامه ثم ان الملكة أمرت العجوز شواهي ان تنزل بنفسها الى المدينة وتحضر كل بنت كانت فى المدينة الي الملكة فى قصرها وصارت الملكة تدخل البنات على حسن مائة بعد مائة حتى لم يبق فى المدينة بنت الا وعرضتها على حسن فلم ير زوجته فيهن فسألته الملكة وقالت له هل رأيتها فى هؤلاء فقال لها وحياتك يا ملكة ما هى فيهن فاشتد غضب الملكة عليه وقالت للعجوز ادخلى وأخرجي كل من فى القصر وأعرضيه عليه فلما عرضت عليه كل من في القصر ولم ير زوجته فيهن قال للملكة وحياة رأسك يا ملكة ماهي فيهن فغضبت وصرخت على من حولها وقالت خذوه واسحبوه على وجهه فوق الارض واضربوا عنقه لئلا يخطر بنفسه أحد بعده ويطلع على حالنا ويجوز علينا فى بلادنا ويطأ أرضنا وجزائرنا فسحبوه على وجهه ورفعوا ذيله فوقه وغمضوا عينيه ووقفوا بالسيوف على رأسه ينتظرون الاذن فعند ذلك تقدمت شواهي الى الملكة وقبلت الارض بين يديها وأمسكت ذيلها ورفعته فوق رأسها وقالت لها يا ملكة بحق التربية لا تعجلى عليه خصوصا وأنت تعرفين ان هذا المسكين غريب قد خاطر بنفسه وقاسى أمورا ما قاساها أحد قبله ونجاه الله تعالى عز وجل من الموت لطول عمره وقد سمع بعدلك فدخل بلادك وحماك فان قتلتيه تنتشر الاخبار عنك مع المسافرين بانك تبغضين الاغراب وتقتلينهم وهو على كل حال تحت قهرك ومقتول سيفك ان لم تظهر زوجته فى بلدك وأى وقت تشتهين حضوره فانا قادرة على رده اليك وأيضا فانا ما أجرته الا طمعا فى كرمك بسبب مالي عليك من التربية حتى ضمنت له انك توصليه الى بغيته لعلمى بعدلك وشفقتك ولولا انى أعلم منك هذا ما كنت أدخلته بلادك وقلت فى نفسى ان الملكة تتفرج عليه وعلى ما يقوله من الاشعار والكلام المليح الفصيح الذى يشبه الدر المظلوم وهذا قد دخل بلادنا وأكل زادنا فوجب اكرامه علينا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٦٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدي لما أمرت غلمانها بأخذ حسن وضرب عنقه صارت العجوز تتعطف بخاطرها وتقول لها انه دخل بلادنا وأكل زادنا فوجب علينا اكرامه خصوصا وقد وعدته بالاجتماع بك وأنت تعرفين أن الفراق صعب وتعرفين ان الفراق قتال خصوصا فراق الاولاد وما بقي علينا من النساء واحدة الا أنت فاريه وجهك فتبسمت الملكة وقالت من أين له ان يكون زوجي وخلف مني أولادا حتى أريه وجهي ثم أمرت بحضوره فادخلوه عليها وأوقفوه بين يديها فكشفت عن وجهها فلما رآها حسن صرخ صرخة عظيمة وخر مغشيا عليه فلم تزل العجوز تلاطفه حتى أفاق من غشيته وأنشد هذه الابيات

يا نسيما هب من أرض العراق في زوايا أرض من قد قال واق
بلغ الاحباب عنى انني مت من طعم الهوى مر المذاق

يا أهيل الحب منوا واعطفوا ذاب قلبي من تباريح الفراق

فلما فرغ من شعره قام ونظر الملكة وصاح صيحة عظيمة كاد منها القصران يسقط على من فيه ثم وقع مغشيا عليه فما زالت العجوز تلاطفه حتى أفاق وسألته عن حاله فقال ان هذه الملكة اما زوجتي وأما أشبه الناس بزوجتي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٦٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان العجوز لما سألته عن حاله قال لها ان هذه الملكة اما زوجتي وأما أشبه الناس بزوجتي فقالت الملكة للعجوز ويلك يا داية ان هذا الغريب مجنون أو مختل لانه ينظر الى وجهي ويحملق الي فقالت لها العجوز يا ملكة ان هذا معذور فلا تؤاخذيه فانه قيل في المثل مريض الهوى ماله دواء وهو والمجنون سواء ثم ان حسنا بكى بكاء شديدا وأنشد هذين البيتين

أرى آثارهم فاذوب شوقا واسكب في مواطنهم دموعي

وأسأل من بفرقتهم بلاني يمن على مهم بالرجوع

ثم ان حسنا قال للملكة والله ما أنت زوجتي ولكنك أشبه الناس بها فضحكت الملكة نور الهدى حتى استلقت على قفاها ومالت على جنبها ثم قالت يا حبيبي تمهل على روحك وميزني وجاوبني عن الذي أسألك عنه ودع عنك الجنون والحيرة والذهول فانه قد قرب لك الفرج فقال حسن ياسيدة الملوك وملجأ كل غني وصعلوك اني حين نظرتك جننت لانك أما زوجتي وأما أشبه الناس بزوجتي فاسأليني الآن عما تريدين فقالت أي شيء في زوجتك يشبهني فقال جميع ما فيك من الحسن والجمال والظرف والدلال كاعتدال قوامك وعذوبة كلامك وحمرة خدودك وبروز نهودك وغير ذلك مما يشبهها ثم ان الملكة التفتت الى شواهي أم الدواهي وقالت لها يا أمي ارجعيه الى موضعه الذي كان فيه عندك وأخدميه انت بنفسك حتى اتفحص عن أمره فان كان هذا الرجل صاحب مروءة بحيث انه يحفظ الصحبة والود وجب علينا مساعدته على قضاء حاجته خصوصا وقد نزل أرضنا وأكل طعامنا مع ما تحمله من مشقات الاسفار ومكابدة أهوال الاخطار ولكن اذا اوصلتيه الى بيتك فاوصي عليه أتباعك وارجعي الي بسرعة وان شاء الله تعالى لا يكون الا خيرا فعند ذلك خرجت العجوز وأخذت حسنا ومضت به الي منزلها وأمرت جواريها وخدمها وحشمها بخدمته وأمرتهم ان يحضروا له جميع ما يحتاج اليه وان لا يقصروا في حقه ثم عادت الى الملكة بسرعة فامرتها أن تحمل سلاحها وتأخذ معها الف فارس من الشجعان فامتثلت العجوز شواهي أمرها ولبست دروعها وأحضرت الالف فارس ولما وقفت بين يديها وأخبرتها باحضار الالف فارس أمرتها ان تسير الى مدينة الملك الاكبر أبيها وتنزل عند بنته منار السنا أختها وتقول لها البسي ولديك الدرعين اللذين عملتيهما لهما وأرسليهما الى خالتهما فانها مشتاقة اليهما وقالت لها أوصيك يا أمي بكتمان أمر حسن فاذا أخذتيهما منها فقولي لها ان أختك تستدعيك الى زيارتها فاذا أعطتك ولديها وخرجت بهما قاصدة الزيارة فاحضري بهما سريعا وخليها تحضر على مهلها وتعالى من طريق غير الطريق التي تجيء هي

منها و يكون سفرك ليلا ونهارا واحذري أن يطلع على هذا الامر أحد أبدا ثم اني أحلف بجميع الاقسام ان طلعت اختي زوجته وظهر أن ولديها ولداه لا امنعه من أخذها ولا من السفر معه باولادها
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٦٥) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملكة قالت اني أحلف بالله وأقسم بجميع الاقسام انها أن طلعت أختي زوجته لا أمنعه من أخذها بل أساعده على أخذها وعلى سفرها معه الى بلاده فوثقت العجوز بكلامها ولم تعلم بما أضمرته في نفسها وقد أضمرت العاهرة في نفسها انها ان لم تكن زوجته ولا أولادها يشبهونه تقتله ثم ان الملكة قالت للعجوز يا امي احدس حزري تكون زوجته أختي منار السنا والله أعلم فان هذه الصفات صفاتها وجميع الاوصاف التي ذكرها من الجمال البارع والحسن البارع لا يوجد في أحد غير اخواتي خصوصا الصغيرة ثم ان العجوز قبلت يدها ورجعت الى حسن واعلمته بما قالته الملكة فطار عقله من الفرح وقام الى العجوز وقبل رأسها فقالت له يا ولدي لا تقبل رأسي وقبلني في في واجعل هذه القبلة حلاوة السلامة وطب نفسا وقر عينا ولا يكن صدرك الا منشرحا ولا تستكره ان تقبلني في فمي فاني أنا السبب في اجتماعك بها فطيب قلبك وخاطرك ولا تكن الا منشرح الصدر قرير العين مطمئن النفس ثم ودعته وانصرفت فانشد حسن هذين البيتين

لي في محبتكم شهود أربع ... وشهود كل قضية اثنان
خفقان قلبي واضطراب جوارحي ... ونحول جسمي وانعقاد لساني

ثم انشد أيضا هذين البيتين

شيآن لو بكت الدماء عليهما ... عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم يقضيا المعشار من حقيهما ... وشرخ الشباب وفرقة الاحباب

ثم ان العجوز حملت سلاحها واخذت معها الف فارس حاملين السلاح وتوجهت الى تلك الجزيرة التي فيها أخت الملكة وسارت الى أن وصلت الى أخت الملكة وكان بين مدينة نور الهدى وبين مدينة أختها ثلاثة أيام فلما وصلت شواهي الى المدينة وطلعت الى أخت الملكة منار السنا سلمت عليها وبلغتها السلام من أختها نور الهدى واخبرتها باشتياقها اليها والى أولادها وعرفتها أن الملكة نور الهدي تعتب عليها بسبب عدم زيارتها اياها فقالت لها الملكة منار السنا ان الحق علي أختي وانا مقصرة بعدم زيارتي لها ولكن أزورها الآن ثم أمرت بتبريز خيامها الى خارج المدينة واخذت لاختها معها ما يصلح لها من الهدايا والتحف ثم أن الملك أباها نظر من طيقان القصر فرأى الخيام منصوبة فسأل عن ذلك فقالوا له ان الملكة منار السنا نصبت خيامها بتلك الطريق لانها تريد زيارة أختها نور الهدي فلما سمع الملك بذلك جهز لها عسكرا يوصلها الى أختها واخرج من خزائنه من الاموال ومن المأكل والمشرب ومن التحف والجواهر ما يعجز عنه الوصف وكانت بنات الملك السبعة أشقاء من أب واحد وام واحدة الا الصغيرة وكان اسم الكبيرة نور الهدى والثانية نجم الصباح

والثالثة شمس الضحي والرابعة شجرة الدر والخامسة قوت القلوب والسادسة شرف البنات والسابعة منار السنا وهي الصغيرة فيهن وهي زوجة حسن وكانت أختهن من أبيهن فقط ثم أن العجوز تقدمت وقبلت الارض بين يدي منار السنا فقالت لها منار السنا هل لك حاجه ياأمي فقالت لها ان الملكة نور الهدى أختك تأمرك أن تغير لولديك وتلبيسهما الدرعين الذين فصلتيهما لهما وأن ترسليهما معي اليها فآخذهما واسبق بهما واكون المبشرة بقدومك عليها فلما سمعت منار السنا كلام العجوز اطرقت رأسها الى الارض وتغير لونها ولم تزل مطرقة زمانا طويلا ثم حركت رأسها ورفعتها الى العجوز وقالت لها ياأمي قد ارتجف فؤادي وخفق قلبي عند ما ذكرت أولادي فانهم من حين ولادتهم لم ينظر أحد وجوههم من الجن والبشر لا انثي ولا ذكر وأنا أغار عليهم من النسيم اذا سرى فقالت العجوز أي شيء هذا الكلام ياسيدتي أتخافين عليهم من أختك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٦٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان العجوز لما قالت للسيدة منار السنا اي شيء هذا الكلام ياسيدتي أتخافين عليهم من أختك سلامة عقلك وان خالفت الملكة في هذا الامر لا يمكنك المخالفة فانها تعتب عليك ولكن ياسيدتي أولادك صغار وأنت معذورة في الخوف عليهم والمحب مولع بسوء الظن ولكن يا بنتي أنت تعلمين شفقتي ومحبتي لك ولاولادك وقد ربيتكم قبلهم وأنا أتسلمهم وآخذهم وافرش لهم خدي وافتح قلبي واجعلهم في داخله ولا احتاج الى الوصية عليهم في هذا الامر فطيبي نفسا وقري عينا وأرسليهم لها واكثر ما اسبقك به يوم واحد أو يومان ولم تزل تلح عليها حتى لانت جانبها وخافت من غيظ أختها ولم تدر ما هو مخبوء لها في عالم الغيب فسمحت بارسالهم مع العجوز ثم أنها دعت بهم وأدخلتهم الحمام وهيأتهم وغيرت لهم وألبستهم الدرعين وسلمتهم للعجوز فسارت بهم مثل الطير على غير الطريق التي تسير فيها أمهم مثل ما أوصتها الملكة نور الهدي ولم تزل تجد في السير وهي خائفة عليهم الى أن وصلت بهم الى مدينة الملكة نور الهدى فعدت بهم البحر ودخلت المدينة وتوجهت بهم الى الملكة نور الهدى خالتهم فلما رأتهم فرحت بهم وعانقتهم وضمتهم الى صدرها واجلست واحدا على فخذها الايمن والثاني على فخذها الايسر ثم التفتت الى العجوز وقالت لها احضري الان حسنا فانا قد اعطيته ذمامي واجرته من حسامي وقد تحصن بداري ونزل في جواري بعد ان قاسي الاهوال والشدائد وتعدي أسباب الموت التي همها متزايد مع أنه الى الآن لم يسلم من شرب كاسه وقطع أنفاسه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٦٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما أمرت العجوز باحضار حسن قالت لها انه قاسي الاهوال والشدائد وتعدى أسباب الموت التي همها متزايد مع أنه الى الان لم يسلم من شرب كاسه وقطع أنفاسه وأنا اقسم بخالق السماء وبانيها وساطح الارض وداحيها وخالق الخلق ومحصيها ان لم يكن أولاده لاقتلنه وأنا الذي أضرب عنقه بيدي ثم أنها صرخت

على العجوز فوقعت من الخوف واغرت عليها الحاجب وعشرين مملوكا وقالت لهم امضوا مع هذه العجوز وائتوني بالصبي الذي عندها في بيتها بسرعة فخرجت العجوز مع الحاجب والمماليك وقد أصفر لونها وارتعدت فرائصها ثم سارت الى منزلها ودخلت على حسن فلما دخلت عليه قام اليها وقبل يديها وسلم عليها فلم تسلم عليه وقالت له قم كلم الملكة أما قلت لك ارجع الى بلادك ونهيتك عن هذا كله فما سمعت قولي وقلت لك أعطيك شيأ لا يقدر عليه أحد وارجع الى بلادك من قريب فما اطعتني ولا سمعت مني بل خالفتني واخترت الهلاك لي ولك فدونك وما اخترت فان الموت قريب فقم كلم هذه الفاجرة العاهرة الظالمة الغاشمة فقام حسن وهو مكسور الخاطر حزين القلب خائف ويقول يا سلام سلم اللهم الطف بي فيما قدرته علي من بلائك واسترني يا أرحم الراحمين وقد يئس من الحياة وتوجه مع العشرين مملوكا والحاجب والعجوز فدخلوا على الملكة بحسن فوجد ولديه ناصرا ومنصورا جالسين في حجرها وهي تلاعبهما وتؤانسهما فلما وقع نظره عليهما عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الارض مغشيا عليه من شدة الفرح بولديه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(في ليلة ٧٦٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان حسن لما وقع نظره على ولديه عرفهما وصرخ صرخة عظيمة ووقع على الارض مغشيا عليه فلما أفاق عرف ولديه وعرفاه فحركتهما المحبة الغريزية فتخلصا من حجر الملكة ووقفا عند حسن وانطقهما الله عز وجل بقولهما يا أبانا فبكت العجوز والحاضرون رحمة لهما وشفقة عليهما وقالوا الحمد لله الذي جمع شملكما بأبيكما فلما أفاق حسن من غشيته عانق أولاده ثم بكى حتى غشي عليه فلما أفاق من غشيته انشد هذه الابيات

وحقكم ان قلبي لم يطق جلدا ... على الفراق ولو كان الوصال ردى
يقول لي طيفكم ان الاقاء غدا ... وهل اعيش على رغم العداة غدا
وحقكم سادتي من يوم فرقتكم ... ما لذلي طيب عيش بعدكم أبدا
وان قضى الله نحبي في محبتكم ... أموت في حبكم من أعظم الشهدا
وظبية في زوايا القلب مرتعها ... وشخصها كالكرى عن مقلتي شردا
ان انكرت في مجال الشرع سفك دمي ... فانه فوق خديها لقد شهدا

فلما تحققت الملكة أن الصغار أولاد حسن وان أختها السيدة منار السنا زوجته التي جاء في طلبها غضبت غضبا شديدا ما عليه من مزيد وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٦٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى لما تحققت أن الصغار أولاد حسن وان أختها منار السنا زوجته التي جاء في طلبها غضبت عليها غضبا شديدا ما عليه من مزيد وصرخت في وجه حسن فغشي عليه فلما أفاق من غشيته انشد هذه الابيات

بعدتم وانتم اقرب الناس في الحشا ... وغبتم وأنتم في الفؤاد حضور
فوالله ما مال الفؤاد لغيركم ... واني على جور الزمان صبور
تمر الليالي في هواكم وتنقضي ... وفي القلب مني زفرة وسعير

وكنت فتى لا أرتضى البعد ساعة فكيف وقد مرت على شهور
أغار اذا ذهبت عليكم نسيمة وانى على الغيد الملاح غيور

فلما فرغ حسن من شعره خر مغشيا عليه فلما أفاق رآهم قد اخرجوه مسحوبا على وجهه فقام يمشى و يتعثر فى أذياله وهو لا يصدق بالنجاة مما قاساه منها فعز ذلك على العجوز شواهى ولم تقدر أن تخاطب الملكة فى شأنه من قوة غضبها فلما خرج حسن من القصر صار متحيرا لا يعرف أين يروح ولا يجيء ولا أين يذهب وضاقت عليه الارض بما رحبت ولم يجد من يحدثه و يؤانسه ولا من يسليه ولا من يستشيره ولا من يقصده و يلجأ اليه فأيقن بالهلاك لانه لا يقدر على السفر ولا يعرف من يسافر معه ولا يعرف الطريق ولا يقدر أن يجوز على وادي الجان وأرض الوحوش وجزائر الطيور فيئس من الحياة ثم بكى على نفسه حتى غشي عليه فلما أفاق تفكر أولاده وزوجته وقدومها على أختها وتفكر فيما يجرى لها مع الملكة أختها ثم ندم على حضوره فى هذه الديار وعلى كونه لم يسمع كلام أحد فأنشد هذه الابيات

دعوا مقلتى تبكى على فقد من أهوى فقد عز سلوانى وزادت بى البلوى
وكاس صروف البين صرفا شربتها فمن ذا على فقد الاحبة قد يقوى
بسطتم بساط العتب بينى و بينكم ألا يا بساط العتب عنى متى تطوى
سهرت ونمتم اذ زعمتم بأننى سلوت هواكم اذ سلوت عن السلوى
الآن قلبى مولع بوصالكم وأنتم اطبائى حفظتم من الادوا
الم تنظروا ما حل بى من صدودكم ذللت لمن يسوى ومن لم يكن يسوى
كتمت هواكم والغرام يذيعه وقلبى بنيران الهوى أبدا يكوى
فرقوا لحالى وارحمونى لاننى اقمت على الميثاق فى السر والنجوى
فيا هل ترى الايام تجمعنى بكم فأنتم منى قلبى وروحى لكم تهوى
فؤادى جريح بالفراق فليتكم تفيدوننا عن حبكم خبرا يروى

ثم أنه لما فرغ من شعره لم يزل ذاهبا الى أن خرج الى ظاهر المدينة فوجد النهر فسار على جانبه وهو لا يعلم اين يتوجه هذا ما كان من أمر حسن (وأما) ما كان من أمر زوجته منار السنا فانها أرادت الرحيل فى اليوم الثانى من اليوم الذي رحلت فيه العجوز فبينما هى عازمة على الرحيل اذ دخل عليها حاجب الملك أبيها وقبل الارض بين يديها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى الليلة ٧٧٠) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان منار السنا هى عازمة على الرحيل اذ دخل عليها حاجب الملك أبيها وقبل الارض بين يديها وقال لها يا ملكة ان أباك الملك الاكبر يسلم عليك و يدعوك اليه فنهضت متوجهة مع الحاجب الى أبيها تنظر حاجته فلما رآها أبوها اجلسها الى جانبه فوق السرير وقال لها يا ابنتى اعلمى انى رأيت فى هذه الليلة رؤيا وأنا خائف عليك منها وخائف ان يصل لك من سفرك هذا هم طويل فقالت له لاى شيء يا ابتى واي شيء رأيت فى المنام قال رأيت

كاني دخلت كنزفرأيت فيه أموالا عظيمة وجواهر ويواقيت كثيرة وكانه لم يعجبني من ذلك الكنز جميعه ولا من تلك الجواهر جميعها الا سبع حبات وهي أحسن مافيه فاخترت من السبع جواهر واحدة وهي أصغرها وأحسنها واعظمها نورا وكاني أخذتها في كفي لما اعجبني حسنها وخرجت بها من الكنز فلما خرجت من بابه فتحت يدي وأنا فرحان وقبلت الجوهرة واذا بطائر غريب قد اقبل من بلاد بعيدة ليس من طيور بلادنا قد انقض علي من السماء وخطف الجوهرة من يدي رجع بها الى المكان الذي أتيت بها منه فلحقني الهم والحزن والضيق وفزعت فزعا عظيما ايقظني من المنام فانتبهت وأنا حزين متاسف على تلك الجوهرة فلما انتبهت من النوم دعوت بالمعبرين والمفسرين وقصصت عليهم منامي فقالوا ان ذلك سبع بنات تفقد الصغيرة منهن وتؤخذ منك قهرا بغير رضاك وانت يا بنتي أصغر بناتي وأعزهن عندي وأكرمهن علي وها أنت مسافرة الي اختك ولا أعلم ما يجري عليك منها فلا تروحي وارجعي الى قصرك فلما سمعت منار السنا كلام أبيها خفق قلبها وخافت على أولادها واطرقت برأسها الى الارض ساعة ثم رفعتها الى أبيها وقالت له يا أيها الملك ان الملكة نور الهدى قد هيأت لي ضيافة وهي في انتظار قدومي عليها ساعة بعد ساعة ولها أربع سنين ما رأتني وان قعدت عن زيارتها تغضب علي ومعظم قعودي عندها شهر زمان واحضر عندك ومن هذا الذي يطرق بلادنا ويصل الى جزائر واق الواق ومن يقدر أن يصل الى الارض البيضاء والجبل الاسود ويصل الى جزيرة الكافور وقلعة الطيور وكيف يقطع وادي الطيور ثم وادي الوحوش ثم وادي الجان ثم يدخل جزائرنا ولو دخل اليها غريب لغرق في بحار الهلكات فطب نفسا وقر عينا من شأن سفري فانه لا قدرة لاحد على أن يدوس أرضنا ولم تزل تستعطفه حتى انعم عليها بالاذن في المسير وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٧١) قالت بلغني أيها الملك السعيد أنها لم تزل تستعطفه حتى أنعم عليها بالاذن في المسير ثم أنه أمر ألف فارس أن يسافروا معها ليوصلوها الى النهر ثم يقيموا أماكنهم حتى تصل الى مدينة أختها وتدخل قصر أختها وأمرهم أن يقيموا عندها حتى يأخذوها ويحضروها الى أبيها وأوصاها أبوها ان تقعد عند أختها يومين ثم تعود بسرعة فقالت سمعا وطاعة ثم أنها نهضت وخرجت وخرج معها ابوها وودعها وقد أثر كلام أبيها في قلبها فخافت على أولادها ولا ينفع التحصن بالحذر من هجوم القدر فجدت في السير ثلاثة أيام بلياليها حتى وصلت الى النهر وضربت خيامها على ساحله ثم عدت النهر معها وبعض غلمانها وحاشيتها ووزرائها ولما وصلت الى مدينة الملكة نور الهدى طلعت القصر ودخلت عليها فرأت اولادها يبكون عندها ويصيحون يابابا فجرت الدموع من عيونها وبكت ثم ضمت أولادها الى صدرها وقالت لهم هل رأيتم أباكم فلا كانت الساعة التي فارقته ولو عرفت أنه في دار الدنيا لكنت وصلتكم اليه ثم ناحت على نفسها وعلى زوجها وعلى بكاء أولادها وانشدت هذه الابيات

أأحبابنا اني على البعد والجفا　　　أحن اليكم حيث كنتم واعطف

وطرفى الى أوطانكم متلفت ❊ وقلبي على أيامكم متلهف
وكم ليلة بتنا على غير ريبة ❊ محبين يهنينا الوفا والتلطف

فلما رأتها قد ضمت أولادها وقالت انا التى فعلت بنفسى و باولادى هكذا وأخربت بيتى فلم تسلم عليها اختها نور الهدى بل قالت لها ياعاهرة من أين لك هذه الاولاد هل تزوجت بغير علم أبيك أو زنيت فان كنت زنيت وجب تنكيلك وان كنت تزوجت من غير علمنا فلأى شىء فارقت زوجك وأخذت أولادك وفرقت بينهم و بين أبيهم وجئت بلادنا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٧٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الملكة نور الهدى قالت لأختها منار السنا وان كنت تزوجت من غير علمنا فلأى شىء فارقت زوجك وأخذت أولادك وفرقت بينهم و بين أبيهم وجئت بلادنا وقد اخفيت أولادك عنا أتظنين اننا لا ندرى بذلك والله تعالى علام الغيوب قد اظهر لنا أمرك وكشف حالك و بين عوراتك ثم بعد ذلك أمرت أعوانها ان يمسكوها فقبضوا عليها فكتفتها وقيدتها بالقيود الحديد وضربتها ضربا وجيعا حتى شرحت جسدها وسلبتها من شعرها ووضعتها فى السجن وكتبت كتابا الى الملك الاكبر أبيها تخبره بخبرها وتقول له أنه ظهر فى بلادنا رجل من الانس واختى منار السنا تدعي انها تزوجته فى الحلال وجاءت منه بولدين وقد اخفتهما عنا وعنك ولم تظهر عن نفسها شيئا الى ان أتانا ذلك الرجل الذى من الانس وهو يسمى حسنا واخبرنا أنه تزوج بها وقعدت عنده مدة طويلة من الزمان ثم اخذت أولادها وأتت من غير علمه واخبرت والدته عند مجيئها وقالت لها قولى لولدك اذا حصل له اشتياق ان يجيئنى الى جزائر واق الواق فقبضنا على ذلك الرجل عندنا وارسلت اليها العجوز شواهى تحضرها عندى هى وأولادها فجهزت نفسها وحضرت وقد كنت أمرت العجوز ان تحضر لى أولادها أولا فتسبق بهم الى قبل حضورها فجاءت العجوز بالاولاد قبل حضورها فأرسلت الى الرجل الذى أدعي انه زوجته فلما دخل على ورأى الاولاد عرفهم فتحققت ان الاولاد أولاده وانها زوجته وعلمت ان كلام الرجل صحيح وليس عنده عيب ورأيت ان القبيح والعيب عند أختى فخفت من هتك عرضنا عند أهل جزائرنا فلما دخلت على هذه الفاجرة الخائنة غضبت عليها وضربتها ضربا وجيعا وسلبتها من شعرها وقد اعلمتك بخبرها والامر أمرك فالذى تأمرنا به نفعله وأنت تعلم ان هذا الامر فيه هتيكة لنا وعيب فى حقنا وحقك وربما تسمع أهل الجزائر بذلك فنصير بينهم مثلة فينبغي ان ترد لنا جوابا سريعا ثم أعطت المكتوب للرسول فسار به الى الملك فلما قرأه الملك الاعظم اغتاظ غيظا شديدا على ابنته منار السنا وكتب الى ابنته نور الهدي مكتوبا يقول لها فيه أنا قد فوضت أمرها اليك وحكمت فى دمها فان كان الامر كما ذكرت فاقتليها ولا تشاورينى فى أمرها فلما وصل اليها كتاب أبيها وقرأته أرسلت الى منار السنا وأحضرتها بين يديها وهى غريقة فى دمها مكتفة بشعرها مقيدة بقيد ثقيل من حديد وعليها اللباس الشعر ثم أوقفوها بين يدى الملكة فوقفت حقيرة ذليلة

فلما رأت نفسها فى هذه المذلة العظيمة والهوان الشديد تفكرت ما كان فيه من العز و بكت بكاء شديدا وأنشدت هذين البيتين

يارب ان العدا يسعون فى تلفى ... و يزعمون بأنى لست بالناجى
وقد رجوتك فى أبطال ما صنعوا ... يارب أنت ملاذ الخائف الراجى

ثم بكت بكاء شديدا حتى وقعت مغشيا عليها فلما أفاقت أنشدت هذين البيتين

ألف الحوادث مهجتى وألفتها ... بعد التنافر والكريم ألوف
ليس الهموم على صنفا واحدا ... عندى بحمد الله منه ألوف

ثم أنشدت هذين البيتين

ولرب نازلة يضيق لها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكنت أظنها لاتفرج

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٧٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملكة نور الهدى لما أمرت باحضار أختها الملكة منار السنا أوقفوها بين يديها وهى مكتفة فأنشدت الاشعار السابقة ثم ان أختها احضرت لها سلما من خشب ومدتها عليه وأمرت ان يربطوها على ظهرها فوق السلم ومدت سواعدها وربطتها فى الحبال ثم كشفت رأسها ولفت شعرها على السلم الخشب وقد انتزعت الشفقة عليها من قلبها فلما رأت منار السنا نفسها فى هذه الحالة من الذل والهوان صاحت و بكت فلم يغثها أحد فقالت لها يا أختى كيف قسا قلبك على فلا ترحمينى ولا ترحمى الاطفال الصغار فلما سمعت هذا الكلام ازدادت قسوتها وشتمتها وقالت لها ياعاشقة ياعاهرة لا رحم الله من يرحمك كيف اشفق عليك ياخائنة فقالت لها منار السنا وهى مشبوحة احتسبت عليك برب السماء فيما تسبينى به وانا بريئة منه والله ما زنيت وانما تزوجته فى الحلال وربى يعلم هل قولى صحيح أم لا وقلبى قد غضب عليك من شدة قسوة قلبك على فكيف ترمينى بالزنا من غير علم ولكن ربى يخلصنى منك وان كان الذى قد قذفتينى به من الزنا حقا فسيعاقبنى الله عليه فتفكرت أختها فى نفسها حين سمعت كلامها وقالت لها كيف تخاطبينى بهذا الكلام ثم قامت لها وضربتها حتى غشى عليها فرشوا على وجهها الماء حتى أفاقت وقد تغيرت محاسنها من شدة الضرب ومن قوة الرباط ومن فرط ما حصل لها من الاهانة ثم أنشدت هذين البيتين

واذا جنيت جناية وأتيت شيئا منكرا ... أنا تائب عما مضى وأتيتكم مستغفرا

فلما سمعت شعرها نور الهدى غضبت غضبا شديدا وقالت لها أتتكلمين ياعاهرة قدامى بالشعر وتستعذرين من الذى فعلتيه من الكبائر وكان مرادى ان ترجعي لزوجك حتى اشاهد فجورك وقوة عينك لانك تفتخرين بالذى وقع منك من الفجور والفحش والكبائر ثم انها أمرت الغلمان ان يحضروا لها الجريد فأحضروه فقامت وشمرت عن ساعديها ونزلت عليها بالضرب من رأسها

إلى قدميها ثم دعت بسوط مضفور ولو ضرب به الفيل لهرول مسرعا فنزلت بذلك السوط على ظهرها وبطنها وجميع أعضائها حتى غشى عليها فلما رأت العجوز شواهى ذلك من الملكة خرجت هاربة من بين يديها وهى تبكى وتدعو عليها فصاحت على الخدم وقالت لهم ائتونى بها فتجاروا عليها ومسكوها واحضروها بين يديها فامرت برميها على الارض وقالت للجوارى اسحبوها على وجهها واخرجوها فسحبوها واخرجوها من بين يديها هذا ما كان من أمر هؤلاء (وأما) ما كان من أمر حسن فانه قام متجلدا ومشى فى شاطىء النهر واستقبل البرية وهو حيران مهموم وقد يئس من الحياة وصار مدهوشا لا يعرف الليل من النهار ولشدة ما أصابه ومازال يمشى الى ان قرب من شجرة فوجد عليها ورقة معلقة فتناولها حسن بيده ونظرها فاذا مكتوب فيها هذه الابيات

دبرت أمرك عندها كنت الجنين ببطن أمك
وعليك قد حننتها حتى لقد جادت بضمك
انا لكافوك الذى يأتى بهمك أو بغمك
فاضرع الينا ناهضا نأخذ بكفك فى مهمك

فلما فرغ من قراءة الورقة ايقن بالنجاة من الشدة والظفر بجمع الشمل ثم مشى خطوتين فوجد نفسه وحيدا فى موضع قفر خطر لا يجد فيه أحدا يستأنس به فطار قلبه من الوحدة والخوف وارتعدت فرائصه من هذا المكان المخوف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٧٤) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن حسنا لما قرأ الورقة ايقن بالنجاة من الشدة وتحقق الظفر بجمع الشمل ثم قام ومشى خطوتين فوجد نفسه وحيدا في موضع خطر وما عنده أحد يؤانسه فبكى بكاء شديدا وأنشد الاشعار التى ذكرناها ثم مشى على جانب النهر خطوتين فوجد ولدين صغيرين من أولاد السحرة والكهان وبين أيديهما قضيب من النحاس منقوش بالطلاسم وبجانب القضيب طاقية من الادم بثلاثة تروك منقوش عليها بالبولاد اسماء وخواتم والقضيب والطاقية مرميان على الارض والولدان يختصمان ويتضاربان عليهما حتى سال الدم بينهما وهذا يقول ما ياخذ القضيب الا أنا والآخر يقول ما يأخذ القضيب الا أنا فدخل حسن بينهما وخلصهما من بعضهما وقال لهما ما سبب هذه المخاصمة فقال له ياعم احكم بيننا فان الله تعالى ساقك الينا لتقضى بيننا بالحق فقال قصا على حكايتكما وأنا احكم بينكما فقالا له نحن الاثنان اخوان شقيقان وكان أبونا من السحرة الكبار وكان مقيما في مغارة فى هذا الجبل ثم مات وخلف لنا هذه الطاقية وهذا القضيب وأخى يقول ما يأخذ القضيب الا أنا وانا أقول ما يأخذه الا أنا فاحكم بيننا وخلصنا من بعضنا فلما سمع حسن كلامهما قال لهما ما الفرق بين القضيب والطاقية وما مقدارهما فان القضيب بحسب الظاهر يساوى ستة جدد والطاقية تساوى ثلاثة جدد فقالا له أنت ما تعرف فضلهما فقال لهما أي شيء فضلهما فقالا له فى كل منهما سرعجيب وهو ان القضيب يساوى خراج جزائر واق الواق باقطارها والطاقية كذلك فقال لهما حسن ياولدى بالله اكشفا لى عن سرها فقالا له ياعم ان سرها

عظيم لان أبانا عاش مائة وخمسا وثلاثين سنة يعالج تدبيرها حتى أحكمهما غاية الاحكام وركب فيهما السر المكنون واستخدمهما الاستخدامات الغريبة ونقشهما على مثل الفلك الدائر وحل بهما جميع الطلاسم وعندما فرغ من تدبيرهما أدركه الموت الذي لا بد لكل أحد منه فاما الطاقية فان سرها ان كل من وضعها على رأسه اختفى عن أعين الناس جميعا فلا ينظره أحد ما دامت على رأسه وأما القضيب فان سره ان كل من ملكه يحكم على سبع طوائف من الجن والجميع يخدمون ذلك القضيب فكلهم تحت أمره وحكمه وكل من ملكه وصار في يده اذا ضرب به الارض خضعت له ملوكها وتكون جميع الجن في خدمته فلما سمع حسن هذا الكلام أطرق برأسه الى الارض ساعة ثم قال في نفسه والله انني لمنصور بهذا القضيب وبهذه الطاقية ان شاء الله تعالى فاني أحق بهما منهما ففي هذه الساعة أتحيل على أخذهما منهما لاستعين بهما على خلاصي وخلاص زوجتي واولادي من هذه الملكة الظالمة ونسافر من هذا المكان المظلم الذي ما لاحد من الانس خلاص منه ولا مفر ولعل الله ما ساقني لهذين الغلامين الا لاستخلص منهما القضيب والطاقية ثم رفع رأسه الى الغلامين وقال لهما ان شئتما فصل القضية فانا امتحنكما فمن غلب رفيقه يأخذ القضيب ومن عجز يأخذ الطاقية فان امتحنتكما وميزت بينكما عرفت ما يستحقه كل منكما فقالا له يا عم وكلناك في امتحاننا واحكم بيننا بما تختار فقال لهما حسن هل تسمعان مني وترجعان الى قولي فقالا له نعم فقال لهما حسن أنا آخذ حجرا وارميه فمن سبق منكم اليه وأخذه قبل رفيقه يأخذ القضيب ومن تأخر ولم يلحقه يأخذ الطاقية فقالا قبلنا منك هذا الكلام ورضينا به ثم ان حسنا أخذ حجرا ورماه بعزمه فغاب عن العيون فتسارع الغلمان نحوه فلما بعدا أخذ حسن الطاقية ولبسها وأخذ القضيب في يده وانتقل من موضعه لينظر صحة قولهما في شأن سر ابيهما فسبق الولد الصغير الى الحجر وأخذه ورجع به الى المكان الذي فيه حسن فلم ير له اثر فصاح على أخيه وقال له أين الرجل الحاكم بيننا فقال لا أراه ولم اعرف هل طلع الى السماء العليا او نزل الى الارض السفلى ثم انهما فتشا عليه فلم ينظراه وحسن واقف في مكانه فشتما بعضهما وقالا قد راح القضيب والطاقية لا لي ولا لك وكان أبونا قال لنا هذا الكلام بعينه ولكننا نسينا ما اخبرنا به ثم انهما رجعا على أعقابهما ودخل حسن المدينة وهو لابس الطاقية وفي يده القضيب فلم يره أحد من الناس ثم دخل القصر وطلع الى الموضع الذي فيه شواهي ذات الدواهي فدخل عليها وهو لابس الطاقية فلم تره ومشى حتى تقرب من رف كان فوق رأسها وعليه زجاج وصيني فحركه بيده فوقع الذي فوقه على الارض فصاحت شواهي ذات الدواهي ولطمت على وجهها ثم قامت وارجعت الذي وقع الى مكانه وقالت في نفسها والله ما أظن الا ان الملكة نور الهدى أرسلت الي شيطانا فعمل معي هذه العملة فأنا اسأل الله تعالى ان يخلصني منها ويسلمني من غضبها فيارب اذا كان هذا فعلها القبيح من الضرب والصلب مع أختها وهي عزيزة عند أبيها فكيف يكون فعلها مع الغريب مثلي اذا غضبت عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٧٥) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان العجوز شواهي ذات الدواهي لما قالت

اذا كانت الملكة نور الهدى تفعل هذه الفعال مع اختها فكيف يكون حال الغريب معها اذا غضبت عليه ثم قالت اقسمت عليك أيها الشيطان بالحنان المنان العظيم الشان القوى السلطان خالق الانس والجان وبالنقش الذى على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام ان تكلمنى وتجبنى فاجابها حسن وقال لها ما انا شيطان انا حسن الولهان الهائم الحيران ثم قلع الطاقية من فوق رأسه فظهر للعجوز وعرفته فاخذته واختلت به وقالت له أى شيء حصل لك فى عقلك حتى عبرت الى هنا رح الحتف فان هذه الفاجرة صنعت بزوجتك ماصنعت من العذاب وهى أختها فكيف اذا وقعت بك ثم حكت له جميع ماوقع لزوجته وماهى فيه من الضيق والعقوبة والعذاب وكذلك حكت له ماوقع لها من العذاب ثم قالت ان الملكة ندمت حيث أطلقتك وقد أرسلت اليك من يحضرك لها وتعطيه من الذهب قنطارا وتجعله فى رتبتى عندها وحلفت ان رجعوك قتلتك وتقتل زوجتك وأولادك ثم ان العجوز بكت واظهرت لحسن مافعلته الملكة بها فبكى حسن وقال لها ياسيدتى كيف الخلاص من هذه الديار ومن هذه الملكة الظالمة وما الحيلة التي توصلنى الى ان أخلص زوجتى وأولادى ثم أرجع بهم الى بلادى فقالت له العجوز ويلك انج بنفسك فقال لا بد من خلاصها وخلاص أولادي منها قهرا عنها فقالت له العجوز وكيف تخلصهم قهرا عنها رح واختف ياولدى حتى يأذن الله تعالى ثم ان حسنا أراها القضيب النحاس والطاقية فلما رأتها العجوز فرحت بهما فرحا شديدا وقالت له سبحان من يحيي العظيم وهي رميم والله ما كنت أنت وزوجتك الا من الهالكين والآن ياولدى قد نجوت أنت وزوجتك وأولادك لانى أعرف القضيب وأعرف صاحبه فانه كان شيخي الذي علمني السحر وكان ساحرا عظيما مكث مائة وخمسا وثلاثين سنة حتى كان اتقن هذا القضيب وهذه الطاقية فلما انتهى من اتقانهما أدركه الموت الذى لا بد منه وسمعته يقول لولديه ياولدى هذان ماهما من نصيبكما وانما يأتي شخص غريب الديار يأخذهما منكما قهرا ولا تعرفان كيف يأخذهما فقالا يا أبانا عرفنا كيف يصل الى أخذهما فقال لا أعرف ذلك فكيف وصلت ياولدى لاخذهما من الولدين فحكى لها كيف أخذهما من الولدين فلما حكى لها فرحت بذلك وقالت له ياولدى كما ملكت زوجتك وأولادك اسمع منى ما أقول لك عليه أنا ما بقى لى عند هذه الفاجرة اقامة بعد ما تجاسرت علي ونكلتني وأنا راحلة عندها الى مغارة السحرة لاقيم عندهم وأعيش معهم الى ان أموت وأنت ياولدى البس الطاقية وخذ القضيب في يدك وادخل على زوجتك واولادك فى المكان الذى هم فيه واضرب الارض بالقضيب وقل ياخدام هذه الاسماء تطلع اليك خدامه فان طلع لك أحد من رؤس القبائل فأمره بما تريد وتختار ثم أنه ودعها وخرج ولبس الطاقية وأخذ القضيب معه ودخل المكان الذى فيه زوجته فرآها فى حالة العدم مصلوبة على السلم وشعرها مربوط فيه وهي باكية العين حزينة القلب فى أسوأ حال لاتدرى طريقة لخلاصها وأولادها تحت السلم يلعبون وهى تنظرهم وتبكى عليهم وعلى نفسها بسبب ماجرى لها مما أصابها وهي تقاسي من العذاب والضرب المؤلم أشد النكال فلما رآها فى أسوأ الحالات سمعها تنشد هذه الابيات

لم يبق الا نفس هافت ومقلة انسانها باهت
ومغرم تضرم احشاؤه بالنار الا أنه ساكت
يرثى له الشامات مما رأى ياويح من يرثى له الشامت

ثم ان حسنا لما رأى هي مافيه من العذاب والذل والهوان بكى حتى غشى عليه فلما أفاق ورأى أولاده وهم يلعبون وقد غشى على أمهم من كثرة التألم كشف الطاقية عن رأسه فصاحوا ياابانا فغطى رأسه واستفاقت أمهم من غشيتها على صياحهم فلم تنظر زوجها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٧٦) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زوجة حسن لما افاقت من غشيتها على صياح أولادها وهما يقولان ياأبانا وقد التفتت يمينا وشمالا لترى سبب صياح أولادها وتنادى أمهم لابيهم فلم ترا أحدا تعجبت من ذكر أولادها لابيهم فى هذا الوقت هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر حسن لما رآها هكذا بكي حتى غشى عليه وجرت دموعه على خديه مثل المطر ودنا من الاولاد وكشف الطاقية فلما رأوه عرفوه وصاحوا بقولهم ياأبانا فبكت أمهم حين سمعتهم يذكرون أباهم وقالت لاحيلة فى قدرة الله وقالت فى نفسها ياللعجب ماسبب ذكرهم لابيهم فى هذا الوقت وندائهم له فلم يطق حسن الصبر دون ان كشف الطاقية عن راسه فنظرته زوجته فلما عرفته زعقت زعقة ازعجت جميع من فى القصر ثم قالت له كيف وصلت الى ههنا هل من السماء نزلت أو من الارض طلعت ثم تغرغرت عيونها بالدموع فبكى حسن فقالت له يارجل ماهذا وقت بكاء ولاوقت عتاب قد نفذ القضاء وعمي البصر وجرى القلم بما حكم الله فى القدم فبالله عليك من أى مكان جئت روح واختف لئلا ينظرك أحد فيعلم أختى بذلك فتذبحنى وتذبحك فقال لها حسن ياسيدتى وسيدة كل ملكة أنا خاطرت بروحى وجئت الى هنا فاما ان أموت واما ان أخلصك من الذى أنت فيه وأسافر أنا وأنت وأولادى الى بلادى على رغم أنف هذه الفاجرة اختك فلما سمعت كلامه تبسمت وضحكت وصارت تحرك رأسها زمانا طويلا وقالت له هيهات ياروحى هيهات أن يخلصنى أحد مما أنافيه الا الله تعالى ففز بنفسك وارحل ولا ترم روحك فى الهلاك فان لى هنا الا لسكونى عاصيتك وخالفت أمرك وخرجت من غير اذنك فبالله عليك يارجل لا تؤاخذنى بذنبي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٧٧) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زوجة حسن اعتذرت اليه وقالت له لاتؤاخذنى بذنبي واعلم ان المرأة ماتعرف قيمة الرجل حتى تفارقه وانا اذنبت واخطأت ولكن استغفر الله العظيم مما وقع منى وان جمع الله شملنا لا أعصى لك أمرا بعد ذلك أبدا فقال لها حسن وقد أوجعه قلبه عليها أنت ما اخطأت وما أخطأ الا أنا لانى سافرت وخليتك عند من لا يعرف قدرك ولا يعرف لك قيمة ولا مقدارا واعلمى ياحبيبة قلبي وثمرة فؤادى ونور عينى ان الله سبحانه وتعالى اقدرنى على تخليصك فهل تحبين ان أوصلك الى دار أبيك وتستوفى عنده ماقدر الله عليك

أو تسافرين الى بلادنا عن قريب حيث حصل لك الفرج فقالت له ومن يقدر على تخليصي الا رب السماء فرح الى بلادك وخل عنك الطمع فانك لا تعرف أخطار هذه الديار وان لم تعطني سوف تنظر ثم انها أنشدت هذه الابيات

على وعندى ماتريد من الرضا ... فمالك غضبانا على ومعرضا
وماقد جرى حاشى الذى كان بيننا ... من الود ان ينسى قديما وينقضا
وما برح الواشى لنا متجنبا ... فلما رأى الاعراض منا تعرضا
فانى بحسن الظن منك لواثق ... وان جهل الواشى وقال وحرضا
فنكتم سرا بيننا ونصونه ... ولوكان سيف العذل باللوم منتضى
اظل نهارى كله متشوقا ... لعل بشيرا منك يقبل بالرضا

ثم بكت هي واولادها فسمع الجوارى بكاءهم فدخلن عليهم فوجدت الملكة منار السنا تبكى هي واولادها ولم ينظرون حسنا عندهم فبكي الجوارى رحمة لهم ودعون على الملكة نور الهدى فصبر حسن الى ان اقبل الليل وذهب الحراس الموكلون بها الى مراقدهم ثم بعد ذلك قام وشد وسطه وجاء الى زوجته وحلها وقبل رأسها وضمها الى صدره وقبل بين عينيها وقال لها ما اطول شوقنا الى ديارنا واجتماع شملنا هناك فهل اجتماعنا هذا فى المنام أوفى اليقظة ثم أنه حمل ولده الكبير وحملت هي الولد الصغير وخرجا من القصر وأسبل الله عليهما الستر وسارا فلما وصلا الى خارج القصر وقفا عند الباب الذى يقفل على سراية الملكة فلما صار هناك رأياه مقفولا فقال حسن لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وأنا اليه راجعون ثم انهما يئسا من الخلاص فقال حسن يا مفرج الكروب ودق يدا على يد وقال كل شيء حسبته ونظرت في عاقبته الا هذا فانه اذا طلع علينا النهار يأخذونا وكيف تكون الحيلة فى هذا الامر فقالت زوجته والله ما لنا فرج الا ان نقتل أرواحنا ونستريح من هذا التعب العظيم ولا نصبح نقاسى العذاب الاليم فبينما هما فى الكلام واذا بقائل يقول من خارج الباب والله ما افتح لك يا سيدتي منار السنا وزوجك حسن الا ان تطاوعاني فيما أقوله لكما فلما سمعا هذا الكلام منه سكتا وأراد الرجوع الى المكان الذى كانا فيه واذا بقائل يقول مالكما سكتما ولم تردا على الجواب فعرفا صاحب القول وهي العجوز شواهى ذات الدواهى فقال لها مهما تأمرينا به نعمله ولكن افتحي الباب فان هذا الوقت ما هو وقت كلام فقالت لهما والله ما افتح لكما حتى تحلفا لى انكما تأخذاني معكما ولا تتركاني عند هذه العاهرة ومهما أصابكما أصابني وان سلمتما سلمت وان عطبتما عطبت فان هذه الفاجرة المساحقة تحتقرني وفي كل ساعة تنكلني من أجلكما وأنت يا بنتي تعرفين مقدارى فلما عرفاها اطمأنا بها وحلفا لها بالايمان التي تثق بها فلما حلفا لها بما تثق فتحت لهما الباب وخرجا فلما خرجا وجداها راكبة على زير رومي من فخار أحمر وفى حلق الزير حبل من ليف وهو يتقلب من تحتها ويجرى جريا أقوى من جرى المهر النجدى فتقدمت قدامهما وقالت لهما اتبعانى ولا تفزعا من شيء فانى أحفظ أربعين بابا من السحر أقل باب منها أجعل به هذه المدينة بحرا

عجاجا متلاطما بالامواج واسحر كل بنت فيها فتصير سمكة وكل ذلك أعمله قبل الصبح ولكنى كنت لا أقدر ان افعل شيئا من ذلك الشر خوفا من الملك أبيها ورعاية لاخواتها لانهم مستعزون بكثرة الاعوان والارهاط والخدم ولكن سوف أريكما عجائب سحرى فسيروا بنا على بركة الله تعالى وعونه فعند ذلك فرح حسن هو وزوجته وايقنا بالخلاص وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٧٨) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان حسنا وزوجته والعجوز شواهى لما طلعوا من القصر وايقنوا بالخلاص خرجوا الى ظاهر المدينة فاخذ حسن القضيب بيده وضرب به الارض وقوى جنانه وقال ياخدام هذه الاسماء احضروا الى واطلعونى على اخوانكم واذا بالارض قد انشقت وخرج منها عشر عفاريت كل عفريت منهم رجلاه فى تخوم الارض ورأسه فى السحاب فقبلوا الارض بين يدى حسن ثلاث مرات وقالوا كلهم بلسان واحد لبيك ياسيدنا والحاكم علينا باى شىء تأمرنا فنحن لامرك سامعون ومطيعون ان شئت نيبس لك البحار وننقل لك الجبال من أماكنها ففرح حسن بكلامهم وبسرعة جوابهم وشجع قلبه وقوى جنانه وعزمه وقال لهم من أنتم وما اسمكم ولمن تنسبون من القبائل ومن أى طائفة أنتم ومن أى قبيلة ومن أى رهط فقبلوا الارض ثانيا وقالوا بلسان واحد نحن سبع ملوك كل ملك منا يحكم على سبع قبائل من الجن والشياطين والمردة فنحن سبع ملوك نحكم على تسع وأربعين قبيلة من سائر طوائف الجن والشياطين والمردة والارهاط والاعوان الطيارة والغواصة وسكان الجبال والبرارى والقفار وعمار البحار فأمرنا بما تريد فنحن لك خدام وعبيد وكل من ملك هذا القضيب ملك رقابنا جميعا ونصير تحت طاعته فلما سمع حسن كلامهم فرح فرحا عظيما وكذلك زوجته والعجوز فعند ذلك قال حسن للجان أريد منكم أن تطلعونى على ارهطكم وجنودكم وأعوانكم فقالوا ياسيدنا اذا أطلعناك على رهطنا نخاف عليك وعلى من معك لانهم جنود كثيرة مختلفة الصور والخلق والالوان والوجوه والابدان فمنا رؤس بلا أبدان ومنا أبدان بلا رؤس ومنا من هو على صفة الوحوش ومنا من هو على صفة السباع ولكن ان شئت ذلك فلا بد لنا من أن نعرض عليك أولا من هو على صفة الوحوش ولكن ياسيدى ماتريد منا فى هذا الوقت فقال لهم حسن أريد منكم ان تحملونى أنا وزوجتى وهذه المرأة الصالحة فى هذه الساعة الى مدينة بغداد فلما سمعوا كلامه أطرقوا برؤسهم فقال لهم حسن لم لا تجيبونى فقالوا بلسان واحد أيها السيد الحاكم علينا اننا من عهد السيد سليمان بن داود عليهما السلام وكان حلفنا اننا لا نحمل أحدا من بنى آدم على ظهورنا فنحن من ذلك الوقت ما حملنا أحدا من بنى آدم على أكتافنا ولا على ظهورنا ولكن نحن فى هذه الساعة نشد لك من خيول الجن ما يبلغك مرادك أنت ومن معك فقال لهم حسن وكم بيننا وبين بغداد فقالوا له مسافة سبع سنين للفارس المجد فتعجب حسن من ذلك وقال لهم كيف جئت أنا الى هنا فيما دون السنة فقالوا له أنت قد حنن الله عليك قلوب عباده الصالحين ولولا ذلك ما كنت تصل هذه الديار والبلاد ولا تراها بعينك أبدا لان الشيخ عبد القدوس الذى أركبك الفيل

وأركبك الجواد الميمون فقطع بك فى الثلاثة أيام ثلاث سنين للفارس المجد فى السير واما الشيخ أبو الريش الذى أعطاك لدهنش فانه قطع بك فى اليوم والليلة مسافة ثلاث سنين وهذا من بركة الله العظيم لان الشيخ أبو الريش من ذرية آصف بن برخيا وهو يحفظ اسم الله الاعظم ومن بغداد الى قصر البنات سنة فهذه هى السبع سنين فلما سمع حسن كلامه تعجب تعجبا عظيما وقال سبحان الله مهون العسير وجابر الكسير ومقرب البعيد ومذل كل جبار عنيد الذى هون على كل أمر وأوصلنى الى هذه الديار وسخر لى هؤلاء العالم وجمع شملى بزوجتى واولادى فما أدرى هل أنا نائم أو يقظان وهل أنا صاح أوسكران ثم التفت اليهم وقال لهم اذا أركبتمونى خيولكم فى كم يوم توصلنا الى بغداد فقالوا تصل بك فيما دون السنة بعد ان تقاسى الامور الصعاب والشدائد والاهوال وتقطع أودية معطشة وقفارا موحشة وبرارى ومهالك كثيرة ولا نامن عليك ياسيدى من أهل هذه الجزائر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٧٩) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الجان قالوا لحسن لا نأمن عليك ياسيدى من أهل هذه الجزائر ولا من شر الملك الاكبر ولا من هذه السحرة والكهنة فربما يقهرونا ويأخذوكم منا ونبتلى بهم وكل من بلغه الخبر بعد ذلك يقول لنا أنتم الظالمون كيف قدمتم على الملك الاكبر وحملتم الانسى من بلاده وحملتم أيضا ابنته معكم ولو كنت معنا وحدك لهان علينا الامر ولكن الذى أوصلك الى هذه الجزائر قادر ان يوصلك الى بلادك ويجمع شملك بامك قريبا غير بعيد فاعزم وتوكل على الله ولا تخف فنحن بين يديك حتى نوصلك الى بلادك فشكرهم حسن على ذلك وقال لهم جزاكم الله خيرا ثم قال لهم عجلوا بالخيل فقالوا سمعا وطاعة ثم دقوا الارض بارجلهم فانشقت فغابوا فيها ساعة ثم حضروا واذا بهم قد طلعوا ومعهم ثلاث أفراس مسرجة ملجمة وفى مقدم كل سرج خرج فى أحدى عينيه ركوة ملآنة ماء والعين الأخرى ملآنة زادا ثم قدموا الخيل فركب حسن جواده وأخذ ولدا قدامه وركبت زوجته الجواد الثانى وأخذت ولدا قدامها ثم نزلت العجوز من فوق الزير وركبت الجواد الثالث وساروا ولم يزالوا سائرين طول الليل حتى أصبح الصباح فعرجوا عن الطريق وقصدوا الجبل والسنتهم لا تفتر عن ذكر الله وساروا النهار كله تحت الجبل فبينما هم سائرون واذ نظر حسن الى جبل قدامه مثل العمود وهو طويل كالدخان المتصاعد الى السماء فقرأ شيئا من القرآن وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم فصار ذلك السواد يظهر كلما تقربوا منه فلما دنوا منه وجدوه عفريتا رأسه كالقبة العظيمة وانيابه كالكلاليب ومنخراه كالابريق وأذناه كالادراق وفمه كالمغارة واسنانه كعواميد الحجارة ويداه كالمدارى ورجلاه كالصوارى ورأسه فى السحاب وقدمه فى تخوم الارض تحت التراب فلما نظر حسن الى العفريت انحنى وقبل الارض بين يديه فقال له يا حسن لا تخف منى انا رئيس عمار ذلك الارض وهذه أول جزيرة من جزائر واق الواق وأنا مسلم موحد بالله وسمعت بكم وعرفت قدومكم ولما أطلعت على حالكم اشتهيت ان أرحل من بلاد السحرة الى أرض غيرها تكون خالية من السكان بعيدة عن الانس والجان أعيش فيها منفردا وحدى وأعبد

الله حتي يدركني أجلي فاردت ان أرافقكم وأكون دليلكم حتي تخرجوا من هذه الجزائر وأنا ما أظهر الا بالليل فطيبوا قلوبكم من جهتي فانني مسلم مثل ما أنتم مسلمون فلما سمع حسن كلام العفريت فرح فرحا شديدا وايقن بالنجاة ثم التفت اليه وقال له جزاك الله خيرا فسر معنا على بركة الله فسار العفريت قدامهم وساروا يتحدثون ويلعبون وقد طابت قلوبهم وانشرحت صدورهم وصار حسن يحكي لزوجته جميع ما قاساه ولم يزالوا سائرين طول الليل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٨٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد انهم لم يزالوا سائرين طول الليل الى الصباح والخيل تسير كالبرق الخاطف فلما طلع النهار مد كل واحد يده في خرجه وأخرج منه شيئا وأكله وأخرج ماء وشرب به ثم جدوا السير ولم يزالوا سائرين والعفريت أمامهم وقد عرج بهم عن الطريق الى طريق أخرى غير مسلوكة على شاطىء البحر وما زالوا يقطعون الاودية والقفار مدة شهر كامل وفي اليوم الحادي والثلاثين طلعت عليهم غبرة سدت الاقطار واظلم منها النهار فلما نظرها حسن لحقه الاصفرار وقد سمعوا ضجات مزعجة فالتفتت العجوز الى حسن وقالت يا ولدي هذه عساكر واق الواق قد لحقونا وفي هذه الساعة يأخذوننا قبضا باليد فقال لها حسن ما أصنع يا امي فقالت له اضرب الارض بالقضيب ففعل فطلع اليه السبعة ملوك وسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه وقالوا له لا تخف ولا تحزن ففرح حسن بكلامهم وقال احسنتم يا سادة الجن والعفاريت هذا وقتكم فقالوا له اطلع انت وزوجتك واولادك ومن معك فوق الجبل وخلونا نحن واياهم لاننا نعرف انكم على الحق وهم على الباطل وينصرنا الله عليهم فنزل حسن هو وزوجته وأولاده والعجوز عن ظهور الخيل وصرفوا الخيل وطلعوا على طرف الجبل وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٨١) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان حسنا صعد هو وزوجته وأولاده والعجوز على طرف الجبل بعد ان صرفوا الخيل ثم بعد ذلك أقبلت الملكة نور الهدى بعساكر ميمنة وميسرة ودارت عليهم النقباء وصفوهم جملة جملة وقد التقى العسكران وتصادم الجمعان والتهبت النيران وأقدمت الشجعان وفر الجبان ورمت الجن من أفواهها لهيب الشرر الى ان أقبل الليل بالاعتكار فافترق الجمعان وانفصل الفريقان ولما نزلوا عن خيولهم واستقروا على الارض أشعلوا النيران وطلع السبعة ملوك الى حسن وقبلوا الارض بين يديه فاقبل عليهم وشكرهم ودعا لهم بالنصر وسألهم عن حالهم مع عسكر الملكة نور الهدى فقالوا له انهم لا يثبتون معنا غير ثلاثة أيام فنحن كنا اليوم ظافرين بهم وقد قبضنا منهم مقدار الفين وقتلنا منهم خلقا كثيرا لا يحصي عددهم فطب نفسا وانشرح صدرا ثم انهم ودعوه ونزلوا الى عسكرهم يحرسونه وما زالوا يشعلون النيران الى ان طلع الصباح واضاء بنوره ولاح فركبت الفرسان الخيل القراح وتضاربوا بمرهفات الصفاح وتطاعنوا بسمر الرماح وباتوا على ظهور الخيل وهم يلتطمون التطام البحار واستمر بينهم في الحرب لهيب النار ولم يزالوا في نضال وسباق حتى انهزمت عساكر واق الواق وانكسرت شوكتهم وانحطت همتهم وزلت أقدامهم واينما هربوا

فالهزيمة قدامهم فولوا الادبار وركبوا الى الفرار وقتل اكثرهم واسرت الملكة نور الهدى هى وكبار مملكتها وخواصها فلما أصبح الصباح حضر الملوك السبعة بين يدى حسن ونصبوا له سريرا من المرمر مصفحا بالدر والجوهر فجلس فوقه ونصبوا عنده سريرا آخر للسيدة منار السنا زوجته وذلك السرير من العاج المصفح بالذهب الوهاج ونصبوا سريرا آخر للعجوز شواهى ذات الدواهى ثم انهم قدموا الاسارى بين يدى حسن ومن جملتهم الملكة نور الهدى وهى مكتفة اليدين مقيدة الرجلين فلما رأتها العجوز قالت لها ما جزاؤك يا فاجرة يا ظالمة الا ان يجوع كلبتان ويربطا معك فى أذناب الخيل ويساقان الى البحر حتى يتمزق جلدك وبعد ذلك يقطع من لحمك وتطعمين منه كيف فعلت باختك هذه الفعال يا فاجرة مع انها تزوجت فى الحلال بسنة الله ورسوله لانه لا رهبانية فى الاسلام والزواج من سنن المرسلين عليهم السلام وما خلقت النساء الا للرجال فعند ذلك أمر حسن بقتل الاسارى جميعهم فصاحت العجوز وقالت اقتلوهم ولا تبقوا منهم أحدا فلما رأت الملكة منار السنا أختها فى هذه الحالة وهى مقيدة مأسورة بكت عليها وقالت لها يا أختى ومن هذا الذى أسرنا فى بلادنا وغلبنا فقالت لها هذا أمر عظيم ان هذا الرجل الذى اسمه حسن قد ملكنا وحكمه الله فينا وفى سائر ما ... نا وتغلب علينا وعلى ملوك الجن فقالت لها أختها ما نصره الله عليكم ولا قهركم ولا أسركم الا بهذه الطاقية والقضيب فتحققت اختها ذلك وعرفت انه خلصها بهذا السبب ثم ان السيدة منار السنا حكت لاختها جميع ما جرى لها مع زوجها حسن وجميع ما جرى له وما قاساه من أجلها وقالت لها يا أختى من كانت هذه الفعال فعاله وهذه القوة قوته وقد أيده الله تعالى بشدة الباس حتى دخل بلادنا وأخذك واسرك وهزم عسكرك وقهر أباك الملك الاكبر الذى يحكم على ملوك الجن يجب ان لا يفرط فى حقه فقالت لها أختها والله يا أختى لقد صدقت فيما أخبرتينى به من العجائب التى قاساها هذا الرجل وهل كل هذا من أجلك يا أختى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

(وفى ليلة ٧٨٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن السيدة منار السنا لما أخبرت أختها بأوصاف حسن قالت لها والله ان هذا الرجل ما يفرط فيه خصوصا بسبب مروآته وهل كل هذا من أجلك قالت نعم ثم انهم باتوا يتحدثون الى الصباح فلما طلعت الشمس أرادوا الرحيل فودع بعضهم بعضا وودعت منار السنا والعجوز بعد ما أصلحت بينها وبين أختها نور الهدى فعند ذلك ضرب حسن الارض بالقضيب فطلع له خدامه وسلموا عليه وقالوا له الحمد لله على هذا وسرك فامرنا بما تريد حتى نعمله فى أسرع من لمح البصر فشكرهم على قولهم وقال لهم جزاكم الله خيرا ثم انه قال لهم شدوا لنا جوادين من أحسن الخيل ففعلوا ما أمرهم به فى الوقت وقدموا له جوادين مسرجين فركب حسن جوادا منهما وأخذ ولده الكبير قدامه وركبت زوجته الجواد واخذت ولدها الصغير قدامها وركبت الملكة نور الهدى هى والعجوز وتوجه الجميع الى بلادهم فسار حسن هو وزوجته يمينا وسارت الملكة نور الهدى هى والعجوز شمالا

ولم يزل حسن سائراهو وزوجته وأولاده مدة شهر كامل و بعد الشهر أشرفوا على المدينة فوجدوا حولها أثماراوأنهارافلما وصلواإلى تلك الاشجار نزلوا عن ظهور الخيل وأرادوا الراحة ثم جلسوا يتحدثون واذاهم بخيول كثيرة قد اقبلت عليهم فلمارآهم حسن قام على رجليه وتلقاهم واذاهم الملك حسون صاحب أرض الكافور وقلعة الطيور فعند ذلك تقدم حسن الى الملك وقبل يديه وسلم عليه ولمارآه الملك ترجل عن ظهر جواده وجلس هو وحسن على الفرش تحت الاشجار بعدأن سلم على حسن وهنأه بالسلامة وفرح به فرحاشديداو قال له ياحسن اخبرنى بماجرى لك من أوله الى آخره فأخبره حسن بجميع ذلك فتعجب منه الملك حسون وقال ياولدي ماوصل أحدالى جزائر واق الواق ورجع منهاأبدا الاأنت فامرك عجيب ولكن الحمدلله على السلامة ثم بعد ذلك قام الملك وركب وامر حسناأن يركب ويسير معه ففعل ولم يزالواسائرين الى أن اتوالى المدينة فدخل دار الملك فنزل الملك حسون ونزل حسن هو و زوجته وأولاده في دار الضيافة وأقاموا عنده ثلاثة أيام في أكل وشرب ولعب وطرب ثم بعدذلك استأذن حسن الملك حسون في السفر الى بلاده فاذن له فركب هو و زوجته وأولاده وركب الملك معهم وساروا عشرة أيام فلما أراد الملك الرجوع ودع حسناوسار حسن هو وزوجته وأولاده ولم يزالواسائرين مدة شهر كامل فلما كان بعد الشهر اشرفوا على مغارة كبيرة أرضهامن النحاس الاصفر فقال حسن لزوجته انظرى هذه المغارة هل تعرفينها قالت نعم قال ان فيها شيخا يسمى أبي الريش وله على فضل كبير لانه هو الذى كان سبب فى المعرفة بينى و بين الملك حسون وصار يحدث زوجته بخبرأبي الريش واذابالشيخ أبى الريش خارج من المغارة فلمارآه حسن نزل عن جواده وقبل يديه فسلم عليه الشيخ أبو الريش وهناه بالسلامة وفرح به واخذه ودخل به المغارة وجلس هو واياه وسار يحدث الشيخ أبا الريش بماجرى له فى جزائر واق الواق فتعجب الشيخ أبو الريش غاية العجب وقال ياحسن كيف خلصت زوجتك وأولادك فحكى له حكاية القضيب والطاقية فلماسمع الشيخ أبو الريش تلك الحكاية تعجب وقال ياحسن ياولدى لولا هذا القضيب و هذه الطاقية ماكنت خلصت زوجتك وأولادك فقال له حسن نعم ياسيدي فبينماهما فى الكلام واذا بطارق يطرق باب المغارة فخرج الشيخ أبو الريش وفتح الباب فوجد الشيخ عبد القدوس قد أتى وهو راكب فوق الفيل فتقدم الشيخ أبو الريش وسلم عليه واعتنقه وفرح به فرحا عظيما وهناه بالسلامة و بعد ذلك قال الشيخ أبو الريش لحسن احك للشيخ عبدالقدوس جميع ماجرى لك ياحسن فشرع حسن يحكى للشيخ جميع ماجرى له من أوله الى آخره الى أن وصل إلى حكاية القضيب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٨٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان حسنا شرع يحكي للشيخ عبد القدوس والشيخ أبي الريش وهم في المغارة يتحدثون جميع ماجرى له من أوله الى آخره الى أن وصل الى حكاية القضيب والطاقية فقال الشيخ عبد القدوس لحسن ياولدي اما أنت فقد خلصت زوجتك واولادك ولم يبق لك حاجة بهم واما نحن فاننا كنا السبب فى وصولك الى جزائر واق الواق وقد عملت معك

الجميل لاجل بنات أخي وأنا أسألك من فضلك واحسانك أن تعطيني القضيب وتعطي الشيخ أبا الريش الطاقية فلما سمع حسن كلام الشيخ عبد القدوس أطرق رأسه الى الارض واستحى أن يقول ما أعطيهما لكما ثم قال في نفسه ان هذين الشيخين قد فعلا معي جميلا عظيما وهما اللذان كانا السبب في وصولي الى جزائر واق الواق ولولاهما ما وصلت الى هذه الاماكن ولا خلصت زوجتي وأولادي ولا حصلت على هذا القضيب وهذه الطاقية ثم رفع رأسه وقال نعم أنا أعطيهما لكما ولكن يا سادتي اني أخاف من الملك الأكبر والد زوجتي أن يأتيني بعساكر الى بلادي فيقاتلونني ولا أقدر على دفعهم الا بالقضيب والطاقية فقال الشيخ عبد القدوس لحسن يا ولدي لا تخف فنحن لك جاسوسا وأدرو في هذا الموضع وكل من أتى اليك من عند والد زوجتك ندفعه عنك ولا تخف من شيء اصلا جملة كافية فطب نفسا وقر عينا واشرح صدرا ما عليك بأس فلما سمع حسن كلام الشيخ أخذه الحياء وأعطى الطاقية للشيخ أبي الريش وقال للشيخ عبد القدوس أصحبني الى بلادي وأنا أعطيك القضيب ففرح الشيخان بذلك فرحا شديدا وجهزا لحسن من الاموال والذخائر ما يعجز عنه الوصف ثم أقام عندهما ثلاثة أيام وبعد ذلك طلب السفر فتجهز الشيخ عبد القدوس للسفر معه فركب حسن دابة وأركب زوجته دابة فصفر الشيخ عبد القدوس واذا بفيل عظيم قد اقبل يهرول بيديه ورجليه من صدر البرية فأخذه الشيخ عبد القدوس وركبه وسار هو وحسن وزوجته وأولاده وأما الشيخ أبو الريش فانه دخل المغارة وما زال حسن وزوجته وأولاده والشيخ عبد القدوس سائرين يقطعون الارض بالطول والعرض والشيخ عبد القدوس يدلهم على الطريق السهلة والمنافذ القريبة حتى قربوا من الديار وفرح حسن بقربه من ديار والدته ورجوع زوجته وأولاده اليه وحين وصل حسن الى تلك الديار بعد هذه الاهوال الصعبة حمد الله تعالى على ذلك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٨٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن حسن حمد الله تعالى على نجاته من تلك الاهوال الصعبة وشكره على نعمته وفضله ونظر واذا هم قد لاحت لهم القبة الخضراء والفسقية والقصر الاخضر ولاح لهم جبل السحاب من بعيد فقال الشيخ عبد القدوس يا حسن ابشر بالخير انت الليلة ضيف عند بنات أخي ففرح حسن بذلك فرحا شديدا وكذلك زوجته ثم نزلوا عند القبة واستراحوا وأكلوا وشربوا ثم ركبوا وساروا حتى قربوا من القصر فلما أشرفوا عليه خرجت لهم بنات اخ الشيخ عبد القدوس وتلقيهم وسلمن عليهم وعلى عمهم وسلم عليهم عمهم وقال لهم يا بنات أخي ها أنا قد قضيت حاجة أخيكم حسن وساعدته على خلاص زوجته وأولاده فتقدم اليه البنات وعانقنه وفرحن به وهنينه بالسلامة والعافية وجمع الشمل بزوجته وأولاده وكان عندهن يوم عيد ثم تقدمت أخت حسن الصغيرة وعانقته وبكت بكاء شديدا وكذلك حسن بكي معها على طول الوحشة ثم شكت له ما تجده من ألم الفراق وتعب سرها وما قاسته من فراقه وأنشدت هذين البيتين



﴿ البنات السبعة اخوات حسن وهن ملتفين حوله فرحين بوصله اليهن ﴾

وما نظرت من بعد بعدك مقلتي ... الى أحد الا وشخصك ماثل
وما غمضت الا رأيتك في الكرى ... كانك بين الجفن والعين نازل

فلما فرغت من شعرها فرحت فرحا شديدا فقال لها حسن يا أختي أنا ما أشكر أحدا في هذه الامر الا انت من دون سائر الاخوات فالله تعالى يكون لك بالعون والعناية ثم أنه حدثها بجميع ما جرى له في سفره من أوله الى آخره وما قاساه وما اتفق له مع أخت زوجته وكيف خلص زوجته

وأولاده ووجدتها بما رآه من العجائب والاهوال الصعاب حتى أن أختها كانت أرادت أن تذبحه وتذبحها وتذبح أولادها وما سلمهم منها الا الله تعالى ثم حكى لها حكاية القضيب والطاقية وان الشيخ أبا الريش والشيخ عبد القدوس طلباها منه وانه ما أعطاهما لهما الا من شأنها فشكرته على ذلك ودعت له بطول البقاء فقال والله ما أنسي كل ما فعلتيه معي من الخير من أول الامر الى آخره فالتفتت أخته الى زوجته منار السنا وعانقتها وضمت أولادها الى صدرها ثم قالت لها يا بنت الملك الاكبر اما في قلبك رحمة حتى فرقت بينه وبين أولاده واحرقت قلبه عليهم فهل كنت تريدين بهذا الفعل أن يموت فسكتت وقالت بهذا حكم الله سبحانه وتعالى ومن خادع الناس خدعه الله ثم انه أقام عندهم عشرة أيام في أكل وشرب وفرح وسرور ثم بعد العشرة ايام تجهز حسن للسفر فقامت أخته وجهزت له من المال والتحف ما يعجز عنه الوصف ثم ضمته الى صدرها لاجل الوداع وعانقته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٨٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان أخت حسن لما ضمته الى صدرها ثم أن حسنا أعطى الشيخ عبد القدوس القضيب ففرح به فرحا شديدا وشكر حسنا على ذلك وبعد أن أخذه منه ركب ورجع الى محله ثم ركب حسن هو وزوجته وأولاده من قصر البنات فخرجوا معه يودعونه وبعد ذلك رجعوا ثم توجه حسن الى بلاده فسار في البر الاقفر مدة شهرين وعشرة أيام حتى وصل الى مدينة بغداد دار السلام فجاء الى داره من باب السر الذي يفتح الى جهة الصحراء والبرية وطرق الباب وكانت والدته من طول غيبته قد هجرت المنام ولزمت الحزن والبكاء والعويل حتي مرضت وصارت لا تأكل طعاما ولا تلتذ بمنام بل تبكي في الليل والنهار ولا تفتر عن ذكر ولدها وقد يئست من رجوعه اليها فلما وقف على الباب وسمعها تبكي وتنشد هذه الابيات

بالله يا سادتي طبوا مريضكم ... لجسمه ناحل والقلب مكسور

فان سمحتم بوصل منكم كرما ... فالصب من نعم الاحباب مغمور

لا بأس من قربكم فبالله مقتدر ... فبينما العسر اذ دارت مياسير

فلما فرغت من شعرها سمعت ولدها حسنا ينادي على الباب يا أماه ان الايام قد سمحت بجمع الشمل فلما سمعت كلامه عرفته فجاءت الى الباب وهي ما بين مصدقة ومكذبة فلما فتحت الباب رأت ولدها واقفا هو وزوجته وأولاده معه فصاحت من شدة الفرح ووقعت في الارض مغشيا عليها فلم يزل حسن يلاطفها حتى أفاقت وعانقته ثم بكت وبعد ذلك نادت غلمانه وعبيده وأمرتهم أن يدخلوا جميع ما معه في الدار فادخلوا الاحمال في الدار ثم دخلت زوجته وأولاده فقامت لها أمه وعانقتها وقبلت رأسها وقبلت قدميها وقالت لها يا بنت الملك الاكبر ان كنت اخطأت في حقك فها أنا استغفر الله العظيم ثم التفتت الى ابنها وقالت له يا ولدي ما سبب هذه الغيبة الطويلة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٨٦) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان ام حسن لما قالت له ما هذه الغيبة فاخبرها بجميع ما جرى له من اوله الى آخره فلما سمعت كلامه صرخت صرخة عظيمة ووقعت في الارض مغشيا عليها من ذكر ما جرى لولدها فلم يزل يلاطفها حتى افاقت وقالت له يا ولدي والله لقد فرطت في القضيب والطاقيه فلو كنت احتفظت عليهما وابقيتهما لكنت ملكت الارض بطولها والعرض ولكن الحمد لله يا ولدي على سلامتك أنت وزوجتك واولادك وباتوا في أهنأ ليلة وأطيبها فلما اصبح الصباح غير ما عليه من الثياب ولبس بدلة من احسن القماش ثم خرج الى السوق وصار يشتري العبيد والجواري والقماش والشيء النفيس من الحلى والحلل والفراش ومن الاواني المثمنة التي لا يوجد مثلها الا عند الملوك ثم اشترى الدور والبساتين والعقارات وغير ذلك وأقام هو واولاده وزوجته و والدته في أكل وشرب ولذة ولم يزالوا في ارغد عيش واهناه حتى اتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان ذي الملك والملكوت وهو الحي الباقي الذي لا يموت

﴿ حكاية مسرور التاجر مع معشوقته زين المواصف ﴾

(ومما يحكى) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجل تاجر اسمه مسرور وكان ذلك الرجل من احسن اهل زمانه كثير المال مرفه الحال ولكنه كان يحب النزهة في الرياض والبساتين ويتلهى بهوى النساء الملاح فاتفق انه كان نائما في ليلة من الليالي فرأى في نومه انه في روضه من احسن الرياض وفيها اربع طيور ومن جملتهم احمامة بيضاء مثل الفضة المجليه فاعجبته تلك الحمامة وصار في قلبه منها وجد عظيم او بعد ذلك رأي انه نزل عليه طائر عظيم خطف تلك الحمامة من يده فعظم ذلك عليه ثم بعد ذلك انتبه من نومه فلم يجد الحمامة فصار يعالج اشواقه الى الصباح فقال في نفسه لا بد ان أروح اليوم الى من يفسر لي هذا المنام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٨٧) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مسرور التاجر لما انتبه من نومه صار يعالج اشواقه الى الصباح فلما اصبح الصباح قال لا بد ان اروح اليوم الى من يفسر لي هذا المنام فقام وصار يمشي يمينا وشمالا الى ان بعد عن منزله فلم يجد من يفسر له هذا المنام ثم بعد ذلك طلب الرجوع الى منزله فبينما هو في الطريق اذ خطر بباله انه يميل الى دار من دور التجار وكانت تلك الدار لبعض الاغنياء فلما وصل اليها واذا به يسمع بها صوت انين من كبد حزين وهو ينشد هذه الابيات

نسيم الصبا هبت لنا من رسومها ... معطرة يشفي العليل شميمها
وقفت باطلال دوراس سائلا ... وليس يجيب الدمع الا رميمها
فقلت نسيم الريح بالله خبري ... هل الدار هذي قد يعود نعيمها
واحظى بظبي مال بي لين قده ... واجفانه الوسنا ضناني سقيمها

فلما سمع مسرور ذلك الصوت نظر في داخل البيت فرأى روضة من احسن الرياض في باطنها ستر من ديباج احمر مكلل بالدر والجوهر وعليه من وراء الستر اربع جوار بينهن صبية دون الخماسيه وفوق الرباعية كأنها البدر المنير والقمر المستدير بعينين كحيلتين وحاجبين مقرنين وفم كأنه خاتم

سليمان وشفتين واسنان كالدر والمرجان وهي تسلب العقول بحسنها وجمالها وقدها واعتدالها فلما رآها مسرور ودخل الدار وبالغ في الدخول حتى وصل الى الستر فرفعت راسها اليه ونظرته فعند ذلك سلم عليها فردت عليه السلام بعذوبة الكلام فلما نظرها وتاملها طاش عقله وذهب قلبه ونظر الى الروضة وكانت من الياسمين المنثور والبنفسج والورد والنارنج وجميع مايكون فيها من المشموم وقد توشحت جميع الاشجار بالاثمار وفي تلك الروضة طيور من قمري وحمام وبلبل ويمام وكل طير يغرد بصوته والصبية تمايل في حسنها وجمالها وقدها واعتدالها يفتتن بها كل من رآها ثم قالت ايها الرجل ماالذي اقدمك على دار غير دارك وعلى جوار غير جوارك من غير اجازة اصحابها فقال لها ياسيدتي رايت هذه الروضة فاعجبني حسن اخضرارها وفيح ازهارها وترنم اطيارها فدخلتها لاتفرج فيها ساعة من الزمان واروح الى حال سبيلي فقالت له حبا وكرامة فلما سمع مسرور التاجر كلامها ونظر الى ظرفها ورشاقة قدها تحير من حسنها وجمالها ومن لطافة الروضة والطير فطار عقله من ذلك وصار متحيرا في امره وانشد هذه الابيات

قمر تبدى في بديع محاسن ... بين الربا والروح والريحان
والآس والنسرين ثم بنفسج ... فاحت روائحه من الاغصان
ياروضة كملت بحسن صفاتها ... وحوت جميع الزهر والافنان
فالبدر يجلى تحت ظل غصونها ... والطير تنشد اطيب الالحان
قمريها وهزارها ويمامها ... وكذا البلابل هيجت اشجاني
وقف الغرام بمهجتي متحيرا ... في حسنها كتحير السكران

فلما سمعت زين المواصف شعر مسرور نظرت له نظرة اعقبته الف حسرة وسلبت بها عقله ولبه واجابته عن شعره بهذه الابيات

لاترتجي وصل التي علقتها ... واقطع مطامعك التي أملتها
وذر الذي ترجوه انك لم تطق ... صد التي في الغانيات عشقتها
تجني على العشاق الحاظي ولم ... تعظم علي مقالة قد قلتها

فلما سمع مسرور كلامها تجلد وصبر وكتم أمرها في سره وتفكر وقال في نفسه ماللبلية الا الصبر ثم داموا على ذلك الى ان هجم الليل فامرت بحضور المائدة فحضرت بين أيديهما وفيها من سائر الالوان من السماني وافراخ الحمام ولحوم الضان فاكلا حتى اكتفيا ثم أمرت برفع الموائد فرفعت وحضرت آلات الغسل فغسلا أيديهما ثم أمرت بوضع الشمعدانات فوضعت وجعل فيها شمع الكافور ثم بعد ذلك قالت زين المواصف والله ان صدري ضيق في هذه الليلة لاني محمومة فقال لها مسرور شرح الله صدرك وكشف غمك فقالت يامسرور أنا معودة بلعب الشطرنج فهل تعرف فيه شيئا قال نعم أنا عارف به فقدمته بين أيديهما واذا هو من الآبنوس مقطع بالعاج له رقعة مرقومة بالذهب الوهاج وحجارته من در وياقوت . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٨٨) قالت بلغنى ايها الملك السعيد انها لما أمرت باحضار الشطرنج أحضروه بين أيديهما فلما رآه مسرور حار فكره فالتفتت اليه زين المواصف وقالت له هل أنت تريد الحمر أم البيض فقال ياسيدة الملاح وزين الصباح خذى أنت الحمر لانهم ملاح ولمثلك أملح ودعى لى الحجارة البيض فقالت رضيت بذلك فاخذت الحمر وصفتها مقابلة البيض ومدت يديها الى القطع تنقل فى الميدان فنظر الى اناملها فرآها كانها من عجين فاندهش مسرور من حسن أناملها ولطف شمائلها فالتفتت اليه وقالت يامسرور لا تندهش واصبر واثبت فقال لها ياذات الحسن الذى فضح الاقمار اذا نظرك المحب كيف يكون له اصطبار فبينما هو كذلك واذا هى تقول له الشاه مات فغلبته عند ذلك وعلمت زين المواصف أنه بحبها مجنون فقالت له يامسرور لا العب معك يامسرور الا برهن معلوم وقدر مفهوم فقال لها سمعا وطاعه فقالت له احلف لى واحلف لك ان كلا منا لا يغدر صاحبه فتحالفا معا على ذلك فقالت له يامسرور ان غلبتك اخذت منك عشرة دنانير وان غلبتنى لم أعطك شيئا فظن أنه يغلبها فقال لها ياسيدتى لا تخشى في يمينك فانى أراك أقوى منى فى اللعب فقالت له رضيت بذلك وصار يلعبان ويتسابقان بالبيادق والحقتهم بالافزار وصفتهم وقرنتهم بالرخاخ وسمحت النفس بتقديم الافراس وكان على رأس زين المواصف وشاح من الديباج الازرق فوضعته عن رأسها وشمرت عن معصم كانه عمود من نور ومرت بكفها على القطع الحمر وقالت له خذ حذرك فاندهش مسرور وطار عقله وذهب لبه ونظر الى رشاقتها ومعانيها فاحتار وأخذه الانبهار فمد يده الى البيض فراحت الى الحمر فقالت يامسرور وأين عقلك الحمر لى والبيض لك فقال لها ان من ينظر اليك ليس يملك عقله فلما نظرت زين المواصف الى حاله أخذت منه البيض واعطته الحمر فلعب بها فغلبته ولم يزل يلعب معها وهى تغلبه ويدفع لها فى كل مرة عشرة دنانير فلما عرفت زين المواصف أنه مشغول بهواها قالت له يامسرور ما بقيت تنال مرادك الا اذا كنت تغلبنى كما هو شرطك ولا بقيت العب معك فى كل مرة الا بمائة دينار فقال لها حبا وكرامة فصارت تلاعبه وتغلبه وتكرر ذلك وهو فى كل مرة يدفع لها المائة دينار وداما على ذلك الى الصباح وهو لم يغلبها أبدا فنهض قائما على أقدامه فقالت له ما الذى تريد يامسرور فقال امضى الى منزلى وآتى بمالى لعلى أبلغ منك آمالى فقالت له افعل ما تريد مما بدالك فمضى الى منزله واتاها بالمال جميعه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٨٩) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مسرورا لما مضى الى منزله وأتى لها بالمال جميعه صار يلعب معها وهى تغلبه ولم يقدر أن يغلبها دورا واحدا ولم يزالا كذلك ثلاثة أيام حتى أخذت منه جميع ماله فلما نفد ماله قالت له يامسرور ما الذى تريد قال ألاعبك على دكان العطارة قالت له كم تساوى تلك الدكان قال خمسمائة دينار فلعب بها خمسة أشواط فغلبته ثم لعب معها بها على الجوارى والعقارات والبساتين والعمارات فأخذت منه ذلك كله وجميع مايملكه وبعد ذلك التفتت اليه وقالت له هل بقى معك شىء من المال تلعب به فقال لها وحق من أوقعنى معك فى شرك المحبة ما بقيت يدى تملك شيء من المال وغيره لا قليلا ولا كثيرا فقالت له يامسرور وكل شىء يكون أوله رضا لا يكون

بحيره ندامة فان كنت ندمت فخذ مالك واذهب عنا الى حال سبيلك وأنا اجعلك فى حل من قبلى قال مسرور وحق من قضى علينا بهذه الامور لو أردت أخذ روحى لكانت قليلة فى رضاك فانه عشق أحدا سوالك فقالت له يا مسرور وحينئذ اذهب واحضر القاضى والشهود واكتب لى جميع الاملاك والعقارات فقال حبا وكرامة ثم نهض قائما فى الوقت والساعة واتى بالقاضى والشهود وأحضرهم عندها فلما رآها القاضى طار عقله وذهب لبه وتبلبل خاطره من حسن أناملها وقال يا سيدتى لا أكتب الحجة الا بشرط ان تشترى العقارات والجوارى والاملاك وتصير كلها تحت تصرفك وفى حيازتك فقالت قد اتفقنا على ذلك فاكتب لى حجة بان ملك مسرور وجواريه وما تملكه يده ينقل الى ملك زين المواصف بثمن جملته كذا وكذا فكتب القاضى ووضع الشهود خطوطهم على ذلك وأخذت الحجة زين المواصف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٩٠) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زين المواصف لما أخذت الحجة من القاضى مشتملة على ان جميع ما كان ملكا لمسرور وصار ملكا لها قالت له يا مسرور اذهب الى حال سبيلك فالتفتت جاريتها هبوب وقالت له انشد شيئا من الاشعار فأنشد فى شأن لعب الشطرنج هذه الابيات

اشكو الزمان وما قد حل بي وجري ... واشتكى الخسر والشطرنج والنظرا
فى حب جارية غيداء ناعمة ... ما مثلها فى الورى انثى ولا ذكرا
قد فرقت لى سهاما من لواحظها ... وقدمت لى جيوشا تغلب البشرا
حمرا وبيضا وفرسانا مصادمة ... فبادرتنى وقالت لى خذ الحذرا
واهملتنى اذا مرت أناملها ... فى جنح ليل بهيم يشبه الشعرا
لم استطع لخلاص البيض انقلها ... والوجد صير منى الدمع منهمرا
بيادق ورخوخ مع فرازنة ... كرت فادبر جيش البيض منكسرا
وخيرتنى بين العسكرين ... فاخترت تلك الجيوش البيض مقتمرا
وقلت لهم هذا الجيوش البيض تصلح ... لى هم المراد وأما أنت فالحمرا
ولاعبتنى على رهن رضيت به ... ولم أكن عن رضاها ابلغ الوطرا
يالهف قلبى ويا شوقى ويا حزنى ... على وصال فتاة تشبه القمرا
ما القلب فى حرق كلا ولا أسف ... على عقاري ولكن يألف النظرا
وصرت حيران مبهوتا على وجل ... اعاتب الدهر فيما تم لى وجرى
قالت فمالك مبهوتا فقلت لها ... هل شارب الخمر يصحوا عند ما سكرا
انسية سلبت عقلى بقامتها ... ان لان منها فؤاد يشبه الحجرا
اطمعت نفسى وقلت اليوم املكها ... على الرهان ولا خوفا ولا حذرا

لازال يطمع قلبي في تواصلها حتي بقيت على الحالين منفطرا
هل يرجع الصب عن عشق الضربه ولو غدا في بحار الوجد منحدرا
فاصبح العبد للامال يقلبه اسير شوق ووجد هائم وطرا

فلما سمعت زين المواصف هذه الابيات تعجبت من فصاحة لسانه وقالت له يامسرور ودع عنك هذا الجنون وارجع الى عقلك وامض الى حال سبيلك فقد افنيت مالك وعقارك في لعب الشطرنج ولم تحصل غرضك وليس لك جهة من الجهات توصلك اليه فالتفت مسرور الى زين المواصف وقال لها ياسيدتي اطلبي اى شيء والك كل ماتطلبينه فاني اجيء به اليك واحضره بين يديك فقالت يامسرور مابقي معك شيء من المال فقال لها يامنتهى الآمال اذا لم يكن عندى شيء من المال تساعدني الرجال فقالت له هل الذي يعطي يصير مستطيعا فقال لها ان لي اقارب واصحابا ومهما طلبته يعطوني اياه فقالت له اريد منك اربع نوافج من المسك الاذفر واربع اواق من الغالية واربعة ارطال من العنبر واربعة آلاف دينار واربعمائة حلة من الديباج الملوكي المزركش فان كنت يامسرور تأتي بذلك الامر ابحت لك الوصال فقال لها هذا على هين يامخجلة الاقمار ثم ان مسرورا خرج من عندها ليأتيها بالذي طلبته منه فارسلت خلفه هبوب الجارية حتى تنظر قدره عند الناس الذي ذكرهم لها فبينما هو يمشي في شوارع المدينة اذ لاحت منه التفاتة فرأى هبوب على بعد فوقف الى ان لحقته فقال لها ياهبوب الى اين انت ذاهبة فقالت له ان سيدتي ارسلتني خلفك من اجل كذا وكذا واخبرته بما قالته لها زين المواصف من اوله الى آخره فقال لها والله ياهبوب ان يدى لا تملك شيئا من المال قالت له فلاى شيء وعدتها فقال كم من وعد لا يفي به صاحبه والمطل في الحب لا بد منه فلما سمعت هبوب ذلك منه قالت له يامسرور طب نفسا وقر عينا والله لاكونن سببا في اتصالك بها ثم انها تركته ومشت ومازالت ماشية الى ان وصلت الى سيدتها فبكت بكاء شديدا وقالت لها ياسيدتي والله انه رجل كبير المقدار محترم عند الناس فقالت لها سيدتها لاحيلة في قضاء الله تعالى لان هذا الرجل ماوجد عندنا قلبا رحيما لاننا اخذنا ماله ولم يجد عندنا مودة ولا شفقة في الوصال وان ملت الى مراده اخاف ان يشيع الامر فقالت لها هبوب ياسيدتي ماسهل علينا حاله واخذ ماله ولكن ما عندك الا انا وجاريتك سكوب فمن يقدر ان يتكلم منا فيك ونحن جواريك فعند ذلك طرقت برأسها الى الارض فقال لها الجواري ياسيدتي الرأى عندنا ان ترسلي خلفه وتنعمي عليه ولا تدعيه يسأل احدا من اللئام فما امر السؤال فقبلت كلام الجوارى ودعت بدواة وقرطاس وكتبت اليه هذه الابيات:

دنا الوصل يامسرور فابشر بلا مطل اذا اسود جنح الليل فلتأت بالفعل
ولا تسأل الانذال في المال يافتي فقد كنت في سكر وقد رد لي عقلي
فمالك مردود عليك جميعه وزدتك يامسرور من فوقه وصلي
لانك ذو صبر وفيك حلاوة على جور محبوب جفاك بلا عدل

فبادر لتحظى بالمنى ولك الهنا ولا تمطل أهلا فيدرى بنا أهلى
هلم الينا مسرعا غير مبطىء وكل من ثمار الوصل فى غيبة البعل

ثم انها طوت الكتاب وأعطته لجارتها هبوب فأخذته ومضت الى مسرور فوجدته يبكى وينشد قول الشاعر

وهب على قلبى نسيم من الجوى ففتت الاكباد من فرط لوعتى
لقد زاد وجدى بعد بعد أحبتى وفاضت جفونى فى تزايد عبرتى
وعندى من الاوهام ما ان ابح به لصم الحصى والصخر لانت بسرعة
الا ليت شعرى هل أرى ما يسرنى واحظى بما أرجوه من نيل بغيتى
وتطوى ليالى الصد من بعد نشرها وابرأ مما دخل القلب حلت

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٦٩) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مسرورا لما زاد به الهيام صار ينشد الاشعار وهو فى غاية الشوق فبينما هو يترنم بتلك الابيات ويرددها اذ سمعته هبوب فطرقت عليه الباب فقام وفتح لها فدخلت وناولته الكتاب فاخذه وقرأه وقال لها يا هبوب ما وراءك من اخبار سيدتك فقالت له يا سيدى ان فى هذا الكتاب ما يغنى عن رد الجواب وانت من ذوى الالباب ففرح مسرور فرحا شديدا وانشد هذين البيتين

وردالكتاب فسرنا مضمونه وودت انى فى الفؤاد أصونه
وازددت شوقا عند ما قبلته فكانما در الهوى مكنونه

ثم انه كتب كتابا جوابا لها واعطاه لهبوب فاخذته واتت به الى زين المواصف فلما وصلت اليها به صارت تشرح لها محاسنه وتذكر اوصافه وكرمه وصارت مساعدة له على جمع شمله بها فقالت لها زين المواصف يا هبوب انه أبطأ عن الوصول الينا فقالت لها هبوب انه سيأتى سريعا فلم تستتم كلامها واذا به قد اقبل وطرق الباب ففتحت له وأخذته واجلسته عند سيدتها زين المواصف فسلمت عليه ورحبت به واجلسته الى جانبها ثم قالت لجاريتها هبوب هات له بدلة من أحسن ما يكون فقامت هبوب واتت ببدلة مذهبة فاخذتها وافرغتها عليه وافرغت على سيدتها بدلة أيضا من أفخر الملابس ووضعت على رأسها شبيكة من اللؤلؤ الرطب وربطت على الشبيكة عصابة من الديباج مكللة بالدر والجوهر واليواقيت وارخت من تحت العصابة سالفتين ووضعت فى كل سالفة ياقوتة حمراء مرقومة بالذهب الوهاج وارخت شعرها كانه الليل الداج وتبخرت بالعود وتعطرت بالمسك والعنبر فقالت لها جاريتها هبوب الله يحفظك من العين فصارت تمشى وتتبختر فى خطواتها وتنعطف فانشدت الجارية من بديع شعرها هذه الابيات

خجلت غصون البان من خطواتها وسطت على العشاق من لحظاتها
قمر تبدى فى غياهب شعرها كالشمس تشرق فى دجى وفراتها

طوبى لمن باتت تتيه . بحسنها ويموت فيها حالفا بحياتها

فشكرتها زين المواصف ثم أنها اقبلت على مسرور وهى كالبدر المشهور فلما رآها مسرور نهض قائما على قدميه وقال ان صدق قلبي فما هي أنسية وانما هي من عرائس الجنة ثم أنها دعت بالمائدة فحضرت ثم أنهم أكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ورفعت سفرة الطعام وقدموا سفرة المدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الانفاس وملأ الكاس مسرور وقال يامن أنا عبدها وهي سيدتي فقالت يامسرور كل من تمسك بدينه وأكل خبزنا وملحنا وجب حقه علينا فخل عنك هذه الامور وأنا أرد عليك املاكك وجميع ما أخذناه منك فقال ياسيدتي أنت في حل مما تذكرينه وان كنت غدرت في اليمين الذي بيني و بينك فأنا أروح واصير مسلما فقالت جاريتها هبوب ياسيدتي أنت صغيرة السن وتعرفين كثيرا وأنا استشفع عندك بالله العظيم فان لم تطيعيني وتجبري خاطري لا أنام الليلة عندك في الدار فقالت لها ياهبوب لا يكون الا ما تريدينه قومي جددي لنا مجلسا فنهضت الجارية هبوب وجددت مجلسا و زينته وعطرته باحسن العطر كما تحب وتختار وجهزت الطعام واحضرت المدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الانفاس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٩٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان زين المواصف لما أمرت جاريتها هبوب بتجديد مجلس الانس قامت وجددت الطعام والمدام ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الانفاس فقالت زين المواصف يامسرور قد آن أوان اللقاء والتداني فان كنت لحبنا تعاني فانشدنا شعرا بديع المعاني فانشد مسرور هذه القصيدة

أسرت وفي قلبي لهيب تضرما ... بحبل وصال في الفراق تصرما
وحب فتاة قد قلبي قدها ... وقد سلبت عقلي بخد تنعما
لها الحاجب المقرون والطرف أحور ... وثغر يحاكي البرق حين تبسما
لها من سنين العمر عشر وأربع ... ودمعي حكى في حب هاتيك عندما
فعاينتها ما بين نهر وروضة ... بوجه يفوق البدر في افق السما
وقفت لها شبه الاسير مهابة ... وقلت سلام الله ياساكن الحمى
فردت سلامي عند ذلك رغبة ... بلطف حديث مثل در تنظما
وحين رأت قولي لديها تحققت ... مرامي وصار القلب منها مصمما
وقالت أما هذا الكلام جهالة ... فقلت لها كفي عن الصب لوما
فان تقبليني اليوم فالخطب هين ... فمثلك معشوقا ومثلي متيما
فلما رأت مني المرام تبسمت ... وقالت ورب خالق الارض والسما
يهودية أقسى اليهود دينها ... وما أنت الا للنصارى ملازما
فكيف تري وصلي ولست بملتي ... فان تبع هذا الفعل تصبح نادما

وتلعب بالدينين هل حل فى الهوى ويصبح مثلى بالملام مكلما
وتهوى به الاديان في كل وجهة وتبقى على دينى ودينك محرما
وتحلف بالانجيل قولا محققا لتحفظ سرى فى هواك وتكتما
واحلف بالتوراة إيمان صادق بانى على العهد الذى قد تقدما
حلفت على دينى وشرعى ومذهبى وحلفتها مثلى يمينا معظما
وقلت لها ماالاسم ياغاية المنى فقالت أنازين المواصف فى الحما
فناديت يازين المواصف اننى بحبك مشغوف الفؤاد متيما
وعاينت من تحت اللثام جمالها فصرت كئيب القلب والحال مغرما
فازلت تحت الستر أخضع شاكيا كثير غرام فى الفؤاد تحكما
فلمارأت حالى وفرط تولهى جالت لى وجها ضاحكا متبسما
وهب لنا ريح الوصال وعرت نوافج عطر المسك جيدا ومعصما
وقدعبقت منها الاماكن كلها وقبلت من فيها رحيقا ومبتسما
ومالت كغصن البان تحت غلائل وحللت وصلا كان قبل محرما
وبتنا بجمع الشمل والشمل جامع بضم ولثم وارتشاف من اللمي
وماز ينة الدنيا سوى من تحبه يكون قريبا منك كى تتحكما
فلما تجلى الصبح قامت وودعت بوجه جميل فائق قمر السما
وقدا نشدت عند الوداع ودمعها على الخد منثورا وبعضها منظما
فلم أنسى عهد الله ماعشت فى الورى وحسن الليالى واليمين المعظما

وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٩٤) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان مسرورا لما انشد القصيدة المذكورة وسمعتها زين المواصف اطربت وقالت له يامسرور ما أحسن معانيك ولا عاش من يعاديك ثم دخلت المقصورة ودعت بمسرور فدخل عندها واحتضنها وعانقها وقبلها وبلغ منها ماظن أنه محال وفرح بمانال من طيب الوصال فعند ذلك قالت له زين المواصف يامسرور ان مالك حرام علينا حلال لك لاننا قد صرنا أحبابا ثم أنها ردت عليه جميع ما أخذته من الاموال وقالت له يامسرور هل لك من روضة نأتى اليها ونتفرج عليها قال نعم لى روضة ليس لها نظير ثم مضى الى منزله وأمر جواريه ان يصنعن طعاما فاخرا وان يهيئن مجلسا حسنا وصحبة عظيمة ثم أنه دعاها الى منزله فحضرت هى وجواريها فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ودار بينهم الكاس والطاس وطابت لهم الانفاس وخلا كل حبيب بحبيبه فقالت يامسرور انه خطر ببالى شعر رقيق أريد أن أقوله على العود فقال لها قوليه فاخذت العود بيدها وأصلحت شأنه وحركت أوتاره وحسنت النغمات وانشدت تقول هذه الابيات

قد مال بى طرب من الاوتار وصفا الصبوح لنا لدى الاسحار
والحب يكشف عن فؤاد متيم فبدا الهوى بهتك الاستار
مع خمرة رقت بحسن صفاتها كالشمس تجلى فى يد الاقمار
فى ليلة جاءت لنا بسرورها تمحو بصفو شائب الاكدار

فلما فرغت من شعرها قالت يامسرور أنشد ناشيئا من أشعارك ومتعنا بفواكه اثمارك فانشد هذين البيتين

طربنا على بدر يدير مدامة ونغمة عود فى رياض مقامنا
وغنت قماريها ومالت غصونها سخيرا وفى انحائها غاية المنى

فلما فرغ من شعره قالت له زين المواصف انشد لنا شعرا فيما وقع لنا ان كنت مشغولا بحبنا
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٩٥) قالت بلغنى الملك السعيد ان زين المواصف قالت لمسرور ان كنت مشغولا بحبنا فانشد لنا شعرا فيما وقع لنا فقال حبا وكرامة وانشد هذه القصيدة

قف واستمع ماجرالى فى حب هذا الغزالى ريم رمانى بنبل ولحظه قد غزالى
فتنت عشقا وانى فى الحب ضاق احتيالى هويت ذات دلال محجوبة بالنصال
أبصرتها وسط روض وقدها ذو اعتدال سلمت قالت سلاما لما صغت لمقالى
سألت ما الاسم قالت اسمى وفاق جمالى سميت زين المواصف فقلت رقى لحالى
فان عندى غراما هيهات صب مثالى قالت فان كنت تهوى وطامعا فى وصالى
أريد مالا جزيلا يفوق كل نوال أريد منك ثيابا من الحرير الغوالى
وربع قنطار مسك برسم ليل وصالى ولؤلؤ وعقيقا من النفيس الغالى
فضة وتضار من الحلى الحوالى أظهرت صبرا جميلا على عظيم اشتغالى
فانعمت لى بوصل فياله من وصال ان لامنى الغير فيها أقول يا للرجال
لها شعور طوال واللون لون الليالى وخدها فيه ورد مثل اللظى فى اشتعال
وجفنها فيه سيف ولحظها كالنبال وثغرها فيه خمر وريقها كالزلال
كانه عقد در حوى نظام اللآلى وجيدها جيد ظبى مليحة فى كمال
وصدها كرخام ونهدها كالقلال وبطنها فيه طى معطر بالغوالى
تحت ذلك شيء له انتهت آمالى مربرب وسمين مكلثم يا موالى
كانه تخت ملك عليه أعرض حالى بين العمودين تلقى مصاطبا بتعالى
لكنه فيه وصف يدهى عقول الرجال له شفاه كبار ونفرة كالبغال
يبدو بحمرة عين ومشفر كالجمال اذا أتيت اليه بهمة فى الفعال
تلقاه حر الملاقى بقوة واحتفال يرد كل شجاع عطول عزم القتال

وتارة ۞ تلقاه بلحية في مطال ينبيك عنه مليح ذو بهجة وجمال
كمثل زين المواصف مليحة في الكمال أتيت ليلا اليها ونلت شيئا حلالي
وليلة بت معها فاقت جميع الليالي لما أتى الصبح قامت ووجهها كالهلال
تهز منها قواما هز الرماح العوالي وودعتني وقالت متى تعود الليالي
فقلت يا نور عيني اذا أردت تعالي

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٩٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان مسرور لما انتهى من انشاده القصيدة طربت زين المواصف طربا عظيما وحصل لها غاية الانشراح وقالت يامسرور قد دنا الصباح ولم يبق الا الرواح خوفا من الافتضاح فقال حبا وكرامة ثم نهض قائما على قدميه وأتى بها الى أن أوصلها الى منزلها ومضى الى محله وبات يتفكر في محاسنها فلما أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح هيأ لها هدية فاخرة وأتى بها اليها وجلس عندها وأقام على ذلك مدة أيام وهما في أرغد عيش واهناه ثم أنه ورد عليها في بعض الايام كتاب من عند زوجها مضمونه انه يصل اليها عن قريب فقالت في نفسها الا سلمه الله ولا حياه لانه ان وصل الينا تكدر علينا عيشنا ياليتني كنت يئست منه فلما أتى اليها مسرور وجلس يتحدث معها على العادة فقالت له يامسرور قد ورد علينا كتابا من عند زوجي مضمونه أنه يصل الينا من سفره عن قريب فكيف يكون العمل ومالاحد منا عن صاحبه صبر فقال لها لست أدري مايكون بل أنت أخبر وادرى باخلاق زوجك ولاسيما أنت من أعقل النساء صاحبة الحيل التي تحتال بشيء تعجز عن مثله الرجال فقالت انه رجل صعب وله غيرة على أهل بيته ولكن اذا قدم من سفره وسمعت بقدومه فاقدم عليه وسلم واجلس الى جانبه وقل له ياأخي أنا رجل عطار واشتر منه شيأ من أنواع العطارة وتردد عليه مرارا واطل معه الكلام ومهما أمرك به فلا تخالفه فيه فلعل ما احتال به يكون مصادفا فقال لها سمعا وطاعة وخرج مسرور من عندها وقد اشتعلت في قلبه نار المحبة فلما وصل زوجها الى الدار فرحت بوصوله ورحبت به وسلمت عليه فنظر في وجهها فرأى فيه لون الاصفرار وكانت غسلت وجهها بالزعفران وعملت فيه بعض حيل النساء فسألها عن حالها فذكرت له أنها مريضة من وقت ماسافر هي والجواري وقالت له ان قلوبنا مشغولة عليك لطول غيابك وصارت تشكو اليه مشقة الفراق وتبكي بدمع مهراق وتقول لو كان معك رفيق ما احمل قلبي هذا الهم كله فبالله عليك ياسيدي مابقيت تسافر الا برفيق ولا تقطع عني أخبارك لاجل أن اكون مطمئنة القلب والخاطر عليك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٩٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان زين المواصف لما قالت لزوجها لا تسافر الا برفيق ولا تقطع عني أخبارك لأجل ان اكون مطمئنة القلب والخاطر عليك قال لها حبا وكرامة والله ان امرك رشيد ورأيك سديد وحياتك على قلبي ما يكون الا ماتريدينه ثم انه خرج بشيء من بضاعته الى دكانه وفتحها وجلس يبيع في السوق فبينما هو في دكانه واذا بمسرور اقبل وسلم

عليه وجلس الى جانبه وصار يحييه ومكث يتحدث معه ساعة ثم اخرج كيسا وحله واخرج منه ذهبا ودفعه الى زوج زين المواصف وقال له اعطني بهذه الدنانير شيء من انواع العطارة لابيعه فى دكانى فقال له سمعا وطاعة ثم اعطاه الذى طلبه وصار مسرور يتردد عليه اياما فالتفت اليه زوج زين المواصف وقال له انا مرادى رجل اشاركه فى المتجر فقال له مسرور وانا الآخر مرادى رجل اشاركه فى المتجر لان أبى كان تاجرا فى اليمن وخلف مالا عظيما وانا خائف على ذهابه فالتفت اليه زوج زين المواصف وقال له هل لك ان تكون رفيقا لى وصاحبا وصديقا فى السفر والحضر واعلمك البيع والشراء والاخذ والعطاء فقال له مسرور ومرحبا وكرامة ثم انه اخذه واتى به الى منزله واجلسه فى الدهليز ودخل الى زوجته زين المواصف وقال لها انى رافقت رفيقا ودعوته الى الضيافة فجهزى لنا ضيافة حسنة ففرحت زين المواصف وعرفت انه مسرور فجهزت وليمة فاخرة وصنعت طعاما حسنا من فرحتها بمسرور وحيث تم تدبيرحيلتها فلما حضر مسرور فى دار زوج زين المواصف قال اخرجى معى اليه ورحبى به وقولى له آنستنا فغضبت زين المواصف وقالت تحضرنى قدام رجل غريب أجنبى أعوذ بالله ولو قطعتنى قطعا ما أحضر قدامه فقال لها زوجها لاى شيء تستحين منه وهو نصرانى ونحن يهود ونصير أصحابا فقالت انا ما اشتهى ان احضر قدام الرجل الاجنبى الذى ما نظرته عينى قط ولا أعرفه فظن زوجها انها صادقة فى قولها ولم يزل يعالجها حتى قامت وتلفلفت واخذت الطعام وخرجت الى مسرور ورحبت به فأطرق رأسه الى الارض كأنه مستح فنظر الرجل الى اطراقه وقال لاشك ان هذا زاهد فأكلوا كفايتهم ثم رفعوا الطعام وقدموا المدام فجلست زين المواصف قبال مسرور وصارت تنظره وينظرها الى ان مضى النهار فانصرف مسرور الى منزله والتهبت فى قلبه النار واما زوج زين المواصف فانه صار مفتكرا فى لطف صاحبه وفى حسنه فلما أقبل الليل قدمت اليه زوجته طعاما ليتعشى كعادته وكان عنده فى الدار طير هزار اذا جلس يأكل يأتى اليه ذلك الطير يأكل معه ويرفرف على راسه وكان ذلك الطير قد الف مسرورا فصار يرفرف عليه كلما جلس على الطعام فحين غاب مسرور وحضر صاحبه لم يعرفه ولم يقرب منه فصار مفتكرا فى امر ذلك الطير وفى بعده عنه واما زين المواصف فانها لم تنم بل صار قلبها مشغولا بمسرور واستمر ذلك الامر الى ثانى ليلة وثالث ليلة ففهم اليهودى امرها ونقد عليها وهى مشغولة البال فانكر عليها وفى رابع ليلة انتبه من منامه نصف الليل فسمع زوجته تلهج فى منامها بذكر مسرور وهى نائمة فى حضنه فأنكر ذلك عليها وكتم امره فلما اصبح الصباح ذهب الى دكانه وجلس فيها فبينما هو جالس واذا بمسرور قد اقبل وسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحبا يا اخى ثم قال انى مشتاق اليك وجلس يتحدث معه ساعة زمانية وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٧٩٨) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن مسرورا جلس مع اليهودى ساعة ثم قال له اليهودى قم يا اخى الى منزلى حتى نعقد المؤاخاة فقال مسرور ومرحبا وكرامة فلما وصلا الى المنزل تقدم اليهودى واخبر زوجته بقدوم مسرور وانه يريد ان يتجر هو واياه ويؤاخيه وقال لها هيئى لنا

مجلسا حسنا ولا بد انك تحضرين معنا وتنظرين المؤاخاة فقالت له بالله عليك لا تحضرني قدام هذا الرجل الغريب فمالي غرض ان احضر قدامه فسكت عنها وامر الجواري ان يقدمن الطعام والشراب ثم انه استدعى بالطير الهزاز فنزل في حجا مسرور ولم يعرف صاحبه فعند ذلك قال له ياسيدي ما اسمك قال اسمي مسرور والحال ان زوجته طول الليل تلهج في منامها بهذا الاسم ثم رفع راسه فنظرها وهي تشير اليه وتغمزه بحاجبها فعرف ان الحيلة قد تمت اليه فقال ياسيدي امهلني حتى اجيء باولاد عمي يحضرون المؤاخاه فقال له مسرور افعل ما بدا لك فقام زوج زين المواصف وخرج من



﴿اليهودي وهو يتجسس على زوجته ومسرور وينظر ما يفعلانه من طاقة خلف المجلس﴾

المجلس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧٩٩) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زوج زين المواصف قال لمسرور امهلني حتى اجيء باولاد عمي ليحضروا واعقد المؤاخاه بيني وبينك ثم مشى وجاء من وراء المجلس ووقف وكان هنالك طاقة تشرف عليهما فجاء اليها وصار ينظرهما منها وهما لا ينظرانه واذا بزين المواصف قالت لجاريتها سكوب ابن راح سيدك قالت لي خارج الدار فقالت لها اغلقي الباب ومكنيه بالحديد ولا تفتحي له

حتى يدق الباب بعد ان تخبريني قالت لها الجارية وهو كذلك كل ذلك وزوجها يعاين حالهم ثم انه زين المواصف اخذت الكأس وطيبته بماء الورد وسحيق المسك وجاءت الى مسرور فقام لها وتلقاها وقال لها والله ان ريقك احلى من الشراب وصارت تسقيه و يسقيها وبعد ذلك رشته بماء الورد من فوقه الى قدمه حتى فاحت رائحته في المجلس كل ذلك وزوجها ينظر اليهما ويتعجب من شدة الحب الذى بينهما وقد امتلأ قلبه غيظا مما قد رآه ولحقه الغضب وغار غيرة عظيمة فأتى الى الباب فوجده مغلقا فطرقه طرقا قويا من شدة غيظه فقالت الجارية ياسيدتى قد جاء سيدى فقالت افتحى له الباب فلا رده الله بسلامة فمضت سكوب الى الباب وفتحته فقال له مالك تغلقين الباب قالت هكذا فى غيابك لم يزل مغلقا ولا يفتح ليلا ولا نهارا فقال احسنت فانه يعجبنى ذلك ثم دخل على مسرور وهو يضحك ولكنه كتم امره وقال يامسرور ودعنا من المؤاخاة فى هذا اليوم ونتؤاخى فى يوم آخر غير هذا اليوم فقال سمعا وطاعة افعل ما تريد فعند ذلك مضى مسرور الى منزله وصار زوج زين المواصف مفتكرا فى امره ولا يدرى مايصنع وصار خاطره فى غاية التكدير فقال فى نفسه حتى الهزاز انكرنى والجوارى اغلقت الابواب فى وجهى وملن الى غيرى ثم انه صار من شده قهره يردد انشاد هذه الابيات

لقد عاش مسرور زمانا منعما	بلذة ايام وعيش تصرما
تعاندنى الايام فيمن احبه	وقلبى بنيران يزيد تضرما
صفالك دهر بالمليحة قد مضى	ولازلت فى ذاك الجمال مهيما
لقد عاينت عينى حسن جمالها	فاصبح قلبى فى هواها متيما
لقد طالما ارشفتنى مع الرضا	بعذب ثناياها رحيقا على ظما
فمالك ياطير الهزار تركتنى	وصرت لغيرى فى الغرام مسلما
وقد ابصرت عينى امورا عجيبة	تنبه اجفانى اذا كن نوما
رأيت حبيبى قد اضاع مودتى	وطير هزارى لم يكن لى محوما
وحق اله العالمين الذى اذا	اراد قضاء فى الخليقة ابرما
لافعل مايستوجب الظالم الذى	بجهل دنا من وصلها وتقدما

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٠٠) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن مسرورا لما انشد الابيات المذكوره وسمعت زين المواصف شعره ارتعدت فرائصها واصفر لونها وقالت لجاريتها هل سمعت هذا الشعر فقالت الجارية ماسمعته فى عمرى قال مثل هذا الشعر ولكن دعيه يقول مايقول فلما تحقق زوجها ان هذا الامر صحيح صار يبيع فى كل ماتملكه يده وقال فى نفسه ان لم اغربها عن اوطانها لم يرجعا عما هما فيه أبدا فلما باع جميع أملاكه كتب كتابا مزورا ثم قرأه عليها وادعى ان هذا الكتاب جاء من عند أولاد عمه يتضمن طلب زيارته لهم هو وزوجته فقالت وكم نقيم عندهم قال اثنى عشر يوما فاجابته الى ذلك

وقالت له هل احد معى بعض جوارى قال خذى منهن هبوب وسكوب ودعى هنا خطوب ثم هيأ لهن هودجا مليحا وعزم على الرحيل بهن فأرسلت زين المواصف الى مسرور ان فات الميعاد الذى بيننا ولم نأت فاعلم انه قد عمل علينا حيلة ودبر لنا مكيدة وابعدنا عن بعضنا فلا تنس العهود والمواثيق التى بيننا فانى اخاف من حيله ومكره ثم ان زوجها جهز حاله للسفر واما زين المواصف فانها صارت تبكى وتنتحب ولا يقر لها قرار فى ليل ولا نهار فلما راى زوجها ذلك لم ينكر عليها فلما رات زين المواصف ان زوجها لا بدله من السفر لمت قماشها ومتاعها واودعت جميع ذلك عند اختها واخبرتها بما جرى لها وودعتها وخرجت من عندها وهى تبكى ثم رجعت الى بيتها فرات زوجها قد احضر الجمال وصار يضع عليها الاحمال وهيأ لزين المواصف احسن الجمال فلما رأت زين المواصف انه لا بدمن فراقها لمسرور تحيرت فاتفق ان زوجها خرج لبعض اشغاله فخرجت الى الباب الاول وكتبت عليه هذه الابيات . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٠١) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زين المواصف لما رات زوجها احضر لها الجمال وعلمت بالسفر تحيرت فاتفق ان زوجها خرج لبعض اشغاله فخرجت الى الباب الاول وكتبت هذه الابيات

الا ياحمام الدار بلغ سلامنا ... من الصب للمحبوب عند فراقنا
وبلغه انى لا ازال حزينة ... وندمى على ما كان من طيب وقتنا
كما ان حبى لا يزال متيما ... حزينا على ماقد مضى من سرورنا
قضينا زمانا بالمسرة والهنا ... وفزنا بوصل ليلنا ونهارنا
فلم نستفق الا واصبح صائحا ... علينا غراب البين ينعى فراقنا
رحلنا وخلينا الديار بلاقعا ... فيا ليتنا لم نخل تلك المساكنا

ثم اتت الباب الثانى وكتبت عليه هذه الابيات

أيا واصلا للباب بالله فانظرا ... جمال حبيبى فى الدياجى واخبرا
بانى أبكى ان تذكرت وصله ... ولا ينفد الدمع الذى بالبكا جرى
فان لم تجد صبرا على ما اصابنا ... فضع فوق راسك من تراب وغبرا
وسافر الى شرق البلاد وغربها ... وعش صابرا فالله للامر قدرا

ثم أتت الباب الثالث وبكت بكاء شديدا وكتبت عليه هذه الابيات

رويدك يامسرور ان زرت دارها ... فمر على الابواب واقرأ سطورها
ولا تنس عهد الود ان كنت صادقا ... فكم طعمت حلو الليالى ومرها
فبالله يامسرور لا تنس قربها ... فقد تركت فيك الهنا وسرورها
الا فابك أيام الوصال وطيبها ... وانت متى ماجئت أرخت ستورها
فسافر قصيات البلاد لاجلنا ... وخض بحارها واستقص عنا برورها

لقد ذهبت عنا ليالي وصالنا   وفرط ظلام الهجر اطفأ نورها
رعي الله أياما مضت ما اسرها   بروض الاماني اذ قطفنا زهورها
فهلا استمرت مثل ما كنت ارتجي   ابى الله الا وردها وصدورها
فهل ترجع الايام تجمع شملنا   واوفي اذا وافت لربي نذورها
وكن عالما ان الامور بكف من   يخط على لوح الجبين سطورها

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٠٢) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن زين المواصف لما كتبت على الباب الثالث الابيات المذكورة حضرت بين يدي زوجها فحملها على الهودج الذي صنعه لها فلما ان صارت على ظهر البعير أنشدت هذه الابيات

عليك سلام الله يا منزلا خلا   وقد طالما زدنا هناك تجملا
فليت زماني في ذراك تصرمت   لياليه حتى في الصبابة أقتلا
جزعت على بعدي وشوقي لموطن   شغفت به ولم أدر ما قد تحصلا
فياليت شعري هل أري فيه عودة   تروق كما راقت لنا فيه أولا

فقال لها زوجها يا زين المواصف لا تحزني على فراق منزلك فانك تعودين اليه عن قريب وصار يطيب خاطرها ويلاطفها ثم ساروا حتى خرجوا إلى ظاهر البلد واستقبلوا الطريق وعلمت بان الفراق قد تحقق فعظم ذلك عليها كل هذا ومسرور قاعد في منزله متفكر في أمره وأمر محبوبته ناحس قلبه بالفراق فنهض قائما على قدميه من وقته وساعته وسار حتى جاء الى منزلها فرأى الباب مقفولا ورأى الابيات التي كتبتها زين المواصف فقرأها على الباب الاول فلما قرأه وقع في الارض مغشيا عليه ثم أفاق من غشيته وفتح الباب الاول ودخل الى الباب الثاني فرأى ما كتبته وكذلك الثالث فلما قرأ على جميع هذه الكتابة زاد به الغرام والشوق والهيام فخرج في أثرها يسرع في خطاه حتى لحق بالركب فرآها في آخره وزوجها في أوله لاجل حوائجه فلما رآها تعلق بالهودج باكيا حزينا من ألم الفراق وأنشد هذه الابيات

ليت شعري باي ذنب رمينا   بسهام الصدود طول السنينا
يا مني القلب جئت للدار يوما   عندما زدت في هواك شجونا
فرأيت الديار قفرا بباب   فشكوت النوى وزدت أنينا
وسألت الجدار عن كل قصدي   اين راحوا وصار قلبي رهينا
قال ساروا عن المنازل حتى   صيروا الوجد في الفؤاد كمينا
كتبت لي على الجدار سطورا   فعل أهل الوفى من العالمينا

فلما سمعت زين المواصف هذا الشعر علمت انه مسرور وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٠٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زين المواصف لما سمعت منه هذا الشعر علمت أنه مسرور فبكت هي وجواريها ثم قالت له يا مسرور سألتك بالله ان ترجع عنا لئلا يراك زوجي فلما سمع مسرور ذلك غشي عليه فلما أفاق ودعا بعضهما وأنشد هذه الابيات

نادى الرحيل سحيرا في الدجى الهادي قبل الصباح وهبت نسمة النادي

شدوا المطايا وجدوا في ترحلهم واسرع الركب لما زمزم الحادي

وعطروا أرضهم في كل ناحية وعجلوا سيرهم في ذلك الوادي

تملكوا مهجتي عشقا وقد رحلوا وغادروني على آثارهم غادي

ياجيرة مقصدي ان لا أفارقهم حتى بللت الثرى من دمعي الغادي

ياويح قلبي بعد البعد ما صنعت يد الفراق على رغمي باكبادي

ومازال مسرور ملازما للركب وهو يبكي وينتحب وهي تستعطفه في أن يرجع قبل الصباح خشية من الافتضاح فتقدم الى الهودج وودعها ثانى مرة وغشى عليه ساعة زمانية فلما أفاق وجدهم سائرين فعند ذلك رجع مسرور الى دار زين المواصف وهو في غاية الاشتياق فرآها خالية من الاصحاب موحشة من الاحباب فبكى حتى بل الثياب وغشى عليه وكادت ان تخرج روحه من جسده وقد غشى عليه ساعة من الزمان فلما أفاق قام وتوجه الى منزله وصار متحيرا من أجل ذلك باكي العين ولم يزل على هذا الحال مدة عشرة أيام هذا ما كان من أمر مسرور (وأما) ما كان من أمر زين المواصف فانها عرفت ان الحيلة قد تمت عليها فان زوجها مازال سائرا بها مدة عشرة ايام ثم أنزلها في بعض المدن فكتبت زين المواصف كتابا لمسرور وناولته لجاريتها هبوب وقالت ارسلي هذا الكتاب الى مسرور ليعرف كيف تمت الحيلة علينا وكيف غدر بنا اليهودي فاخذت الجارية منها الكتاب وارسلته الى مسرور فلما وصل اليه عظم عليه هذا الخطاب فبكى حتى بل التراب وكتب كتابا وأرسله الى زين المواصف وختمه بهذين البيتين

كيف الطريق الى أبواب سلوان وكيف يسلوا الذى في حر نيران

ما كان أطيب أوقاتا لهم سلفت فليت منها لدينا بعض أحيان

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٠٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان مسرور كتب الكتاب وارسله الى زين المواصف فلما وصل اليها أخذته وقرأته وأعطته لجاريتها هبوب وقالت لها اكتمي خبره فعلم زوجها انهما يتراسلان فاخذ زين المواصف وجواريها وسافر بهن مسافة عشرين يوما ثم نزل بهن في بعض المدن هذا ما كان من أمر زين المواصف (وأما) ما كان من أمر مسرور فانه صار لا يهنأ له نوم ولا يقر له قرار ولم يكن له اصطبار ولم يزل كذلك اذ هجعت عيناه في بعض الليالي فرأى في منامه ان زين المواصف قد جاءت اليه في الروضة وصارت تعانقه فانتبه من نومه فلم يرها فطار عقله ودهل لبه وهملت عيناه بالدموع وقد أصبح قلبه في غاية الوله فانشد هذه الابيات

سلام على من زار فى النوم طيفها ... فهيج أشواقى وزاد هيامى
وقد قمت من ذاك المنام مولعا ... برؤية طيف زارنى بمنامى
فهل تصدق الاحلام فيمن أحبه ... وتشفى غليلى فى الهوى وسقامى
فطورا تعاطينى وطورا تضمنى ... وطورا تواسينى بطيب كلام
ولما انقضى فى المنام عتابنا ... وصارت عيونى بالدموع دوامى
رشفت رضابا من لماها كانه ... رحيق ارى رياه مسك ختام
عجبت لما قد كان فى النوم بيننا ... وقد نلت منها منيتى ومرامى
وقد قمت من ذاك المنام ولم أجد ... من الطيف الا لوعتى وغرامى
فاصبحت كالمجنون حين رأيتها ... وأمسيت سكرانا بغير مدام

فبكى مسرور بكاء شديدا لما سمع هذا الكلام وفهم الشعر والنظام وكانت أختها تعرف ماجاء عليه من العشق والغرام والوجد والهيام فقالت له بالله عليك يامسرور كف عن هذا المنزل لئلا يشعر أحد فيظن انك تأتى من أجلى لانك رحلت أختى وتريد أن ترحلنى أنا الاخرى وأنت تعرف لولا أنت ماخلت الدار من سكانها فتسل عنها واتركها فقد مضى ما مضى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٠٥) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان أخت زين المواصف قالت له قد مضى مامضى فلما سمع مسرور ذلك من أختها بكى بكاء شديدا وقال لها يانسيم لو قدرت ان أطير شوقا اليها فكيف أتسلى عنها فقالت مالك حيلة الا الصبر فقال لها سألتك بالله ان تكتبى لها كتابا من عندك وتردى لنا جوابا ليطيب خاطرى وتنطفى النار التى فى ضمائرى فقالت حبا وكرامة ثم أخذت دواة وقرطاسا وصار مسرور يصف لها شدة شوقه وما يكابده من ألم الفراق ويقول ان هذا الكتاب عن لسان الهائم الحزين المفارق المسكين الذى لا يقر له قرار فى ليل ولا فى نهار بل يبكى بدموع غزار قد قرحت الدموع أجفانه واضرمت فى كبده أحزانه وطال تأسفه وكثر تلهفه مثل طير فقد الفه وعجل تلفه فيا اسفى من مفارقتك و يالهفى على معاشرتك لقد ضر جسمى النحول ودمعى صار فى همول وضاقت على الجبال والسهول فامسيت من فرط وجدى أقول

وجدى على تلك المنازل باقى ... زادت الى سكانها أشواقى
وبعثت نحوكم حديث صبابتى ... وبكاس حبكم سقانى الساقى
وعلى رحيلكم وبعد دياركم ... جرت الجفون بدمعه المهراق
ياحادى الاظعان عرج بالحمى ... فالقلب منى زائد الاحراق
واقرأ سلامى للحبيب وقل له ... ما ان له غير اللمى من راقى
أودى الزمان به فشتت شمله ... ورمى حشاشته بسهم فراق
بلغ لهم وجدى وشدة لوعتى ... من بعد فرقتهم وما أنا لاقى

قسما بحبكم يمينا انني أوفي لكم بالعهد والميثاق
ماملت قط ولاسلوت هواكم كيف السلو لعاشق مشتاق
وعليكم مني السلام تحية ممزوجة بالمسك في الاوراق

فتعجبت أختها نسيم من فصاحة لسانه وحسن معانيه ورقة أشعاره فرقت له وختمت الكتاب بالمسك الاذفر وبخرته بالند والعنبر واوصلته الى بعض التجار وقالت له لا تسلم هذا الا لاختي أو جاريتها هبوب فقال حبا وكرامة فلما وصل الكتاب الى زين المواصف عرفت أنه من املاء مسرور وعرفت نفسه فيه بلطف معانيه فقبلته ووضعته على عينيها واجرت الدموع من جفنيها ولم تزل تبكي حتى غشي عليها فلما أفاقت دعت بدواة وقرطاس وكتبت له جواب الكتاب ووصفت شوقها وغرامها ووجدها وماهي فيه من الحنين الى الاحباب وشكت حالها اليه وماناها من الوجد عليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٠٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان زين المواصف لما كتبت جواب الكتاب لمسرور قالت له فيه ان هذا كتاب الى سيدي ومالك رقي ومولاي وصاحب سري ونجواي أما بعد فقد أقلقني السهر وزاد بي الفكر ومالي على بعدك مصطبر يامن حسنه يفوق الشمس والقمر فالشوق أقلقني والوجد أهلكني وكيف لا اكون كذلك وأنا مع الهالكين فيابهجة الدنيا وزينة الاحياء هل لمن انقطعت أنفاسه ان يطيب كاسه لا هو مع الاحياء ولا مع الاموات ثم أنشدت هذه الابيات

كتابك يامسرور قد هيج البلوى فوالله مالي عنك صبر ولا سلوى
ولما قرأت الخط حنت جوارحي ومن ماء دمعي دائما لم أزل أروى
ولو كنت طيرا طرت في جنح ليلة فلم ادر طعم المن بعدك والسلوى
حرام على العيش من بعد بعدكم فاني على حر التفرق لا اقوى

ثم تربت الكتاب بسحيق المسك والعنبر وختمته وأرسلته مع بعض التجار وقالت له لا تسلمه الا لاختي نسيم فلما وصل الى أختها نسيم أوصلته الى مسرور فقبله ووضعه على عينيه وبكى حتى غشي عليه هذا ماكان من أمرها (وأما) ما كان من أمر زوج زين المواصف فانه لما علم بالمراسلات بينهما صار يرحل بها وبجاريتها من محل الى محل فقالت له زين المواصف سبحان الله الى اين تسير بنا وتبعدنا عن الاوطان قال الى أن أقطع بكم سنة حتى لا يصل اليكن مراسلات من مسرور وانظر كيف أخذتن جميع مالي واعطيتيه لمسرور فكل شيء ضاع لي آخذه منكن وانظر هل ينفعكن مسرور ويقدر على خلاصكن من يدي ثم انه مضى الى الحداد وصنع لهن ثلاثة قيود من الحديد وأتى بها اليهن ونزع ما كان عليهن من الثياب الحرير والبسهن ثيابا من الشعر وصار يبخرهن بالكبريت ثم جاء اليهن بالحداد وقال له ضع هذه القيود في أرجل هؤلاء الجواري فأول ماقدم زين المواصف فلما رآها الحداد غاب صوابه وعض على أنامله وطار عقله من رأسه وزاد غرامه وقال لليهودي ماذنب

هؤلاء الجواري فقال انهن جواري وسرقن مالي وهربن مني فقال له الحداد خيب الله ظنك والله لو كانت هذه الجارية عند قاضي القضاة واذنبت كل يوم الف ذنب لايؤاخذها وايضا لا يظهر عليها علامة السرقة ولا يقدر على وضع الحديد في رجليها ثم سأله ان لا يقيدها وصار يستشفع عنده في عدم تقييدها فلما نظرت الحداد وهو يستشفع لها عنده قالت لليهودي سألتك بالله لا تخرجني قدام هذا الرجل الغريب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٠٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان زين المواصف قالت لليهودي سألتك بالله لا تخرجني قدام هذا الرجل الغريب فقال لها وكيف خرجت قدام مسرور فلم ترد له جوابا ثم قبل شفاعة الحداد ووضع في رجليها قيدا صغيرا وقيد الجواري بالقيود الثقيلة وكان لزين المواصف جسم ناعم لا يتحمل الخشونة فلم تزل لابسة ثياب الشعر هي وجواريها ليلا ونهارا الى أن انتحلت اجسامهن وتغيرت ألوانهن واما الحداد فانه وقع في قلبه لزين المواصف عشق عظيم فسار الى منزله وهو باشد الحسرات وجعل ينشد هذه الابيات

شلت يمينك يا قين بما وثقت تلك القيود على الاقدام والعصب
قيدت أقدام مولاة منعمة أنيسة خلقت من أعجب العجب
لو كنت تنصف ما كانت خلاخلها من الحديد وقد كانت من الذهب
ولو رأى حسنها قاضي القضاة رثي لها واجلسها تيها أعلى الرتب

وكان قاضي القضاة مارا على دار الحداد وهو يترنم بانشاد هذه الابيات فارسل اليه فلما حضر قال يا حداد من هذه التي تلهج بذكرها وقلبك مشغول بحبها فنهض الحداد قائما على قدميه بين يدي القاضي وقبل يده وقال ادام الله أيام مولانا القاضي وفسح في عمره انها جارية صفتها كذا وكذا وصار يصف له الجارية وما هي فيه من الحسن والجمال والقد والاعتدال والظرف والكمال وأنها بوجه جميل وخصر نحيل وردف ثقيل ثم اخبره بما هي فيه من الذل والحبس والقيود وقلة الزاد فقال القاضي يا حداد دلها علينا واوصلها الينا حتى ناخذ لها حقها لان هذه الجارية صارت معلقة برقبتك وان كنت لا تدلنا علينا فان الله يجازيك يوم القيامة فقال الحداد سمعا وطاعة ثم توجه من وقته وساعته الى دار زين المواصف فوجد الباب مغلوقا وسمع كلاما رخيما من كبد حزين لان زين المواصف كانت في ذلك الوقت تنشد هذه الابيات

قد كنت في وطني والشمل مجتمع والحب يملأ لي بالصفو اقداحا
دارت علينا بما نهواه من طرب فليس تنكر امساء واصباحا
لقد قضينا زمانا كان ينعشنا كاسا وعودا وقانونا وافراحا
ففرق الدهر والتصريف الفتنا والحب ولى ووقت الصفو قد راحا
فليت عنا غراب البين منزجر وليت فجر وصالك في الهوى لاحا

فلما سمع الحداد هذا الشعر والنظام بكى بدمع كدمع الغمام ثم طرق الباب عليهن فقلن من

بالباب فقال لهن أنا الحداد ثم أخبرهن بما قاله القاضي وانه يريد حضورهن لديه واقامة الدعوى بين يديه حتى يخلص لهن حقهن. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٠٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الحداد لما أخبر زين المواصف كلام القاضي وانه يريد حضورهن لديه واقامة الدعوة بين يديه ويقتص لهن من غريمهن حتى يخلص لهن حقهن قالت للحداد كيف نروح اليه والباب مغلوق علينا والقيود في أرجلنا والمفاتيح مع اليهودي قال لهن الحداد أنا أعمل للاقفال مفاتيح وافتح بها الباب والقيود فقالت فمن يعرفنا بيت القاضي فقال الحداد أنا أصفه لكن فقالت زين المواصف وكيف نمضي عند القاضي ونحن لابسات ثياب الشعر المبخرة بالكبريت فقال الحداد ان القاضي لا يعيبكن وانتن في هذه الحالة ثم نهض الحداد من وقته وساعته وصنع مفاتيح للاقفال ثم فتح الباب وفتح القيود وحلها من أرجلهن وأخرجهن ودلهن على بيت القاضي ثم ان جاريتها هبوب نزعت ما كان على سيدتها من الثياب الشعر وذهبت بها الى الحمام وغسلتها وألبستها الثياب الحرير فرجع لونها اليها ومن تمام السعادة ان زوجها كان في وليمة عند بعض التجار فتزينت زين المواصف باحسن الزينة ومضت الى بيت القاضي فلما نظر لها القاضي وقف قائما على قدميه فسلمت عليه بعذوبة كلام وحلاوة ألفاظ ورشقته في ضمن ذلك بسهام الالحاظ وقالت له أدام الله مولانا القاضي ثم أخبرته بأمر الحداد وما فعل معها من فعل الاجواد وبما صنع بها زوجها من العذاب الذي يدهش الالباب وأخبرته انه قد زاد بهن الهلاك ولم يجدن لهن من فكاك فقال القاضي يا جارية ما اسمك قالت اسمي زين المواصف وجاريتي هذه اسمها هبوب فقال لها القاضي ان اسمك وافق مسماه وطابق لفظه معناه فتبسمت ولفت وجهها فقال لها القاضي يا زين المواصف ألك بعل أم لا قالت مالي بعل قال وما دينك قالت ديني الاسلام وملة خير الانام فقال لها اقسمي بالشريعة ذات الآيات والعبر انك على ملة خير البشر فاقسمت له وتشهدت فقال لها القاضي كيف انقضى شبابك مع هذا اليهودي فقالت له اعلم ايها القاضي ادام الله أيامك بالتراضي وبلغك آمالك وختم بالصالحات أعمالك ان أبي خلف لي بعد وفاته خمسة عشر الف دينار وجعلها في يد هذا اليهودي يتجر فيها والكسب بيننا وبينه ورأس المال ثابت بالبينة الشرعية فعندما مات أبي طمع اليهودي في وطلبني من أمي ليتزوج بي فقالت له امي كيف أخرجها من دينها واجعلها يهودية فوالله لاعرفن الدولة بك فخاف ذلك اليهودي من كلامها وأخذ المال وقرب الى مدينة عدن وعندما سمعنا به انه في مدينة عدن جئنا في طلبه فلما اجتمعنا عليه في تلك المدينة ذكر لنا انه يتاجر في البضائع ويشتري بضاعة بعد بضاعة فصدقناه ولم يزل يخادعنا حتى حبسنا وقيدنا وعذبنا باشد العذاب ونحن غرباء وما لنا معين الا الله تعالى ومولانا القاضي فلما سمع القاضي هذه الحكاية قال لجاريتها هبوب هل هذه سيدتك وانتن غرباء وليس لها بعل قالت نعم قال زوجيني بها وأنا يلزمني العتق والصيام والحج والصدقة ان لم أخلص لكن حقكن من هذا الكلب بعد ان أجازيه بما فعل فقالت هبوب لك السمع والطاعة فقال القاضي روحي طيبي قلبك وقلب سيدتك وفي غد ان شاء الله تعالى ارسل الى هذا الكافر

واخلص لكن حقكن منه وتنظرين العجب في عذابه فدعت له الجارية وانصرفت من عنده وخلته في كرب وهيام وشوق وغرام وبعد ان انصرفت من عنده هي وسيدتها سألتا عن دار القاضي الثاني فدلوهما عليه فلما حضرتا لديه أعلمتاه بذلك وكذلك الثالث والرابع حتى رفعت أمرها الى القضاة الاربعة وكل واحد يسألها ان تتزوج به فتقول له نعم ولم يعرف بعضهم خبر بعض فصار كل واحد يطمع فيها ولم يعلم اليهودي بشيء من ذلك لانه كان في دار الوليمة فلما أصبح الصباح نهضت جاريتها وافرغت عليها حلة من أفخر الملابس ودخلت بها على القضاة الاربعة في مجلس الحكم فلما رأت القضاة حاضرين اسفرت عن وجهها ورفعت قناعها وسلمت عليهم فردوا عليها السلام وعرفها كل واحد منهم وكان بعضهم يكتب فوقع القلم من يده وبعضهم كان يتحدث فتلجلج لسانه وبعضهم كان يحسب فغلط في حسابه فعند ذلك قالوا لها يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال لا يكن قلبك الا طيبا فلا بد من ان نخلص لك حقك وتبلغك مرادك فدعت لهم ثم ودعتهم وانصرفت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

(وفي ليلة ٨٠٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان القضاة قالوا لزين المواصف يا ظريفة الخصال وبديعة الجمال لا يكن قلبك الا طيبا بقضاء غرضك وبلوغ مرادك فدعت لهم ثم ودعتهم وانصرفت هذا ما كان من اليهودي فانه بات عند أصحابه في الوليمة وليس له علم بذلك وصارت زين المواصف تدعوا ولاة الحكم أرباب الاقلام لينصروها على هذا الكافر المرتاب ويخلصوها من أليم العذاب ثم انها كتبت كتابا يتضمن جميع ما عمله معها اليهودي من الاول الى الآخر وسطرت فيه الاشعار ثم طوت الكتاب وناولته لجاريتها هبوب وقالت لها احفظي هذا الكتاب في جيبك حتى نرسله الى مسرور فبينما هما كذلك واذا باليهودي قد دخل عليهما فرآهما فرحانتين فقال مالي أراكما فرحانتين هل جاءكما كتاب من عند صديقكما مسرور فقالت له زين المواصف نحن مالنا معين عليك الا الله سبحانه وتعالى فانه هو الذي يخلصنا من جورك وان لم تردنا الى بلادنا وأوطاننا فنحن في غد نترافع اياك الى حاكم هذه المدينة وقاضيها فقال اليهودي ومن خلص القيود من أرجلكما ولكن لا بد أن أصنع لكل واحدة منكن قيدا قدر عشرة أرطال وأطوف بكن حول المدينة فقالت له هبوب جميع ما نويته لنا تقع فيه ان شاء الله تعالى بعد تغربنا عن أوطاننا وفي غد نقف واياك قدام حاكم المدينة واستمروا على ذلك الى الصباح ثم نهض اليهودي وجاء الى الحداد ليصنع قيودا لهن فعند ذلك قامت زين المواصف هي وجواريها وأتت الى دار الحكم ودخلت فرأت القضاة فسلمت عليهم فرد عليها جميع القضاة السلام ثم قال قاضي القضاة لمن حوله ان هذه الجارية زهراوية وكل من رآها أحبها وخضع لحسنها وجمالها ثم ان القاضي أرسل معها من الرسل أربعة وكانوا أشرافا وقال لهم احضروا غريمها في أسوأ حال هذا ما كان من أمرها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨١٠) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القاضي ارسل مع زين المواصف اربعة وقال لهم احضروا غريمها في اسوأ حال هذا ما كان من امرها (واما) ما كان من امر اليهودي فانه لما صنع لهن القيود

توجه الى المنزل فلم يجدهن فيه فاحتار في امره فبينما هو كذلك واذا بالرسل قد تعلقوا به وضربوه ضربا شديدا وجروه سحبا على وجهه حتى اتوا به الى القاضي فلما رآه القاضي صرخ فى وجهه وقال ويلك ياعدو الله هل وصل من أمرك انك فعلت مافعلت وأبعدت هؤلاء عن أوطانهن وسرقت مالهن وتريد أن تجعلهن يهودا فكيف تريد تكفير المسلمين فقال اليهودي يامولاى ان هذه زوجتي فلما سمع القضاة منه هذا الكلام صاحوا كلهم وقالوا ارموا هذا الكلب على الأرض وانزلوا على وجهه بنعالكم واضربوه ضربا وجيعا فان ذنبه لا يغتفر فنزعوا عنه ثيابه الحرير وألبسوه ثيابا من الشعر والقوه على الارض ونتفوا لحيته وضربوه ضربا وجيعا على وجهه بالنعال ثم أركبوه على حماره وجعلوا وجهه الى كفله وامسكوه ذيل الحمار فى يده وطافوا به حول البلد حتى جرسوه فى سائر البلد ثم عادوا به الى القاضي وهو فى ذل عظيم فحكم عليه القضاة الاربعة بان تقطع يداه ورجلاه و بعد ذلك يصلب فاندهش الملعون من هذا القول وغاب عقله وقال ياسادتى القضاة ماتريدون منى فقالوا له قل ان هذه الجارية ماهي زوجتي وان المال مالها وانا تعديت عليها وشتتها عن اوطانها فأقر بذلك وكتبوا باقراره حجة واخذوا منه المال ودفعوه الى زين المواصف واعطوها الحجة وخرجت فصار كل من رأى حسنها وجمالها متحيرا فى عقله وظن كل واحد من القضاة انها يئول امرها اليه فلما وصلت الى منزلها جهزت امرها من جميع ماتحتاج اليه وصبرت الى ان دخل الليل فأخذت ماخف حمله وغلا ثمنه وسارت هي وجواريها فى ظلام الليل ولم تزل سائرة مسافة ثلاثة ايام بلياليها هذا ما كان من أمر زين المواصف (وأما) ما كان من امر القضاة فانهم بعد ذهابها امروا بحبس اليهودى زوجها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨١٩) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن القضاة امروا بحبس اليهودي زوج زين المواصف فلما اصبح الصباح صار القضاة والشهود ينتظرون ان تحضر عندهم زين المواصف فلم تحضر عند احد منهم ثم ان القاضي الذي ذهبت اليه اولا قال انا اريد اليوم ان اتفرج على خارج المدينة لانى لى حاجة هناك ثم ركب بغلته واخذ غلمانه وصار يطوف ازقة المدينة طولا وعرضا ويفتش على زين المواصف فلم يقع لها على خبر فبينما هو كذلك اذ وجد باقى القضاة دائرين وكل واحد منهم يظن انه ليس بينها وبين غيره ميعاد فسألهم ماسبب ركوبهم ودورانهم فى ازقة المدينة فأخبروه بشأنهم فرأى حالهم كحاله وسؤالهم كسؤاله فصار الجميع يفتشون عليها فلم يقعوا لها على خبر فانصرف كل واحد منهم الى منزله مريضا ورقدوا على فرش الضنى ثم ان قاضي القضاة تذكر الحداد فأرسل اليه فلما حضر بين يديه قال له ياحداد هل تعرف شيأ من خبر الجارية التى دللتنا علينا فوالله ان لم تطلعنى عليها اضربنك بالسياط فلما سمع كلام القاضي انشد هذه الابيات

ان التى ملكتنى فى الهوى ملكت مجامع الحسن حتى لم تدع حسنا
رنت غزالا وفاحت عنبرا وبدت شمسا وماجت غديرا وانثنت غصبا

ثم ان الحداد قال والله يا مولاى من حين انصرفت من الحضرة الشريفة ما نظرتها عيني ابدا وقد سلكت لبي وعقلي وصار فيها حديثي و شغلي وقد مضيت الى منزلها فلم اجدها ولم أر احدا يخبرني عن شأنها فكأنها غطست في قرار الماء او عرج بها الى السماء فلما سمع القاضي كلامه شهق شهقة كادت روحه ان تخرج منه ثم قال والله ما كان لنا حاجة برؤيتها فانصرف الحداد ووقع القاضي على فرشه وصار من اجلها في ضنى وكذا الشهود وباقي القضاة الاربعة وصارت الحكماء تتردد عليهم وما بهم من مرض يحتاج الى الطبيب ثم ان وجهاء الناس دخلوا على القاضي الاول فسلموا عليه واستخبروه عن حاله فتنهد وباح بما في ضميره وبكى بكاء شديدا ثم انه شهق شهقة ففارقت روحه جسده فلما رأوا ذلك غسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه وكتبوا على قبره هذه الابيات

كملت صفات العاشقين لمن غدا في القبر مقتول الحبيب وصده
قد كان هذا للبرية قاضيا ويراعه سجن الحسام بغمده
فقضى عليه الحب لم نر قبله مولى تذلل في الانام لعبده

ثم انهم ترحموا عليه وانصرفوا الى القاضي الثاني ومعهم الطبيب فلم يجدوا به ضررا ولا الما يحتاج الى طبيب فسألوه عن حاله وشغل باله فعرفهم بقضيته فلاموه وعنفوه على تلك الحالة ثم انه شهق شهقة ففارقت روحه جسده فجهزوه ودفنوه وترحموا عليه ثم توجهوا الى القاضي الثالث فوجدوه مريضا وحصل له ما حصل للثاني وكذلك الرابع فوجدوا الجميع مرضى بحبها ووجدوا الشهود ايضا مرضى بحبها فان كل من رآها مات بحبها وان لم يمت يكابد لوعة الغرام . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

(وفي ليلة ٨١٢) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان اهل المدينة وجدوا جميع القضاة والشهود مرضى بحبها فان كل من رآها مات بعشقها وان لم عاش يكابد لوعة الغرام من شدة حبها رحمهم الله اجمعين هذا ما كان من امرهم واما ما كان امر زين المواصف فانها جدت في السير مدة ايام حتى قطعت مسافة بعيدة فاتفق انها خرجت هي وجواريها فمرت على دير في الطريق وفيه راهب كبير اسمه دانس وكان عنده اربعون بطريقا فلما رأى جمال زين المواصف نزل اليها وعزم عليها وقال لها استريحوا عندنا عشرة ايام ثم سافروا فنزلت عنده هي وجواريها في ذلك الدير فلما نزلت ورأى حسنها وجمالها افسدت عقيدته وافتتن بها وسار يرسل اليها مع البطارقة واحدا بعد واحد لاجل ان يؤلفها فصار كل من أرسله اليها يقع في حبها ويراودها عن نفسها له وهي تعتذر وتمتنع ولم يزل دانس يرسل اليها الاربعين بطريقا وكل واحد حين يراها يتعلق بعشقها ويكثر من ملاطفتها ويراودها عن نفسها ولا يذكر لها اسم دانس فتمتنع من ذلك وتجاوبهم بأغلظ جواب فلما فرغ صبر دانس واشتد غرامه قال في نفسه ان صاحب المثل يقول ما حك جسمي غير ظفري ولا سعي في مرامي مثل اقدامي ثم نهض قائما على قدميه وصنع طعاما مفتخرا وحمله ووضعه بين يديها وكان ذلك اليوم التاسع من العشرة ايام التي اتفق معها على اقامتها عنده لاجل الاستراحة فلما وضعه بين يديها قال تفضلي باسم

الله خيرالزادما حصل فمدت يديها وقالت باسم الله الرحمن الرحيم واكلت هي وجواريها فلما فرغت من الاكل قال لها ياسيدتي اريد ان انشدك ابياتا من الشعر فقالت له قل فأنشد هذه الابيات

ملكت قلبي بالحاظ ووجنات ❊ وفي هواك غدا نثري وابياتي

اتتركيني محبا مغرما دنفا ❊ أعالج العشق حتى في المنامات

لاتتركيني صريعا والها فلقد ❊ تركت اشغال ديري بعد لذاتي

ياغادة جوزت في الحب سفك دمي ❊ رفقا بحالي وعطفا في شكاياتي

فلما سمعت زين المواصف شعره اجابته عن شعره بهذين البيتين

ياطالب الوصل لايغررك بي امل ❊ اكفف سؤالك عني ايها الرجل

لاتطمع النفس فيما لست تملكه ❊ ان المطامع مقرون بها الاجل

فلما سمع شعرها رجع الى صومعته وهو مفتكر في نفسه ولم يدركيف يصنع في امرها ثم بات تلك الليلة في أسوء حال فلما جن الليل قامت زين المواصف وقالت لجواريها قوموا بنا فاننا لانقدر على اربعين رجلا رهبانا وكل واحد يراودني عن نفسي فقال لها الجواري حبا وكرامة ثم انهن ركبن دوابهن وخرجن من باب الدير ليلا . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨١٣) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما خرجت هي وجواريها من الدير ليلا لم يزلن سائرات واذاهن بقافلة فاختلطن بها واذا بالقافلة من مدينة عدن التي كانت فيها زين المواصف فسمعت اهل القافلة يتحدثون بخبر زين المواصف ويذكرون ان القضاه والشهود ماتوا في حبها وولى اهل المدينة قضاة وشهودا غيرهم واطلقوا زوج زين المواصف من الحبس فلما سمعت زين المواصف هذا الكلام التفتت الى جواريها وقالت لجاريتها هبوب الاتسمعين هذا الكلام فقالت لها جاريتها اذا كان الرهبان الذين عقيدتهم ان الترهب عن النساء عبادة قد افتتنوا في هواك فكيف حال القضاه الذين عقيدتهم انه لارهبانية في الاسلام ولكن امض بنا الى اوطاننا مادام امرنا مكتوما ثم انهن سرن وبالغن في السير وهن قاصدين مدينة عدن الى ان وصلت زين المواصف الى منزلها وفتحت الابواب ودخلت الدار ثم ارسلت الى اختها نسيم فلما سمعت اختها بذلك فرحت فرحا شديدا واحضرت لها الفراش ونفيس القماش ثم انها فرشت لها والبستها وارخت الستور على الابواب واطلقت العود والند والعنبر والمسك الاذفر حتى عبق المكان من تلك الرائحة وصار اعظم مايكون ثم ان زين المواصف لبست افخر قماشها وتزينت احسن زينة كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان في هم شديد وحزن ماعليه مزيد . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨١٤) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان زين المواصف لما دخلت دارها اتت لها اختها بالفراش وفرشته لها والبستها افخر الثياب كل ذلك جرى ومسرور لم يعلم بقدومها بل كان في هم شديد وحزن ماعليه مزيد ثم جلست زين المواصف تتحدث مع جواريها الذين تخلفن عن السفر معها وذكرت لهن جميع ماوقع لها من الاول الى الآخر ثم انها التفتت الى هبوب واعطتها دراهم

وامرتها ان تذهب وتأتي لها بشيء تأكله هي وجواريها فذهبت واتت بالذي طلبته من الاكل والشرب فلما انتهى اكلهن وشربهن امرت هبوب ان تمضي الى مسرور وتنظر اين هو وتشاهد ما هو فيه من الاحوال وكان مسرور لا يقر له قرار ولا يمكنه اصطبار فلما زاد عليه الوجد والغرام قام ومشى الى زقاق زين المواصف فشم منه الروائح الزكية فهاج لبه وفاق صدره وقلبه وتضرم غرامه وزاد هيامه واذا بهبوب متوجهة الى قضاء حاجة فرآها وهي مقبلة من صدر الزقاق فلما رآها فرح فرحا شديدا فلما رأته هبوب اتت اليه وسلمت عليه وبشرته بقدوم سيدتها زين المواصف وقالت له انها ارسلتني في طلبك اليها ففرح بذلك فرحا شديدا ما عليه من مزيد ثم اخذته ورجعت به اليها فلما رأته زين المواصف نزلت له من فوق سريرها وقبلته وقبلها وعانقته وعانقها ولم يزل يقبلان بعضهما ويتعانقان حتى غشي عليهما زمنا طويلا من شدة المحبة والفراق فلما افاقا من غشيتهما امرت جاريتها هبوب باحضار قلة مملوءة من شراب السكر وقلة مملوءة من شراب الليمون فاحضرت لها الجارية جميع ما طلبته ثم اكلوا وشربوا وما زالوا كذلك الى ان اقبل الليل فصاروا يذكرون الذي جرى لهم من اوله الى آخره ثم انها اخبرته باسلامها ففرح واسلم هو ايضا وكذلك جواريها وتابوا الى الله تعالى فلما اصبح الصباح امرت باحضار القاضي والشهود واخبرتهم انها عازبة وقد وفت العدة ومرادها الزواج بمسرور فكتبوا كتابها وصاروا في الذ عيش هذا ما كان من أمر زين المواصف (وأما) ما كان من أمر زوجها اليهودي فانه حين اطلقه أهل المدينة من السجن سافر منها متوجها الى بلاده ولم يزل مسافرا حتى صار بينه وبين المدينة التي فيها زين المواصف ثلاثة أيام فاخبرت بذلك زين المواصف فدعت بجاريتها هبوب وقالت لها امضي الى مقبرة اليهود واحفري قبرا وضعي عليه الرياحين ورشي عليه الماء وان جاء اليهودي وسألك عني فقولي له ان سيدتي ماتت من قهرها عليك ومضى لموتها مدة عشرين يوما فان قال أريني قبرها فخذيه الى القبر وتحيلي على دفنه فيه بالحياة فقالت سمعا وطاعة ثم أنهم رفعوا الفراش وأدخلوه في مخدع ومضت الى بيت مسرور وقعدت هو واياه في أكل وشرب ولم يزلوا كذلك حتى مضت الثلاثة أيام هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر زوجها فانه لما أقبل من السفر دق الباب فقالت هبوب من بالباب فقال سيدك ففتحت له الباب فرأى دموعها تجري على خدها فقال لها ما يبكيك واين سيدتك فقالت له ان سيدتي ماتت بسبب قهرها عليك فلما سمع منها ذلك الكلام تحير في أمره وبكى بكاء شديدا ثم قال لها يا هبوب اين قبرها فاخذته ومضت به الى المقبرة وارته القبر الذي حفرته فعند ذلك بكى بكاء شديدا حتى خر مغشيا عليه فلما غشي عليه أسرعت هبوب بجره ووضعته في القبر وهو بالحياة ولكنه مدهوش ثم سدت عليه ورجعت الى سيدتها واعلمتها بهذا الخبر ففرحت بذلك فرحا شديدا وانشدت هذين البيتين

الدهر اقسم لايزال مكدري حنثت يمينك يازمان فكفر
مات العذول ومن هويت مواصلي فانهض الى داعي السرور وشمر

ثم انهم اقاموا مع بعضهم على الاكل والشرب واللهو واللعب الى ان اتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومميت البنين والبنات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(حكاية على نور الدين مع مريم الزنارية)

(وفي ليلة ٨١٥)قالت ومما يحكى أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان رجل تاجر بالديار المصرية يسمى تاج الدين وكان من أكابر التجار ومن الامناء الاحرار الا أنه كان مولعا بالسفر الى جميع الاقطار ويحب السير في البرارى والقفار والسهول والاوعار وجزائر البحار في طلب الدرهم والدينار وكان له عبيد ومماليك وخدم وجوار وطالما ركب الاخطار وقاسى في السفر ما يشيب الاطفال الصغار وكان أكثر التجار في ذلك الزمان مالا وأحسنهم مقالا صاحب خيول وبغال وبخاتي وجمال وغرائر وأعدال وبضائع وأموال وأقمشة عديمة المثال من شدود حمصية وثياب بعلبكية ومقاطع سندسية وثياب مروزية وتفاصيل هندية وأزرار بغدادية وبرانس مغربية ومماليك تركية وخدم حبشية وجوار رومية وغلمان مصرية وكانت غرائر أحماله من الحرير لانه كان كثير الاموال بديع الجمال مائس الاعطاف شهي الانعطاف وكان لذلك التاجر ولد ذكر يسمى على نور الدين كأنه البدر اذا بدر ليلة أربعة عشر بديع الحسن والجمال ظريف القد والاعتدال فجلس ذلك الصبي يوما من الايام في دكان والده على جرى عادته للبيع والشراء والاخذ والعطاء وقد دارت حوله أولاد التجار فصار هو بينهم كانه القمر بين النجوم بجبين أزهر وخد أحمر وعذار أخضر وجسم كالمرمر كما قال فيه الشاعر

ومليح قال صفني أنت في الوصف فصيح
قلت قولا باختصار كل ما فيك مليح

فعزمه أولاد التجار وقال له ياسيدى نور الدين نشتهي في هذا اليوم اننا نتفرج نحن واياك في البستان الفلاني فقال لهم حتى أشاور والدى فانى لا أقدر أن أروح الا باجازته فبينما هم في الكلام واذا بوالده تاج الدين قد أتى فنظر اليه وقال يا أبي ان أولاد التجار قد عزموني لاجل أن اتفرج أنا واياهم في البستان الفلاني فهل تأذن لى في ذلك فقال نعم ياولدى ثم أنه أعطاه شيأ من المال وقال توجه معهم فركب أولاد التجار حميرا وبغالا وركب نور الدين بغلة وسار معهم الى بستان فيه ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وهو مشيد الاركان رفيع البنيان له باب مقنطر كأنه ايوان وباب سماوى يشبه أبواب الجنان وبوابه اسمه رضوان وفوقه مائة مكعب عنب من سائر الالوان الاحمر كأنه مرجان والاسود كأنه أنوف السودان والابيض كأنه بيض الحمام وفيه الخوخ والرمان والكمثرى والبرقوق والتفاح كل هذه الانواع مختلفة الالوان صنوان وغير صنوان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨١٦)قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما دخلوا البستان رأوا فيه كل ما تشتهي الشفة واللسان ووجد العنب مختلف الالوان صنوانا وغير صنوان كما قال فيه الشاعر

عنب طعمه كطعم الشراب حالك لونه كلون الغراب

بين أوراقه زها فتراه كبنان النساء بين الخطاب

ثم انتهوا الى عريشة البستان فرأوا رضوان بواب البستان جالسا فى تلك العريشة كانه رضوان خازن الجنان ورأوا مكتوبا على باب العريشة هذان البيتان

سقي الله بستانا تدلت قطوفه فمالت بها الاغصان من شدة الشرب
اذا رقصت أغصانه بيد الصبا تنقطها الانواء باللؤلؤ الرطب

وفي ذلك البستان فواكه ذات أفنان وأطيار من جميع الاصناف والالوان مثل فاخت وبلبل وكيروان وقماري وحمام يغرد على الاغصان وانهار بها الماء الجاري وقد راقت تلك المجاري بأزهارها وأثمار ذات لذات كما قال فيها الشاعر هذين البيتين

سرت النسيم على الغصون فشابهت حسناء تعثر فى جميل ثيابها
وحكت جداولها السيوف اذا انتضت أبدي الفوارس من غلاف قرابها

وفى ذلك البستان تفاح سكري ومسكي يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر

تفاحة جمعت لونين قد حكيا خدي حبيب ومحبوب قد اجتمعا
لاحا على الغصن كالضدين من عجب فذاك أسود والثاني به لمعا
تعانقا فبدا واش فراعهما فاحمر ذا خجلا وأصفر ذا ولعا

وفى ذلك البستان مشمش لوزي وكافوري وجيلاني وعنتابي كما قال فيه الشاعر

والمشمش اللوزي يحكي عاشقا جاء الحبيب له فحير لبه
وكفاه من صفة المتيم مابه يصفر ظاهره ويكسر قلبه

وفى ذلك البستان برقوق وقراصيا وعناب تشفي السقيم من الاوصاب والتين فوق أغصانه أحمر وأخضر يحير العقول والنواظر كما قال فيه الشاعر

كانما التين يبدو منه أبيضه مع أخضر بين أوراق من الشجر
ابناء روم على اعلى القصور وقد جن الظلام بهم باتوا على حذر

وفى ذلك البستان من الكمثري الطوري والحلبي والرومي ماهو مختلف الالوان صنوان وغير صنوان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨١٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما نزلوا البستان رأوا فيه من الفواكه ماذكرناه ووجدوا فيه من الكمثري الطوري والحلبي والرومي ماهو مختلف الالوان صنوان وغير صنوان ما بين أصفر واخضر يدهش الناظر كما قال فيه الشاعر

يهنيك كمثري غدا لونها لون محب زائد الصفرة
شبيهة بالبكر فى خدرها والوجه منها مسبل السترة

وفى ذلك البستان من الخوخ السلطاني ماهو مختلف الالوان من أصفر وأحمر كما قال فيه الشاعر

كانما الخوخ لدى روضة وقد كسي من حمرة العندم

بنادق من ذهب أصفر قد خضبت في وجهها بالدم

وفي ذلك البستان من اللوز الاخضر ماهو شديد الحلاوة يشبه الجمار ولبه من داخل ثلاثة أثواب من صنعة الملك الوهاب كما قيل فيه الشاعر

ثلاثة أثواب على جسد رطب مخالفة الاشكال من صنعة الرب
يريه الردى في ليله ونهاره وان يكن المسجون فيها بلا ذنب

وفي ذلك البستان النارنج كانه خولنجان كما قال فيها الشاعر الولهان

وحمراء ملء الكف تزهو بحسنها فظاهرها نار وباطنها ثلج
ومن عجب ثلج من النار لم يذب ومن عجب نار وليس لها وهج

وفي ذلك البستان الكباد متدليا في أغصانه كنهود أبكار تشبه الغزلان وهو على غاية المراد كما قال فيه الشاعر واجاد

وكبادة بين الرياض نظرتها على غصن رطب كقامة أغيد
اذا ميلتها الريح مالت كاكرة بدت ذهبا في صولجان زبرجد

وفي ذلك البستان الليمون زكي الرائحة يشبه بيض الدجاج ولكن صفرته زينة مجانيه ورد يزهو لجانيه كما قال فيه بعض واصفيه

أما ترى الليمون لما بدى يأخذ من أشراقه بالعيان
كانه بيض دجاج وقد لطخه الجنسة بالزعفران

وفي ذلك البستان من سائر الفواكه والرياحين والخضروات والمشمومات من الياسمين والفاغية والفلفل والسنبل العنبري والورد بسائر أنواعه ولسان الحمل والآس وكامل الرياحين من جميع الاجناس وذلك البستان من غير تشبيه كانه قطعة من الجنان لرائيه اذا دخله العليل خرج منه كالاسد الغضبان ولا يقدر على وصفه اللسان لما فيه من العجائب والغرائب التي لا توجد الا في الجنان كيف لا واسم بوابه رضوان لكن بين المقامين شتان فلما تفرج أولاد التجار في ذلك البستان جلسوا بعد التفرج والتنزه على ليوان من لواوينه واجلسوا نور الدين في وسط الليوان وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨١٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أولاد التجار لما جلسوا في الليوان أجلسوا نور الدين في وسط على نطع من الاديم المزركش متكئا على مخدة محشوة بريش النعام وظهارتها مدورة صنجابية ثم ناوله مروحة من ريش النعام مكتوبا عليها هذان البيتان

ومروحة معطرة النسيم تذكر طيب أوقات النعيم
وتهدي طيبها في كل وقت الى وجه الفتى الحر الكريم

ثم أن هؤلاء الشبان خلعوا ما كان عليهم من العمائم والثياب وجلسوا يتحدثون ويتنادمون ويتجاذبون أطراف الكلام بينهم وكل منهم يتأمل في نور الدين وينظر الى حسن صورته وبعد أن

اطمأن بهم الجلوس ساعة من الزمان أقبل عليهم عبد وعلى رأسه سفرة طعام فيها أوانى من الصينى والبلور لأن بعض أولاد التجار كان وصى أهل بيته بها قبل خروجه الى البستان وكان فى تلك السفرة كثير مما درج وطار وسبح فى البحار كالقطا والسمانى وأفراخ الحمام وشياه الضأن وألطف السمك فلما وضعت تلك السفرة بينهم تقدموا وأكلوا بحسب الكفاية ولما فرغوا من الاكل قاموا عن الطعام وغسلوا أيديهم بالماء الصافى والصابون الممسك وبعد ذلك نشفوا أيديهم بالمناديل المنسوجة بالحرير والقصب وقدموا لنور الدين منديلا مطرزا بالذهب الاحمر فمسح به يديه وجاءت القهوة كل منهم مطلوبه ثم جلسوا للحديث واذا بخولى البستان جاء ومعه سفرة المدام فوضع بينهم صينية مزركشة بالذهب الاحمر وأنشد يقول هذين البيتين

هتف الفجر بالسنى فاسق خمرا ... عانسا تجعل الحليم سفيها
لست أدرى من لطفها وصفاها ... أبكاس ترى أم الكاس فيها

ثم أن خولى البستان ملا وشرب ودار الدور الى أن وصل الى نور الدين ابن التاجر تاج الدين فملأ خولى البستان كأسا وناوله اياه فقال له نور الدين أنت تعرف ان هذا شىء لا أعرفه ولا شربته قط لأن فيه اثما كبيرا وقد حرمه فى كتابه الرب القدير فقال البستانى ياسيدى نور الدين ان كنت ما تركت شربه الا من أجل الاثم فان الله سبحانه وتعالى كريم حليم غفور رحيم يغفر الذنب العظيم ورحمته وسعت كل شىء ورحمة الله على بعض الشعراء حيث قال

كن كيف شئت فان الله ذو كرم ... وما عليك اذا أذنبت من بأس
الا اثنتين فلا تقربهما أبدا ... الشرك بالله والاضرار للناس

ثم قال واحد من أولاد التجار بحياتى عليك ياسيدي نور الدين أن تشرب هذا القدح وتقدم شاب آخر وحلف عليه بالطلاق وآخر وقف بين يديه على أقدامه فاستحى نور الدين وأخذ القدح من خولى البستان وشرب منه جرعة ثم بصقها وقال هذا مر فقال له خولى البستان ياسيدى نور الدين لولا أنه مر ما كانت فيه هذه المنافع ألم تعلم ان كل حلو اذا أكل على سبيل التداوى يجده الآكل مرا وان هذه الخمر منافعها كثيرة فمن جملة منافعها أنها تهضم الطعام وتصرف الهم والغم وتزيل الارياح وتروق الدم وتصفى اللون وتنعش البدن وتشجع الجبان وتقوى همة الرجل على الجماع ولو ذكرنا منافعها كلها لطال علينا شرح ذلك وقد قال بعض الشعراء

شربنا وعفو الله من كل جانب ... وداويت أسقامى بعر تشفف الكاس
وما غرنى فيها واعرف اثمها ... سوى قوله فيها منافع للناس

ثم أن خولى البستان نهض قائما على أقدامه من وقته وساعته وفتح مخدعا من مخادع ذلك الايوان واخرج منه قمع سكر مكرر وكسر منه قطعة كبيرة ووضعها لنور الدين فى القدح وقال ياسيدى ان كنت هبت شرب الخمر من مرارته فاشرب الآن فقد حلا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨١٩) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الخولى قال لنور الدين ان كنت هبت شرب الخمر من مرارته فاشرب الآن فقد حلا فعند ذلك أخذ نور الدين القدح وشربه ثم ملأ الكاس واحد من أولاد التجار وقال ياسيدى نور الدين أنا عبدك وكذا الاخر قال أنا خادمك وقام الاخر وقال من أجل خاطرى وقام الآخر وقال بالله عليك ياسيدى نور الدين أجبر بخاطرى ولم يزل العشرة أولاد التجار بنور الدين الى أن أسقوه العشرة أقداح كل واحد قدحا وكان نور الدين باطنه بكر عمره ماشرب خمرا قط الا فى تلك الساعة فدار الخمر فى دماغه وقوى عليه السكر فوقف على حيله وقد ثقل لسانه واستعجم كلامه وقال يا جماعة والله أنتم ملاح وكلامكم مليح ومكانكم مليح الا أنه يحتاج الى سماع طيب فان الشراب بلا سماع عدمه أولى من وجوده كما قال فيه الشاعر هذين البيتين

أدرها بالكبير والصغير وخذها من يد القمر المنير
ولا تشرب بلا طرب فاني رأيت الخيل تشرب بالصفير

فعند ذلك نهض الشاب صاحب البستان وركب بغلة من بغال أولاد التجار وغاب ثم عاد ومعه صبية مصرية كأنها الية طرية أو فضة نقية أودينار فى صينية أوغزال فى برية بوجه يخجل الشمس المضية وعيون بابلية وحواجب كأنها قسى محنية وخدود وردية وأسنان لؤلؤية ومراشف سكرية وعيون مرخية ونهود عاجية وبطن خماسية وأعكان مطوية وأرداف كأنهن مخدات محشية وفخذين كالجداول الشامية وبينهما شىء كأنه صرة فى بقجة مطوية كما قيل فيه هذه الابيات

ولو أنها للمشركين تعرضت رأوا وجهها من دون أصنامهم ربا
ولو أنها فى الشرق لاحت لراهب لخلى سبيل الشرق واتبع الغربا
ولو تفلت فى البحر والبحر مالح لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا

وتلك الصبية كأنها البدر اذا بدر فى ليلة أربعة عشر وعليها بدلة زرقاء بقناع أخضر فوق جبين أزهر تدهش العقول وتحير أرباب المعقول وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٢٠) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن خولى البستان جاءهم بالصبية التى ذكرنا أنها فى غاية الحسن والجمال ورشاقة القد والاعتدال كأنها المرأة المراد بقول الشاعر

أقبلت فى غلالة زرقاء لازوردية كلون السماء
فتحققت فى الغلالة منها قمر الصيف فى ليالى الشتاء

ثم أن الشاب خولى البستان قال لتلك الصبية اعلمى ياسيدة الملاح وكل كوكب لاح اننا ماقصدنا بحضورك فى هذا المكان الا أن تنادمى هذا الشاب المليح الشمائل سيدى نور الدين فانه لم يأت محلنا الا فى هذا اليوم فقالت له الصبية ليتك كنت أخبرتنى لاجل أن أجىء بالذى كان معى فقال لها ياسيدتى أنا أروح وأجىء به اليك فقالت افعل ما بدالك فقال لها اعطينى امارة فاعطته منديلا فعند ذلك خرج سريعا وغاب ساعة زمانية ثم عاد ومعه كيس أخضر من حرير أطلس بشكالين من الذهب فأخذته منه الصبية وحلته ونفضته فنزل منه اثنتان وثلاثون قطعة خشب ثم ركبت الخشب فى

بعضه على صورة ذكري انثي وانثي في ذكر وكشفت عن معاصمها واقامته فصار عودا محكوكا مجرود اصنعة المسعود ثم انحنت عليه تلك الصبية انحناء الوالدة على ولدها وزغزغته بأنامل يدها فعند ذلك أن العود ورن ولاما كنه القديمة حن وقد تذكر المياه التي قد سقته والأرض التي نبت منها وتربى فيها وتذكر النجارين الذين قطعوه والدهانين الذين دهنوه والتجار الذين جلبوه والمراكب التي حملته فصرخ وصاح وعدد وناح وكانها سألته عن ذلك كله فاجابها بلسان الحال منشدا هذه الابيات

لقد كنت عودا للبلابل منزلا   اميل بها وجدا وفرعي اخضر
ينوحون من فوقي فعلمت نوحهم   ومن أجل ذاك النوح سري مجهر
رماني بلا ذنب على الارض قاطعي   وصيرني عودا نحيلا كما تروا
ولكن ضربي بالانامل مخبر   باني قتيل في الانام مصبر
فمن أجل هذا صار كل منادم   اذا ما رأى نوحي يهيم ويسكر
وقد حنن المولى علي قلوبهم   وقد صرت في اعلى الصدور أصدر
تعانق قدي كل من فاق حسنها   وكل غزال فاتر الطرف أحور
فلا فرق الله المحبين بيننا   ولا عاش محبوب يصد ويهجر

ثم سكتت الصبية ساعة وبعد ذلك أخذت ذلك العود في حجرها وانحنت عليه انحناء الوالدة على ولدها وضربت عليه طرقا عديدة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة (٨٣١) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية ضربت على العود طرقا عديدة ثم عادت الى طريقتها الاولى وأنشدت هذه الابيات

لو انهم جنحوا للعتب أوزار   لحط عنه من الاشواق أوزار
وعندليب على غصن يشاجره   كانه عاشق شطت به الدار
قم وانتبه فليالي الوصل مقمرة   كانها باجتماع الشمل أسحار
واليوم في غفلة عنا حواسدنا   وقد دعتنا الى اللذات أوتار
أما ترى أربعا للهو قد جمعت   آس وورد ومنثور وأنوار
واليوم قد جمعت للحظ أربعة   صب وخل ومشروب ودينار
فاظفر بحظك في الدنيا فلذتها   تفنى وتبقى روايات وأخبار

فلما سمع نور الدين من الصبية هذه الابيات نظر اليها بعين المحبة حتى كاد لا يملك نفسه من شدة الميل اليها وهي الاخرى كذلك لانها نظرت الى الجماعة الحاضرين من اولاد التجار كلهم والى نور الدين فرأته بينهم كالقمر بين النجوم لانه كان رخيم اللفظ ذا دلال كامل القد والاعتدال والبهاء والجمال ألطف من النسيم وأرق من التسنيم كما قيل فيه هذه الابيات

قسما بوجنته وباسم ثغره   وبأسهم قد راشها من سحره

وبلين معطفه ونبل لحاظه ... وبياض غرته وأسود شعره
وبحاجب حجب الكرى عن ناظرى ... وسطا على بنهيه وباصره
وعقارب قد أرسلت من صدغه ... يسعت لقتل العاشقين بهجره
وبورد خديه وآس عذاره ... وعقيق مبسمه ولؤلؤ ثغره
وبغصن قامته الذى هو مثمر ... رمانه يزهو جناه بصدره
وبردفه المرتج فى حركاته ... وسكونه وبدقة فى خصره
وحرير ملبسه وخفة ذاته ... وبما حواه أمن الجمال باسره
ان الشذا قد من أنفاسه ... والريح تروى طيبها عن نشره
وكذلك الشمس المنيرة دونه ... وكذا الهلال قلامة من ظفره

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

(وفى ليلة ٨٣٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نور الدين لما سمع كلام تلك الصبية وشعرها أعجبه نظامها وكان قد مال من السكر فجعل يمدحها ويقول

عوادة مالت بنا . فى نشوة المنتبذ ... قالت لنا أوتارها انطقنا الله الذي

فلما تكلم نور الدين بهذا الكلام وأنشد هذا الشعر والنظام نظرت له تلك الصبية بعين المحبة وزادت فيه عشقا وغراما وقد صاحت متعجبة من حسنه وجماله ورشاقة قده واعتداله فلم تمالك نفسها بل احتضنت العود ثانيا وانشدت هذه الابيات

يعاتبنى على نظرى اليه ... ويهجرني وروحى فى يديه
ويبعدنى ويعلم ما بقلبي ... كان الله قد أوحى اليه
كتبت مثاله فى وسط كفى ... وقلت لناظرى عول عليه
فلا عينى ترى منه بديلا ... ولا قلبي يصبرني لديه
فياقلبي نزعتك من فؤادى ... لانك بعض حسادى عليه
اذا ماقلت ياقلبي تسلى ... فقلبي لم يمل الا اليه

فلما انشدت الصبية تلك الابيات تعجب نور الدين من حسن شعرها وبلاغة كلامها وعذوبة لفظها وفصاحة لسانها فطار عقله من شدة الغرام والوجد والهيام ولم يقدر ان يصبر عنها ساعة من الزمان بل مال اليها وضمها الى صدره فانطبقت الاخرى عليه وصارت بكليتها لديه وقبلته بين عينيه وقبل هو فاها بعد ضم القوام ولعب معها فى التقبيل كزق الحمام فالتفتت اليه وفعلت معه مثل ما فعل معها فهام الحاضرون وقاموا على أقدامهم فاستحى نور الدين ورفع يده عنها ثم انها أخذت عودها وضربت عليه طرائق عديدة ثم عادت الى الطريقة الاولى وانشدت هذه الابيات

قمر يسل من الجفون اذا انثنى ... عضبا ويهزأ بالغزال اذا رنا
ملك محاسنه البديعة جنده ... ولدى الطعان قوامه يحكى القنا



﴿ نور الدين ومعه أولاد التجار وهم في البستان والصبية ترقص أمامهم ﴾

لوان رقة خصره في قلبه ماجار قط على المحب ولا جنى
ياقلبه القاسي ورقة خصره هلا نقلت الى هنا من ههنا
ياعاذلي في حبه كن عاذري فلك البقاء بحسنه ولي الفنا

فلما سمع نور الدين حسن كلامها وبديع نظامها مال اليها من الطرب ولم يملك عقله من العجب ثم أنشد هذه الابيات

لقد خلتها شمس الضحى فتخيلت ولكن لهيب الحر منها بمهجتي
وماذا عليها لو أشارت فسلمت علينا باطراف البنان وأومت
برأي وجهها اللاحي فقال وتاه في محاسنها اللاتي عن الحسن جلت

أهذى التى قد همت شوقا بحبها فانك معذور فقلت هى التى
رمتنى بسهم اللحظ عمدا وما رثت لحالى وذلى وانكسارى وغربتى
فأصبحت مسلوب الفؤاد متيما أنوح وأبكى طول يومى وليلتى

فلما فرغ نور الدين من شعره تعجبت الصبية من فصاحته ولطافته وأخذت عودها وضربت عليه بأحسن حركاتها وأعادت جميع النغمات ثم انشدت هذه الابيات

وحياة وجهك ياحياة الانفس لاحلت عنك يئست أم لم اياس
فلئن جفوت فان طيفك واصل أوغبت عن عينى فذكرك مؤنسى
ياموحشا طرفى وتعلم اننى أبدا بغير هواك لم استأنس
خداك من ورد وريقك قهوة هلا سمحت بها بهذا المجلس

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٢٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الصبية بعد ما فرغت من شعرها طرب نور الدين من انشاد تلك الصبية غاية الطرب وتعجب منها غاية العجب ثم أجابها عن شعرها بهذه الابيات

ما أسفرت عن محيا الشمس فى الغسق الا تحجب بدر التم فى الافق
ولا بدت لعيون الصبح طرتها الا وعوذت ذاك الفرق بالفلق
خذ عن مجارى دموعى فى تسلسلها وارو حديث الهوى من أقرب الطرق
ورب رامية بالنبل قلت لها مهلا بنبلك ان القلب فى فرق
ان كان دمعى لبحر النيل نسبته فان ودك منسوب الى الملق
قالت فهات جميع المال قلت خذى قالت ونومك أيضا قلت من حدقى

فلما سمعت الصبية كلام نور الدين وحسن فصاحته طار قلبها واندهش لبها وقد احتوى على مجامع قلبها فضمته الى صدرها وصارت تقبله تقبيلا كزق الحمام وكذلك الآخر قابلها بتقبيل متلاحق ولكن الفضل للسابق وبعد ان فرغت من التقبيل أخذت العود وأنشدت هذه الابيات

ويلاه ويلى من ملامة عاذلى أشكوه أم أشكو اليه تعللى
ياهاجرى ما كنت أحسب اننى القى الاهانة فى هواك وأنت لى
عنفت أرباب الصبابة بالجوى وابحت فيك لعاذليك تذللى
بالامس كنت ألوم أرباب الهوى واليوم أعذر كل صب مبتلى
وان اعترتنى من فراقك شدة أصبحت أدعو الله باسمك ياعلى

فلما فرغت تلك الصبية من شعرها أيضا انشدت هذين البيتين

قد قالت العشاق ان لم يسقنا من ريقه ورحيق فيه السلسل
ندعو إله العالمين يجيبنا ويقول فيه الكل مثليا على

فلما سمع نور الدين من تلك الصبية هذا الكلام والشعر والنظام تعجب من فصاحة لسانها

وشكرها على ظرافة أفتنانها فلما سمعت الصبية ثناء نور الدين عليها قامت من وقتها وساعتها على قدميها وخلعت جميع ما كان عليها من ثياب ومصاغ وتجردت من ذلك كله ثم جلست على ركبتيها وقبلته بين عينيه وعلى شامتي خديه ووهبت له جميع ذلك . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٣٤) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الصبية وهبت كل ما كان عليها لنور الدين وقالت له اعلم يا حبيب قلبي ان الهدية على مقدار مهديها فقبل ذلك منها نور الدين ثم رده عليها وقبلها فى فمها وخديها وعينيها فلما انقضى ذلك ولم يدم الا الحى القيوم رازق الطاووس والبوم قام نور الدين من ذلك المجلس ووقف على قدميه فقالت له الصبية الى اين يا سيدى فقال الى بيت والدى فحلف عليه أولاد التجار انه ينام عندهم فأبى وركب بغلته ولم يزل سائرا حتى وصل الى بيت والده فقامت له امه وقالت له يا ولدى ما سبب غيابك الى هذا الوقت والله انك قد شوشت علي وعلى والدك لغيابك عنا وقد اشتغل خاطرنا عليك ثم ان أمه تقدمت اليه لتقبله فى فمه فشمت منه رائحة الخمر فقالت يا ولدى كيف بعد الصلاة والعبادة صرت تشرب الخمر وتعصي من له الخلق والامر فبينما هما فى الكلام واذا بوالده قد أقبل ثم ان نور الدين ارتمى فى الفراش ونام فقال أبوه ما لنور الدين هكذا قالت له امه كان رأسه أوجعته من هواء البستان فعند ذلك تقدم والده ليسأله عن وجعه ويسلم عليه فشم رائحة الخمر وكان ذلك التاجر المسمى تاج الدين لا يحب من يشرب الخمر فقال له ويلك يا ولدي هل بلغ بك السفه الي هذا الحد حتى تشرب الخمر فلما سمع نور الدين كلام والده رفع يده فى سكره ولطمه بها فجاءت اللطمة بالامر المقدر على عين والده اليمنى فسالت على خديه فوقع على الارض مغشيا عليه واستمر في غشيته ساعة فرشوا عليه ماء الورد فلما أفاق من غشيته أراد أن يضربه فحلف بالطلاق من أمه انه اذا أصبح الصباح لا بد من قطع يده اليمنى فلما سمعت أمه كلام والده ضاق صدرها وخافت على ولدها ولم تزل تداري والده وتاخذ بخاطره الى ان غلب عليه النوم فصبرت الى ان طلع القمر واتت الى ولدها وقد زال عنه السكر فقالت له يا نور الدين ما هذا الفعل القبيح الذى فعلته مع والدك فقال لها وما الذى فعلته مع والدى فقالت انك لطمته بيدك على عينه اليمنى فسالت على خده وقد حلف بالطلاق انه اذا أصبح الصباح لا بد ان يقطع يدك اليمنى فندم نور الدين على ما وقع منه حيث لا ينفعه الندم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٣٥) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نور الدين لما ندم على ما وقع منه قالت له أمه يا ولدى ان هذا الندم لا ينفعك وانما ينبغي لك ان تقوم فى هذا الوقت وتهرب وتطلب النجاة لنفسك وتختفي عند خروجك حتى تصل الى أحد من أصحابك وانتظر ما يفعل الله فانه يغير حالا بعد حال ثم ان أمه فتحت صندوق المال وأخرجت منه كيسا فيه مائة دينار وقالت له يا ولدى خذ هذه الدنانير واستعن بها على مصالح حالك فاذا فرغت منك يا ولدى فأرسل اعلمني حتى أرسل اليك غيرها واذا راسلتني فارسل الى أخبارك سرا ولعل الله ان يقدر لك فرجا وتعود الى منزلك ثم انها ودعته وبكت

مكانه شيء بيد امه عليه من يده فعند ذلك أخذ نور الدين كيس الدنانير من امه وأراد ان يخرج فرأى كيسا كبيرا قد نسيته أمه بجنب الصندوق فيه الف دينار فأخذه نور الدين ثم ربط الاثنين في وسطه وخرج من الزقاق وتوجه الى جهة بولاق قبل الفجر فلما أصبح الصباح وقامت الخلائق توحد الملك الفتاح وخرج كل واحد منهم الى مقصده ليحصل ماقسم الله له كان نور الدين وصل الى بولاق فصار يتمشى على ساحل البحر فرأى مركبا سقالتها ممدودة والناس تطلع فيها وتنزل منها ومراسيها أربع مدقوقة في البر ورأى البحرية واقفين فقال لهم نور الدين الى اين انتم مسافرون فقالوا الى مدينة اسكندريه فقال لهم نور الدين خذوني معكم فقالوا اهلا وسهلا ومرحبا بك ياشاب يا مليح فعند ذلك نهض نور الدين من وقته وساعته ومضى الى السوق واشترى ما يحتاج اليه من زاد وفرش وغطاء ثم رجع الى المركب وكانت تلك المركب تجهزت للسفر فلما نزل نور الدين في المركب لم تمكث الا قليلا وسارت من وقتها وساعتها ولم تزل تلك المركب سائرة حتى وصلت الى مدينة رشيد فلما وصلوا الى هناك رأى نور الدين زورقا صغيرا سائرا الى اسكندريه فنزل فيه وعدي الخليج ولم تزل سائرا الى ان وصل الى قنطرة تسمى قنطرة الجامي فطلع نور الدين من ذلك الزورق ودخل من باب يقال له باب السدرة وقد ستر الله عليه فلم ينظره احد من الواقفين في الباب فمشى نور الدين حتى دخل مدينة اسكندريه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

(وفي ليلة ٨٣٦) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نور الدين لما دخل مدينة اسكندريه رآها مدينة حصينة الاسوار حسنة المنتزهات تلذ لسكانها وترغب في استيطانها قد ولى عنها فصل الشتاء ببرده واقبل عليها فصل الربيع بورده وازدهت ازهارها واورقت اشجارها وأينعت أثمارها وتدفقت انهارها وهي مدينة مليحة الهندسة والقياس واهلها أجناد من خيار الناس اذا غلقت ابوابها امنت اصحابها وهي كما قيل فيها هذه الابيات

قد قلت يوما لخل ... له مقال فصيح
اسكندريه صفها ... فقال ثغر مليح
وقلت فيها معاش ... قال ان هب ريح

فمشى نور الدين في تلك المدينه ولم يزل ماشيا فيها الى ان وصل الى سوق النجارين ثم الى سوق الصرافين ثم الى سوق النقليه ثم الى سوق الفكهانيه ثم الى سوق العطارين وهو يتعجب من تلك المدينة لان وصفها قد شاكل اسمها فبينما هو يمشي في سوق العطارين اذا برجل كبير السن نزل من دكانه وسلم عليه ثم اخذه من يده ومضى به الى منزله فرأى نور الدين زقاقا مليحا مكنوسا مرشوشا قد هب عليه النسيم وراق وظللته من الاشجار اوراق وفي ذلك الزقاق ثلاث دور وفي صدر ذلك الزقاق دار اساسها راسخ في الماء وجدرانها شاهقة الى عنان السماء قد كنسوا الساحة التي قدامها ورشوها وبشم روائح الازهار قاصدوها يقابلها النسيم كأنه من جنات النعيم فاول ذلك الزقاق مكنوس مرشوش وآخره بالرخام مفروش فدخل الشيخ بنور الدين الى تلك الدار وقدم له شيأ من المأكول فأكل معا فلما فرغ من الاكل معا قال له الشيخ متى كان القدوم من مدينة مصر الى هذه

المدينة فقال له ياوالدي في هذه الليلة قال له ما اسمك قال له علي نور الدين فقال له الشيخ ياولدي يانور الدين يلزمني الطلاق ثلاثا انك مادمت مقيما في هذه المدينة لا تفارقني وانا اخلي لك موضعا تسكن فيه فقال له نور الدين ياسيدي الشيخ زدني بك معرفة فقال له ياولدي اعلم اني دخلت مصر في بعض السنين بتجارة فبعتها فيها واشتريت متجرا آخر فاحتجت الى الف دينار فوزنها عني والدك تاج الدين من غير معرفة له بي ولم يكتب علي بها منشورا وصبر علي بها الى ان رجعت الى هذه المدينة وارسلتها اليه مع بعض غلماني ومعها هدية وقد رأيتك وانت صغير وان شاء الله تعالى اجازيك ببعض ما فعل معي وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(في ليلة ٨٣٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان العطار قال لنور الدين ان شاء الله اجازيك ببعض ما فعل والدك معي فلما سمع نور الدين هذا الكلام اظهر الفرح والابتسام واخرج الكيس الذي فيه الالف دينار واعطاه لذلك الشيخ وقال له خذ هذا وديعة عندك حتى اشتري به شيأ من البضائع لاتجر فيه ثم ان نور الدين اقام في مدينة اسكندرية مدة ايام وهو يتفرج كل يوم في شارع من شوارعها ويأكل ويشرب ويلتذ ويطرب الى ان فرغت المائة دينار التي كانت معه برسم النفقة فأتى الى الشيخ العطار ليأخذ شيأ منه من الالف دينار وينفقه فلم يجده في الدكان فجلس في دكانه ينتظره الى ان يعود وصار يتفرج على التجار ويتأمل ذات اليمين وذات الشمال فبينما هو كذلك اذا بأعجمي قد أقبل على السوق وهو راكب على بغلة وخلفه جارية كأنها فضة نقية او بلطية في فسقية اوغزالة في برية بوجه يخجل الشمس المضية وعيون بابلية ونهود عاجية واسنان لؤلؤية وبطن خماصية واعطاف مطوية وسيقان كاطراف لية كاملة الحسن والجمال ورشيقة القد والاعتدال كما قال فيها بعض واصفيها

كأنها مثل ما تهواه قد خلقت ... في رونق الحسن لا طول ولا قصر
الورد من خدها يحمر من خجل ... والغصن من قدها يزهو به الثمر
البدر طلعتها والمسك نكهتها ... والغصن من قامتها مامثلها بشر
كأنها افرغت من ماء لؤلؤة ... في كل جارحة من حسنها قمر

ثم ان الاعجمي نزل عن بغلته وانزل الصبية وصاح على الدلال فحضر بين يديه فقال له خذ هذه الجارية وناد عليها في السوق فأخذها الدلال ونزل بها الى وسط السوق وغاب ساعة ثم عاد ومعه كرسي من الابنوس مزركش بالعاج الابيض فوضعه الدلال على الارض واجلس عليه تلك الصبية ثم كشف القناع عن وجهها فبان من تحته وجه كأنه ترس ديلمي او كوكب دري وهي كأنها البدر في ليلة اربعة عشر بغاية الجمال الباهر كما قال فيها الشاعر

قد عارض البدر جهلا حسن صورتها ... فراح منكسفا وانشق بالغضب
وسرحة البان ان قيست بقامتها ... تبت يدا من غدت حمالة الحطب

وما أحسن قول الشاعر

قل للمليحة فى الخمار المذهب ماذا فعلت بعابد مترهب
نور الخمار وتور وجهك تحته هزما بضوئهما جيوش الغيهب
واذا اتى طرفى ليسرق نظرة فى الخد حراس رمته بكوكب

فعند ذلك قال الدلال للتجار كم دفعتم فى درة الغواص وفلية القناص فقال له تاجر من التجار على بمائة دينار وقال آخر بمائتين وقال آخر بثلثمائة ولم يزل التجار يتزايدون فى تلك الجارية الى ان اوصلوا ثمنها الى تسعمائة وخمسين دينارا وتوقف البيع على الايجاب والقبول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٣٨) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان التجار يتزايدون فى الجارية الى ان بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا فعند ذلك اقبل الدلال على لاعجمي سيدها وقال له ان جاريتك بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا فهل نبيع و نقبض لك الثمن فقال الاعجمى هل هى راضية بذلك فانى احب مراعاة خاطرها لانى ضعفت فى هذه السفرة وخدمتني هذه الجارية غاية الخدمة فحلفت أنى لا ابيعها الا لمن تشتهى و تريد وجعلت بيعها بيدها فشاورها فان قالت رضيت فبعها لمن ارادته وان قالت لا فلا تبعها فعند ذلك تقدم الدلال اليها وقال لها ياسيدة الملاح اعلمى ان سيدك قد جعل بيعك بيدك وقد بلغ ثمنك تسعمائه وخمسين دينارا افتأذنين ان ابيعك فقالت الجارية للدلال ارنى الذى يريد أن يشترينى قبل انعقاد البيع فعند ذلك جاء الدلال بها الى رجل من التجار وهو شيخ كبير هرم فنظرت اليه الجارية ساعة زمانيه وبعد ذلك التفتت الى الدلال وقالت له يادلال هل انت مجنون او مصاب فى عقلك فقال لها الدلال لاى شىء ياسيدة الملاح تقولين لى هذا الكلام فقالت له الجارية ايحل لك من الله ان تبيع مثلى لهذا الشيخ الهرم الذى قال فى شأن زوجته هذه الابيات

تقول لي وهى غضبى من تدللها وقد دعتنى الى شىء فما كانا
ان لم تنكنى نيك المرء زوجته فلا تلمنى اذا اصبحت قرنانا
كأن ايرك شمع من رخاوته فكلما عركته راحتى لانا

فلما سمع شيخ التجار من تلك الصبيه هذا الهجو القبيح اغتاظ غيظا شديدا ماعليه من مزيد وقال للدلال يا انحس الدلالين ماجئت لنا فى السوق الا بجارية مشؤمه تتجارى على وتهجونى بين التجار فعند ذلك اخذها الدلال وانصرف عنه وقال لها ياسيدتى لا تكونى قليلة الادب ان هذا الشيخ الذي هجوتيه هو شيخ السوق ومحتسبه وصاحب مشورة التجار فضحكت وأنشدت هذين البيتين

يصلح للحكام فى عصرنا وذاك للحكام مما يجب
الشنق للوالى على بابه والضرب بالدرة للمحتسب

ثم ان الجارية قالت للدلال والله ياسيدى انا لا اباع لهذا الشيخ فبعنى الى غيره لانه ربما خجل منى فيبيعنى الى آخر فاصير ممتهنة ولا ينبغى لى ان أدنس نفسى بالامتهان وقد علمت ان امر بيعى

منقوض الى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٢٩) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الجارية قالت للدلال لا ينبغى ان ادنس نفسى بالامتهان وقد علمت ان امر بيعى منقوض الى فقال لها الدلال سمعا وطاعة ثم توجه بها الى رجل من التجار الكبار فلما وصل بها الى ذلك الرجل قال لها ياسيدتى هل ابيعك الى سيدي شريف الدين هذا بتسعمائة وخمسين دينار فنظرت اليه الجارية فرأته شيخا ولكن لحيته مصبوغة فقالت للدلال هل انت مجنون او مصاب فى عقلك حتى تبيعنى الى هذا الشيخ الفانى فهل انا من كتسكت المشاق او من مهاهل الاخلاق حتى تطوف بى على شيخ بعد شيخ وكلاهما كجدار آيل الى السقوط او عفريت محقة النجم بالهبوط اما الاول فانه ناطق فيه لسان الحال بقول من قال

طلبت قبلتها فى الثغر قائلة ... لا والذي اوجد الاشياء من عدم

ما كان لى فى بياض الشيب من ارب ... افى الحياة يكون القطن حشو فمي

وأما الآخر فانه ذو عيب وريب ومسود وجه الشيب قد أتى فى خضاب شيبه بأقبح عين وانشد بلسان حاله هذين البيتين

قالت اراك خضبت الشيب قلت لها ... كتمته عنك ياسمعي ويابصري

فقهقهت ثم قالت انى ذا عجب ... تكاثر الغش حتى صار فى الشعر

فلما سمع الشيخ الذى صبغ لحيته من تلك الجارية هذا الكلام اغتاظ غيظا شديدا ما عليه من مزيد وقال للدلال يا انحس الدلالين ماجئت فى هذا اليوم سوقنا الا بجارية سفيهة تسفه على كل من فى السوق واحدا بعد واحد وتهجوهم بالاشعار والكلام الفشار ثم ان ذلك التاجر نزل من دكانه وضرب الدلال على وجهه فاخذها الدلال ورجع بها وهو غضبان وقال والله مارأيت عمرى جارية أقل حياء منك وقد قطعت رزقى ورزقك فى هذا النهار وقد ابغضنى من أجلك جميع التاجر فرآها فى الطريق رجل من التجار فزادفى ثمنها عشرة دنانير وكان اسم ذلك التجار شهاب الدين فاستأذن الدلال الجارية فى البيع فقالت أرنى اياه حتى انظر اليه واسأله عن حاجة فان كانت تلك الحاجة فى بيته فانا اباع له والا فلا فخلاها الدلال واقفة ثم تقدم اليه وقال له ياسيدى شهاب الدين اعلم أن هذه الجارية قالت لى انها تسألك عن حاجة فان كانت عندك فانها تباع لك وها أنت وقد سمعت ماقالته لاصحابك من التجار. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٣٠) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الدلال قال للتاجر انك سمعت ماقالته هذه الجارية لانك انصح التجار والله خائف ان أجيء بها اليك فتعمل معك مثل ماعملت مع جيرانك وابقى انا معاك مفضوحا فان اذنت لى فى المجىء بها أجىء فقال ائتنى بها فقال الدلال سمعا وطاعة ثم ذهب الدلال وأتي بالجارية اليه فنظرته الجارية وقالت له ياسيدى شهاب الدين هل فى بيتك مدورات محشوة بقطاعة فرو السنجاب فقال لها نعم ياسيدة الملاح عندى فى البيت عشرة مدورات

محشوة بقطاعة فرو السجاب فبالله عليك ماذا تصنعين بهذه المدورات فقالت أصبر عليك حتى تزقد واجعلها على ذلك وانفك حتى تموت ثم انها التفتت الى الدلال وقالت له يا أخس الدلالين كأنك مجنون حتى تعرضنى من منذ ساعة على اثنين من الشيوخ فى كل واحد منهما عيبان وبعد ذلك تعرضنى على سيدى شهاب الدين وفيه ثلاثة عيوب الاول انه قصير والثانى انه كبير والثالث ان لحيته طويلة وقد قال فيه بعض الشعراء

ما رأينا ولا سمعنا بشخص ... مثل هذا بين الخلائق اجمع
وله لحية طول ذراع ... وانف طول شبر وقامة طول اصبع

فلما سمع التاجر شهاب الدين من الجارية ذلك الكلام نزل من الدكان واخذ بطوق الدلال وقال له يا أخس الدلالين كيف تأتى الينا بجارية توبخنا وتهجونا واحدا بعد واحد بالاشعار والكلام الفشار فعند ذلك اخذها الدلال وذهب من بين يديه وقال لها والله طول عمرى وانا فى هذه الصناعة ما رأيت جارية اقل ادبا منك ولا أنحس على من نجمك لانك قطعت رزقى فى هذا اليوم ولا ربحت منك الا الصفع على القفا والاخذ بالطوق ثم ان الدلال وقف بتلك الجارية ليضعها على تاجر صاحب عبيد وغلمان وقال لها اتباعين لهذا التاجر سيدى علاء الدين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٣١) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الدلال قال للجارية اتباعين لسيدى علاء الدين فنظرته فوجدته احدب فقالت ان هذا احدب وقد قال فيه الشاعر

قصرت مناكبه وطال قفاه ... كحكاء شيطان يصادف كوكبا
وكان قد ذاق اول مرة ... واحس ثانية فصار محدبا

فعند ذلك اسرع الدلال اليها واخذها واتى بها الى تاجر آخر وقال لها اتباعين لهذا فنظرت اليه فوجدته اعمش فقالت ان هذا اعمش كيف تبيعنى له وقد قال فيه بعض الشعراء

رمد امراضه * هدت قواه لحينه * ياقوم قوموا فانظروا * هذا القذى فى عينه

فعند ذلك اخذها الدلال واتى بها الى تاجر آخر وقال لها اتباعين لهذا فنظرت اليه فرأت لحيته كبيرة فقالت للدلال ويلك ان هذا الرجل كبش ولكن طلع ذيله فى حلقه كيف تبيعنى له يا أخس الدلالين اما سمعت ان كل طويل الذقن قليل العقل وعلى قدر طول اللحية يكون نقصان فى العقل وهذا الامر مشهور بين العقلاء كما قال فيه بعض الشعراء

ما رجل طالت له لحية ... فزادت اللحية فى هيبته
الا وما ينقص من عقله ... يكون طولا زاد فى لحيته

فعند ذلك اخذها الدلال ورجع فقالت له اين تتوجه فقال لها الى سيدك الاعجمى وكفانا ما جرى لنا بسببك فى هذا النهار وقد تسببت فى منع رزقى ورزقه بقلة ادبك ثم ان الجارية نظرت فى السوق والتفتت يمينا وشمالا وخلفا واماما فوقع نظرها بالامر المقدر على نور الدين على المصرى فرأته شابا

مليحا نقي الخد رشيق القد وهو ابن اربع عشرة سنة بديع الحسن والجمال والظرف والدلال كأنه البدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر بجبين ازهر وخد احمر وعنق كالمرمر واسنان كالجوهر وريق احلى من السكر كما قال فيه بعض واصفيه

بدت لتحاكي حسنه وجماله بدور وغزلان فقلت لها قفي
رويدك ياغزلان لاتتشبهي بهذا ويا اقمار لاتتكلفي

وما احسن قول بعض الشعراء

ومهفهف من شعره وجبينه تغدو الورى ظلمة وضياء
لاتنكروا الخال الذي في خده كل الشقيق بنقطة سوداء

فلما نظرت تلك الجارية الى نور الدين حال بينها وبين عقلها ووقع في خاطرها موقعا عظيما وتعلق قلبها بمحبته . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٣٢) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الجارية لما رأيت عليا نور الدين تعلق قلبها بمحبته فالتفتت الى الدلال وقالت له هل هذا الشاب التاجر الذي هو جالس بين التجار وعليه الفرجية الجوخ العودي مازاد في ثمني شيأ فقال لها الدلال ياسيدة الملاح ان هذا شاب غريب مصري والده من اكابر التجار بمصر وله الفضل على جميع تجارها واكابرها وله مدة يسيرة في هذه المدينة وهو مقيم عند رجل من اصحاب ابيه ولم يتكلم فيك بزيادة ولا نقصان فلما سمعت الجارية كلام الدلال نزعت من اصبعها خاتم ياقوت مثمنا وقالت اوصلني عند هذا الشاب المليح فان اشتراني كان هذا الخاتم لك في نظير تعبك في هذا اليوم معنا ففرح الدلال وتوجه الى نور الدين فلما صارت عنده تأملته فرأته كأنه بدر التمام لانه ظريف الجمال رشيق القد والاعتدال فقالت له ياسيدي بالله عليك ما انا مليحة فقال لها ياسيدة الملاح وهل في الدنيا احسن منك فقالت له الجارية ولاي شيء رايت التجار كلهم زادوا في ثمني وانت ساكت ماتكلمت بشيء ولازدت في ثمني دينارا واحدا كأنني ماعجبتك ياسيدي فقال لها ياسيدتي لو كنت في بلدي كنت اشتريتك بجميع ماتملكه يدي من المال فقالت له ياسيدي انا ماقلت لك اشترني على غير مرادك ولكن لو زدت في ثمني بشيء لجبرت بخاطري ولو كنت لاتشتريني لاجل ان تقول التجار لولا ان هذه الجارية مليحة مازاد فيها هذا التاجر المصري لان اهل مصر لهم خبرة بالجواري فعند ذلك استحى نور الدين من كلام الجارية الذي ذكرته واحمر وجهه وقال للدلال كم بلغ ثمن هذه الجارية قال بلغ ثمنها تسعمائة وخمسين دينارا غير الدلالة واما قانون السلطان فانه على البائع فقال نور الدين للدلال خلها علي بالالف دينار دلالة وثمنا فبادرت الجارية وتركت الدلال وقالت بعت نفسي لهذا الشاب المليح بألف دينار فسكت نور الدين فقال واحد بعناه وقال آخر يستاهل وقال آخر ملعون ابن ملعون من يزود ولا يشتري وقال آخر والله انهما يصلحان لبعضهما فلم يشعر نور الدين الا والدلال احضر القضاة والشهود وكتبوا عقد البيع والشراء في ورقة وناولها لنور الدين . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت

عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٣٣) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الدلال ناول ورقة الشراء لنور الدين وقال له تسلم جاريتك الله يجعلها مباركة عليك فهي ما تصلح الا لك ولا تصلح انت الا لها وانشد الدلال هذين البيتين

اتته السعادة منقادة * اليه تجرجر اذيالها * فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

فعند ذلك استحى نور الدين من التجار وقام من وقته وساعته ووزن الالف دينار التي كان وضعها وديعة عند العطار صاحب ابيه واخذ الجارية واتى بها الى البيت الذي اسكنه فيه العطار فلما دخلت الجارية البيت رأت فيه بساط خلق ونطعا عتيقا فقالت له يا سيدي هل انا مالي منزلة عندك ولا استحق ان توصلني الى بيتك الاصلي الذي فيه مصالحك ولاي شيء ما دخلت بي عند ابيك فقال لها نور الدين والله يا سيدة الملاح ما هذا بيتي الذي انا فيه ولكنه ملك لشيخ عطار من اهل هذه المدينة وقد اخلاه لي واسكنني فيه وقد قلت لك انني غريب وانني من اولاد مدينة مصر فقالت له الجارية يا سيدي اقل البيوت يكفي الى ان ترجع الى بلدك ولكن يا سيد بالله عليك ان تقوم وتاتي لنا بشيء من اللحم المشوي والمدام والنقل والفاكهة فقال لها نور الدين والله يا سيدة الملاح ما كان عندي من المال غير الالف دينار الذي وزنته في ثمنك ولا املك غير تلك الدنانير شيأ من المال وكان معي بعض دراهم صرفتها بالامس فقالت له اما لك في هذه المدينة صديق تقترض منه خمسين درهما وتأتيني بها حتى اقول لك اي شيء تفعل بها فقال لها مالي صديق سوى العطار ثم ذهب من وقته وتوجه الى العطار وقال له السلام عليك يا عم فرد عليه السلام وقال يا ولدي اي شيء اشتريت بالالف دينار في هذا اليوم فقال له اشتريت بها جارية فقال له يا ولدي هل انت مجنون حتى تشتري جارية واحدة بألف دينار يا ليت شعري ما جنس هذه الجارية فقال نور الدين يا عم انها جارية من اولاد الافرنج . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٣٤) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نور الدين قال للشيخ العطار انها جارية من اولاد الافرنج فقال له الشيخ اعلم يا ولدي ان خيار اولاد الافرنج عندنا في هذه المدينة ثمنه مائتي دينار ولكن والله يا ولدي قد عملت عليك حيلة في هذه الجارية فان كنت احببتها فبت عندها في هذه الليلة واقض غرضك منها واصبح انزل بها السوق وبعها ولو كنت تخسر فيها مائتي دينار وقدر انها غرقت في البحر او طلع عليك اللصوص في الطريق فقال نور الدين كلامك صحيح ولكن يا عم انت تعرف انه ما كان معي غير الالف دينار التي اشتريت بها الجارية ولم يبق معي شيء انفقه ولا درهم واحد واني اريد من فضلك واحسانك ان تقرضني خمسين درهما انفقها الى غد فابيع الجارية واوردها لك من ثمنها فقال الشيخ اعطيك يا ولدي على الرأس والعين ثم وزن له خمسين درهما وقال له يا ولدي انت شاب صغير السن وهذه الجارية مليحة وربما تعلق بها قلبك فما يهون عليك ان تبيعها وانت ما عندك شيأ تنفقه فتفرغ منك هذه الخمسون درهما فتأتيني فاقرضك

اول مرة وثاني مرة وثالث مرة الى عشر مرات فاذا اتيتنى بعد ذلك فلا ارد عليك السلام الشرعي وتضيع محبتنا مع والدك ثم ناوله الشيخ خمسين درهما فأخذها نور الدين واتى بها الى الجارية فقالت له ياسيدى رح السوق فى هذه الساعة وهات لنا بعشرين درهما حريرا ملونا خمسة الوان وهات لنا بالثلاثين الاخرى لحما وخبزا وفاكهة وشرابا ومشموما فعند ذلك ذهب نور الدين الى السوق واشترى منه كل ما طلبته تلك الجارية واتى به اليها فقامت من وقتها وساعتها وشمرت عن يدها وطبخت طعاما واتقنته غاية الاتقان ثم قدمت له الطعام فأكل واكلت معه حتى اكتفيا ثم قدمت المدام وشربت هى واياه ولم تزل تسقيه وتؤانسه الى ان سكر ونام فقامت الجارية من وقتها وساعتها واخرجت من بقجتها جرابا من اديم طائفي وفتحته واخرجت منه مسمارين وقعدت عملت شغلها الى ان فرغ فصار زنارا مليحا فلفته فى خرقة بعد صقله وتنظيفه وجعلته تحت المخدة ثم قامت تعرت ونامت بجانب نور الدين وكبسته فانتبه من نومه فوجد بجانبه صبية كأنها فضة نقية ألين من الحرير واطرى من الية وهى اشهر من علم واحسن من حمر النعم خماسية القد قاعدة النهد بحواجب كأنها قسي السهام وعيون كأنها عيون غزلان وخدود كأنها شقائق النعمان وبطن خميصة الاعكان وسرة تسع اوقية من دهن البان وفخذان كأنهما مخدتان محشوتان من ريش النعام وبينهما شىء يكل عن وصفه اللسان وتنسكب عند ذكره العبرات فعند ذلك التفت نور الدين من وقته وساعته الى تلك الجارية وضمها الى صدره ومص شفتها الفوقية بعد ان مص التحتية ثم زق اللسان بين الشفتين وقام اليها فوجدها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ركبت فأزال بكارتها ونال منها الوصال وانعقدت بينهما المحبة بلا انفكاك ولا انفصال وتابع فى خدها تقبيلا كوقع الحصى فى الماء وزهرا كطعن الرماح فى مغارة الشعواء لأن نور الدين كان مشتاقا الى اعتناق الحور ومص الثغور وحل الشعور وضم الخصور وعض الخدود وركوب النهود مع حركات مصرية وغنج يمانية وشهيق حبشية وفتور هندية وغلمة نوبية وتضجر ريفية وانين دمياطية وحرارة صعيدية وفترة اسكندرانية وكانت هذه الجارية جامعة لهذه الخصال مع فرط الجمال والدلال ثم نام نور الدين هو وتلك الجارية الى الصباح فى لذة وانشراح . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٣٥) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نور الدين نام هو وتلك الجارية الى الصباح فى لذة وانشراح لابسين حلل العناق محكمة الازرار آمنين طوارق الليل والنهار فى الوصال كثرة القيل والقال وقد باتا على احسن حال ولم يخشيا فلما اصبح الصباح واضاء بنور ولاح انتبه نور الدين من نومه فرآها احضرت الماء فاغتسل هو واياها وادى ما عليه من الصلاة لربه ثم اتته بما تيسر من المأكول والمشروب فأكل وشرب ثم ادخلت الجارية يدها تحت المخدة واخرجت الزنار الذى صنعته بالليل وناولته اياه وقالت له ياسيدى خذ هذا الزنار فقال لها من اين هذا الزنار فقالت له ياسيدى هو الحرير الذى اشتريته البارحة بالعشرين درهما فقم واذهب به الى سوق العجم واعطه للدلال لينادى عليه ولا تبعه الا بعشرين دينارا اسالمة فقال لها نور الدين ياسيدة الملاح

هل شيء بعشرين درهما يباع بعشرين دينارا يعمل في ليلة واحدة قالت له الجارية ياسيدى انت ما تعرف قيمة هذا و لكن اذهب به الى السوق واعطه للدلال فاذا نادى عليه الدلال ظهرت لك قيمته فعند ذلك اخذ نور الدين الزنار من الجارية و اتى به الى سوق الاعاجم و أعطى الزنار للدلال وامره أن ينادى عليه و قعد نور الدين على مصطبة دكان فغاب الدلال عنه ساعة ثم اتى اليه وقال له ياسيدى قم اقبض ثمن زنارك فقد بلغ عشرين دينارا سالمة ليدك فلما سمع نور الدين كلام الدلال تعجب غاية العجب و اهتز من الطرب وقام ليقبض العشرين العشرين دينار او هو ما بين مصدق و مكذب فلما قبضها ذهب من ساعته و اشترى بها كلها حريرا من سائر الالوان لتعمله الجارية كله زنانير ثم رجع الى البيت واعطاها الحرير . و ادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٣٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نور الدين لما اشترى بالعشرين دينار حريرا اعطاه للجارية وقال لها اعمليه كله زنانير وعلميني ايضا حتى اعمل معك فاني طول عمرى ما رايت صنعة احسن من هذه الصنعة ولا اكثر امكسبا منها قط و انها والله احسن من التجارة بألف مرة فضحكت الجارية من كلامه وقالت له ياسيدى نور الدين امض الى صاحبك العطار و اقترض منه ثلاثين درهما وفي غد اد فعها له من ثمن الزنار هى و الخمسين درهما التى اقترضتها منه قبلها فقام نور الدين واتى الى صاحبه العطار وقال له ياعم اقرضنى ثلاثين درهما جملة و في غد ان شاء الله تعالى اجيء لك بالثمانين درهما جملة واحدة فعند ذلك وزن له الشيخ العطار ثلاثين درهما فأخذها نور الدين واتى بها الى السوق و اشترى بها لحما وخبزا و نقلا وفاكهة ومشموما كما فعل بالامس واتى بها الى الجارية وكان اسم تلك الجارية مريم الزنارية فلما اخذت اللحم قامت من وقتها و ساعتها وهيأت طعاما فاخرا ووضعته قدام سيدها نور الدين ثم بعد ذلك هيأت سفرة المدام وتقدمت تشرب هى واياه وصارت تملا و تسقيه ويملا و يسقيها فلما لعب المدام بعقلهما اعجبها حسن لطافته ورقة معانيه فأنشدت هذين البيتين

أقول لاهيف حيا بكاس لها من مسك نكهته ختام
أمن خديك تعصر قال كلا متى عصرت من الورد المدام

ولم تزل تلك الجارية تنادم نور الدين و ينادمها وتعطيه الكاس والطاس وتطلب ان يملاها و يسقيها ماتطيب به الانفاس واذا وضع يده عليها تتمنع منه دلالا وقد زادها السكر حسنا وجمالا فانشد هذين البيتين

وهيفاء تهوى الراح قالت لصبها بمجلس انس وهو يخشى ملالها
اذا لم تدر كاس المدام وتسقنى أبيتك مهجورا تخاف ملالها

ولم يزالا كذلك الى ان غلب عليه السكر ونام فقامت هى من وقتها و ساعتها وعملت شغلها فى الزنار على جرى عادتها و لما فرغت أصلحته ولفته فى ورقة ثم نزعت ثيابها و نامت بجانبه الى الصباح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٣٧) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان مريم الزنارية لما فرغت من شغل الزنار أصلحته ولفته فى ورقة ونزعت ثيابها ونامت بجانبه الى الصباح وكان بينهما ما كان من الوصل ثم قام نور الدين وقضى شغلة وناولته الزنار وقالت له امض الى السوق وبعه بعشرين دينارا كما بعت نظيره بالامس فعند ذلك أخذه ومضى به الى السوق وباعه بعشرين دينارا وأتى الى العطار ودفع له الثمانين درهما وشكر فضله ودعا له فقال يا ولدى هل أنت بعت الجارية فقال نور الدين كيف ابيع روحى من جسدى ثم انه حكى له الحكاية من المبتدأ الى المنتهى واخبره بجميع ماجرى له ففرح الشيخ العطار بذلك فرحا شديدا ماعليه من مزيد وقال له والله ياولدى انك قد فرحتنى وان شاء الله انت بخير دائما فانى أود لك الخير لمحبتى لوالدك وبقاء صحبتى معه ثم ان نور الدين فارق الشيخ العطار وراح من وقته وساعته الى السوق واشترى اللحم والفاكهة والشراب وجميع مايحتاج اليه على جرى العادة وأتى به الى تلك الجارية ولم يزل نور الدين هو والجارية فى أكل وشرب ولعب وانشراح وود ومنادمة مدة سنة كاملة وهى تعمل فى كل ليلة زنارا ويصبح يبيعه بعشرين دينارا ينفق منها مايحتاج اليه والباقى يعطيه لها تحفظه عندها الى وقت الحاجة اليه وبعد السنة قالت له الجارية ياسيدى نور الدين اذا بعت الزنار فى غد فخذ لى من حقه حريرا ملونا ستة ألوان فانه قد خطر ببالى ان أصنع لك منديلا تجعله على كتفك مافرحت بمثله أولاد التجار ولا أولاد الملوك فعند ذلك خرج نور الدين الى السوق وباع الزنار واشترى الحرير الملون كما ذكرت له الجارية وجاء به اليها فقعدت مريم الزنارية تصنع فى المنديل جمعة كاملة لانها كانت كلما فرغت من زنار فى ليلة تعمل فى المنديل شيئا الى ان خلصته وناولته لنور الدين فجعله على كتفه وصار يمشى به فى السوق فصار التجار والناس وأكابر البلد يقفون عنده صفوفا ليتفرجوا على حسنه وعلى ذلك المنديل وحسن صنعته فاتفق ان نور الدين كان نائما ذات ليلة من الليالى فانتبه من منامه فوجد جاريته تبكى بكاء شديدا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٣٨) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان نور الدين لما انتبه من منامه وجد جاريته تبكى بكاء شديدا وتنشد هذه الابيات

دنا فراق الحبيب واقتربا ... واحربا للفراق واحربا
تفتتت مهجتى فوااسفى ... على ليال مضت لنا طربا
لابد ان ينظر الحسود لنا ... بعين سوء ويبلغ الاربا
فما علينا أضر من حسد ... ومن عيون الوشاة والرقبا

فقال لها نور الدين ياسيدتى مريم مالك تبكى فقالت له أبكى من ألم الفراق فقد أحس قلبى به فقال لها ياسيدة الملاح ومن الذى يفرق بيننا وانا الآن أحب الخلق اليك واعشقهم لك فقالت له انى عندى أضعاف ماعندك ولكن حسن الظن بالليالى يوقع الناس فى الاسف فاذا كنت تحرص على عدم الفراق تخذ حذرك من رجل أفرنجى أعور العين اليمنى واعرج الرجل الشمال وهو شيخ أغبر الوجه

مكلثم اللحية لانه هو الذى يكون سبب الفراقنا وقد رأيته آتى فى تلك المدينة واظن انه ماجاء الا فى طلبى فقال لها نور الدين ياسيدة الملاح ان وقع بصرى عليه قتلته ومثلت به فقالت له مريم ياسيدى لا تقتله ولا تكلمه ولا تبايعه ولا تشاوره ولا تعامله ولا تجالسه ولا تعاشه ولا تتحدث معه بكلام قط وادع الله ان يكفينا شره ومكره فلما أصبح الصباح أخذ نور الدين الزنار وذهب به الى السوق وجلس على مصطبة دكان يتحدث هو واولاد التجار فاخذته سنة من النوم فنام على مصطبة الدكان فبينما هو نائم واذا بذلك الافرنجى مر على ذلك السوق فى تلك الساعة ومعه سبعة من الافرنج فرأى نور الدين نائما على مصطبة الدكان ووجهه ملفوف بذلك المنديل وطرفه فى يده فقعد الافرنجى عنده وأخذ طرف المنديل وقلبه فى يده واستمر يقلب فيه ساعة فاحس به نور الدين فافاق من النوم فرأى الافرنجى الذى وصفته الجارية بعينه جالسا عند رأسه فصرخ عليه نور الدين صرخة عظيمة أرعبته فقال له الافرنجى لاى شىء تصرخ علينا هل نحن أخذنا منك شيئا فقال له نور الدين والله ياملعون لو كنت أخذت شيئا لكنت ذهبت بك الى الوالى فقال له الافرنجى يامسلم بحق دينك وما تعتقده ان تخبرنى من اين لك هذا المنديل فقال له نور الدين هو شغل والدتى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٣٩) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الافرنجى لما سأل نور الدين عن الذى عمل المنديل قال له ان هذا المنديل شغل والدتى عملته لى بيدها فقال له الافرنجى اتبيعه لى وتأخذ ثمنه منى فقال له نور الدين والله ياملعون لا ابيعه لك ولا لغيرك فانها ما عملته الا على اسمى ولم تعمل غيره فقال له بعه لى وانا اعطيك ثمنه فى هذه الساعة خمسمائة دينار ودع الذى عملته تعمل لك غيره أحسن منه فقال له نور الدين أنا ما ابيعه أبدا لانه لا نظير له فى هذه المدينة فقال له الافرنجى ياسيدى وهل تبيعه بستمائة دينار من الذهب الخالص ولم يزل يزيده مائة بعد مائة الى ان أوصله الى تسعمائة دينار فقال له نور الدين يفتح الله علي بغير بيعه أنا ما أبيعه ولا بالفى دينار ولا باكثر أبدا ولم يزل ذلك الافرنجى يرغب نور الدين بالمال فى ذلك المنديل الى ان أوصله الى الف دينار فقال له جماعة من التجار الحاضرين نحن بعناك هذا المنديل فادفع ثمنه فقال له نور الدين أنا ما أبيعه والله فقال له تاجر من التجار اعلم ياولدى أن هذا المنديل قيمته مائة دينار ان كثرت وان وجد له راغب وان هذا الافرنجى دفع فيه الف دينار جملة فربحه تسعمائة دينار فاى ربح تريد اكثر من هذا الربح فالرأى عندى أنك تبيع هذا المنديل وتأخذ الالف دينار وتقول للذى عملته لك تعمل لك غيره أو أحسن منه واربح أنت الالف دينار من هذا الافرنجى الملعون عدو الدين فاستحى نور الدين من التجار وباع للافرنجى المنديل بالالف دينار ودفع له الثمن فى الحضرة وأراد نور الدين أن ينصرف ويمضى الى جاريته مريم ليبشرها بما كان من أمر الافرنجى فقال الافرنجى ياجماعة التجار احجزوا نور الدين فانكم واياه ضيوفى فى هذه الليلة فان عندى بتية خمر رومى من معتق الخمر وخروفا سمينا وفاكهة ونقلا ومشموما فانى أريد أنسكم هذه الليلة ولا يتأخر أحد منكم فقال التاجر ياسيدى

نور الدين نشتهي أن تكون معنا في مثل هذه الليلة لنتحدث وإياك فمن فضلك واحسانك أن تكون معنا فنحن واياك ضيوف عند هذا الافرنجي لانه رجل كريم ثم أنهم حلفوا عليه بالطلاق ومنعوه بالاكراه عن الرواح الى بيته ثم قاموا من وقتهم وساعتهم وقفلوا الدكاكين وأخذوا نور الدين معهم وراحوا مع الافرنجي الى قاعة مطية رحيبة بلوانين فاجلسهم فيها ووضع بين أيديهم سفرة غريبة الصنع بديعة العمل فيها صورة كاسر ومكسور وعاشق ومعشوق وسائل ومسؤل ثم وضع الافرنجي على تلك السفرة الاواني النفيسة من الصيني والبلور وكلها مملوءة بنفائس النقل والفاكهة والمشموم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٤٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الافرنجي لما وضع السفرة وعليها أواني صيني وبلور مملوءة بنفائس النقل والفاكهة والمشموم ثم قدم لهم الافرنجي بتية ملآنة بالخمر الرومي المعتق وأمر بذبيح خروف سمين ثم أن الافرنجي أوقد النار وصار يشوي من ذلك اللحم ويطعم التجار ويسقيهم من ذلك الخمر ويغمزهم على نور الدين أن ينزلوا عليه بالشراب فلم يزالوا يسقونه حتى سكر وغاب عن وجوده فلما رآه الافرنجي مستغرقا في السكر قال آنستنا ياسيدي نور الدين في هذه الليلة فرحبا بك ثم مرحبا بك وصار الافرنجي يؤانسه بالكلام ثم تقرب منه وجلس بجانبه وسارقه في الحديث ساعة زمانية ثم قال له ياسيدي نور الدين هل تبيعني جاريتك التي اشتريتها بحضرة هؤلاء التجار بالف دينار من مدة سنة وأنا أعطيك في ثمنها الآن خمسة آلاف دينار فابى نور الدين ولم يزل ذلك الافرنجي يطعمه ويسقيه ويرغبه في المال حتى أوصل الجارية الى عشرة آلاف دينار فقال نور الدين وهو في سكره قدام التجار بعتك اياها هات العشرة آلاف دينار ففرح الافرنجي بذلك القول فرحا شديدا واشهد عليه التجار بما توافي أكل وشربوا وانشراح الى الصباح ثم صاح الافرنجي على غلمانه وقال لهم ائتوني بالمال فاحضروا له المال فعد لنور الدين العشرة الاف دينار نقدا وقال له ياسيدي نور الدين تسلم هذا المال ثمن جاريتك التي بعتها في الليلة بحضرة هؤلاء التجار المسلمين فقال نور الدين ياملعون أنا ما بعتك شيئا وأنت تكذب علي وليس عندي جوار فقال له الافرنجي لقد بعتني جاريتك وهؤلاء التجار يشهدون عليك بالبيع فقال التجار كلهم نعم يانور الدين أنت بعته جاريتك قدامنا ونحن نشهد عليك انك بعته اياها بعشرة آلاف دينار قم اقبض الثمن وسلم اليه الجارية والله يعوضك خيرا منها اتنكر . يا نور الدين انك اشتريت جارية بالف دينار ولك سنة ونصف تتمتع بحسنها وجمالها وتتلذذ في كل ليلة بمنادمتها ووصالها وبعد ذلك ربحت من هذه الجارية تسعة الاف دينار فوق ثمنها الاصلي وفي كل يوم تعمل لك زنارا تبيعه بعشرين دينارا وبعد ذلك كله تنكر البيع وتستقل الربح أي ربح أكثر من هذا الربح وأي مكسب أكثر من هذا المكسب فان كنت تحبها فها أنت قد شبعت منها في هذه المدة فاقبض الثمن واشتري غيرها أحسن منها أو نزوجك بنتا من بناتنا بمهر أقل من نصف هذا الثمن وتكون البنت أجمل منها ويصير معك باقي المال رأس مال في يدك ولم يزل التجار يتكلمون مع نور الدين

الدين بالملاطفة والمخادعة الى أن قبض العشرة آلاف دينار ثمن الجارية واحضر الافرنجي من وقته وساعته القضاة والشهود فكتبوا الحجة باشتراء الجارية التي اسمها مريم الزنارية من نور الدين هذا ما كان من أمر نور الدين (وأما) ما كان من أمر مريم الزنارية فانها قعدت تنتظر سيدها جميع ذلك اليوم الى المغرب ومن المغرب الى نصف الليل فلم يعد اليها سيدها فجزعت وصارت تبكي بكاء شديدا فسمعها الشيخ العطار وهي تبكي فارسل اليها زوجته فدخلت عليها فرأتها تبكي فقالت لها ياسيدتي مالك تبكين فقالت لها ياأمي انى قعدت انتظر مجيء سيدي نور الدين فما جاء الى هذا الوقت وأنا خائفة أن يكون أحد عمل عليه حيلة من أجلي لاجل أن يبيعني فدخلت عليه بالحيلة وباعني وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٤١) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن مريم الزنارية قالت لزوجة العطار أنا خائفة أن يكون أحد عمل على سيدي حيلة من شاني لاجل أن يبيعني فدخلت عليه الحيلة وباعني فقالت لها زوجة العطار ياسيدتي مريم لو أعطوا اسيدك فيك ملء هذه القاعة ذهبا لم يبعك لما أعرفه من محبته لك ولكن ياسيدتي مريم ربما يكون جماعة اتوا من مدينة مصر من عند والديه فعمل لهم عزومة في المحل الذى هم نازلون فيه واستحي أن يأتي بهم الي هذا المحل لانه لا يسعهم ولان مرتبتهم أقل من أن يجيء بهم الي البيت أو أحب أن يخفي أمرك عنهم فبات عندهم الى الصباح ويأتي ان شاء الله تعالى اليك في غد بخير فلا تحمل نفسك هما ولا غما ياسيدتي فهذا سبب غيابه عنك في هذه الليلة وها أنا أبيت عندك في هذه الليلة وأسليك الى أن يأتي اليك سيدك ثم أن زوجة العطار صارت تلهي مريم وتسليها بالكلام الى أن ذهب الليل كله فلما أصبح الصباح نظرت مريم سيدها نور الدين وهو داخل من الزقاق وذلك الافرنجي وراءه وجماعة التجار حواليه فلما رأتهم مريم ارتعدت فرائصها واصفر لونها وصارت ترتعد كأنها سفينة في وسط بحر مع شدة الريح فلما رأتها امرأة العطار قالت لها ياسيدتي مريم مالي أراك قد تغير حالك واصفر لونك وازداد بك الذهول فقالت لها الجارية ياسيدتي والله ان قلبي قد أحس بالفراق وبعد التلاق ثم أن مريم الزنارية بكت بكاء شديدا ما عليه مزيد وتيقنت الفراق وقالت لزوجة العطار ياسيدتي أما قلت لك ان سيدي نور الدين قد عملت عليه حيلة من أجل بيعي فما أشك أنه باعني في هذه الليلة لهذا الافرنجي وقد كنت حذرته منه ولكن لا ينفع حذر من قدر فقد بان لك صدق قولي فبينما هي وزوجة العطار في الكلام واذا بسيدها نور الدين دخل عليها في تلك الساعة فنظرت اليه الجارية فرأته قد تغير لونه وارتعدت فرائصه ويلوح على وجهه اثر الحزن والندامه فقالت له ياسيدي نور الدين كأنك بعتني فبكى بكاء شديدا وتأوه وتنفس الصعداء وأنشد هذه الابيات

هي المقادير فما يغني الحذر ان كنت اخطأت فما اخطأ القدر
اذا اراد الله امرا بامرىء وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم اذنيه واعمى عينه وسل منه عقله سل الشعر

حتى اذا انفذ فيه حكمه رد اليه عقله ليعتبر
فلا تقل فيما جرى كيف جرى فكل شيء بقضاء وقدر

ثم ان نور الدين اعتذر الى الجاريه وقال لها والله ياسيدتى مريم انه قد جرى القلم بما حكم الله والناس قد عملوا على حيلة من اجل بيعك فدخلت على الحيلة فبعتك وقد فرطت فيك اعظم تفريط ولكن عسى من حكم بالفراق أن يمن بالتلاق فقالت له قد حذرتك من هذا وكان فى وهمي ثم ضمته الى صدرها وقبلته ما بين عينيه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٤٢) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الجارية لما ضمت نور الدين وقبلت ما بين عينيه انشدت هذه الابيات

وحق سواكم ماسلوت ودادكم ولو تلفت روحى هوى وتشوقا
انوح وابكى كل يوم وليلة كما ناح قمرى على شجر النقا
تنغص عيشى بعدكم ياأحبتى متى غبتم عنى فمالى ملتقى

فبينما هما على هذه الحاله واذا بالافرنجى قد طلع عليهما وتقدم ليقبل ايادى السيدة مريم فلطمته بكفها على خده وقالت له ابعد يا ملعون فما زلت ورأى حتى خدعت سيدى ولكن يا ملعون ان شاء الله تعالى لا يكون الا الخير فضحك الافرنجى من قولها وتعجب من فعلها واعتذر اليها وقال لها ياسيدتى مريم اى شيء ذنبي انا وانما سيدك نور الدين هذا هو الذى باعك برضا نفسه وطيب خاطره وانه وحق المسيح لو كان يحبك ما فرط فيك ولولا انه فرغ غرضه منك ما باعك وكانت هذه الجارية بنت ملك افرنجه وهى مدينة واسعة الجهات كثيرة الصنائع والغرائب والبنات تشبه مدينة القسطنطينية وقد كان لخروج تلك الجارية من عند ابيها وامها سببا عجيبا وامر غريبا وذلك انها تربت عند ابيها وامها فى العز والدلال وتعلمت الفصاحة والكتابة والفروسية والشجاعة وتعلمت جميع الصنائع مثل الزركشة والخياطة والحباكة وصنعة الزنار والعقادة ورمى الذهب على الفضة والفضة على الذهب وتعلمت جميع صنائع الرجال والنساء حتى صارت فريدة زمانها ووحيدة عصرها واوانها وقد اعطاها الله من الحسن والجمال والظرف والكمال ما فاقت به على جميع اهل عصرها فخطبها ملوك الجزائر من ابيها وكل من خطبها منه يأبى أن يزوجها له لانه كان يحبها حبا عظيما ولا يقدر على فراقها ساعة واحدة ولم يكن عنده بنت غيرها وكان معه من الاولاد الذكور كثير ولكنه كان مشغوفا بحبها اكثر منهم فاتفق انها مرضت فى بعض السنين مرضا شديدا حتى اشرفت على الهلاك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٤٣) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان مريم مرضت مرضا شديدا حتى اشرفت على الهلاك فنذرت على نفسها انها اذا عوفيت من هذا المرض تزور الدير الفلانى الذى فى الجزيرة الفلانيه وكان ذلك الدير معظما عندهم وينذرون له النذور ويتبركون به فلما عوفيت مريم من مرضها أرادت ان توفى بنذرها الذى نذرته على نفسها لذلك الدير فأرسلها والدها ملك افرنجه الى

ذلك الدير فى مركب صغير دوارسل معها بعض من بنات اكابر المدينة ومن البطارقه لاجل خدمتها فلما قربت من الدير خرجت مركب من مراكب المسلمين والمجاهدين فى سبيل الله فاخذوا جميع ما فى المركب من البطارقه والبنات والاموال والتحف فباعوا اما اخذوه من مدينة القير وان فوقعت مريم فى يد رجل اعجمي تاجر من التجار وقد كان ذلك الاعجمي عنينا لا يأتى النساء ولم تنكشف له عورة على امرأة فجعلها للخدمة ثم ان ذلك الاعجمي مرض مرضا شديدا حتى اشرف على الهلاك وطال عليه المرض مدة شهور فخدمته مريم وبالغت فى خدمته الى ان عافاه الله من مرضه فتذكر ذلك الاعجمي منها الشفقة والحنية عليه والقيام بخدمته فاراد ان يكافئها على مافعلته معه من الجميل فقال لها تمنى على يامريم فقالت ياسيدى تمنيت عليك ان لا تبيعنى الا لمن اريده واحبه فقال لها نعم لك على ذلك يامريم ما أبيعك الا لمن تريدينه وقد جعلت بيعك بيدك ففرحت فرحا شديدا وكان الاعجمي قد عرض عليها الاسلام فأسلمت وعلمها العبادات فتعلمت من ذلك الاعجمى فى تلك المدة امر دينها وما وجب عليها وحفظها القرآن وماتيسر من العلوم الفقهيه والاحاديث النبويه فلما دخل بها مدينة اسكندريه باعها لمن ارادته وجعل بيعها بيدها كما ذكرنا فأخذها على نور الدين كما اخبرنا هذا سبب خروجها من بلادها (وأما) ما كان من امر ابيها ملك افرنجه فانه لما بلغه أمر ابنته ومن معها قامت عليه القيامة وارسل خلفها المراكب وصحبتهم البطارقه والفرسان والرجال الابطال فلم يقعوا لها على خبر بعد التفتيش فى جزائر المسلمين ورجعوا الى ابيها بالويل والثبور وعظائم الامور وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٤٤) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان مريم لما فقدت ارسل ابيها خلفها الرجال والابطال فلم يقعوا لها على خبر بعد التفتيش عليها لحزن عليها ابوها حزنا شديدا فارسل وراءها ذلك الاعور اليمين والاعرج الشمال لانه كان اعظم وزرائه وكان جبارا عنيدا ذا حيل وخداع وامره ان يفتش عليها فى جميع بلاد المسلمين ويشتريها ولو بملء مركب ذهبا ففتش عليها ذلك الملعون فى جزائر البحار وسائر المدن فلم يقع لها على خبر الى ان وصل الى مدينة اسكندريه وسأل عنها فوقع على خبرها عند نور الدين المصري فجرى له معه ماجرى وعمل عليه الحيلة حتى اشتراها منه كما ذكرنا بعد الاستدلال عليها بالمنديل الذي لا يحسن صنعته غيرها وكان قد وصى التجار واتفق معهم على خلاصها بالحيلة فلما صارت عنده مكثت فى بكاء وعويل فقال لها ياسيدتى مريم خلى عنك هذا الحزن والبكاء وقومى معى الى مدينة ابيك ومحل مملكتك ومنزل عزك ووطنك لتكونى بين خدمك وغلمانك واتركى هذا الذل وهذه الغربة ويكفى ماحصل لى من التعب والسفر من اجلك وصرف اموال فانى لى فى التعب والسفر نحو سنة ونصف وقد امرنى والدك ان اشتريك ولو بملء مركب ذهبا ثم ان وزير ملك افرنجه صار يقبل قدميها ويتخضع لها ولم يزل يكرر تقبيل يديها وقدميها ويزداد غضبها عليه كلما فعل ذلك ادبا معها وقالت له ياملعون الله تعالى لا يبلغك مافى مرادك ثم قدم اليها الغلمان فى تلك الساعة بغلة بسرج مزركش واركبوها عليه ورفعوا فوق رأسها سحابة من حرير

بعواميده من ذهب وفضة وصار الافرنج يمشون حولها حتى طلعوا بها من باب البحر وانزلوها فى قارب صغير وصاروا يقذفون بها الى ان وصلوها الى المركب الكبيرة وانزلوها فيها فعند ذلك نهض الوزير الاعور وقال لبحرية المركب ارفعوا الصارى فرفعوه من وقتهم وساعتهم ونشروا القلوع والاعلام ونشروا القطن والكتان واعملوا المقاذيف وسافرت بهم تلك المركب هذا كله ومريم تنظر الى ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينها فصارت تبكى فى سرها بكاء شديدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٦٥) قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن مريم الزنارية صارت تنظر الى ناحية اسكندرية حتى غابت عن عينها فبكت وانتحبت وسكبت العبرات وانشدت هذه الابيات



﴿المركب الذى اخذ فيها الوزير الاعور مريم الزنارية وسافرت من الاسكندرية﴾

ايا منزل الاحباب هل لك عودة … الينا وما علمى بما الله صانع
فسارت بناسفن الفراق واسرعت … وطرفى قريح قد محته المدافع
لفرقة خل كان غاية مقصدى … به يشتفى سقمى وتمحى المواجع
الا يا الهى كن عليه خليفتى … فعند يوم لا تضيع الودائع

ولم تزل كلما تذكرته تبكى وتنوح فأقبل عليها البطارقه يلاطفونها فلم تقبل منهم كلاما بل شغلها

في الوجد والغرام ثم انها بكت وانت واشتكت وانشدت هذه الابيات

لسان الهوى في مهجتي لك ناطق　　يخبر عنى انني لك عاشق
ولي كبد جمر الهوى قد اذابها　　وقلبي جريح من فراقك خافق
وكم اكتم الحب الذي قد اذابني　　لجفني قريح والدموع سوابق

ولم تزل مريم على هذه الحالة لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اصطبار مدة سفرها هذا ما كان من امرها مع الوزير الاعور (واما) ما كان من امر نور الدين على المصرى ابن تاج الدين فانه بعد نزول مريم المركب وسفرها ضاقت عليه الدنيا وصار لا يقر له قرار ولا يطاوعه اصطبار فتوجه الى القاعه التى كان مقيما بها هو ومريم فرآها فى وجهه سوداء مظلمة ورأى العدة التى كانت تشتغل عليها الزنانير وثيابها التى كانت على جسدها فضمها الى صدره وبكى وفاضت من جفنه العبرات وانشد هذه الابيات

ترى هل يعود الشمل بعد تشتتي　　وبعد توالى حسرتي وتلفتي
فهيهات ماقدكان ليس براجع　　فياهل ترى أحظى بوصل حبيبتي
وياهل ترى قد يجمع الله شملنا　　وتذكر أحبابي وعهود مودتي
ويحفظ ودى من بجهلي أضعته　　ويرعى عهودى ثم سالف صحبتي
فماانا الاميت بعد بعدهم　　وهل ترتضي الاحباب يوما منيتي
فياأسفى ان كان يجدى تأسفى　　لقد ذبت وجدا من تزايد حسرتي
وضاع زمان كان فيه تواصلى　　فياهل ترى دهرى يجود بغنيتي
فياقلب زد وجدا وياعين اهملي　　دموعا ولا تبقى الدموع بمقلتي
ويابعد أحبابي وفقد تصبرى　　وقد قل أنصارى وزادت بليتي
سألت اله العالمين يجود لى　　بعود حبيبي والوصال كعادتي

ثم ان نور الدين بكى بكاء شديدا ماعليه من مزيد ونظر الى زوايا القاعة وأنشد هذين البيتين

أرى آثارهم فاذوب شوقا　　وأجرى فى مواطنهم دموعي
واسأل من قضى بالبعد عنهم　　يمن على يوما بالرجوع

ثم ان نور الدين نهض من وقته وساعته وقفل باب الدار وخرج يجرى الى البحر وصار يتأمل فى موضع المركب التى سافرت بمريم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٤٦) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن نور الدين لما خرج يجرى الى البحر صار يتأمل فى موضع المركب التى سافرت بمريم ثم بكى وصعد الزفرات وأنشد هذه الابيات

سلام عليكم ليس لى عنكم غنى　　وانى على الحالين فى القرب والبعد
أحن اليكم كل وقت وساعة　　واشتاقكم شوق العطاش الى الورد
وعندكم سمعى ولبى وناظرى　　وتذكاركم عندى الذمن الشهد
فياأسفى لما استلقت ركابكم　　وحادت بكم تلك السفينة عن قصدى

ثم ان نورالدين ناح وبكى وان واشتكي ونادى يامريم يامريم هل كانت رؤيتي لك في المنام أم أضغاث أحلام فبينما نورالدين على هذه الحالة يبكي و يقول يامريم يامريم واذا بشيخ قد طلع من مركب وأقبل عليه فرآه يبكي و ينشد هذين البيتين

يامريم الحسن عودى ان لى مقلا . سحائب المزن تجري من سوا كبها
واستخبرى عذلى دون الانام ترى أجفان عينى غرق فى كواكبها

فقال الشيخ ياولدى كانك تبكى على الجارية التى سافرت البارحة مع الافرنجى فلما سمع نورالدين كلام الشيخ خر مغشيا عليه ساعة زمانية ثم أفاق وبكى بكاء شديدا ماعليه من مزيد وأنشد هذه الابيات

فهل بعد هذا البعد يرجى وصالها ولذة انسى قد يعود كمالها
فان فى قلبي لوعة وصبابة و يزعجنى قيل الوشاة وقالها
اقيم نهارى باهتا متحيرا وفى الليل أرجو أن يزور خيالها
فوالله لا أسلو عن العشق ساعة وكيف ونفسى فى الوشاة ملالها
منعمة الاطراف مهضومة الحشا لها مقلة فى القلب منى نبالها
يحاكى قضيب البان فى الروض قدها ويخجل ضوء الشمس حسنا جمالها
ولولا أخاف الله جل جلاله لقلت لذات الحسن جل جلالها

فلما نظر ذلك الشيخ الى نورالدين ورأى جماله وقده واعتداله وفصاحة لسانه ولطف افتنانه حزن قلبه عليه ورق لحاله وكان ذلك الشيخ رئيس مركب مسافرة الى مدينة تلك الجارية وفيها مائة تاجر من تجار المسلمين المؤمنين فقال له اصبر ولا يكون الا خيرا فان شاء الله سبحانه وتعالى أوصلك اليها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٤٧) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الشيخ الريس لما قال لنورالدين أنا أوصلك اليها ان شاء الله تعالى قال له نورالدين متى السفر قال الريس بعد ثلاثة أيام نسافر فى خير وسلامة فلما سمع نورالدين كلام الريس فرح فرحا شديدا وشكر فضله واحسانه ثم أن نورالدين طلع من وقته وساعته وتوجه الى السوق وأخذ منه جميع مايحتاج اليه من الزاد وأدوات السفر وأقبل على ذلك الريس فلما رآه قال ياولدى ماهذا الذى معك قال زوادتى وما احتاج اليه فى السفر فضحك الريس من كلامه وقال له ياولدى هل أنت رائح تتفرج على عمود السوارى ان بينك و بين مقصدك مسيرة شهرين اذا طاب الريح وصفت الاوقات ثم أن ذلك الشيخ أخذ من نورالدين شيأ من الدراهم وطلع الى السوق واشترى له جميع مايحتاج اليه فى السفر على قدر كفايته وملأ له بنية ماء حلو ثم أقام نورالدين فى المركب ثلاثة أيام الى أن تجهز التجار وقضوا مصالحهم ونزلوا فى المركب ثم حل الريس قلوعها وساروا مدة احدى وخمسين يوما و بعد ذلك خرج عليهم القرصان قطاع الطريق فنهبوا المركب وأسروا جميع من فيها وأتوا بهم الى مدينة افرنجة وعرضوهم على الملك وكان نورالدين من جملتهم

فامر الملك بحبسهم وفي وقت نزولهم من عند الملك الى الحبس وصل الغراب الذي فيه الملكة مريم الزنارية مع الوزير الاعور فلما وصل الغراب الى المدينة طلع الوزير الى الملك وبشره بوصول ابنته مريم الزنارية سالمة فدقوا البشائر وزينوا المدينة بأحسن زينة وركب الملك في جميع عسكره وارباب دولته وتوجهوا الى البحر ليقابلوها فلما وصلت المركب طلعت ابنته مريم فعانقها وسلم عليها وسلمت عليه وقدم لها جوادا فركبته فلما وصلت الى القصر قابلتها أمها وعانقتها وسلمت عليها وسألتها عن حالها وهل هي بكر مثل ما كانت عندهم سابقا أم صارت امرأة ثيبا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٤٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أم مريم لما سألتها عن حالها وهل هي ثيبا أم بكر فقالت لها مريم يا أمي بعد أن يباع الانسان في بلاد المسلمين من تاجر الى تاجر يصير محكوما عليه كيف يبقى بنتا بكرا أن التاجر الذي اشتراني هددني بالضرب وأكرهني وأزال بكارتي وباعني لآخر وآخر باعني لآخر فلما سمعت أمها منها ذلك الكلام صار الضياء في وجهها ظلاما ثم اعادت على أبيها هذا الكلام فصعب ذلك عليه وعظم أمرها لديه وعرض حالها على أرباب دولته و بطارقته فقالوا له أيها الملك أنها تنجست من المسلمين وما يطهرها الا ضرب مائة رقبة من المسلمين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٤٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الرهبان قالوا اما يطهرها الا ضرب مائة رقبة من المسلمين فعند ذلك أمر باحضار الاسارى الذين في الحبس فاحضروهم جميعا بين يديه ومن جملتهم نور الدين فأمر الملك بضرب رقابهم فأول من ضربوا رقبته ريس المركب ثم ضربوا رقاب التجار واحدا بعد واحد حتى لم يبق الا نور الدين فشرطوا ذيله وعصبوا عينيه وقدموه الى نطع الدم وارادوا أن يضربوا رقبته واذا بامرأة عجوز اقبلت على الملك في تلك الساعة وقالت له يا مولاي انت كنت نذرت لكل كنيسة خمسة أسارى من المسلمين ان رد الله بنتك مريم لاجل ان تساعدوا في خدمتها والآن قد وصلت اليك بنتك السيدة مريم فاوف بنذرك الذي نذرته فقال لها الملك يا أمي وحق المسيح والدين الصحيح لم يبق عندي من الاسارى غير هذا الاسير الذي يريدون قتله فخذيه معك يساعدك في خدمة الكنيسة الى أن يأتي الينا أسارى من المسلمين فارسل اليك أربعة أخر ولو كنت سبقت قبل أن يضربوا رقاب هؤلاء الاسارى لاعطيناك كل ما تريدينه فشكرت العجوز صنيع الملك ودعت له بدوام العز والبقاء والنعم ثم تقدمت العجوز من وقتها وساعتها الى نور الدين واخرجته من نطع الدم ونظرت اليه فرأته شابا لطيفا ظريفا رقيق البشرة ووجهه كأنه البدر اذا بدر في الليلة أربعة عشر فاخذته ومضت به الى الكنيسة وقالت له يا ولدي اقلع ثيابك التي عليك فانها لا تصلح الا لخدمة السلطان ثم أن العجوز جاءت لنور الدين بجبة من صوف أسود ومئزر من صوف أسود وسير عريض فالبسته تلك الجبة وعممته بالمئزر وشدت وسطه بالسير وأمرته أن يخدم الكنيسة مدة سبعة أيام فبينما هو كذلك واذا بتلك العجوز قد اقبلت عليه وقالت له يا مسلم خذ

ثيابك الحرير والبسها وخذ هذه العشرة دراهم واتفرج في هذه الساعة تفرج في هذا اليوم ولا تقف هنا ساعة واحدة لئلا تروح روحك فقال لها نور الدين يا أمي أى شيء الخبر فقالت له العجوز اعلم يا ولدي أن بنت الملك السيدة مريم الزنارية تريد أن تدخل الكنيسة في هذا الوقت لاجل ان تزورها وتتبرك بها وتتقرب لها قربانا حلاوة السلامة بسبب خلاصها من بلاد المسلمين وتوفي لها النذور التي نذرتها أن نجاها المسيح ومعها أربعمائة بنت ما واحدة منهن الا كاملة في الحسن والجمال ومن جملتهن بنت الوزير وبنات الامراء وأرباب الدولة وفي هذه الساعة يحضرون وربما يقع نظرهن عليك في هذه الكنيسة فيقطعنك بالسيوف فعند ذلك أخذ نور الدين من العجوز العشرة دراهم بعد أن لبس ثيابه وخرج الى السوق وصار يتفرج في شوارع المدينة حتى عرف جهاتها وأبوابها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٥٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن نور الدين لما لبس ثيابه أخذ العشرة دراهم من العجوز ثم خرج الى السوق وغاب ساعة حتى عرف جهات المدينة ثم رجع الى الكنيسة فرأى مريم الزنارية بنت ملك افرنجة قد اقبلت على الكنيسة ومعها أربعمائة بنت نهد ابكار كأنهن الاقمار ومن جملتهن بنت الوزير الاعور وبنات الامراء وأرباب الدولة وهي تمشي بينهن كأنها القمر بين النجوم فلما وقع نظر نور الدين عليها لم يتمالك نفسه بل صرخ من صميم قلبه وقال يا مريم يا مريم فلما سمعت البنات صياح نور الدين وهو ينادي يا مريم هجمن عليه وجردن بيض الصفاح مثل الصواعق وأردن قتله في تلك الساعة فالتفتت اليه مريم وتأملته فعرفته غاية المعرفة فقالت للبنات اتركن هذا الشاب فانه مجنون بلا شك لان علامة الجنون لائحة على وجهه فلما سمع نور الدين من السيدة مريم هذا الكلام كشف رأسه وحملق عينيه وأشاح بيديه وعوج رجليه واخرج الزبد من فيه وشدقيه فقالت لهن السيدة مريم أما قلت لكن ان هذا مجنون احضرنه عندي وابعدن عنه حتى اسمع ما يقول فاني أعرف كلام العرب وانظر حاله وهل داء جنونه يقبل المداواة أم لا فعند ذلك حملته البنات وجئن به بين يديها ثم بعدن عنه فقالت له هل جئت الى هنا من أجلي وخاطرت بنفسك وعملت نفسك مجنونا فقال لها نور الدين يا سيدتي اما سمعت قول الشاعر

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم . ما لذة العيش الا للمجانين
هاتوا جنوني وهاتوا من جننت به . فان وفى بجنوني لا تلوموني

فقالت له مريم والله يا نور الدين انك الجاني على نفسك فاني حذرتك من هذا قبل وقوعه فلم تقبل قولي وتبعت هوى نفسك وأنا ما أخبرتك لا من باب الكشف ولا من باب الفراسة ولا من باب الرؤية في المنام وانما هو من باب المشاهدة والعيان لاني رأيت الوزير الاعور فعرفت أنه ما دخل في هذه البلدة الا في طلبي فقال لها نور الدين يا سيدتي مريم نعوذ بالله من ازالة العقل ثم تزايد بنور الدين الحال فانشد هذا المقال

هب لي جناية من زلت به القدم . قد يشمل العبد من ساداته كرم

حسب المسيء بذنب من جنايته فرط الندامة اذلاينفع الندم
فعلت مايقتضي التأديب معترفا فاين مايقتضيه العفو والكرم

ولم يزل نور الدين هو والسيدة مريم الزنارية في عتاب يطول شرحه وكل منهما يحكى لصاحبه ماجرى له ويناشدان الاشعار ودموعها تجرى على خدودها اشبه البحار ويشكوان لبعضهما شدة الهوى واليم الوحدة والجوى الى أن لم يبق لاحد هما قوة على الكلام وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٥١) قالت بلغنى ايها الملك السعيد أن نور الدين والسيدة مريم شكا لبعضهما ماجرى لهما عند فراقهما وماهما عليه من شدة الهوى الى أن لم يبقى لاحدهما قوة على الكلام وكان النهار قد ولى واقبل الظلام وكان على السيدة مريم حلة خضراء مزركشة بالذهب الاحمر مرصعة بالدر والجوهر فزاد حسنها وجمالها وظرف معانيها فعند ذلك قبلت السيدة مريم على البنات وقالت لهن هل اغلقتن الباب فقلن لها قد اغلقناه فعند ذلك أخذت السيدة مريم البنات وأتت بهن الى مكان يقال له مكان السيدة مريم العذراء أم النور لان النصارى يزعمون أن روحنيتها وسرها في ذلك المكان فصار البنات يتبركن به ويطفن في الكنيسة كلها ولما فرغن من زيارتها التفتت السيدة مريم اليهن وقالت لهن انى أريد أن أدخل وحدى في هذه الكنيسة وأتبرك بها فانه حصل لى اشتياق اليها بسبب طول غيبتي في بلاد المسلمين وأما انتن فحيث فرغتن من الزيارة فنمن حيث شئتن فقلن لها حبا وكرامة افعلى انت ماتريدينه ثم انهن تفرقن عنها في الكنيسة ونمن فعند ذلك استغفلتهن مريم وقامت تفتش على نور الدين فرأته في ناحية جالسا على مقالى الجمر وهو في انتظارها فلما اقبلت عليه قام لها على قدميه وقبل يديها فجلست واجلسته في جانبها ثم نزعت ماكان عليها من الحلى والحلل ونفيس القماش وضمت نور الدين الى صدرها وجعلته في حضنها ولم تزل هي واياه في بوس وعناق ونغمات خاق باق وهما يقولان ماأقصر ليل التلاق وماأطول يوم الفراق وينشدان قول الشاعر

ياليلة الوصل وبكر الدهر لانت غرة الليالى الغر
جأتنى بالصبح وقت العصر هل كنت كحلا في عيون الفجر
أوكنت نوما في عيون رمد

وقول الآخر
ياليلة الهجر ومأطولها آخرها مواصل أولها
كحلقة مفرغة ماان لها

وقول الآخر
من طرف والحشر أينا قبلها فالصب بعد البعث ميت الصد

فبينما هما في هذه اللذة العظيمة والفرحة العميمة واذا بغلام من الغلمان النفيسة يضرب فوق سطح الكنيسة ليقيم من عادتهم الشعائر وهو كما قال الشاعر

رأيته يضرب الناقوس قلت له من علم الظبى ضربا بالنواقيس
وقلت للنفس اى الضرب أحسن هل ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسى

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٥٢) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان مريم الزنارية مازالت هى ونور الدين فى لذة وطرب الى ان طلع الغلام النواقيسى فوق سطح الكنيسة وضرب الناقوس فقامت من وقتها وساعتها ولبست ثيابها وحليها فشق ذلك على نور الدين وتكدر وقته فبكى وسكب العبرات وأنشد هذه الابيات

لا زلت ألثم ورد خد غض ... وأعض ذاك مبالغا فى العض
حتى اذا طبنا ونام رقيبنا ... وعيونه مالت لنحو الغمض
ضربت نواقيس تنبه أهلها ... كمؤذن يدعو الصلاة الفرض
قامت على عجل للبس ثيابها ... من خوفه نجم رقيبنا المنقض
وتقول ياسؤلى وياكل المنى ... جاء الصباح بوجهه المبيض
أقسمت لو أعطيت يوم ولاية ... وبقيت سلطانا شديد القبض
لهدمت أركان الكنائس كلها ... وقتلت كل مقسس فى الارض

ثم ان السيدة مريم ضمت نور الدين الى صدرها وقبلت خده وقالت له يا نور الدين كم يوما لك فى هذه المدينة فقال سبعة أيام فقالت له هل سرت فى هذه المدينة وعرفت طرقها ومخارزها وأبوابها التى من ناحية البر والبحر قال نعم قالت وهل تعرف طريق صندوق النذر الذى فى الكنيسة قال نعم قالت له حيث كنت تعرف ذلك كله اذا كانت الليلة القابلة ومضى ثلث الليل الاول فاذهب فى تلك الساعة الى صندوق النذر وخذ منه ماتريد وتشتهى وافتح باب الكنيسة الذى فيه الخوخة التى توصل الى البحر فانك تجد سفينة صغيرة فيها عشرة رجال بحرية فمتى رآك الريس يمد يده اليك فناوله يدك فانه يطلعك فى السفينة فاقعد عنده حتى أجىء اليك والحذر ثم الحذر من ان يلحقك النوم فى تلك الليلة فتندم حيث لا ينفعك الندم ثم ان السيدة مريم ودعت نور الدين وخرجت من عنده فى تلك الساعة ونبهت جواريها وسائر البنات من نومهن وأخذتهن واتت الى باب الكنيسة ودقته ففتحت العجوز الباب فلما طلعت منه رأت الخدام والبطارقة وقوفا فقدموا لها بغلة فركبتها وأرخوا عليها ناموسية من الحرير وأخذ البطارقة بزمام البغلة ووراءها البنات واحتاط بها الجاويشيه وبايديهم السيوف مسلولة وساروا بها الى ان وصلوا الى قصر أبيها هذا ما كان من أمر مريم الزنارية (وأما) ما كان من أمر نور الدين فانه لم يزل مختفيا وراء الستارة التى كان مستترا خلفها هو ومريم الى ان طلع النهار وانفتح باب الكنيسة وكثرت الناس فيها فاختلط بالناس وجاء الى تلك العجوز قيمة الكنيسة فقالت له اين كنت راقدا فى هذه الليلة قال فى محل داخل المدينة كما أمرتينى فقالت العجوز انك فعلت الصواب ياولدى ولو كنت بت الليلة فى الكنيسة كانت قتلتك أقبح قتلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٥٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان العجوز لما قالت لنور الدين لو كنت بت الليلة فى الكنيسة كانت قتلتك أقبح قتلة فقال لها نور الدين الحمد لله الذى نجانى من شر هذه الليلة

ولم يزل نور الدين يقضي شغله فى الكنيسة الى ان مضى النهار وأقبل الليل بدياجى الاعتكار فقام نور الدين وفتح صندوق النذر وأخذ منه ماخف حمله وغلا ثمنه من الجواهر ثم صبر الى ان مضى ثلث الليل الاول وقام ومشي الى باب الخوخة التى توصل الى البحر وهو يطلب الستر من الله ولم يزل يمشي الى ان وصل الى الباب وفتحه وخرج من تلك الخوخة وراح الى البحر فوجد السفينة راسية على شاطيء البحر بجوار الباب ووجد الريس شيخا كبيرا ظريفا لحيته طويلة وهو واقف فى وسطها على رجليه والعشرة رجال واقفون قدامه فناوله نور الدين يده كما أمرته مريم فاخذه من يده وجذبه فصار فى وسط السفينة فعند ذلك صاح الشيخ الريس على البحرية وقال لهم اقلعوا امراس السفينة من البر وعوموا بنا قبل ان يطلع النهار فقال واحد من العشرة البحرية ياسيدى الريس كيف نعوم والملك أخبرنا انه فى غد يركب السفينة فى هذا البحر ليطلع على مافيه لانه خائف على ابنته مريم من سراق المسلمين فصاح عليهم الريس وقال لهم ويلكم ياملاعين هل بلغ من أمركم انكم تخالفوننى وتردون كلامى ثم ان الريس سل سيفه من غمده وضرب به ذلك المتكلم على عنقه فخرج السيف يلمع من رقبته فقال واحد وأى شيء عمل صاحبنا من الذنوب حتي تضرب رقبته فمد يده الى السيف وضرب به عنق هذا المتكلم ولم يزل ذلك الريس يضرب أعناق البحرية واحدا بعد واحد حتى قتل العشرة ورماهم على شاطيء البحر ثم التفت الى نور الدين وصاح عليه صيحة عظيمة أرعبته وقال له انزل اقلع الوتد فخاف نور الدين من ضرب السيف ونهض قائما ووثب الى البر وقلع الوتد ثم طلع فى السفينة أسرع من البرق الخاطف وصار الريس يقول له افعل كذا وكذا ودور كذا وكذا وانظر فى النجوم ونور الدين يفعل جميع ما يأمره به الريس وقلبه خائف مرعوب ثم رفع شراع المركب وسارت بهما فى البحر العجاج المتلاطم بالامواج . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٥٤) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشيخ الريس لما رفع شراع المركب توجه بالمركب هو ونور الدين فى البحر العجاج وقد طاب لهما الريح كل ذلك ونور الدين ماسك بيده الراجع وهو غريق فى بحر الافكار ولم يزل مستغرقا فى الفكر ولم يعلم بما هو مخبوء له فى الغيب وكلما نظر الى الريس ارتعب قلبه ولم يعلم بالجهة التى يتوجه اليها الريس بل صار مشغولا فى فكر ووسواس الى ان أضحى النهار فعند ذلك نظر نور الدين الى الريس فرآه قد أخذ لحيته الطويلة بيده وجذبها فطلعت من موضعها فى يده وتأملها نور الدين فوجدها لحية كانت ملصقة زورا ثم تأمل نور الدين فى ذات الريس ودقق نظره فيها فرآها السيدة مريم معشوقته ومحبوبة قلبه وكانت قد تحيلت بتلك الحيلة حتى قتلت الريس وسلخت وجهه بلحيته وأخذت جلده وركبته على وجهها فتعجب نور الدين من فعلها وشجاعتها ومن قوة قلبها وطار عقله من الفرح واتسع صدره وانشرح وقال لها مرحبا يامنيتى وسؤلى وغاية مطلبي وكانت السيدة مريم قوية القلب تعرف باحوال سير المراكب فى البحر المالح وتعرف الاهوية واختلافها وتعرف جميع طرق البحر فقال لها نور الدين والله ياسيدتى لو اطلت على

هذا الامر لمت من شدة الخوف والفزع خصوصا من نار الوجد والاشتياق وأليم عذاب الفراق فضحكت من كلامه وقامت من وقتها وساعتها واخرجت شيئا من المأكول والمشروب فأكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وبعد ذلك أخرجت من اليواقيت والجواهر وأصناف المعادن والذخائر الغالية وأنواع الذهب والفضة ماخف حمله وغلا ثمنه من الذى جاءت به وأخذته من قصر أبيها وخزائنه وعرضت ذلك على نور الدين ففرح به غاية الفرح كل ذلك والريح معتدل والمركب سائرة ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية وشاهدوا أعلامها القديمة والجديدة وشاهدوا عمود السوارى فلما وصلوا الي الميناطلع نور الدين من وقته وساعته على تلك السفينة وربطها في حجر من أحجار القصارين وأخذ معه شيئا من الذخائر التى جاءت بها الجارية معها وقال للسيدة مريم اقعدى ياسيدتى فى السفينة حتي اطلع بك الى اسكندرية مثل ما أحب واشتهى فقالت له ولكن ينبغي ان يكون ذلك بسرعة لان التراخي فى الامور يورث الندامة فقال لها ماعندى تراخ فقعدت مريم فى السفينة وتوجه نور الدين الى بيت العطار صاحب أبيه ليستعير لها من زوجته نقابا وخبرة وخفا وازارا كعادة نساء اسكندريه ولم يعلم بما لم يكن له فى حساب من تصرفات الدهر صاحب العجب العجاب هذا ما كان من أمر نور الدين ومريم الزنارية (وأما) ما كان من أمر أبيها ملك أفرنجة فانه لما أصبح الصباح تفقد ابنته مريم فلم يجدها فسأل عنها من جواريها وخدمها فقالوا له يامولانا انها خرجت بالليل وراحت الي الكنيسة وبعد ذلك لم نعرف لها خبرا فبينما الملك يتحدث مع الجواري والخدم فى تلك الساعة واذا بصرختين عظيمتين تحت القصر دوى لهما المكان فقال الملك ما الخبر فقالوا له أيها الملك انه وجد عشرة رجال مقتولون على ساحل البحر وسفينة الملك قد فقدت ورأينا باب الخوخة الذى فى الكنيسة من جهة البحر مفتوحا والاسير الذى كان فى الكنيسة يخدمها قد فقد فقال الملك ان كانت سفينتي التي فى البحر فقدت فبنتى مريم فيها بلاشك ولا ريب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٥٥) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن ملك افرنجة لما فقدت ابنته مريم جاؤا له بالخبر وقالوا له ان سفينتك فقدت فقال ان كانت سفينتي قد فقدت فابنتى مريم فيها بلاشك ولا ريب ثم ان الملك دعا من وقته وساعته بريس المينة وقال له وحق المسيح والدين الصحيح ان لم تلحق سفينتى في هذه الساعة بعسكر وتأتينى بها وبمن فيها الا قتلتك أشنع قتلة وامثل بك اشنع مثلة ثم صرخ عليه الملك فخرج من بين يديه وهو يرتعد وطلب العجوز من الكنيسة وقال لها ما كنت تسمعين من الاسير الذى كان عندك فى شان بلاده ومن أى البلاد هو فقالت له كان يقول انا من مدينة اسكندريه فلما سمع الريس كلام العجوز رجع من وقته وساعته الى المينة وصاح على البحرية وقال لهم تجهزوا وحلوا القلوع ففعلوا ما أمرهم به وسافروا ولم يزالوا مسافرين ليلا ونهارا حتى أشرفوا على مدينة اسكندرية فى الساعة التى طلع فيها نور الدين من السفينة وترك فيها السيدة مريم وكان من جملة الافرنج الوزير الاعور الاعرج الذى كان اشتراها من نور الدين فرأوا السفينة مربوطة فعرفوها

ثم بطوا مراكبهم بعيدا عنها وأتوا اليها في مركب صغيرة من مراكبهم تعوم على ذراعين من الماء وفي تلك المركب مائة مقاتل ومن جملتهم الوزير الأعور الأعرج لانه كان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا واصلا محتالا لا يقدر أحد على احتياله يشبه أبا محمد البطال ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا الى تلك السفينة فهجموا عليها وحملوا حملة واحدة فلم يجدوا فيها أحدا الا السيدة مريم فاخذوها هي والسفينة التي هي فيها بعد أن طلعوا على الشاطىء وأقاموا زمنا طويلا ثم عادوا من وقتهم وساعتهم الى مراكبهم وقد فازوا ببغيتهم من غير قتال ولا شهر سلاح ورجعوا قاصدين بلاد الروم وسافروا وقد طاب لهم الريح ولم يزالوا مسافرين على حماية الى ان وصلوا الى مدينة أفرنجة وطلعوا بالسيدة مريم الى أبيها وهو في تخت مملكته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٥٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الافرنج لما طلعوا بالسيدة مريم الى أبيها وهو على تخت مملكته فلما نظر اليها أبوها قال لها ويلك يا خائنة كيف تركت دين الآباء والاجداد وحصن المسيح الذي عليه الاعتماد واتبعت دين الاسلام الذي قام بالسيف على رغم الصليب والاصنام فقالت له مريم أنا مالي ذنب لاني خرجت في الليل الى الكنيسة لازور السيدة مريم واتبرك بها فبينما أنا في غفلة واذا بسراق المسلمين قد هجموا على وسدوا فمي وشدوا وثاقي وحطوني في السفينة وسافروا بي الى بلادهم فخادعتهم وتكلمت معهم في دينهم الى أن فكوا وثاقي وما صدقت ان رجالك أدركوني وخلصوني وأنا وحق المسيح والدين الصحيح وحق الصليب ومن صلب عليه قد فرحت بفكاكي من أيديهم غاية الفرح واتسع صدري وانشرح حيث خلصت من أسر المسلمين فقال لها أبوها كذبت يا فاجرة يا عاهرة وحق ما في محكم الانجيل من منزل التحريم والتحليل لا بد لي من ان أقتلك أقبح قتلة وامثل بك أشنع مثلة أما كفاك الذي فعلتيه في الاول ودخل علينا محالك حتى رجعت الينا ببهتانك ثم ان الملك أمر بقتلها وصلبها على باب القصر فدخل عليه الوزير الاعور في تلك الساعة وكان مغرما بحبها قديما وقال له أيها الملك لا تقتلها وزوجني بها وأنا أحرص عليها غاية الحرص وما أدخل عليها حتى أبني لها قصرا من الحجر الجلمود وأعلي بنيانه حتى لا يستطيع أحد من السارقين الصعود على سطحه واذا فرغت من بنيانه ذبحت على بابه ثلاثين من المسلمين واجعلهم قربانا للمسيح عني وعنها فانعم عليه الملك بزواجها واذن للقسيسين والرهبان والبطارقة أن يزوجوها له فزوجوها الوزير الاعور واذن أن يشرعوا لها في بنيان قصر مشيد يليق بها فشرعت العمال في العمل هذا ما كان من أمر الملكة مريم وأبيها والوزير الاعور (وأما) ما كان من أمر نور الدين والشيخ العطار فان نور الدين لما توجه الى العطار صاحب أبيه استعار من زوجته ازارا وخفا وثيابا كثياب نساء اسكندرية ورجع بها الى البحر وقصد السفينة التي فيها السيدة مريم فوجد الجو قفرا والمزار بعيدا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٥٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان نور الدين لما رجع الى البحر وجد الجو قفرا

والمزار بعيد صار قلبه حزينا فبكى بدموع متواتره وانشد قول الشاعر

سرى طيف سعدى طارقا فاستفزنى ... سحيرا وصحبى فى الفلاة رقود

فلما انتبهنا للخيال الذى سرى ... ارى الجو قفرا والمزار بعيد

فمشى نور الدين على شاطىء البحر يتلفت يمينا وشمالا فرأى ناسا مجتمعين على الشاطىء وهم يقولون يامسلمين ما بقى لمدينة اسكندرية حرمة حتى صار الافرنج يدخلونها و يخطفون من فيها ويعودون الى بلادهم على هينة ولا يخرج وراءهم احد من المسلمين ولا من العساكر المغازين فقال لهم نور الدين ما الخبر فقالوا له ياولدى ان مركبا من مراكب الافرنج فيها عساكر هجموا فى تلك الساعة على تلك المدينه واخذوا سفينة كانت راسية هنا بمن فيها وراحوا على حماية الى بلادهم فلما سمع نور الدين كلامهم وقع مغشيا عليه فلما افاق سألوه عن قضيته فأخبرهم بخبره من الاول الى الآخر فلما فهموا خبره صار كل منهم يشتمه و يسبه ويقول له لاي شيء ما تخرجها الا بازار ونقاب وصار كل واحد من الناس يقول له كلاما مؤلما ومنهم من يقول خليه فى حاله يكفيه ماجرى له وصار كل واحد يوجعه بالكلام و يرميه بسهام الملام حتى وقع مغشيا عليه فبينما الناس مع نور الدين على تلك الحالة اذا بالشيخ العطار مقبلا فرأى الناس مجتمعين فتوجه اليهم ليعرف الخبر فرأى نور الدين راقدا بينهم وهو مغشى عليه فقعد عند راسه ونبهه فلما افاق قال له ياولدي ماهذا الحال الذى انت فيه فقال له ياعم ان الجارية التى كانت راحت منى قد جئت بها من مدينة ابيها فى مركب وقاسيت ماقاسيت فى المجىء بها فلما وصلت بها الى هذه المدينه ربطت السفينة فى البر وتركت الجارية فيها وذهبت الى منزلك واخذت من زوجتك مصالح للجارية لأطلعها بها الى المدينة فجاء الافرنج واخذوا السفينة والجارية فيها وراحوا على حماية حتى وصلوا الى مراكبهم فلما سمع الشيخ العطار من نور الدين هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وتأسف على نور الدين تأسفا عظيما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليله ٨٥٨) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان العطار لما تأسف على ماجرى لنور الدين وقال له ياولدى لأى شيء ما اخرجتها من السفينة الى المدينة من غير ازار ولكن فى هذا الوقت ما ينفع الكلام قم ياولدى واطلع معي الى المدينة لعل الله يرزقك بجارية احسن منها فتتسلى بها عنها والحمد لله الذى ما خسرك فيها شيأ بل حصل لك الربح فيها واعلم ياولدى ان الاتصال والانفصال بيد الملك المتعال فقال له نور الدين والله ياعم انى ما اقدر ان اسلوها ابدا ولا اترك طلبها ولو سقيت من اجلها كاس الردى فقال له العطار ياولدى واى شيء فى ضميرك تريد ان تفعله فقال له نويت ان ارجع الى بلاد الروم وادخل الى مدينة افرنجه واخاطر بنفسى فاما عليها واما لها فقال له ياولدى ان فى الامثال السائرة ما كل مرة تسلم الجرة وان كانوا ما فعلوا بك فى المرة الاولى شيأ ربما يقتلونك فى هذه المرة لا سيما وقد عرفوك حق المعرفة فقال نور الدين ياعم دعنى اسافر واقتل فى هوى اهلها سريعا ولا اقتل بتركها صبرا وتحسيرا وكان بمصادفة القدر مركب راسيه فى المينا مجهزه للسفر وكانت قد قضت جميع

اشغالها فى تلك الساعة قلعوا وتادها فنزل فيها نور الدين وسافرت تلك المركب مدة ايام وصابت ركابها الوقت والريح فبينما هم سائرون واذا بمركب من مراكب الافرنج دائرة في البحر العجاج لا يرون مركبا الا يأسرونها خوفا على بنت الملك من سراق المسلمين واذا أخذوا مركبا يوصلون جميع من فيها الى ملك افرنجه فيذبحهم ويوفي بهم نذره الذى كان نذره من اجل ابنته مريم فرأوا المركب التى فيها نور الدين فأسروها واخذوا كل من كان فيها واتوبهم الى الملك أبى مريم فلما اوقفوهم بين يديه وجدهم مائة رجل من المسلمين فأمر بذبحهم فى الوقت والساعة ومن جملتهم نور الدين فذبحوهم كلهم ولم يبق منهم غير نور الدين وكان الجلاد قد اخره شفقة عليه لصغر سنه ورشاقة قده فلما رآه الملك عرفه حق المعرفة فقال اما انت نور الدين الذى كنت عندنا فى المرة الاولى قبل هذه المره فقال له ما كنت وليس اسمي نور الدين وانما اسمى ابراهيم فقال له الملك تكذب بل انت نور الدين الذى وهبتك للعجوز القيمة على الكنيسه لتساعدها فى خدمة الكنيسه فقال نور الدين يامولاى انا اسمي ابراهيم فقال له الملك ان العجوز قيمة الكنيسة اذا احضرت ونظرتك تعرف هل انت نور الدين او غيره فبينما هم فى الكلام واذا بالوزير الاعور الذى تزوج بنت الملك قد دخل فى تلك الساعة وقبل الارض بين ايادي الملك وقال له ايها الملك اعلم ان القصر قد فرغ بنيانه وانت تعرف انى نذرت للمسيح اذا فرغت من بنيانه ان اذبح على بابه ثلاثين من المسلمين وقد اتيتك لآخذ من عندك ثلاثين مسلما فأذبحهم واوفى بهم نذر المسيح ويكونوا فى ذمتى على سبيل القرض ومتى جاءنى اسارى أعطيتك بدلهم فقال الملك وحق المسيح والدين الصحيح ما بقى عندى غير هذا الاسير واشار الى نور الدين وقال له خذه واذبحه فى هذه الساعة حتى ارسل اليك البقية اذا جاءنى اساري من المسلمين فعند ذلك قام الوزير الاعور واخذ نور الدين ومضى به الى القصر ليذبحه على عتبة بابه فقال له الدهانون يامولانا بقي علينا من الدهان شغل يومين فاصبر علينا وأخر ذبح هذا الاسير حتى نفرغ من الدهان عسى ان يأتى اليك بقية الثلاثين فتذبح الجميع دفعه واحدة وتوفى بنذرك فى يوم واحد فعند ذلك امر الوزير بحبس نور الدين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٥٩) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير لما امر بحبس نور الدين اخذوه مقيدا جائعا عطشانا يتحسر على نفسه وقد نظر الموت بعينه وكان بالامر المقدر والقضاء المبرم للملك حصانين اخوان شقيقان احدهما اسمه سابق والآخر اسمه لاحق وكانت بحسرة تحصيل واحد منهما الملك الأكاسرة وكان احدهما اشهب نقيا والآخر ادهم كالليل الحالك وكان ملوك الجزائر جميعا يقولون كل من سرق لنا حصانا من هذين الحصانين نعطيه جميع ما يطلبه من الذهب الاحمر والدر والجوهر فلم يقدر احد على سرقة واحد من هذين الحصانين فحصل لاحدهما مرض فى عينه فاحضر الملك جميع البياطره لدوائه فعجزوا عنه كلهم فدخل على الملك الوزير الاعور الذى تزوج ابنته فرآه مهموما من قبل الحصان فاراد ان يزيل همه فقال ايها الملك اعطنى هذا الحصان وانا اداويه فاعطاه له فنقله فى الاصطبل الذى فيه نور الدين فلما

فارق الحصان اخاه صاح صيحة عظيمة وصهل حتى ازعج الناس من الصياح فعرفه الوزير انه ماحصل منه هذا الصياح الا لفراقه من اخيه فراح واعلم الملك فلما تحقق الملك كلامه قال اذا كان ذلك حيوانا ولم يصبر على فراق اخيه فكيف بذوى العقول ثم أمر الغلمان ان ينقلوا الحصان عند اخيه بدار الوزير زوج مريم وقال لهم قولوا للوزير ان الملك يقول لك ان الحصانين انعام منه عليك لاجل خاطر ابنته مريم فبينما نور الدين نائم فى الاصطبل وهو مقيد مكبل اذا نظر الحصانين فوجد على عينى احدهما غشاوة وكان عنده بعض معرفة باحوال الخيل وممارسة دوائها فقال فى نفسه هذا والله وقت فرحت فأقوم واكذب على الوزير واقول له انا اداوى هذا الحصان واعمل له شيء يتلف عينيه فيقتلنى واستريح من هذه الحياة الذميمة ثم ان نور الدين انتظر الوزير الى ان دخل الاصطبل ينظر الحصانين فلما دخل قال له نور الدين يامولاي اى شيء يكون لى عليك اذا انا داويت لك هذا الحصان واعمل لك شيئا يطيب عينيه فقال له الوزير وحياة رأسى ان داويته أعتقك من الذبح واخليك تتمنى على وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٦٠٠) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير قال لنور الدين ان داويت الحصان اعتقك واخليك تتمنى على فقال يامولاى مر بفك قيدى فأمر الوزير باطلاقه فنهض نور الدين واخذ زجاجا بكرا وسحقه واخذ جيرا بلا طفء وخلطه بماء البصل ثم وضع الجميع فى عينى الحصان وربطهما وقال فى نفسه الآن تغور عيناه فيقتلونى واستريح من هذه العيشة الذميمه ثم ان نور الدين نام تلك الليلة بقلب خال من وسواس الهم وتضرع الى الله تعالى وقال يارب فى علمك مايغنى عن السؤال فلما اصبح الصباح واشرقت الشمس على الروابى والبطاح جاء الوزير الى الاصطبل وفك الرباط عن عين الحصان ونظر اليهما فرآهما احسن عيون ملاح بقدرة الملك الفتاح فقال له الوزير يامسلم مارأيت فى الدنيا مثلك فى حسن معرفتك وحق المسيح والدين الصحيح انك اعجبتنى غاية الاعجاب فانه عجز عن دواء هذا الحصان كل بيطار فى بلادنا ثم تقدم الى نور الدين وحل قيده بيده ثم البسه حلة سنية وجعله ناظرا على خيله ورتب له مرتبات وجرايات واسكنه فى طبقة على الاصطبل وكان فى القصر الجديد الذى بناه للسيدة مريم شباك مطل على بيت الوزير وعلى الطبقة التى فيه نور الدين فقعد نور الدين مدة ايام ياكل ويشرب ويتلذذ ويطرب ويامر وينهى على خدمة الخيل وكل من غاب منهم ولم يعلق على الخيل المربوطة على الطوال التى فيها خدمته يرميه ويضربه ضربا شديدا ويضع فى رجليه القيد الحديد وفرح الوزير بنور الدين غاية الفرح واتسع صدره وانشرح ولم يدر ما يؤول أمره اليه وكان نور الدين كل يوم ينزل الى الحصانين ويمسحهما بيده لما يعلم من معزتهما عند الوزير ومحبته لهما وكان للوزير الاعور بنت بكر فى غاية الجمال كانها غزال شارد أو غصن مائد فاتفق انها كانت جالسة ذات يوم من الايام فى الشباك المطل على بيت الوزير وعلى المكان الذى فيه نور الدين اذ سمعت نور الدين يغنى ويسلى نفسه على المشقات : وادرك شهرزاد

الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(في ليلة ٨٦١) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بنت الوزير الاعور سمعت نور الدين يسلي نفسه على المشقات بأنشاد هذه الابيات

ياعاذلا أصبح في ذاته   متعما يزهو بلذاته   لو عضك الدهر بآفاته
لقلت من ذوق مرارته   آه من العشق وحالاته   أحرق قلبي بحراراته

لكن سلمت اليوم من غدره   ومن تناهية ومن جوره
فلا تسلم من حار في أمره   وقال من فرط صباباته
آه من العشق وحالاته   أحرق قلبي بحزاراته

كن عاذر العشاق في حالهم   وتكن عوبا على عذلهم   اياك ان تشتد في حبلهم
مجرعا من مر لوعاته   آه من العشاق وحالاته   أحرق قلبي بحرارته

قد كنت قبلك بين العباد   كمثل من بات خلي الفؤاد
لم اعرف العشق وطعم السهاد   حتى دعاني لمقاماته
آه من العشق وحالاته   أحرق قلبي بحراراته

لم يدر العشق وما ذله   الا الذى أقسعه طوله   وضاع منه في الهوى عقله
وشربه من مر جرعاته   آه من العشق وحالاته   أحرق قلبي بحرارته

كم عين صب في الدجى اسهرا   واحرم الجفن لذيذ الكرى
وكم اسال دمعه انهرا   تجرى على الخد بلوعاته
آه من العشق وحالاته   احرق قلبي بحراراته

كم في الوري من مغرم مستهام   سهران من وجد بعيد المنام
ألبسه ثوب الضنى والسقام   من قد نفى عنه مناماته
آه من العشق وحالاته   أحرق قلبي بحراراته

كم قل صبري وبري اعظمي   وسال دمعي منه كالعندم
مهفهف مر من مطعمي   ما كان حلوا في مذاقاته
آه من العشق وحالاته   أحرق قلبي بحرارته

مسكين من في الناس مثلي عشق   وبات في جنح الليالي أرق
ان هام في بحر التجافي غرق   يشكوا من العشق وزفراته
آه من العشق وحالاته   احرق قلبي بحراراته

من ذا الذى بالعشق لم يبتل   ومن نجا من كيده الاسهل
ومن به يعيش عيش الخلي   واين من فاز براحاته
آه من العشق وحالاته   احرق قلبي بحراراته

يارب دبر من به قد بلي وكفه نعم انت من كافل
ورزقه منك بالنبات الجلي والطف به في كل اوقاته
آه من العشق وحالاته احرق قلبي بحراراته

فلما استتم نور الدين اقصى كلامه وفرغ من شعره و نظامه قالت في نفسها بنت الوزير وحق المسيح والدين الصحيح ان هذا المسلم شاب مليح ولكنه لاشك عاشق مفارق فيا ترى معشوق هذا الشاب مليح مثله وهل عنده مثل ما عنده ام لا فان كان معشوقه مليح مثله يحق له اسالة العبرات وشكوى الصبابات وان كان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات وحرم طعم اللذات وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٦٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الوزير قالت في نفسها فان كان معشوقه مليحا يحق له اسالة العبرات وان كان غير مليح فقد ضيع عمره في الحسرات وكانت مريم الزنارية زوجة الوزير قد نقلت الى القصر امس ذلك اليوم وعلمت منها بنت الوزير ضيق الصدر فعزمت ان تذهب اليها وتحدثها بخبر هذا الغلام وما سمعته منه من النظام فما استتمت الفكر في هذا الكلام حتى ارسلت خلفها السيدة مريم زوجة ابيها الاجل ان تؤانسها بالحديث فذهبت اليها فرأت صدرها ضيقا ودموعها جارية على خدها وهي تبكي بكاء شديدا ما عليه من مزيد فقالت لها بنت الوزير ايتها الملكة لا تضيقي صدرا وقومي معي في هذه الساعة الى شباك القصر فان عندنا في الاصطبل شابا مليحا رشيق القوام حلو الكلام كأنه عاشق مفارق فقالت لها السيدة مريم بأي علامة عرفت انه عاشق مفارق فقالت لها بنت الوزير ايتها الملكة عرفت ذلك بانشاد القصائد والاشعار آناء الليل واطراف النهار فقالت السيدة مريم في نفسها ان كان قول بنت الوزير بيقين فهذه صفات الكئيب المسكين علي نور الدين فيا هل ترى هو ذلك الشاب الذي ذكرته بنت الوزير ثم ان السيدة مريم زادبها العشق والهيام والوجد والغرام فقامت من وقتها وساعتها ومشت مع بنت الوزير الى الشباك ونظرت منه فرأته محبوبها وسيدها نور الدين ودققت النظر فيه فعرفته حق المعرفة ولكنه سقيم من كثرة عشقه لها ومحبته اياها ومن نار الوجد وألم الفراق والوله والاشتياق قد زاد به النحول فصار ينشد و يقول

القلب مملوك وعيني جارية ليس لها صحابة مجارية
بين بكائي وسهادي والجوى والنوح والحزن على احبابيه
واحرقتي واحسرتي والوعتي كاملت أعدادها ثمانيه
واتابعتها ستة في خمسة الاقفوا واستمعوا مقاليه
ذكر وفكر وزفير وضنى وفرط شوق واشتغال باليه
في محنة وغربة وصبوة ولهفة وترحة وزانيه
قل اصطباري واحتيالي للجوى لما نأى صبري وذا لي عاليه

قد زاد في قلبي تباريح الجوى | ياسائلا عن نار قلبي ماهيه
مابال دمعي موقدا في مهجتي | فنار قلبي لاتزال حاميه
اصبحت في طوفان دمعي غارقا | ومن لظى هذا الهوى في هاويه

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٦٣) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان نورالدين لما فرغ من شعره وتحققت منه السيدة مريم فرأته سيدها نورالدين وسمعت بليغ شعره وبديع نثره تحققت انه هو ولكنها أخفت امرها عن بنت الوزير وقالت لها وحق المسيح والدين الصحيح ماكنت احسب ان عندك خبرا بضيق صدري ثم نهضت من وقتها وساعتها وقامت من الشباك ورجعت الى مكانها ومضت بنت الوزير الى شغلها ثم صبرت السيدة مريم ساعة زمانية ورجعت الى الشباك وجلست فيه وصارت تنظر الى سيدها نورالدين وتتأمل في لطفه ورقة معانيه فرأته كالبدر اذا بدر في ليلة اربعة عشر ولكنه دائم الحسرات جاري العبرات لانه تذكر مافات فأنشد هذه الابيات

أملت وصل أحبتي مانلته | ابدا ومر العيش قد ارسلته
دمعي يحاكي البحر في جريانه | واذا رأيت عواذلي كفكفته
آه على داع دعا بفراقنا | لونلت منه لسانه لقطعته
الاعتب للأيام في افعالها | مزجت بصرف المر ماجرعته
فلمن اسير الى سواكم قاصدا | والقلب في عرصاتكم خلفته
من منصفي من ظالم متحكم | يزداد ظلما كلما حكمته
ملكته روحي ليحفظ ملكه | فاضاعني واضاع ماملكته
انفقت عمري في هواه وليتني | اعطى وصولا بالذي انفقته
ياايها الرشأ المسلم بمهجتي | يكفي من الهجران ماقد ذقته
انت الذي جمع المحاسن وجهه | لكن عليه تصبري فرقته
احللته قلبي فحل به البلا | انى لراض بالذي احللته
وجرت دموعي مثل بحر زاخر | لوكنت اعرف مسلكا لسلكته
وخشيت خوفا ان اموت بحسرة | ويفوت مني كل ماأملته

فلما سمعت مريم من نورالدين العاشق المفارق المسكين انشاد هذه الاشعار حصل عندها من كلامه استعبار فأفاضت دمع العين وانشدت هذين البيتين

تمنيت من اهوى فما لقيته | ذهلت فلم املك لسانا ولاطرفا
وكنت معدا للعتاب دفاترا | فلما اجتمعنا ما وجدت ولاحرفا

فلما سمع نورالدين كلام السيدة مريم عرفها فبكى بكاء شديدا وقال والله ان هذه نغمة السيدة مريم الزنارية بلاشك ولارجم غيب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٦٤) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نور الدين لما سمعها تنشد الاشعار قال فى نفسه ان هذه نغمة السيدة مريم بلاشك ولا ريب ولا رجم غيب فياترى هل ظنى صحيح وانها هى بعينها او غيرها ثم ان نور الدين زادت به الحسرات وانشد هذه الابيات

لما ارآنى لائمى فى الهوى . صادفت حبى فى مكان رحيب
ولم افه بالعتب عند اللقا . وربت عتب فيه يره الكئيب
فقال ماهذا السكوت الذى . صدك عن رد الجواب المصيب
فقلت يامن قد غدا جاهلا . بحال اهل العشق كالمستريب
علامة العاشق فى عشقه . سكوته عند لقاء الحبيب

فلما فرغ من شعره احضرت السيدة مريم دواة وقرطاسا وكتبت فيه البسملة الشريفة اما بعد فسلام الله عليك ورحمته وبركاته اخبرك ان الجارية مريم تسلم عليك وهى كثيرة الشوق اليك وهذه مراسلتها اليك فساعة وقوع هذه الورقة بين يديك انهض من وقتك وساعتك واهتم بما تريده منك غاية الاهتمام والحذر كل الحذر من المخالفة ومن ان تنام فاذا امضى ثلث الليل الاول فان تلك الساعة من اسعد الاوقات فلا يكن لك فيها شغل الا ان تشد الفرسين وتخرج بهما خارج المدينة وكل من قال لك اين انت رائح فقل له انا رائح اسيرهما فاذا قلت ذلك لا يمنعك احد فان اهل هذه المدينة واثقون بقفل الابواب ثم ان السيدة مريم لفت الورقة فى منديل حرير ورمتها الى نور الدين من الشباك فاخذها وقرأها وفهم مافيها وعرف انها خط السيدة مريم فقبلها ووضعها بين عينيه ثم ان نور الدين لما جن عليه الليل اشتغل باصلاح الحصانين وصبر حتى مضى من الليل ثلثه الاول ثم قام من وقته وساعته الى الحصانين ووضع عليهما سرجين من احسن السروج وخرج بهما من باب الاصطبل وقفل الباب وسار بهما الى باب المدينة وجلس ينتظر السيدة مريم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٦٥) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان نور الدين لما سار بالحصانين الى باب المدينة جلس ينتظر السيدة مريم هذا ما كان من امر نور الدين (واما) ما كان من أمر الملكة مريم فانها ذهبت من وقتها وساعتها الى المجلس الذى هو معد لها فى ذلك القصر فوجدت الوزير الاعور جالسا فى ذلك المجلس متكئا على مخدة محشوة من ريش النعام وهو مستح ان يمد يده اليها او يخاطبها فلما رأته ناجت ربها وقالت اللهم لا تبلغه منى اربا ولا تحكم على بالنجاسة بعد الطهارة ثم اقبلت عليه واظهرت له المودة وجلست فى جانبه ولاطفته وقالت له ياسيدى ماهذا الاعراض عنا اهل هو منك تيه ودلال علينا ولكن صاحب المثل السائر يقول اذا بار السلام سلمت العقود على القيام فان كنت ياسيدى ما تجيء عندى وتخاطبنى اجيء انا واخاطبك فقال لها الوزير الفضل والجميل لك ياملكة الارض فى الطول والعرض وهل انا الا من خدامك واقل غلمانك وانما انا مستح ان اتهجم على ملاطفتك المعظمة لانها الدرة اليتيمة ووجهى منك فى الارض فقالت له دعنا من هذا الكلام واتنى

بالمأكل والمشرب فعند ذلك صاح الوزير على جواريه وخدمه وامرهم باحضار المأكل والمشروب فقدموا له سفرة فيها ما درج وطار وسبح في البحار من قطا وسماني وافراخ الحمام ورضيع الضأن واوز سمين وفيها دجاج محمر وفيها من سائر الاشكال والالوان فمدت السيدة مريم يدها الى السفرة واكلت وصارت تلقم الوزير وتبوسه في فمه وما زالا يأكلان حتى اكتفيا من الاكل ثم غسلا ايديهما وبعد ذلك رفع الخدم سفرة الطعام واحضر واسفرة المدام فصارت مريم تملأ وتشرب وتسقيه وقامت بخدمته حق القيام حتى كاد ان يطير قلبه من الفرح واتسع صدره وانشرح فلما غاب عقله عن الصواب وتمكن منه الشراب مدت يدها الى جيبها واخرجت منه قرصا من البنج البكر المغربي الذي اذا شم منه الفيل ادنى رائحة نام من العام الى العام وكانت اعدته لهذه الساعة ثم غافلت الوزير وفركته في القدح وملأته واعطته اياه فطار عقله من الفرح وما صدق انها تناوله اياه فاخذ القدح وشربه فما استقر في جوفه حتى خر صريعا على الارض في الحال فقامت السيدة مريم على قدميها وعمدت الى خرجين كبيرين وملأتهما مما خف حمله وغلا ثمنه من الجواهر واليواقيت واصناف المعادن المثمنة ثم حملت معها شيئا من المأكل والمشرب ولبست آلة الحرب والكفاح من العدة والسلاح واخذت معها لنور الدين ما يسره من الملابس الملوكية الفاخرة واهبة السلاح الباهرة ثم انها رفعت الخرجين على اكتافها وخرجت من القصر وكانت ذات قوة وشجاعة وتوجهت الى نور الدين هذا ما كان من امر مريم (واما) ما كان من امر نور الدين وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٦٦) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان مريم لما خرجت من القصر توجهت الى نور الدين وكانت ذات قوة وشجاعة هذا ما كان من امر مريم (واما) ما كان من امر نور الدين العاشق المسكين فانه قعد على باب المدينة ينتظرها ومقاود الحصانين في يده فأرسل الله عز وجل عليه النوم فنام وسبحان من لا ينام وكانت ملوك الجزائر في ذلك الزمان يبذلون المال رشوة على سرقة هذين الحصانين او واحد منهما وكان موجودا في تلك الايام عبد اسود تربي في الجزائر يعرف بسرقة الخيل فصار ملوك الافرنج يرشونه بالمال كثيرا لاجل ان يسرق احد الحصانين ووعده انه ان سرق الحصانين يعطوه جزيرة كاملة ويخلعوا عليه خلعا سنية وقد كان لذلك العبد زمان طويل يدور في مدينة افرنجة وهو مختف فلم يقدر على اخذ الحصانين وهما عند الملك فلما وهبهما للوزير الاعور ونقلهما الى اصطبله فرح فرحا شديدا وطمع في اخذهما وقال وحق المسيح والدين الصحيح لاسرقنهما ثم ان العبد خرج في تلك الليلة قاصدا ذلك الاصطبل ليسرق الحصانين فبينما هو ماش في الطريق اذ لاحت منه التفاتة فرأى نور الدين نائما ومقاود الحصانين في يده فنزع المقاود من رؤسهما واراد ان يركب واحدا ويسوق الآخر قدامه واذا بالسيدة مريم قد اقبلت وهي حاملة الخرجين على كتفها فظنت ان العبد هو نور الدين فناولته احد الخرجين فوضعه على الحصان ثم ناولته الثاني فوضعه على الحصان الآخر وهو ساكت وهي تظن انه نور الدين ثم انها

خرجت من باب المدينة والعبد ساكت فقالت له ياسيدى نور الدين مالك ساكتا فالتفت العبد اليها وهو مغضب وقال لها اي شيء تقولين ياجارية فسمعت بربرة العبد فعرفت انها غير لغة نور الدين فرفعت رأسها اليه ونظرته فوجدت له مناخير كالابريق فلما نظرته صار الضياء فى وجهها ظلام فقالت له من تكون ياشيخ بنى حام وما اسمك بين الانام فقال لها يابنت اللئام انا اسمى مسعود سراق الخيل والناس نيام فما ردت عليه بشيء من الكلام بل جردت من وقتها الحسام وضربته على عاتقه فطلع يلمع من علائقه فوقع صريعا على الارض يختبط فى دمه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فعند ذلك اخذت السيدة مريم الحصانين وركبت واحدا منهما وقبضت الآخر فى يدها ورجعت على عقبها تفتش على نور الدين فلقيته راقدا فى المكان الذى واعدته بالاجتماع فيه والمقاود فى يده وهو نائم يغط فى نومه ولم يعرف يديه من رجليه فنزلت عن ظهر الحصان ولكزته بيدها فانتبه من نومه مرعوبا وقال لها ياسيدتى الحمد لله على مجيئك سالمة فقالت له قم اركب هذا الحصان وانت ساكت فقام وركب الحصان والسيدة مريم ركبت الحصان الثاني وخرجا من المدينة وسارا ساعة زمانية وبعد ذلك التفتت مريم الى نور الدين وقالت له اما قلت لك لا تنم فانه لا افلح من ينام فقال ياسيدتى انا ما نمت الا من برد فؤادى بميعادك وأي شيء جرى ياسيدتى فاخبرته بحكاية العبد من المبتدا الى المنتهى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٦٧) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان السيدة مريم لما أخبرت نور الدين بحكاية العبد من المبتدأ الي المنتهى فقال لها نور الدين الحمد لله على السلامة ثم جدا في أسراع المسير وقد أسلما أمرهما الى اللطيف الخبير وصارا يتحدثان حتى وصلا الى العبد الذى قتلته السيدة مريم فرآه مرميا فى التراب كأنه عفريت فقالت مريم لنور الدين انزل جرده من ثيابه وخذ سلاحه فقال لها ياسيدتى والله أنا لا أقدر ان انزل عن ظهر الحصان ولا أقف عنده ولا أتقرب منه وتعجب نور الدين من خلقته وشكر السيدة مريم على فعلها وتعجب من شجاعتها وقوة قلبها ثم سارا ولم يزالا سائرين سيرا عنيفا بقية الليل الى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وانتشرت الشمس على الروابى والبطاح فوصلا الى مرج أفيح فيه الغزلان تمرح وقد اخضرت منه الجوانب وتشكلت فيه الاثمار من كل جانب وأزهاره كبطون الحيات والطيور فيه عاكفات وجداوله تجري مختلفة الصفات فعند ذلك نزلت السيدة مريم هي ونور الدين ليستريحا فى ذلك الوادى فأكلا من أثماره وشربا من أنهاره وأطلقا الحصانين يأكلان فى المرعى فأكلا وشربا من ذلك الوادى وجلس نور الدين هو ومريم يتحدثان ويتذاكران حكايتهما وما جرى لهما وكل منهما يشكو لصاحبه ما لاقاه من ألم الفراق وما قاساه من الاشتياق فبينما هما كذلك واذا بغبار قد ثار حتى سد الاقطار وسمعا صهيل الخيل وقعقعة السلاح وكان السبب فى ذلك ان الملك لما زوج ابنته للوزير ودخل عليها فى تلك الليلة واصبح الصباح اراد الملك ان يصبح عليها كما جرت به عادة الملوك فى بناتهم فقام وأخذ معه أقمشة الحرير ونثر الذهب والفضة ليتخاطفها الخدمة والمواشط ولم يزل الملك يتمشى هو وبعض الغلمان الى ان وصل الى القصر الجديد فوجدها

بالوزير مرميا على الفرش لا يعرف رأسه من رجليه فالتفت الملك في القصر يمينا وشمالا فلم ير ابنته فيه فتكدر حاله واشتغل باله وأمر باحضار الماء السخن والخل البكر والكندر فلما أحضر له ذلك خلطهم ببعضهم وسعط الوزير بهم ثم هزه فخرج البنج من جوفه كقطع الجبن ثم ان الملك سعط الوزير بذلك ثاني مرة فانتبه فسأله عن حاله وعن حال ابنته فقال له ايها الملك الاعظم لا علم لي بها غير انها اسقتني قدحا من الخمر بيدها فمن ذلك الوقت ما عرفت روحي الا في هذه الساعة ولا أعلم ما كان من أمرها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

(وفي ليلة ٨٦٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير قال للملك ان مريم من ساعة ما أعطتني قدح الخمر ما عرفت روحي الا في هذا الوقت ولا اعلم ما كان من أمرها فلما سمع الملك كلام الوزير صار الضياء في وجهه ظلاما وسحب السيف وضرب به الوزير على رأسه فخرج يلمع من أضراسه ثم ان الملك أرسل من وقته وساعته الى الغلمان والسياس فلما حضروا طلب منهم الحصانين فقالوا له ايها الملك ان الحصانين فقدا في هذه الليلة وكبيرنا فقد معهما أيضا فاننا لما أصبحنا وجدنا الابواب كلها مفتوحة فقال الملك وحق ديني وما يعتقده يقيني ما اخذ الحصانين الا ابنتي هي والاسير الذي كان يخدم الكنيسة وكان قد أخذها في المرة الاولى وعرفته حق المعرفة ولم يخلصه من يدي الا هذا الوزير الاعور وقد جوزي بفعله ثم ان الملك دعا في الوقت باولاده الثلاثة وكانوا أبطالا وشجعانا كل واحد منهم يقوم بالف فارس في حومة الميدان ومقام الضرب والطعان ثم صاح الملك عليهم وأمرهم بالركوب فركبوا وركب الملك بجماعتهم مع خواص بطارقته وأرباب دولته وأكابرهم وصاروا يتبعونه أثرها فلحقوها في ذلك الوادي فلما رأتهم مريم نهضت وركبت جوادها وتقلدت بسيفها وحملت آلة سلاحها وقالت لنور الدين ما حالك وكيف قلبك في القتال والحرب والنزال فقال لها اني ثباتي في النزال مثل ثبات الوتد في النخال ثم أنشد وقال

يا مريم اطرحي أليم عتابي	لا تقصدي قتلي وطول عذابي
من أين لي اني أكون محاربا	اني لافزع من نعاق غراب
واذا نظرت الفار أفزع خيفة	وأبول من خوفي على أثوابي
أنا لا أحب الطعن الا خلوة	والكس يعرف سطوة الازباب
هذا هو الرأي السديد وما يرى	من دون هذا الرأي غير صواب

فلما سمعت مريم من نور الدين هذا الكلام والشعر والنظام أظهرت له الضحك والابتسام وقالت له ياسيدي نور الدين استقم مكانك وأنا أكفيك شرهم ولو كانوا عدد الرمل ثم انها تهيأت من وقتها وساعتها وركبت ظهر جوادها وأطلقت من يدها طرف العنان وادارت الرمح جهة السنان فخرج ذلك الحصان من تحتها كانه الريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب وقد كانت مريم أشجع أهل زمانها وفريدة عصرها وأوانها لان أباها علمها وهي صغيرة الركوب على ظهور الخيل والخوض بحلو الحرب في ظلام الليل وقالت لنور الدين اركب جوادك وكن خلف ظهري واذا انهزمنا

فاحرص على نفسك من الوقوع فان جوادك مايلحقه لاحق فلما نظر الملك الى ابنته مريم عرفها غاية المعرفة والتفت الى ولده الاكبر وقال له يا برطوط يامقلب براس القلوط ان هذه أختك مريم لاشك فيها ولاريب وقد حملت علينا وطالبت حربنا وقتالنا فابرز اليها واحمل عليها وحق المسيح والدين الصحيح انك ان ظفرت بها لا تقتلها حتى تعرض عليها دين النصارى فان رجعت الى دينها القديم فارجع بها اسيرة وان لم ترجع اليه فاقتلها أقبح قتلة ومثل بها أشنع مثلة وكذلك هذا الملعون الذي معها امثل به أقبح مثلة فقال له برطوط السمع والطاعة ثم برز لاخته مريم من وقته وساعته وحمل عليها فلاقته وحملت عليه ودنت منه وتقربت اليه فقال لها برطوط يامريم أما يكفي ماجرى منك حيث تركت دين الآباء والاجداد واتبعت دين السياحين في البلاد يعني دين الاسلام ثم قال وحق المسيح والدين الصحيح ان لم ترجعي الى دين آبائك وأجدادك من الملوك وتسلكي فيه أحسن السلوك لاقتلنك اشر قتلة وامثل بك أقبح مثلة فضحكت مريم من كلام أخيها وقالت وهيهات أن يعود مافات أو يعيش من مات بل أجرعك أشد الحسرات وأنا والله لست براجعة عن دين محمد بن عبد الله الذي عم هداه فانه هو الدين الحق فلا أترك الهدى ولو سقيت كؤوس الردى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٦٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان مريم قالت لاخيها هيهات ان أرجع عن دين محمد بن عبد الله الذي عم هداه فانه دين الهدى ولو سقيت كؤوس الردى فلما سمع الملعون برطوط من أخته هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلاما وعظم ذلك عليه وكبر لديه والتحم بينهما القتال واشتد الحرب والنزال وغاص الاثنان في الاودية العراض الطوال وصبرا على الشدائد وشخصت لهما الابصار فاخذهما الانبهار ثم تجاولا مليا واعتركا طويلا وصار برطوط كلما يفتح لاخته مريم بابا من الحرب تبطله عليه وتسده بحسن صناعتها وقوة براعتها ومعرفتها وفروسيتها ولم يزالا على تلك الحالة حتى انعقد على رؤسهما الغبار وغاب الفارسان عن الابصار ولم تزل مريم تحاوله وتسد عليه طرائقه حتى كل وبطلت همته واضمحل عزمه وضعفت قوته فضربته بالسيف على عاتقه فخرج يلمع من علائقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم ان مريم جالت في حومة الميدان وموقف الحرب والطعان وطلبت البراز وسألت الانجاز وقالت هل من مقاتل هل من مناجز لا يبرز لي اليوم كسلان ولا عاجز لا يبرز لي الا أبطال أعداء الدين لاسقيهم كأس العذاب المهين ياعبدة الاوثان وذوي الكفر والطغيان هذا يوم تبيض فيه وجوه أهل الايمان وتسود وجوه أهل الكفر بالرحمن فلما رأى الملك ولده الكبير قتل لطم على وجهه وشق أثوابه وصاح على ولده الوسطاني وقال له يا برطوس يامقلب بخرء السوس ابرز ياولدي بسرعة الى قتال أختك مريم وخذ ثأر أخيك برطوط وائتني بها أسيرة ذليلة حقيرة فقال له ياأبت السمع والطاعة ثم انه برز لاخته مريم وحمل عليها فلاقته وحملت عليه فتقاتلت هي واياه قتالا شديدا أشد من القتال الاول فرأى أخوها الثاني نفسه عاجزا عن قتالها فاراد الهروب والفرار فلم يمكنه ذلك من شدة باسها لانه كلما ركن الى الفرار تقربت منه ولاصقته

وضايقته ثم ضربته بالسيف على رقبته فخرج يلمع من لبته وألحقته باخيه و بعد ذلك جالت في حومة الميدان و موقف الحرب والطعان وقالت اين الفرسان والشجعان اين الوزير الاعور الاعرج فعند ذلك صاح أبوها بقلب جريح وطرف من الدمع قريح وقال انها قتلت ولدي الاوسط وحق المسيح والدين الصحيح ثم انه صاح على ولده الصغير وقال له يا فسيان يامقلب بسلخ الصبيان أخرج ياولدي الى قتال أختك وخذ منها ثار أخويك وصادمها أمالك أو عليك وان ظفرت بها فاقتلها أقبح قتله فعند ذلك برز لها أخوها الصغير وحمل عليها فنهضت اليه ببراعتها وحملت عليه بحسن صناعتها ومعرفتها بالحرب وفروسيتها وقالت له ياعدو الله وعدو المسلمين لا لحقنك باخويك و بئس مثوى الكافرين ثم انها جذبت سيفها من غمده وضربته فقطعت عنقه وذراعيه ولحقته باخويه وعجل الله بروحه الى النار و بئس القرار فلما رأى البطارقة والفرسان الذين كانوا راكبين مع ابيها أولاده الثلاثة قد قتلوا وكانوا أشجع أهل زمانهم وقع في قلوبهم الرعب من السيدة مريم وادهشتهم الهيبة ونكسوا رؤسهم الى الارض وايقنوا بالهلاك والدمار والذل والبوار واحترقت قلوبهم من الغيظ بلهيب النار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار فلما نظر الملك الى أولاده وقد قتلوا والى عساكره وقد انهزموا أخذته الحيرة والانبهار واحترق قلبه بلهيب النار وقال في نفسه ان السيدة مريم قد استقلت بنا وان جازفت نفسي و برزت اليها وحدي ربما غلبت علي وقهرتني فتقتلني أشنع قتلة وتمثل بي أقبح مثلة كما قتلت أخوتها لانها لم يبق لها فينا رجاء ولا لنا في رجوعها طمع والرأي عندي أن أحفظ حرمتي وارجع الى مدينتي ثم ان الملك أرخى عنان فرسه ورجع الى مدينته فلما استقر في قصره انطلقت في قلبه النار من أجل قتل أولاده الثلاثة وانهزام عسكره وهتك حرمته فما استقر نصف ساعة حتى طلب أرباب دولته وكبراء مملكته وشكا اليهم فعل ابنته مريم معه من قتلها لاخوتها وما لاقاه من القهر والحزن واستشارهم فاشار واعليه كلهم ان يكتب كتابا الى خليفة الله في أرضه أمير المؤمنين هرون الرشيد و يعلمه بهذه القضية فكتب الى الرشيد مكتوبا مضمونه بعد السلام على أمير المؤمنين ان لنا بنتا اسمها مريم الزنارية قد أفسدها علينا أسير من أسرى المسلمين اسمه نورالدين علي ابن التاجر تاج الدين المصري وأخذها ليلا وخرج بها الى ناحية بلاده وأنا أسأل من فضل مولانا أمير المؤمنين ان يكتب الى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وارسالها الينا مع رسول أمين وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٨٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ملك أفرنجة لما كتب الى الخليفة أمير المؤمنين هرون الرشيد كتابا يتضرع اليه فيه و يطلب ابنته مريم ويسأله من فضله ان يكتب الى سائر بلاد المسلمين بتحصيلها وارسالها مع رسول أمين من خدام حضرة أمير المؤمنين ومن جملة مضمون ذلك الكتاب اننا نجعل لكم نظير مساعدتكم لنا على هذا الامر نصف مدينة رومة الكبرى لتبنوا فيها مساجد للمسلمين ونجعل اليكم خراجها و بعد ان كتب الكتاب برأي أهل مملكته وكبراء دولته طواه ودعا بوزيره الذي جعله وزيرا مكان الوزير الاعور وأمره ان يختم الكتاب بختم الملك

وكذلك ختمه أرباب دولته بعد ان وضعوا خطوط أيديهم فيه ثم قال لوزيره ان اتيت بها فلك عندي اقطاع أميرين وأخلع عليك خلعة بطرازين ثم ناوله الكتاب وأمره ان يسافر الى مدينة بغداد دار السلام ويوصل الكتاب الى أمير المؤمنين من يده الى يده ثم سافر الوزير بالمكتوب وسار يقطع الأودية والقفار حتى وصل الى مدينة بغداد فلما دخلها مكث فيها ثلاثة ايام حتى استقر واستراح ثم سأل عن قصر امير المؤمنين هرون الرشيد فدلوه عليه فلما وصل اليه طلب الاذن من أمير المؤمنين في الدخول عليه فاذن له في ذلك فدخل عليه وقبل الارض بين يديه وناوله الكتاب الذي من ملك افرنجة وصحبته من الهدايا والتحف العجيبة ما يليق بامير المؤمنين فلما فتح الخليفة المكتوب وقرأه وفهم مضمونه أمر وزرائه من وقته ان يكتبوا المكاتيب الى سائر بلاد المسلمين ففعلوا ذلك وبينوا في المكاتيب صفة مريم وصفة نور الدين واسمه واسمها وانهما هاربان فكل من وجدهما فليقبض عليهما ويرسلهما الى أمير المؤمنين وحذروهم من أن يعطوا في ذلك إمهالا أو إهمالا أو غفلة ثم ختمت الكتب وارسلت مع السعاة فبادروا في إمتثال الامر وساروا يفتشون في سائر البلاد على من يكون بهذه الصفة هذا ما كان من أمر هؤلاء الملوك وأتباعهم (وأما) ما كان من أمر نور الدين المصري ومريم الزنارية بنت ملك أفرنجة فانهما ركبا بعد انهزام الملك وعساكره من وقتهما وساعتهما وسارا الى بلاد الشام وقد ستر عليهما الرحمن فوصلا الى مدينة دمشق وكانت الطلائع التي أرسلها الخليفة قد سبقتهما الى دمشق الشام بيوم فعلم أمير دمشق انه مأمور بالقبض عليهما متى وجدهما ليحضرهما بين يدي الخليفة فلما كان يوم دخولهما الى دمشق أقبل عليهما الجواسيس فسألوهما عن اسمهما فاخبراهم بالصحيح وقصا عليهم قصتهما وجميع ماجرى عليهما فعرفوهما وقبضوا عليهما وأخذوهما وساروا بهما الى أمير دمشق فارسلهما الى الخليفة بمدينة بغداد دار السلام فلما وصلوا اليها استأذنوا في الدخول على أمير المؤمنين هرون الرشيد فاذن لهم فلما دخلوا عليه قبلوا الارض بين يديه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٨١) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الجواسيس دخلوا على أمير المؤمنين وقالوا له يا أمير المؤمنين ان هذه مريم الزناريه بنت ملك أفرنجة وهذا نور الدين ابن التاجر تاج الدين المصري الاسير الذي أفسدها على ابيها وسرقها من بلاده ومملكته وهرب بها الى دمشق فوجدناهما وقت دخولهما دمشق وسألناهما عن اسمائهما فاجابونا بالصحيح فعند ذلك أتينا بهما وأحضرناهما بين يديك فنظر أمير المؤمنين الى مريم فرآها رشيقة القد والقوام فصيحة الكلام مليحة أهل زمانها فريدة عصرها وأوانها حلوة اللسان ثابتة الجنان قوية القلب فلما وصلت اليه قبلت الارض بين يديه ودعت له بدوام العز والنعم وزوال البؤس والنقم فاعجب الخليفة حسن قوامها وعذوبة ألفاظها وسرعة جوابها فقال لها اهل انت مريم الزناريه بنت ملك أفرنجة قالت نعم يا أمير المؤمنين وامام الموحدين وحامي حومة الدين وابن عم سيد المرسلين فعند ذلك التفت الخليفة فرأى علياً نور الدين شاباً مليحاً حسن الشكل كأنه البدر المنير في ليلة تمامه فقال له الخليفة هل أنت علي نور الدين

الاسيرا بن التاجر تاج الدين المصري قال نعم يا أمير المؤمنين وعمدة القاصدين فقال الخليفة كيف أخذت هذه الصبية من مملكة أبيها وهربت بها فصار نور الدين يحدث الخليفة بجميع ماجرى له من أول الامر الى آخره فلما فرغ من حديثه تعجب الخليفة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٨٢) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الخليفة هرون لما سأل نور الدين عن قصته وأخبره بجميع ماجرى له من المبتدأ الى المنتهى فتعجب الخليفة من ذلك غاية العجب وقال ما أكثر ماتقاسيه الرجال ثم انه التفت الى السيدة مريم وقال يامريم اعلمي ان والدك ملك افرنجة قد كاتبنا فى شأنك فما تقولين قالت ياخليفة الله فى أرضه وقائما بسنة نبيه وفرضه خلد الله عليك النعم وأجارك من البؤس والنقم انت خليفة الله فى أرضه انى قد دخلت دينكم لانه هو الدين القويم الصحيح وتركت ملة الكفرة الذين يكذبون على المسيح وقد صرت مؤمنة بالله الكريم ومصدقة بما جاء به رسوله الرحيم أعبد الله سبحانه وتعالى وأوحده واسجد خاضعة اليه وأمجده وأنا قائلة بين يدي الخليفة اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فهل وسعك ياأمير المؤمنين ان تقبل كتاب ملك الملحدين وترسلني الى بلاد الكافرين الذين يشركون بالملك العلام ويعظمون الصليب ويعبدون الاصنام ويعتقدون الهية عيسى وهو مخلوق فان فعلت بى ذلك ياخليفة الله أتعلق باذيالك يوم العرض على الله واشكوك الى ابن عمك رسول الله ﷺ (يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) فقال أمير المؤمنين يامريم معاذ الله ان أفعل ذلك أبدا كيف أرد امرأة مسلمة موحدة بالله ومصدقة برسوله الى مانهى الله عنه ورسوله فقالت مريم اشهد أن لا اله الا الله محمد رسول الله فقال لها أمير المؤمنين يامريم بارك الله فيك وزادك هداية الى الاسلام وحيث كنت مسلمة موحدة بالله فقد صار لك علينا حق واجب وهو انى لا أفرط فيك أبدا ولو بذل لى من أجلك ملء الارض جواهر وذهبا فطيبي نفسا وقري عينا وانشرحي صدرا ولا يكن خاطرك الا طيبا فهل رضيت ان يكون هذا الشاب نور الدين المصري لك بعلا وتكوني له أهلا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٨٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين قال لمريم هل رضيت ان يكون نور الدين المصري لك بعلا وتكوني له أهلا فقالت مريم ياأمير المؤمنين كيف لا أرضى أن يكون لى بعلا وقد اشتراني بماله وأحسن الي غاية الاحسان ومن تمام احسانه أنه خاطر بروحه من أجلي مرارا عديدة فزوجها به مولانا أمير المؤمنين وعمل لها مهرا واحضر القاضي والشهود وأكابر دولته يوم زواجها عند كتب الكتاب وكان يوما مشهودا ثم بعد ذلك التفت أمير المؤمنين من وقته وساعته الى وزير ملك الروم وكان حاضرا فى تلك الساعة وقال له اهل سمعت كلامها كيف ارسلها الى أبيها الكافر وهى مسلمة موحدة بالله وربما أساءها واغلظ عليها خصوصا وقد قتلت أولاده فاتحمل أنا ذنبها يوم القيامة وقد قال الله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) فارجع الى ملكك

وقل لها ارجع عن هذا الامر ولا تطمع فيه وكان ذلك الوزير أحمق فقال للخليفة يا أمير المؤمنين وحق المسيح والدين الصحيح انى لا يمكننى الرجوع بدون مريم ولو كانت مسلمة لانى لو رجعت الى أبيها بدونها يقتلنى فقال الخليفة خذوا هذا الملعون واقتلوه وانشد هذا البيت

هذا جزاء من عصى من فوقه وعصيانيه

ثم أمر بضرب عنق الوزير الملعون وحرقه فقالت السيدة مريم يا أمير المؤمنين لا تنجس سيفك بدم الملعون ثم جردت سيفها وضربته به فاطاحت رأسه عن جثته فذهب الى دار البوار ومأواه جهنم وبئس القرار فتعجب الخليفة من صلابة ساعدها وقوة جنانها ثم خلع على نور الدين خلعة سنية وأفرد لهما مكانا فى قصره هى ونور الدين ورتب لهما المرتبات والجوامك والعلوفات وأمر بأن ينقل اليهما جميع ما يحتاجان اليه من الملابس والمفارش والاوانى النفيسة واقاما فى بغداد مدة من الزمان وهما فى أرغد عيش واهناه وبعد ذلك اشتاق نور الدين الى أمه وأبيه فعرض الامر على الخليفة وطلب منه اذنا فى التوجه الى بلاده وزيارة أقاربه فدعا بمريم واحضرها بين يديه واجازه بالتوجه وأتحفه بالهدايا والتحف المثمنة وأوصى مريم ونور الدين ببعضهما ثم أمر بالمكاتيب الى أمراء مصر المحروسة وعلمائها وكبرائها بالوصية على نور الدين هو ووالديه وجاريته واكرامهم غاية الاكرام وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٨٤) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن أمير المؤمنين كتب الى أمراء مصر وعلمائها وكبرائها بالوصية على نور الدين ووالديه وجاريته واكرامهم غاية الاكرام فلما وصلت الاخبار الى مصر فرح التاجر تاج الدين بعودة ولده نور الدين وكذلك أمه فرحت بذلك غاية الفرح وخرج لملاقاته الاكابر والامراء وارباب الدولة من أجل وصية الخليفة فلاقوا نور الدين وكان لهم يوم مشهود مليح عجيب اجتمع فيه المحب والمحبوب واتصل الطالب بالمطلوب وصارت الولائم كل يوم على واحد من الامراء وفرحوا بهم الفرح الزائد واكرموهم الاكرام المتصاعد فلما اجتمع نور الدين بوالدته ووالده فرحوا ببعضهم غاية الفرح وزال عنهم الهم والترح وكذلك فرحوا بالسيدة مريم واكرموها غاية الاكرام ووصلت اليهم الهدايا والتحف من سائر الامراء والتجار العظام وصار واكل يوم فى انشراح جديد وسرور أعظم من سرور العيد ولم يزالوا فى فرح ولذات ونعم جزيلة مطربات وأكل وشرب وفرح وسرور مدة من الزمان الى أن اتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الدور والقصور ومعمر بطون القبور فانتقلوا من الدنيا بالممات وصاروا فى عداد الاموات فسبحان الحى الذى لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت

حكاية الشاب البغدادى مع جاريته التى اشتراها

(يحكى) أنه كان فى قديم الزمان رجل بغدادى من أولاد أهل النعم ورث عن أبيه مالا جزيلا وكان يعشق جارية فاشتراها وكانت تحبه كما يحبها ولم يزل ينفق عليها الى أن ذهب جميع ماله ولم يبق منه شئ فطلب شيأ من أسباب المعاش يتعيش فيه فلم يقدر وكان ذلك الفتى فى أيام غناه يحضر مجالس

العارفين بصناعة الغناء فبلغ فيها النهاية القصوى فاستشار بعض اخوانه فقال له أنا لا أعرف لك صنعة أحسن من أن تغني أنت وجاريتك فتأخذ على ذلك المال الكثير وتأكل وتشرب فكره ذلك هو والجارية فقالت له جاريته قد رأيت لك رأيا قال وما هو قالت تبيعني وتخلص من هذه الشدة أنا وأنت وأكون في نعمة فان مثلي ما يشتريه الا ذو نعمة وبذلك أكون سببا في رجوعي اليك فأطلعها الى السوق فكان أول من رآها رجل هاشمي من أهل البصرة وكان ذلك الرجل أديبا ظريفا كريم النفس فاشتراها بألف وخمسمائة دينار قال ذلك الفتى صاحب الجارية فلما قبضت الثمن ندمت وبكيت أنا والجارية وطلبت الاقالة فلم يرض فوضعت الدنانير في الكيس وأنا لا أدري أين أذهب لأن بيتي موحش منها وحصل لي من البكاء واللطم والنحيب ما لم يحصل لي قط فدخلت بعض المساجد وقعدت أبكي فيه واندهشت حتى صرت لا أعلم بنفسي فنمت وتركت الكيس تحت رأسي كالمخدة فلم أشعر الا وانسان قد جذبه من تحت رأسي ومضى يهرول فانتبهت فزعا مرعوبا فلم أجد الكيس فقمت أجري خلفه واذا برجلي مربوطة في حبل فوقعت على وجهي وصرت أبكي والطم وقلت في نفسي فارقتك روحك وضاع مالك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٨٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان ذلك الفتى لما ضاع منه الكيس قال قلت في نفسي فارقتك روحك وضاع مالك وزاد بي الحال فجئت الى الدجلة وجعلت ثوبي على وجهي والقيت نفسي في البحر ففطن بي الحاضرون وقالوا ان ذلك لعظيم هم حصل له فرموا أرواحهم خلفي وأطلعوني وسألوني عن أمري فأخبرتهم بما حصل لي فتأسفوا لذلك ثم جاءني شيخ منهم وقال قد ذهب مالك وكيف تتسبب في ذهاب روحك فتكون من أهل النار قم معي حتى أرى منزلك ففعلت ذلك فلما وصلنا الى منزلي قعد عندي ساعة حتى سكن ما بي فشكرته على ذلك ثم انصرف فلما خرج من عندي كدت أن أقتل روحي فتذكرت الآخرة والنار فخرجت من بيتي هاربا الى بعض الأصدقاء فأخبرته بما جرى لي فبكى رحمة لي وأعطاني خمسين دينارا وقال لي اقبل رأيي واخرج في هذه الساعة من بغداد واجعل هذه نفقة لك الى أن يشتغل قلبك عن حبها وتسلوها وأنت من أهل الانشاء والكتابة وخطك جيد وأدبك بارع فاقصد من شئت من العمال واطرح نفسك عليه لعل الله يجمعك بجاريتك فسمعت منه وقد قوي عزمي وأزال عني بعض همي وعزمت على أني أقصد أرض واسط لأن بها أقارب فخرجت الى ساحل البحر فرأيت سفينة راسية والبحرية ينقلون اليها متاعا وقماشا فاخرا فسألتهم أن يأخذوني معهم فقالوا ان هذه السفينة لرجل هاشمي ولا يمكننا أخذك على هذه الصورة فرغبتهم في الأجرة فقالوا ان كان ولا بد فاقلع هذه الثياب الفاخرة التي عليك والبس ثياب الملاحين واجلس معنا كأنك واحد منا فرجعت واشتريت شيئا من ثياب الملاحين ولبسته وجئت الى السفينة وكانت متوجهة الى البصرة فنزلت معهم فما كان الا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ومعها جاريتان تخدمانها فسكن ما كان عندي من الغيظ وقلت في نفسي ها أنا أراها وأسمع غناءها الى البصرة فما أسرع ان جاء الهاشمي راكبا ومعه جماعة فنزلوا في تلك السفينة

وانحدرت بهم واخرج الطعام فاكل هو والجارية وأكل الباقون في وسط السفينة ثم قال الهاشمي للجارية كم هذا التمنع من الغناء ولزوم الحزن والبكاء ما أنت أول من فارق من يحب فعلمت ما كان عنده من أمري ثم ضرب ستارة الى الجارية في جانب السفينه واستدعى الذين كانوا في ناحيتي وجلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فاذا هم اخوته ثم أخرج لهم ما يحتاجون اليه من الخمر والنقل ولم يزالوا يحثون الجارية على الغناء الى أن استدعت بالعود وأصلحته وأخذت تغني فأنشدت هذين البيتين

بان الخليط بمن أحب فادلجوا ... وعن السرى بفناء لم يتحرجوا

والصب بعد ان استقل ركابهم ... جمر الغضى في قلبه يتأجج

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٨٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الجارية بعد ما أنشدت بيتين الشعر غلبها البكاء ورمت العود وقطعت الغناء فتنغص القوم ووقعت أنا مغشيا على فظن القوم اني قد صرعت فصار بعضهم يقرأ في أذني ولم يزالوا يلاطفونها ويطلبون منها الغناء الى أن أصلحت العود وأخذت تغني فأنشدت

فوقفت أندب ظاعنين تحملوا ... هم في الفؤاد وان نأوا وترحلوا

وقالت أيضا

ووقفت بالأطلال أسأل عنهم ... والدار قفر والمنازل بلقع

ثم وقعت مغشيا عليها وارتفع البكاء من الناس وصرخت أنا ووقعت مغشيا علي وضج الملاحون مني فقال بعض غلمان الهاشمي كيف حملتم هذا المجنون ثم قال بعضهم لبعض اذا وصلتم الى بعض القرى فاخرجوه وأريحونا منه فحصل لي من ذلك همّ عظيم وعذاب أليم فتجلدت غاية التجلد وقلت في نفسي لا حيلة لي في الخلاص من أيديهم الا أن أعلمها بمكاني من السفينة لتمتنع من اخراجي ثم سرنا حتى وصلنا الى قرب ضيعة فقال صاحب السفينة اصعدوا بنا الشاطئ فطلع القوم وكان ذلك وقت المساء فقمت حتى صرت خلف الستارة وأخذت العود وغيرت الطرق طريقة بعد طريقة وضربت على الطريقة التي قد تعلمتها مني ثم رجعت الى موضعي من السفينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٨٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الفتى قال ثم رجعت الى موضعي من السفينة وبعد ذلك نزل القوم من الشاطئ ورجعوا الى مواضعهم في السفينة وقد انبسط القمر على البر والبحر فقال الهاشمي للجارية بالله عليك لا تنغصي علينا عيشنا فاخذت العود وجسته بيدها وشهقت فظنوا أن روحها قد خرجت ثم قالت والله ان استاذي معنا في هذه السفينة فقال الهاشمي والله لو كان معنا ما ضيعته من معاشرتنا لانه ربما كان يخفف ما بك فتنتفع بغنائك ولكن كونه في السفينة أمر بعيد فقالت لا أقدر على ضرب العود وتغيير الاهوية ومولاي معنا فقال الهاشمي

نسأل الملاحين فقالت افعل فسألهم وقال هل حملتم معكم أحدا فقالوا لا فخفت أن ينقطع السؤال فضحكت وقلت نعم أنا استاذها وعلمتها حين كنت سيدها فقالت والله ان هذا كلام مولاي فجاء بي الغلمان واخذوني الى الهاشمي فلما رآني عرفني فقال ويحك ما هذا الذي أنت فيه وما أصابك حتى صرت في هذه الحالة فحدثته بما جرى من أمري وبكيت وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى الهاشمي هو واخوته بكاء شديدا رأفة بي ثم قال والله ما دنوت من هذه الجارية ولا وطئتها ولا سمعت لها غناء الا اليوم وأنا رجل قد وسع الله علي وانما وردت بغداد لسماع الغناء وطلب ارزاقي من أمير المؤمنين وقد بلغت الامرين ولما أردت الرجوع الى وطني قلت في نفسي اسمع شيئا من غناء بغداد فاشتريت هذه الجارية ولم أعلم انكما على هذه الحالة فانا أشهد الله على ان هذه الجارية اذا وصلت الى البصرة اعتقتها وأزوجك اياها واجري لكما ما يكفيكما وزيادة ولكن على شرط اني اذا أردت السماع يضرب لها ستارة وتغني من خلف الستارة وأنت من جملة اخواني وندمائي ففرحت بذلك ثم أن الهاشمي أدخل رأسه في الستارة وقال لها أيرضيك ذلك فاخذت تدعو له وتشكره ثم استدعى بغلام له وقال له خذ بيد هذا الشاب وانزع ثيابه والبسه ثيابا فاخرة وبخره وقدمه الينا فاخذني الغلام وفعل بي ما أمره سيده وقدمني اليه فوضع بين يدي الشراب مثل ما وضعه بين أيديهم ثم اندفعت الجارية تغني باحسن النغمات وتنشد هذه الابيات

عيروني بأن سكبت دموعي ... حين جاء الحبيب للتوديع
لم يذوقوا طعم الفراق ولا ما ... احرقت لوعة الأسى من ضلوعي
انما يعرف الغرام كئيب ... ساقط القلب بين تلك الربوع

قال فطرب القوم من ذلك طربا شديدا وزاد فرح الفتى بذلك ثم أخذ العود من الجارية وضرب به على أحسن النغمات وانشد هذه الابيات

اسأل العرف ان سألت كريما ... لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فسؤال الكريم يورث عزا ... وسؤال اللئيم يورث عارا
واذا لم يكن من الذل بد ... فالق بالذل ان سألت الكبارا
ليس اجلالك الكريم بذل ... انما الذل ان تجل الصغارا

ففرح القوم بي وزاد فرحهم ولم يزالوا في فرح وسرور وأنا أغني ساعة والجارية ساعة الى أن جئنا الى بعض السواحل فرست السفينة هناك وصعد كل من فيها وصعدت أنا أيضا وكنت سكران فقعدت أبول فغلبني النوم فنمت ورجعت الركاب الى السفينة وانحدرت بهم ولم يعلموا بي لانهم كانوا سكارى وكنت دفعت النفقة الى الجارية ولم يبق معي شيء ووصلوا الى البصرة ولم انتبه الا من حر الشمس فقمت من ذلك المكان فما رأيت أحدا ونسيت أن أسأل الهاشمي عن اسمه وأين داره بالبصرة وباي شيء يعرف وبقيت حيران وكأن ما كنت فيه من الفرح بلقاء الجارية منام ولم أزل متحيرا حتى اجتازت بي مركب عظيمة ونزلت فيها ودخلت البصرة وما كنت أعرف بها أحدا ولا

أعرف بيت الهاشمي فجئت الى بقال وأخذت منه دواة وورقة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٨٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان البغدادي صاحب الجارية لما دخل البصرة صار حيران وهو لا يعرف أحدا ولا يعرف دار الهاشمي قال فجئت الى بقال وأخذت منه دواة وورقة وقعدت أكتب فاستحسن خطي ورأى ثوبي دنسا فسألني عن أمري فأخبرته أني غريب فقير فقال لي يم عندي ولك في كل يوم نصف درهم وأكلك وكسوتك وتضبط لي حساب دكاني فقلت نعم وأقمت عنده وضبطت أمره ودبرت له دخله وخرجه فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائدا وخرجه ناقصا فشكرني على ذلك ثم أنه جعل لي في كل يوم درهما الى أن حال الحول فدعاني أن أتزوج بابنته ويشاركني في الدكان فأجبته الى ذلك ودخلت بزوجتي ولزمت الدكان الا أني منكسر الخاطر والقلب ظاهر الحزن فمكثت على تلك الحالة مدة سنتين فبينما أنا في الدكان واذا بجماعة معهم طعام وشراب فسألت البقال عن القضية فقال هذا يوم المتنعمين يخرج فيه أهل الطرب واللعب والفتيان من ذوي النعمة الى شاطئ البحر يأكلون ويشربون بين الاشجار على نهر الابلة فدعتني نفسي الى الفرجة على هذا الامر وقلت في نفسي لعلي اذا شاهدت هؤلاء الناس اجتمع بمن أحب فقلت للبقال اني أريد ذلك فقال شأنك والخروج معهم ثم جهز لي طعاما وشرابا وسرت حتى وصلت الى نهر الابلة فاذا الناس ينصرفون فأردت الانصراف معهم واذا برئيس السفينة التي كان فيها الهاشمي والجارية بعينه وهو سائر في نهر الابلة فصحت عليهم فعرفني هو ومن معه وأخذوني عندهم وقالوا لي هل أنت حي وعانقوني وسألوني عن قصتي فأخبرتهم بها فقالوا انا ظننا أنه قوي عليك السكر وغرقت في الماء فسألتهم عن حال الجارية فقالوا انها لما علمت بفقدك مزقت ثيابها واحرقت العود وأقامت على اللطم والنحيب فلما رجعنا مع الهاشمي الى البصرة قلنا لها اتركي هذا البكاء والحزن فقالت أنا ألبس السواد واجعل لي قبرا في جانب هذه الدار فأقيم عند ذلك القبر وأتوب عن الغناء فمكناها من ذلك وهي في تلك الحالة الى الآن ثم أخذوني معهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٨٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن البغدادي قال فأخذوني معهم فلما وصلت الى الدار رأيتها على تلك الحالة فلما رأتني شهقت شهقة عظيمة حتى ظننت أنها ماتت فاعتنقتها عناقا طويلا ثم قال لي الهاشمي خذها فقلت نعم ولكن اعتقها كما وعدتني وزوجني بها ففعل ذلك ودفع الينا أمتعة نفيسة وثيابا كثيرة وفرشا وخمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما أردت اجراءه لكما في كل شهر ولكن بشرط المنادمة وسماع الجارية ثم اخلى لنا دارا وأمر بان ينقل اليها جميع ما نحتاج اليه فلما توجهت الى تلك الدار وجدتها قد فرشت بالفرش والقماش وحملت اليها الجارية ثم انني جئت الى البقال واخبرته بجميع ما حصل لي وسألته ان يجعلني في حل من طلاق ابنته من غير ذنب ودفعت اليها مهرها وما يلزمني وأقمت مع الهاشمي على ذلك سنتين وصرت صاحب نعمة عظيمة وعادت لي حالتي التي كنت فيها أنا والجارية في بغداد وقد فرج الله الكريم عنا وأسبغ جزيل النعم علينا وجعل

أمالك صبرنا الى الظفر بالمراد فله الحمد في المبدأ والمعاد والله أعلم

﴿حكاية وردخان بن الملك جليعاد﴾

(ومما يحكى أيضا) أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك من بلاد الهند وكان ملكا عظيما طويل القامة حسن الصورة حسن الخلق كريم الطباع محسنا للفقراء محبا للرعية ولجميع أهل دولته وكان اسمه جليعاد وكان تحت يده في مملكته اثنان وسبعون ملكا ولبلاده ثلثمائة وخمسون قاضيا وكان له سبعون وزيرا وقد جعل على كل عشرة من عسكره رئيسا وكان أكبر وزرائه شخصا يقال له شماس وكان عمره اثنتين وعشرون سنة وكان حسن الخلق والطباع لطيفا في كلامه أديبا في جوابه حاذقا في جميع أموره حكيما مدبرا رئيسا مع صغر سنه عارفا بكل حكمة وأدب وكان الملك يحبه محبة عظيمة ويميل اليه لمعرفته بالفصاحة والبلاغة وأحوال السياسة ولما أعطاه الله من الرحمة وخفض الجناح للرعية وكان ذلك الملك عادلا في مملكته حافظا لرعيته مواصلا كبيرهم وصغيرهم بالاحسان وما يليق بهم من الرعاية والعطايا والامان والطمأنينة مخففا للخراج عن كاهل الرعية وكان محبا لهم كبيرا وصغيرا ومعاملا لهم بالاحسان اليهم والشفقة عليهم وأتى في حسن سيرته معهم بما لم يات به أحد قبله ومع هذا كله لم يرزقه الله تعالى بولد فشق ذلك عليه وعلى أهل مملكته فاتفق أن الملك كان مضطجعا في ليلة من الليالي وهو مشغول الفكر في عاقبة أمر مملكته ثم غلب عليه النوم فرأى في منامه كأنه يصب ماء في أصل شجرة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٩٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك رأى في منامه كأنه يصب ماء في أصل شجرة وحول تلك الشجرة أشجار كثيرة واذا بنار قد خرجت من تلك الشجرة واحرقت جميع ما كان حولها من الاشجار فعند ذلك انتبه الملك من منامه فزعا مرعوبا واستدعى أحد غلمانه وقال له اذهب بسرعة وائتني بشماس الوزير عاجلا فذهب الغلام الى شماس وقال له ان الملك يدعوك في هذه الساعة لانه انتبه من نومه مرعوبا فارسلني اليك لتحضر عنده عاجلا فلما سمع شماس كلام الغلام قام من وقته وساعته وتوجه الى الملك ودخل عليه فرآه قاعدا على فراشه فسجد بين يديه داعيا له بدوام العز والنعم وقال له لا أحزنك الله أيها الملك ما الذي اقلقك في هذه الليلة وما سبب طلبك اياي بسرعة فاذن الملك بالجلوس فجلس وصار الملك يقص عليه ما رأى قائلا اني رأيت في ليلتي هذه مناما هالني وهو كأني أصب ماء في أصل شجرة وحول تلك الشجرة أشجار كثيرة فبينما أنا في هذه الحالة واذا بنار قد خرجت من أصل تلك الشجرة واحرقت جميع ما حولها من الاشجار ففزعت من ذلك وأخذني الرعب فانتبهت عند ذلك وأرسلت ادعوك لكثرة معرفتك ولما أعلمه من اتساع علمك وغزارة فهمك فاطرق شماس رأسه ساعة ثم تبسم فقال له الملك ماذا رأيت يا شماس فاصدقني الخبر ولا تخف عني شيئا فاجابه شماس وقال له أيها الملك ان الله تعالى خولك واقر عينك وتعبير هذه الرؤيا يؤول الى كل خير وهو أن الله تعالى يرزقك ولدا ذكرا يكون وارثا للملك عنك من بعد طول عمرك غير أنه يكون فيه شيء لا أحب تفسيره في هذا الوقت لانه غير موافق لتفسيره ففرح

الملك بذلك فرحا عظيما وزاد سروره وذهب عنه فزعه وطابت نفسه وقال ان كان الامر كذلك من حسن تاويل المنام فكمل لي تأويله اذا جاء الوقت الموافق لكمال تأويله فالذي لا ينبغي تأويله الان ينبغي أن تؤوله لي اذا آن أوانه لاجل أن يكمل فرحي لاني لا ابتغي بذلك غير رضا الله سبحانه وتعالى فلما رأى شماس من الملك انه صمم على تمام تفسيره احتج له بحجة دافع بها عن نفسه فعند ذلك دعا الملك بالمنجمين وجميع المعبرين للاحلام الذين في مملكته فحضروا جميعا بين يديه وقص عليهم ذلك المنام وقال لهم أريد منكم أن تخبروني بصحة تفسيره فتقدم واحد منهم وأخذ أذنا من الملك بالكلام فلما أذن له قال اعلم أيها الملك ان وزيرك شماسا ليس بعاجز عن تفسير ذلك وانما هو احتشم منك وسكن روعك ولم يظهر لك جميع التأويل بالكلية ولكن اذا اذنت لي بالكلام تكلمت فقال له الملك تكلم أيها المفسر بلا احتشام واصدق في كلامك فقال المفسر اعلم أيها الملك أنه يظهر منك غلام يكون وارثا للملك عنك بعد طول حياتك ولكنه لا يسير في الرعية بسيرك بل يخالف رسومك ويجور على رعيتك ويصيبه ما أصاب الفار مع السنور فاستعاذ بالله تعالى وقال وما حكاية السنور والفار فقال المفسر أطال الله عمر الملك أن السنور وهو القط سرح سرحة من الليالي الى شيء يفترسه في بعض الغيطان فما وجد شيئا وضعف من شدة البرد والمطر الذين حصلا في تلك الليلة فأخذ يحتال لنفسه بشيء فبينما هو دائر على تلك الحالة اذ رأى وكرا في اسفل شجرة فدنا منه وصار يتشمشم ويدندن حتى أحس أن داخل الوكر فارا فحوله وهم بالدخول عليه لكي يأخذه فلما أحس به الفار اعطاه قفاه وصار يزحف على يديه ورجليه لكي يسد باب الوكر عليه فعند ذلك صاح السنور بصوت صوتا ضعيفا ويقول له لم تفعل ذلك يا أخي وأنا ملتجيء اليك لتفعل معي رحمة بان تقرني في وكرك هذه الليلة لاني ضعيف الحال من كبر سني وذهاب قوتي ولست أقدر على الحركة وقد توغلت في هذا الغيط هذه الليلة وكم دعوت بالموت على نفسي لكي استريح وها أنا على بابك طريح من البرد والمطر وأسألك بالله من صدقتك ان تأخذ بيدي وتدخلني عندك وتاويني في دهليز وكرك لاني غريب ومسكين وقد قيل من اوى بمنزله غريبا مسكينا كان مأواه الجنة يوم الدين فانت يا أخي حقيق بأن تكسب أجري وتأذن لي في أن أبيت عندك هذه الليلة الى الصباح ثم أروح الى حال سبيلي وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٩١) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن السنور قال للفار ائذن لي أن أبيت عندك هذه الليلة ثم أروح الى حال سبيلي فلما سمع الفار كلام السنور قال له كيف تدخل وكري وأنت عدولي بالطبع ومعاشك من لحمي واخاف أن تغدر بي لان ذلك من شيمتك لانه لا عهد لك وقد قيل لا ينبغي الامان للرجل الزاني على المرأة الحسناء ولا للفقير العائل على المال ولا للنار على الحطب وليس بواجب علي أن احتا منك على نفسي وقد قيل عداوة الطبع اضعف صاحبها دنت اقوى فأجاب السنور قائلا بأخمد صوت وأسوأ حال أن الذي قلته من المواعظ حق ولست انكر عليك ولكن أسألك الصفح عما مضى من العداوة الطبيعية التي بيني وبينك لانه قد قيل من صفح عن

مخلوق مثله منسج خالقه عنه وقد كنت قبل ذلك عدوا لك وها أنا اليوم طالب صداقتك وقد قيل اذا أردت أن يكون عدو لك صديقا فافعل معه خيرا وأنا يا أخي أعطيك عهد الله وميثاقه انى لا اضرك أبدا ومع هذا ليس لى قدرة على ذلك فثق بالله وأفعل خيرا واقبل عهدي وميثاقي فقال الفار كيف اقبل عهد من تاسست العداوة بيني و بينه وعادته أن يغدر بي ولو كانت العداوة بيننا على شيء من الاشياء غير الدم لهان على ذلك ولكنها عداوة طبيعية بين الارواح وقد قيل من استامن عدوه على نفسه كان كمن أدخل يده فى فم الافعي فقال السنور وهو ممتلىء غيظا قد ضاق صدري وضعفت نفسي وها أنا فى النزع وعن قليل أموت من بابك و يبقي اثمي عليك لانك قادر على نجاتي مما أنا فيه وهذا اخر كلامي معك فحصل للفار خوف من الله تعالى ونزلت فى قلبه الرحمة وقال في نفسه من أراد المعونة من الله تعالى على عدوه فليصنع معه رحمة وخيرا وانا متوكل على الله فى هذا الامر وانقذ هذا السنور من هذا الهلاك لاكسب اجره فعند ذلك خرج الفار الى السنور وادخله فى وكره سحبا فأقام عنده الى ان اشتد واستراح وتعافى قليلا فصار يتأسف على ضعفه وذهاب قوته وقلة اصدقائه فصار الفار يترفق به و يأخذ بخاطره و يتقرب منه و يسعى حوله واما السنور فانه زحف الى الوكر حتى ملك المخرج خوفا ان يخرج منه الفار فلما اراد الخروج قرب من السنور على عادته فلما صار قريبا منه قبض عليه واخذه بين أظافيره وصار يعضه و ينتره و يأخذه فى فمه و يرفعه عن الارض و يرميه و يجري وراءه و ينهشه و يعذبه فعند ذلك استغاث الفار وطلب الخلاص من الله وجعل يعاتب السنور و يقول اين العهد الذى اهدتني به واين اقسامك التى اقسمت بها اهذا جزائي منك وقد ادخلتك وكري و استأمنتك على نفسي ولكن صدق من قال من اخذ عهدا من عدوه لا ينبغي لنفسه نجاة ومن قال من اسلم نفسه لعدوه وكان مستوجبا لنفسه الهلاك ولكن توكلت على خالقي فهو الذى يخلصني منك فبينما هو على تلك الحالة مع السنور وهو يريد ان يهجم عليه و ينهش فيه و يفترسه واذا برجل صياد معه كلاب جارحة معودة بالصيد فمر منهم كلب على باب الوكر فسمع فيه معركة كبيرة فظن ان فيه ثعلبا يفترس شيأ فاندفع الكلب منحدرا ليصطاده فصادف السنور فجذبه اليه فلما وقع السنور بين يدى الكلب التهى بنفسه واطلق الفار حيا ليس فيه جرح واما هو فانه خرج به الكلب الجارح بعد أن قطع عصبه ورماه ميتا وصدق فى حقهما قول من قال من رحم رحم آجلا ومن ظلم ظلم عاجلا هذا ما جرى لهما ايها الملك فلذلك لا ينبغي لاحد ان ينقض عهد من استأمنه ومن غدر وخان يحصل له مثل ما حصل للسنور لانه كما يدين الفتى يدان ومن يرجع الى الخير ينل الثواب ولكن لا تحزن ايها الملك ولا يشق عليك ذلك لان ولدك بعد ظلمه وعسفه ربما يعود الى حسن سيرتك وان هذا العالم الذى هو وزيرك شماس احب ان لا يكتم عليك شيء فيما رمزه اليك وذلك رشد منه قيل ان اكثر الناس خوفا اوسعهم علما واغبطهم خير افاذ عن الملك عند ذلك وامر لهم باكرام جزيل ثم صرفهم وقام ودخل مكانه وصار يتفكر فى عاقبة امره ولما جن الليل اقدى الى بعض نسائه وكانت اكرمهن عنده واحبهن اليه فرقدها فلما تم لها نحو

اربعة اشهر تحرك الحمل في بطنها ففرحت بذلك فرحا شديدا واعلمت الملك بذلك فقال صدقت رؤياي والله المستعان ثم انزلها احسن المنازل واكرمها غاية الاكرام واعطاها انعاما جزيلا وحولها بشيء كثير وبعد ذلك دعا ببعض الغلمان وارسله ليحضر شماسا فلما حضر حدثه الملك بما صار من حمل زوجته وهو فرحان قائلا قد صدقت رؤياي واتصل رجائي فلعل ذلك الحمل يكون ولدا ذكرا يكون وارثا الملكي فما تقول يا شماس في ذلك فسكت شماس ولم ينطق بجواب فقال له الملك مالي اراك لا تفرح لفرحي ولا ترد لي جوابا اترى هل انت كاره لهذا الامر يا شماس فسجد عند ذلك شماس بين ايادي الملك اطال الله عمرك ما الذي ينفع المستظل بشجرة اذا كانت النار تخرج منها وما لذة شارب الخمر الصافي اذا حصل له بها الشرق وما فائدة الناهل من الماء العذب البارد اذا غرق فيه وانما انا عبد لله ذلك ايها الملك ولكن قد قيل ثلاثة اشياء لا ينبغي للعاقل ان يتكلم في شأنها الا اذا تمت المسافر حتى يرجع من سفره والذي في الحرب حتى يقهر عدوه والمرأة الحامل حتى تضع حملها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٩٢) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير شماسا لما قال للملك ثلاثة اشياء لا ينبغي للعاقل ان يتكلم في شأنها الا اذا تمت قال له بعد ذلك فاعلم ايها الملك ان المتكلم في شان شيء لم يتم مثل الناسك المدفوق على رأسه فقال له الملك وكيف حكاية الناسك وما جرى له فقال له ايها الملك انه كان انسان ناسك عند شريف من اشراف بعض المدن وكان للناسك جراية في كل يوم من رزق ذلك الشريف وهي ثلاثة ارغفة مع قليل من السمن والعسل وكان السمن في ذلك البلد غاليا وكان الناسك يجمع الذي يجيء اليه في جرة عنده حتى ملاها وعلقها فوق راسه خوفا واحتراسا فبينما هو ذات ليلة من الليالي جالس على فراشه وعصاه في يده اذ عرض له فكر في امر السمن وغلائه فقال في نفسه ينبغي أن ابيع هذا السمن الذي عندي جميعه واشتري بثمنه نعجة وأشارك عليها احدا من الفلاحين فانها في اول عام تلد ذكرا وانثى وثاني عام تلد انثى وذكرا ولا تزال هذه الغنم تتوالد ذكورا واناثا حتى تصير شيأ كثيرا واقسم حصتي بعد ذلك وابيع فيها ماشئت واشتري الارض الفلانيه وانشي فيها غيطا وابني فيها قصرا عظيما واقتني ثيابا وملبوسا واشتري عبيدا وجواري واتزوج بنت التاجر الفلاني واعمل عرسا ما صار مثله قط واذبح الذبائح واعمل الاطعمة الفاخرة والحلويات والملبوسات وغيرها واجمع فيها الملاعب والفنون وآلات السماع واجهز الازهار والمشمومات واصناف الرياحين وادعو الاغنياء والفقراء والعلماء وارباب الدولة وكل من طلب شيأ احضرته اليه واجهز انواع المآكل والمشارب واطلق مناديا ينادي من يطلب شيأ يناله وبعد ذلك ادخل على عروسي بعد جلائها واتمتع بحسنها وجمالها وآكل واشرب واطرب واقول لنفسي قد بلغت مناك واستريح من النسك والعبادة وبعد ذلك تحمل زوجتي وتلد غلاما ذكرا فافرح به واعمل له الولائم واربيه في الدلال واعلمه الحكمة والادب والحساب واشهر اسمه بين الناس وافتخر به عند ارباب المجالس وآمره بالمعروف فلا يخالفني وانهاه عن الفاحشة والمنكر واوصيه بالتقوى وعمل الخير



(الناسك وهو يرفع العصا فاصابت جرة السمن فكسرتها وقد ساح السمن على رأسه)

واعطيه العطايا الحسنة السنية فان رايته لزم الطاعة زدته عطايا صالحة وان رأيته مال الى المعصية انزل عليه بهذه العصا ورفعها ليضرب بها ولده فأصابت جرة السمن التى فوق رأسه فكسرتها فعند ذلك نزلت شقافتها عليه وساح السمن على رأسه وعلى ثيابه وعلى لحيته وصار عبرة فلاجل ذلك ايها الملك لاينبغى للانسان أن يتكلم على شىء قبل أن يصير . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٩٣) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير قال للملك لاينبغى للانسان أن يتكلم على شىء قبل ان يصير فقال له الملك لقد صدقت فيما قلت ونعم الوزير انت بالصدق نطقت

وبالخير اشرت ولقد صارت رتبتك عندي على ما تحب ولم تزل مقبولا فسجد شماس لله وللملك ودعاله بدوام النعم وقال ادام الله ايامك واعلى شانك واعلم انني لست اكتم عنك شيئا الا في الملانيه ورضاك رضاى وغضبك غضبي وليس لي فرح الا بفرحك ولا يمكنني ان ابيت وانت ساخط على لان الله تعالى رزقني كل خير باكرامك اياى فاسأل الله تعالى ان يحرسك بملائكته ويحسن ثوابك عند لقائه فابتهج الملك عند ذلك ثم قام شماس وانصرف من عند الملك ثم بعد مدة وضعت زوجة الملك غلاما ذكرا فنهض المبشرون الى الملك وبشروه بغلامه ففرح بذلك فرحا شديدا وشكر الله شكرا جزيلا وقال الحمد لله الذى رزقني ولدا بعد اليأس وهو الشفوق الرؤف على عباده ثم ان الملك كتب الى سائر اهل مملكته ليعلمهم بالخبر ويدعوهم الى منزله فحضر له الامراء والرؤساء والعلماء وارباب الدولة الذين تحت امره هذا ما كان من امر الملك (واما) ما كان امر ولده فانه قد دقت البشائر والافراح في سائر المملكة واقبل اهلها الى الحضور من سائر الاقطار واقبل اهل العلوم والفلاسفة والادباء والحكماء ودخلوا جميعهم الى الملك ووصل كل منهم الى حد مقامه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٩٤) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الملك لما دعى اهل المملكة دخل كل منهم على قدر مقامه ثم اشار الى الوزراء السبعة الكبار الذين رئيسهم شماس ان يتكلم كل واحد منهم على قدر ما عنده من الحكمة في شان ما هو بصدده فابتدا رئيسهم الوزير شماس واستاذن في الكلام فاذن له فقال الحمد لله الذى انشأنا من العدم الى الوجود المنعم على عباده الملوك اهل العدل والانصاف فيما ولاهم من الملك والعمل الصالح وبما اجراه على ايديهم لرعيتهم من الرزق وخصوصا ملكنا الذى احيا الله به اموات بلادنا بما اسده علينا من النعم ورزقنا من سلامته برخاء العيش والطمانينة والعدل فاى ملك يصنع باهل مملكته ما صنع هذا الملك بنا من القيام بمصالحنا واداء حقوقنا وانصاف بعضنا من بعض وعدم الغفلة عنا ورد مظالمنا ومن فضل الله على الناس ان يكون ملكهم متعهدا لامورهم وحافظا لهم من عدوهم لان العدو غاية قصده ان يقهر عدوه وان يملكه في يده وكثير من الناس يقدمون اولادهم الى الملوك خدما فيصيرون عندهم بمنزلة العبيد لاجل ان يمنعوا عنهم الاعداء واما نحن فلم يطا بلادنا اعداء في زمن ملكنا لهذه النعمة الكبرى والسعادة العظمي التى لم يقدر الواصفون على وصفها وانما هي فوق ذلك وانت ايها الملك حقيق بانك اهل لهذه النعمة العظيمة ونحن تحت كنفك وفى ظل جناحك احسن الله ثوابك وادام بقاءك لاننا كنا قبل ذلك نجد في الطلب من الله تعالى ان يمن علينا بالاجابه ويبقيك لنا ويعطيك ولدا صالحا تقر به عينك والله سبحانه وتعالى قد تقبل منا واستجاب دعاءنا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٩٥) قالت بلغني ايها الملك السعيد أن شماسا قال للملك قد تقبل الله تعالى منا واستجاب دعاءنا واتانا الفرج القريب مثل ما اتى بعض السمك في غدير الماء فقال الملك وما حكاية السمك وكيف ذلك فقال شماس اعلم

ايها الملك انه كان فى بعض الاماكن غدير ماء وكان فيه بعض سمكات فعرض لذلك الغدير انه قل ماؤه وصار ينضم بعضه الى بعض ولم يبق من الماء ما يسعها فكادت ان تهلك وقالت ماعسى ان يكون من امرنا وكيف نحتال ومن نستشيره فى نجاتنا فقامت سمكة منهن وكانت اكبرهن عقلا وسنا وقالت ما لنا حاجة فى خلاصنا الا الطلب من الله ولكن نلتمس الراى من السرطان فانه اكبرنا فهلموا بنا اليه لننظر مايكون من رايه لانه اكبر منا لمعرفة بحقائق الكلام فاستحسنوا رايها وجاؤا باجمعهم الى السرطان فوجدوه رابضا فى موضعه وليس عنده علم ولا خبر بما هم فيه فسلم عليه وقالوا له ياسيدنا اما يعنيك امرنا وانت حاكمنا ورئيسنا فاجابهم السرطان قائلا وعليكم السلام ما الذى جاء بكم وما تريدون فقصوا عليه قصتهم وما دهاهم من امر نقص الماء وانه متى نشف حصل لهم الهلاك ثم قالوا له وقد جئناك منتظرين رأيك وما يكون لنا فيه النجاة لانك كبيرنا واعرف منا فعند ذلك اطرق رأسه مليا ثم قال لاشك ان عندكم نقص عقل ليأسكم من رحمة الله تعالى وكفالته بارزاق خلائقه جميعا ألم تعلموا ان الله سبحانه وتعالى يرزق عباده بغير حساب وقدر ارزاقهم قبل ان يخلق شيأ من الاشياء وجعل لكل شخص عمرا محدودا ورزقا مقسوما بقدرته الالهية فكيف تحملوا هم شئ هو فى الغيب مسطور والراي عندى انه لا يكون احسن من الطلب من الله تعالى فينبغى ان كل واحد منا يصلح سريرته مع ربه فى سره وعلانيته ويدعو الله ان يخلصنا وينقذنا من الشدائد لان الله تعالى لا يخيب رجاء من توكل عليه ولا يرد طلب من توسل اليه فاذا اصلحنا احوالنا استقامت امورنا وحصل لنا كل خير ونعمة واذا جاء الشتاء وغمرت ارضنا بدعاء صالحنا فلا يهدم الخير الذى بناه فالراي ان تصبر وننتظر مايفعله الله بنا فان كان يحصل لنا موت على العادة استرحنا وان كان يحصل لنا مايوجب الهرب هربنا ورحلنا من ارضنا الى حيث يريد الله فاجاب السمك جميعه من فم واحد صدقت ياسيد فاجزاك الله عنا خيرا وتوجه كل واحد منهم الى موضعه فما مضى الا ايام قلائل واتاهم الله بمطر شديد حتى ملا الغدير زيادة عما كان اولا وهكذا نحن ايها الملك كنا يائسين من ان يكون لك ولد وحيث من الله علينا وعليك بهذا الولد المبارك فنسأل الله تعالى ان يجعله ولدا مباركا وأن تقر به عينك ويجعله خلفا صالحا ويرزقنا منه مثل مارزقنا منك فان الله تعالى لا يخيب من قصده ولا ينبغى لاحد ان يقطع رجاءه من رحمة الله تعالى ثم الوزير الثانى سلم على الملك فاجابه الملك قائلا وعليكم السلام. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٩٦) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير الثانى لما دخل على الملك وسلم عليه فرد الملك عليه السلام فقال ذلك الوزير ان الملك لا يسمى ملكا الا اذا اعطي وعدل وحكم واكرم واحسن سيرته مع رعيته باقامة الشرائع والسنن المألوفة بين الناس وانصف بعضهم من بعض وحقن دماءهم وكف الاذى عنهم ويكون موصوفا بعدم الغفلة عن فقرائهم واسعاف اعلاهم وادناهم واعطاهم الحق الواجب لهم حتى يصير واجميعا داعين له ممتثلين لامره لانه لاشك ان الملك الذى

بهذه السنة المحبوب بهذه الرعية مكتسب من الدنيا علاها ومن الآخرة شرفها ورضا خالقها ونحن معاشر الغبيد معترفون لك ايها الملك بان جميع ما وصفناه عندك كم قيل خير الامور ان يكون ملك الرعية عادلا وحكيمها ماهرا وعالمها خبيرا عاملا بعلمه ونحن الآن متنعمون بهذه السعادة وكنا قبل ذلك قد وقعنا في الياس من حصول ولد لك يرث ملكك ولكن الله جل اسمه لم يخيب رجاءك وقبل دعاءك لحسن ظنك به وتسليم امرك اليه فنعم الرجاء رجاؤك وقد صار فيك ما صار للغراب والحية فقال الملك وكيف ذلك حكاية الغراب والحية فقال الوزير ايها الملك انه كان غراب ساكنا في شجرة هو وزوجته في أرغد عيش الى ان بلغا زمان تفريخهما وكان زمن القيظ فخرجت حية من وكرها وقصدت تلك الشجرة وتعلقت بفروعها الى ان صعدت الى عش الغراب وربضت فيه ومكثت فيه مدة ايام الصيف وصار الغراب مطرودا لا يجد له فرصة ولا موضعا يرقد فيه فلما انقضت ايام الحر ذهبت الحية الى موضعها فقال الغراب لزوجته نشكر الله تعالى الذي نجانا وخلصنا من هذه الآفة وما احرمنا من الولد في هذه السنة لان الله تعالى لا يقطع رجاءنا فنشكره على ما من علينا من السلامة وصحة ابداننا وليس لنا اتكال الا عليه واذا اراد الله وعشنا الى العام القابل عوض الله علينا نتاجنا فلما جاء وقت تفريخهما خرجت الحية من موضعها وقصدت الشجرة فبينما هي متعلقة ببعض اغصانها وهي قاصدة عش الغراب على العادة واذا بحداة قد انقضت عليها وضربتها في رأسها فخدشتها فعند ذلك سقطت الحياة على الارض مغشيا عليها وطلع عليها النمل فاكلها وصار الغراب مع زوجته في سلامة وطمأنينة وفرخا اولادا كثيرة وشكرا الله على سلامتهما وعلى حصول الاولاد ونحن ايها الملك يجب علينا شكر الله على ما انعم عليك وعلينا بهذا المولود المبارك السعيد بعد الياس وقطع الرجاء احسن الله ثوابك وعاقبة امرك وادرك شهرزاد الصباح عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٩٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير الثاني لما فرغ من كلامه ختمه بقوله احسن الله ثوابك وعاقبة امرك ثم قام الوزير الثالث وقال ابشر ايها الملك العادل بالخير العاجل والثواب الآجل لان كل من تحبه اهل السماء والله تعالى قسم ذلك المحبة وجعلها في قلوب اهل مملكتك فله الشكر والحمد منا ومنك لكي يزيد نعمته عليك وعلينا بك واعلم ايها الملك الانسان لا يستطيع شيأ الا بأمر الله تعالى وانه هو المعطي وكل خير عند شخص اليه ينتهي قسم النعم على عبيده كما يحب فنهم من اعطاه مواهب كثيرة ومنهم من شغله بتحصيل القوت ومنهم من جعله رئيسا ومنهم من جعله زاهدا في الدنيا راغبا اليه لانه هو الذي قال انا الضار النافع اشفي وامرض واغني وافقر وامبت واحيي وبيدي كل شيء والى المصير فواجب على جميع الناس شكره وانت ايها الملك من السعداء الابرار كما قيل ان اسعد الابرار من جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة ويقنع بما قسم الله له ويشكره على ما اقامه فيه ومن تعدى وطلب غير ما قدر الله له وعليه يشبه حمار الوحش والثعلب قال الملك وما حديثهما قال الوزير اعلم ايها الملك ان ثعلبا كان يخرج كل يوم من وطنه ويسعى على رزقه فبينما هو ذات يوم في بعض الجبال واذا بالنهار قد انقضى وقصد الرجوع

فاجتمع على ثعلب رآه ماشيا وصار كل منهما يحكي لصاحبه حكاية مع ما اتفق له فقال احدهما اني يا امس وقعت في حمار وحش وكنت جائعا وكان لي ثلاثة ايام ما أكلت ففرحت بذلك وشكرت الله تعالى الذي سخره لي ثم اني عمدت الى قلبه فأكلته وشبعت ثم رجعت الى وطني ومضى على ثلاثة ايام ما أجد شيأ آكله ومع ذلك انا شبعان الى الآن فلما سمع الثعلب الحكاية حسده على شبعه وقال في نفسه لا بد لي من اكل قلب حمار الوحش فترك الأكل ايام حتى انهزل واشرف على الموت وقصر سعيه واجتهاده وربض في وطنه فبينما هو في وطنه ذات يوم من الايام واذا بصيادين ماشيين قاصدين الصيد فوقع لهما حمار وحش فاقاما النهار كله في أثره طردا ثم ان بعضهما رماه بسهم مشعب فاصابه ودخل جوفه واتصل بقلبه فقتله مقابل وكر الثعلب المذكور فادركه الصيادان فوجداه ميتا فاخرجا السهم الذي أصابه في قلبه فلم يخرج الا العود وبقي السهم مشعبا في بطن حمار الوحش فلما كان المساء خرج الثعلب من وطنه وهو يتضجر من الضعف والجوع فرأى حمار الوحش على بابه طريحا ففرح فرحا شديدا حتى كاد ان يطير من الفرح وقال الحمد لله الذي يسر لي شهوتي من غير تعب لأني كنت لا أؤمل اني أصيب حمار وحش ولا غيره ولعل الله أوقعه هنا وساقه الى في موضعي ثم وثب عليه وشق بطنه وأدخل رأسه وصار يجول بفمه في أمعائه الى ان وجد القلب فالتقمه بفمه وابتلعه فلما صار داخل حلقته اشتبك شعب السهم في عظم رقبته ولم يقدر على ادخاله في بطنه ولا على اخراجه من حلقه وايقن بالهلاك فلهذا ايها الملك ينبغي للانسان ان يرضى بما قسمه الله له ويشكر نعمه ولا يقطع رجاءه من مولاه وها انت أيها الملك بحسن نيتك واسداء معروفك رزقك الله ولدا بعد اليأس فنسأل الله تعالى ان يرزقه عمرا طويلا وسعادة دائمة ويجعله خلفا مباركا موفيا بعهدك من بعدك بعد طول عمرك ثم قام الوزير الرابع وقال ان الملك اذا كان فهيما عالما بابواب الحكمة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٨٩٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير الرابع لما قام وقال ان الملك اذا كان فهيما عالما بابواب الحكمة والاحكام والسياسة مع صلاح النية والعدل في الرعية واكرام من يجب اكرامه وتوقير من يجب توقيره والعفو عند القدرة الا فيما لا بد منه ورعاية الرؤساء والمرؤسين والتخفيف عنهم والانعام عليهم وستر عوراتهم والوفاء بعهدهم كان حقيقا بالسعادة الدنيوية والاخروية فان ذلك مما يعدهم ويعينه على ثبات ملكه ونصرته على اعدائه وبلوغ ما مرامه مع زيادة نعمة الله عليه وتوفيقه لشكره والفوز بمعونته ان الملك اذا كان بخلاف ذلك فانه لم يزل في مصائب وبلايا هو واهل مملكته لكون جوره على الغريب والقريب ويصير فيه ما صار لابن الملك السائح فقال الملك وكيف كان ذلك فقال الوزير اعلم أيها الملك انه كان في بلاد الغرب ملك جائر في حكمه ظالم غاشم عاسف مضيع رعاية رعيته ومن دخل في مملكته فكان لا يدخل في مملكته أحد الا وتأخذ عماله منه أربعة أخماس ماله ويبقون له الخمس لا غير فقدر الله انه كان له ولد سعيد موفق فلما رأى أحوال الدنيا غير مستقيمة تركها وخرج سائحا عابدا لله تعالى من صغره ورفض الدنيا وما فيها وخرج في

طاعة الله تعالى يسرح فى البرارى والقفار ويدخل المدن ففى بعض الايام دخل تلك المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٨٩٩) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الوزير قال للملك لما دخل ابن الملك تلك المدينة فلما وقف على المحافظين أخذوه وفتشوه فلم يروا معه شيئا سوى ثوبين أحدهما جديد والآخر عتيق فنزعوا منه الجديد وتركوا له العتيق بعد الاهانة والتحقير فصار يشكو ويقول ويحكم أيها الظالمون انا رجل فقير وسائح وما عسى ان ينفعكم من هذا الثوب واذا لم تعطوه لي ذهبت للملك وشكوتكم اليه فاجابوه قائلين اننا فعلنا ذلك بامر الملك فما بدا لك ان تفعله فافعله فصار السائح يمشى الى ان وصل الى بلاد الملك واراد الدخول فمنعه الحجاب فرجع وقال فى نفسه مالى الا انى أرصده حتى يخرج واشكو اليه حالى وما أصابنى فبينما هو على تلك الحالة ينتظر خروج الملك اذ سمع أحد الاجناد يخبر عنه فاخذ يتقدم قليلا قليلا حتى وقف قبال الباب فما شعر الا والملك خارج فعارضه السائح ودعا له بالنصر وأخبره بما وقع له من المحافظين وشكا اليه حاله وأخبره انه رجل من أهل الله رفض الدنيا وخرج طالب رضا الله تعالى فصار سائحا فى الارض وكل من وفد عليه من الناس أحسن اليه بما أمكنه وصار يدخل كل مدينة وكل قرية وهو على هذه الحالة ثم قال فلما دخلت هذه المدينة رجوت ان يفعل بى أهلها مثل ما يفعل بغيرى من السائحين فعارضنى أتباعك ونزعوا أحد أثوابى وأوجعونى ضربا فانظر فى شانى وخذ بيدى وخالص لى ثوبى وأنا لا أقيم بهذه المدينة ساعة واحدة فاجابه الملك الظالم قائلا من أشار عليك بدخولك هذه المدينة وانت غير عالم بما يفعل ملكها فقال بعد ان آخذ ثوبى افعل بى مرادك فلما سمع ذلك الملك الظالم من السائح هذا الكلام حصل عنده تغيير مزاج فقال ايها الجاهل نزعنا عنك ثوبك لكى تذل وحيث وقع منك مثل هذا الصياح عندى فانا أنزع نفسك منك ثم أمر بسجنه فلما دخل السجن جعل يندم على ما وقع منه من الجواب وعنف نفسه حيث لم يتركه ذلك يفوز بروحه فلما كان نصف الليل قام وصلى صلاة مطولة وقال يا الله إنك الحكم العدل تعلم بحالى وما إنطوى عليه أمرى مع هذا الملك الجائر وأنا عبدك المظلوم اسألك من فيض رحمتك أن تنقذنى من يد هذا الملك الظالم وتحل به نقمتك لانك لا تغفل عن ظلم كل ظالم فان كنت تعلم انه ظلمنى فاحلل نقمتك عليه فى هذه الليلة وانزل به عذابك لان حكمك عدل وأنت غياث كل ملهوف يامن له القدرة والعظمة الى آخر الدهر فلما سمع السجان دعاء هذا المسكين صار جميع ما فيه من الاعضاء مرعوبا فبينما هو كذلك واذا بنار قادت فى القصر الذى فيه الملك فاحرقت جميع ما فيه حتى باب السجن ولم يخلص سوى السجان والسائح فانطلق السائح وسار هو والسجان ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى غير تلك المدينة وأما مدينة الملك الظالم فانها احترقت عن آخرها بسبب جور ملكها واما نحن أيها الملك السعيد فانا نصبح الا ونحن داعون لك وشاكرون الله تعالى على فضله بوجودك مطمئنين بعدلك وحسن سيرتك وكان عندنا غم كثير لعدم ولد لك يرث ملكك خوفا ان يصير علينا ملك غيرك من بعدك والآن قد انعم الله تعالى بكرمه علينا وازال عنا الغم وأتانا

بالسرور بوجود هذا الغلام المبارك فنسأل الله تعالى ان يجعله خليفة صالحة ويرزقه العز والسعادة الباقية والخير الدائم ثم قام الوزير الخامس وقال تبارك الله العظيم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٠٠) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير الخامس قال تبارك الله العظيم مانح العطايا الصالحة والمواهب السنية وبعد فاننا تحققنا ان الله ينعم على من يشكره ويحافظ على دينه وانت أيها الملك السعيد الموصوف بهذه المناقب الجليلة والعدل والانصاف بين رعيتك بما يرضى الله تعالى فلاجل ذلك أعلى الله شأنك وأسعد أيامك ووهب لك هذه العطية الصالحة التى على هذا الولد السعيد بعد اليأس وصار لنا بذلك الفرح الدائم والسرور الذى لا ينقطع لاننا قبل ذلك كنا فى هم شديد وغم زائد بسبب عدم ولدك وفى افكار فيما أنت منطوعليه من عدلك ورأفتك بنا وخوفا ان يقضى الله عليك بالموت ولم يكن لك من يخلفك ويرث الملك من بعدك فيختلف رأينا ويقع بيننا الشقاق ويصير بيننا ما صار للغراب فقال الملك وما حكاية الغراب فاجابه الوزير قائلا اعلم ايها الملك السعيد انه كان فى بعض البرارى واد متسع وكان به انهار واشجار واثمار به أطيار تسبح الله الواحد القهار خالق الليل والنهار وكان من جملة الطيور غربان وكانوا فى أطيب عيش وكان المقدم عليهم والحاكم بينهم غراب رؤوف بهم شفوق عليهم وكانوا معه فى أمان وطمأنينة ومن حسن تصرفه فيهم فيما بينهم لم يكن أحد من الطيور يقدر عليهم فاتفق ان مقدمهم توفى وجاءه الامر المحتوم على سائر الخلق فحزنوا عليه حزنا شديدا ومن زيادة حزنهم انه لم يكن فيهم أحد مثله يقوم مقامه فاجتمعوا جميعا وائتمروا فيما بينهم على من يقوم عليهم بحيث يكون صالحا فطائفة منهم اختاروا افرادا وقالوا ان هذا يصلح ان يكون ملكا علينا وآخرون اختلفوا فيه ولم يريدوه فوقع بينهم الشقاق والجدال وعظمت الفتنة بينهم وبعد ذلك حصل بينهم توافق وتعاهدوا على ان يناموا تلك الليلة ولا يبكر احد الى السروح فى طلب المعيشة غدا بل يصبرون جميعا الى الصباح وعند طلوع الفجر يكونون مجتمعين فى موضع واحد ينظرون الى كل طير يسبق فى الطيران وقالوا انه هو الذى يكون مختارا عندنا للملك فنجعله ملكا علينا ونوليه أمرنا فرضوا كلهم بذلك وتعاهد بعضهم بعضا واتفقوا على هذا العهد فبينما هم على ذلك الحال اذ طلع باز فقالوا له يا أبا الخير نحن اخترناك واليا علينا تنظر فى أمرنا فرضى الباز بما قالوه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٠١) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الوزير الخامس قال للملك فرضى الباز بما قالوه وقال لهم ان شاء الله تعالى سيكون لكم منى خير عظيم ثم انهم بعدما ولوه عليهم صار كل يوم اذا سرح وسرحوا ينفرد باحدهم ويضربه ويأكل دماغه وعينيه ويترك الباقى ولم يزل يفعل معهم هكذا حتى فطنوا به فرأوا غالبهم قد هلك فايقنوا بالهلاك وقال بعضهم لبعض كيف نصنع وقد هلك أكثرنا ولم نتنبه حتى هلك أكابرنا فينبغى لنا ان نتيقظ لانفسنا فلما أصبحوا نفروا منه وتفرقوا حوله ونحن الآن نخشى ان يقع لنا مثل هذا ويصير علينا ملك غيرك ولكن قد من الله

علينا بهذه النعمة ووجهك الينا ونحن الآن واثقون بالصلاح وجمع الشمل والأمن والامانة والسلامة في الوطن فتبارك الله العظيم وله الحمد والشكر والثناء الجميل وبارك الله للملك ولنا بسعد الرعية ورزقنا واياه السعادة العظمى وجعله سعيد الوقت دائم الجد ثم قام الوزير السادس وقال هنأك الله أيها الملك باحسن الهناء في الدنيا والآخرة فقد تقدم من قول المتقدمين ان من صلى وصام وقام بحقوق الوالدين وعدل في حكمه لقي ربه وهو راض عنه وقد وليت علينا فعدلت فسكنت بذلك سعيد الحركات فنسأل الله تعالى ان يجزل ثوابك ويأجرك على احسانك وقد سمعت مقال هذا العالم فيما تتخوف من حرمان حظنا بعدم الملك ووجود ملك آخر لا يكون فيعظم اختلافنا بعده ويقع البلاء في الاختلاف واذا كان الامر على ماذكرناه فقد وجب علينا ان نبتهل الى الله تعالى بالدعاء لعله يهب للملك ولدا سعيدا ويجعله وارثا للملك بعده ثم بعد ذلك ربما كان الذي يحبه الانسان من الدنيا ويشتهيه مجهول العاقبة له وحينئذ لا ينبغي للانسان ان يسأل ربه أمرا لا يدري عاقبته لانه ربما كان ضرر ذلك أقرب اليه من نفعه فيكون هلاكه في مطلوبه ويصيبه مثل ما أصاب الحاوي وزوجته وأولاده وأهل بيته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٠٢) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الوزير السادس لما قال للملك ان الانسان لا ينبغي له ان يسأل ربه شيئا لا يدري عاقبته لانه ربما كان ضرر ذلك أقرب اليه من نفعه فيكون هلاكه في مطلوبه ويصيبه ما أصاب الحاوي وأولاده وزوجته وأهل بيته فقال الملك وما حكاية الحاوي وأولاده وزوجته وأهل بيته فقال الوزير اعلم أيها الملك انه كان انسان حاويا وكان يربي الحيات وهذه كانت صنعته وكان عنده سلة كبيرة فيها ثلاث حيات لم يعلم بها أهل بيته وكان كل يوم يخرج يدور بها في المدينة ويتسبب بها بتحصيل رزقه ورزق عياله ويرجع عند المساء الى بيته ويضع الاحناش في السلة سرا وعند الصباح يأخذها ويدور بها في المدينة فكان هذا دأبه على الدوام ولم يعلم أهل بيته بما في السلة فجاء الى بيته على عادته فسألته زوجته وقالت له ما في هذه السلة فقال لها الحاوي وما مرادك منها أليس الزاد عندكم كثيرا زائدا فاقنعي بما قسم الله لك ولا تسألي عن غيره فسكتت عنه تلك المرأة وصارت تقول في نفسها لا بدلي أن أفتش هذه السلة وأعرف ما فيها وصممت على ذلك وأعلمت أولادها وأكدت عليهم ان يسألوا والدهم عن تلك السلة ويلحوا عليه في السؤال لاجل ان يخبرهم فعند ذلك تعلق بخاطر الاولاد بأن فيها شيئا يؤكل فصار الاولاد كل يوم يطلبون من أبيهم ان يريهم ما في السلة وكان أبوهم يدافعهم ويراضيهم وينهاهم عن هذا السؤال فمضت لهم مدة وهم على ذلك الحال وامهم تحثهم على ذلك ثم اتفقوا مع امهم على انهم لا يذوقون طعاما ولا يشربون شرابا لوالدهم حتى يبلغهم طلبتهم ويفتح لهم السلة فبينما هم كذلك ذات ليلة اذ حضر الحاوي ومعه شيء كثير من الاكل والشرب فقعد ودعاهم ليأكلوا معه فأبوا من الحضور اليه وبينوا له الغيظ فجعل يلاطفهم بالكلام الحسن ويقول لهم انظروا ماذا تريدون حتى أجيء به اليكم أكلا أو شربا أو

ملبوساً فقالوا له يا والدنا ما نريد منك إلا فتح هذه السلة لتنظر ما فيها والا قتلنا أنفسنا فقال لهم يا أولادي ليس لكم فيها خير وانما فتحها ضرر لكم فعند ذلك ازدادوا غيظاً وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٠٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الحاوي قال لأولاده ان فتح السلة فيه ضرر لكم فازدادوا غيظاً فلما رآهم على هذه الحالة أخذ يهددهم ويشير لهم بالضرب إن لم يرجعوا عن تلك الحالة فلم يزدادوا الا غيظاً ورغبة في السؤال فعند ذلك غضب عليهم وأخذ عصا ليضربهم بها فهربوا من قدامه في الدار وكانت السلة حاضرة لم يخفها الحاوي في مكان فخلت المرأة والرجل مشغولا بالأولاد وفتحت السلة بسرعة لكي تنظر ما فيها واذا بالحيات قد خرجوا من السلة ولدغوا المرأة والأولاد فقتلوها ثم داروا في الدار وهلكوا الكبار والصغار ما عدا الحاوي فترك الحاوي الدار وخرج فاذا تحققت ذلك أيها الملك السعيد علمت أن الانسان ليس له أن يتمنى شيء لم يرده الله تعالى بل يطيب نفساً بما قدره الله تعالى وأراده وها أنت أيها الملك مع غزارة علمك وجودة فهمك أقر الله عينك بحضور ولدك بعد اليأس وطيب قلبك ونحن نسأل الله تعالى ان يجعله من الخلفاء العادلين المرضيين لله تعالى والرعية ثم قام الوزير السابع وقال أيها الملك إني قد علمت وتحققت ما ذكره لك أخوتي هؤلاء الوزراء العلماء الحكماء وما تكلموا به في حضرتك أيها الملك وما وصفوه من عدلك وحسن سيرتك وما تميزت به عمن سواك من الملوك حيث فضلوك عنهم وذلك من بعض الواجب علينا أيها وأما أنا فأقول الحمد لله الذي ولاك نعمته وأعطاك صلاح الملك برحمته وأعانك وايانا على أن تزيده شكراً وما ذلك الا بوجودك ومادمت فينا لم نتخوف جوراً ولا نبغي ظلماً ولا يستطيع أحد أن يستطيل علينا مع ضعفنا وقد قيل أن أحسن الرعايا من كان ملكهم عادلا وشرهم من كان ملكهم جائراً وقيل أيضا السكنى مع الاسود الكواسر ولا السكنى مع السلطان الجائر فالحمد لله تعالى على ذلك حمداً دائماً حيث نعم علينا بوجودك ورزقك هذا الولد المبارك بعد اليأس والطعن في السن لأن أجل العطايا في الدنيا الولد الصالح وقد قيل من لا ولد له لا عاقبة له ولا ذكر وأنت بقويم عدلك وحسن ظنك بالله تعالى أعطيت هذا الولد السعيد فجاءك هذا الولد المبارك منة من الله تعالى علينا وعليك بحسن سيرتك وجميل صبرك وصار فيك ذلك مثل ما صار في العنكبوت والريح فقال الملك وما حكاية العنكبوت والريح وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٠٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك قال للوزير وما حكاية العنكبوت والريح فقال الوزير اعلم أيها الملك أن عنكبوتة تعلقت في باب منتح عال وعملت لها بيتا وسكنت فيه بامان وكانت تشكر الله تعالى الذي يسر لها هذا المكان وآمن خوفها من الهوام فسكتت على هذا الحال مدة من الزمان وهي شاكرة لله على راحتها واتصال رزقها فامتحنها خالقها بان أخرجها لينظر شكرها وصبرها فارسل اليها ريحاً عاصفاً شرقياً فحملها ببيتها ورماها في البحر فجرتها الامواج الى البر فعند ذلك شكرت الله تعالى على سلامتها وجعلت تعاتب الريح قائلة لها أيتها الريح لم فعلت بي ذلك وما الذي

حصل لك من الخير في نقلي من مكاني الى هنا وقد كنت آمنة مطمئنة في بيتي باعلى ذلك الباب فقال لها الريح انتهي عن العتاب فاني سأرجع بك وأوصلك الى مكانك كما كنت أولا فلبثت العنكبوته صابرة على ذلك راجية أن ترجع الى مكانها حتى ذهبت ريح الشمال ولم ترجع بها وهبت ريح الجنوب فرت بها واختطفتها وطارت بها الى جهة ذلك البيت فلما مرت به عرفته فتعلقت به ونحن نسأل الله الذي اثاب الملك على وحدته وصبره ورزقه هذا الغلام بعد يأسه وكبر سنه ولم يخرجه من هذه الدنيا حتى رزقه قرة عين له ووهب له ماوهب من الملك والسلطان فرحم رعيته وأولاهم نعمته فقال الملك الحمد لله فوق كل حمد والشكر له فوق كل شكر لا اله إلا هو خالق كل شيء الذي عرفنا نور آثاره وجلال عظمته يؤتي الملك والسلطان من يشاء من عباده في بلاده لانه ينتخب منهم من يشاء ليجعله خليفة ووكيلا على خلقه ويأمره فيهم بالعدل والانصاف واقامة الشرائع والسنن والعمل بالحق والاستقامة في أمورهم على ما أحب وأحبوا فمن عمل منهم بما أمر الله كان لحظه مصيبا ولامره مطيعا فيكفيه هول دنياه ويحسن جزاؤه في أخراه انه لا يضيع أجر المحسنين ومن عمل منهم بغير ما أمر الله أخطأ خطأ بليغا وعصى ربه وآثر دنياه على أخراه فليس له في الدنيا مآثر ولا في الآخرة نصيب لان الله يمهل أهل الجور والفساد ولا يهمل أحدا من العباد وقد ذكر وزراؤنا هؤلاء أن من عدلنا بينهم وحسن تصرفنا معهم أنعم علينا وعليهم بالتوفيق لشكره المستوجب لمزيد إنعامه وكل واحد منهما قال ما ألهمه الله في ذلك وبالغوا في الشكر لله تعالى والثناء عليه بسبب نعمته وفضله وأنا أشكر الله لأني إنما أنا عبده مأمور وقلبي بيده ولساني تابع له راض بما حكم الله علي وعليهم بأي شيء صار وقد قال كل واحد منهم ما خطر بباله أمر هذا الغلام وذكر وما كان من متجدد النعمة علينا حين بلغت من السن حدا يغلب معه اليأس وضعف اليقين والحمد لله الذي نجانا من الحرمان واختلاف الحكام كاختلاف الليل والنهار وقد كان ذلك إنعاما عظيما عليهم وعلينا فنحمد الله تعالى الذي رزقنا هذا الغلام سميعا مطيعا وجعله وارثا من الخلافة محلا رفيعا نسأله من كرمه وحلمه أن يجعله سعيد الحركات موفقا للخيرات حتى يصير ملكا وسلطانا على رعيته بالعدل والانصاف حافظا لهم من هلكات الاعتساف بمنه وكرمه وجوده وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٠٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك بعدما فرغ من كلامه قام الحكماء والعلماء وسجدوا لله وشكروا الملك وقبلوا يديه وانصرف كل واحد منهم الى بيته فعند ذلك دخل الملك بيته وأبصر الغلام ودعا له وسماه وردخان فلما تم له من العمر اثنتاعشرة سنة أراد الملك أن يعلمه العلوم فبنى له قصرا في وسط المدينة وبنى فيه ثلثمائة وستين مقصورة وجعل الغلام فيه ورتب له ثلاثة من الحكماء والعلماء وأمرهم أن لا يغفلوا عن تعليمه ليلا ونهارا وأن يجلسوا معه في كل مقصورة يوما ويحرصوا على أن لا يكون علم إلا ويعلمونه إياه حتى يصير بجميع العلوم عارفا ويكتبون على باب كل مقصورة ما يعلمونه له فيها من أصناف العلوم ويرفعون اليه في كل سبعة أيام ما عارفه من العلوم ثم أن العلماء أقبلوا على الغلام وصاروا لا يفترون عن تعليمه ليلا ونهارا ولا يؤخرون عنه شيء مما

عندهم من العلوم فظهر للغلام من ذكاء العقل وجودة الفهم وقبول العلم مالم يظهر لأحد قبله وجعلوا يرفعون للملك وفي كل أسبوع مقدار ما تعلمه ولده وأتقنه فكان الملك يستظهر من ذلك علما حسنا وأدبا جميلا وقال العلماء ما رأينا قط من أعطي فهما مثل هذا الغلام فبارك الله لك فيه ومتعك بحياته فلما أتم الغلام مدة اثنتي عشرة سنة حفظ من كل علم أحسنه وفاق جميع العلماء والحكماء الذين في زمانه فأتى به العلماء الى الملك والده وقالوا له أقر الله عينيك أيها الملك بهذا الولد السعيد وقد اتيناك به بعد أن تعلم كل علم حتى لم يكن أحد من علماء الوقت وحكمائه نلغ ما بلغه ففرح الملك بذلك فرحا شديدا وزاد في شكر الله تعالى وخر ساجدا لله عز وجل وقال الحمد لله على نعمه التي لا تحصى ثم دعا بشماس الوزير وقال له اعلم يا شماس أن العلماء قد اتوني وأخبروني أن ابني هذا قد تعلم كل علم ولم يبق من العلوم علم إلا وقد علموه له حتى فاق من تقدمه في ذلك فما تقول يا شماس فسجد عند ذلك لله عز وجل وقبل يد الملك وقال ابت الياقوتة ولو كانت في الجبل الاصم إلا أن تكون مضيئة كالسراج وابنك هذا جوهرة فما منعه حداثته من أن يكون حكيما والحمد لله على ما أولاه وأنا إن شاء الله تعالى في غد اسأله واستيقظه بما عنده في مجمع أجمعه له من خواص العلماء والامراء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٠٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك جلعاد لما سمع كلام شماس أمر جهابذة العلماء وأذكياء الفضلاء ومهرة الحكماء أن يحضروا إلى قصر الملك في غد فحضروا جميعا فلما اجتمعوا على باب الملك أذن لهم بالدخول ثم حضر شماس الوزير وقبل يدي ابن الملك فقام ابن الملك وسجد لشماس فقال له شماس لا يجب على شبل الاسد أن يسجد لاحد من الوحوش ولا ينبغي أن أن يقترن النور بالظلام قال الغلام أن شبل الاسد لما رأى وزير الملك سجد له فعند ذلك قال له شماس اخبرني ما الدائم المطلق وما كوناه وما الدائم من كونيه قال الغلام أما الدائم المطلق فهو الله عز وجل لانه أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء وأما كوناه فالدنيا والآخرة وأما الدائم من كونيه فهو نعيم الآخرة قال شماس صدقت فيما قلت وقبلته منك غير أني أحب أن تخبرني من أين علمت أن أحد الكونين هو الدنيا وثانيهما هو الآخرة قال الغلام لأن الدنيا خلقت ولم يكن من شيء كائن فآل أمرها الى الكون الاول غير انها عرض سريع الزوال مستوجب الجزاء على الاعمال وذلك يستدعي اعادة الفاني فالآخرة هي الكون الثاني قال شماس صدقت فيما قلت وقبلته منك غير أني أحب أن تخبرني من أين علمت أن نعيم الآخرة هو الدائم من الكونين قال الغلام علمت ذلك من أنها دار الجزاء على الاعمال التي أعدها الباقي بلا زوال قال شماس اخبرني أي أهل الدنيا أحمد عملا قال الغلام من يؤثر آخرته على دنياه قال شماس ومن الذي يؤثر آخرته على دنياه قال الغلام من كان يعلم أنه في دار منقطعة وانه ما خلق الا للفناء وانه بعد الفناء محاسب وانه لو كان في هذه الدنيا أحد مخلدا ابدا لا يؤثر الدنيا على الآخرة قال شماس أخبرني هل تستقيم آخره بغير دنيا قال الغلام من لم يكن له دنيا فلا آخرة له ولكن رأيته

الدنيا وأهلها والمعاد الذي هم سائرون اليه كمثل أهل هؤلاء الضياع الذين ابتنى لهم أمير بيتا ضيقا وأدخلهم فيه وأمرهم بعمل يعملونه وضرب لكل واحد منهم أجلا وكل به شخصا فمن عمل منهم ما أمر به أخرجه الشخص الموكل به من ذلك الضيق ومن لم يعمل ما أمر به وقد انقضى الاجل المضروب له عوقب فبينما هم كذلك اذ رشح لهم من شقوق البيت عسل فلما أكلوا من العسل وذاقوا طعمه وحلاوته تراخوا في العمل الذي أمروا به ونبذوه وراء ظهورهم وصبروا على ما هم فيه من الضيق والغم مع ما علموا من تلك العقوبة التي هم سائرون اليها وقنعوا بتلك الحلاوة اليسيرة وصار الموكل بهم لا يدع أحدا منهم اذا جاء أجله الا ويخرجه من ذلك البيت فعرفنا أن الدنيا دار تتحير فيها الابصار وضرب لاهلها فيها الآجال فمن وجد الحلاوة القليلة التي تكون في الدنيا واشغل نفسه بها كان من الهالكين حيث آثر أمر دنياه على آخرته ومن يؤثر آخرته على دنياه ولم يلتفت الى تلك الحلاوة القليلة كان من الفائزين قال شماس قد سمعت ما ذكرت من أمر الدنيا والآخرة وقبلت ذلك منك ولكني قد رأيتهما مسلطين على الانسان فلا بد له من أرضائهما معا مع اختلافهما فان اقبل العبد على طلب المعيشة فذلك اضرار بروحه في المعاد وان أقبل على الاخرة كان ذلك اضرارا بجسده وليس له سبيل الى إرضاء المتخلفين معا قال الغلام أنه من حصل المعيشة في الدنيا تقوى على الاخرة فاني رأيت أمر الدنيا والاخرة مثل ملكين عادل وجائر وكانت أرض الملك الجائر ذات أشجار وأثمار ونبات وكان ذلك الملك لا يدع أحدا من التجار الا أخذ ماله وتجارته وهم صابرون على ذلك لما يصيبونه من خصب تلك الارض في المعيشة وأما الملك العادل فانه بعث رجلا من أهل أرضه وأعطاه مالا وافرا وأمره أن ينطلق الى أرض الملك الجبار ليبتاع به جواهر منه فانطلق ذلك الرجل بالمال حتى دخل تلك الارض فقيل للملك أنه قد جاء الى أرضك رجل تاجر ومعه مال كثير يريد ان يبتاع به جواهر منها فارسل اليه واحضره وقال له من أنت ومن أين اتيت ومن جاء بك الى ارضي وما حاجتك فقال له اني من أرض كذا وكذا وان ملك تلك الارض اعطاني مالا وأمرني أن ابتاع له به جواهر من هذه الارض فامتثلت أمره وجئت فقال له الملك ويحك اما علمت صنعي باهل ارضي من اني آخذ مالهم في كل يوم فكيف تأتيني بمالك وها انت مقيم في أرضي منذ كذا وكذا فقال له التاجر ان المال ليس لي منه شيء وانما هو امانة تحت يدي حتى أوصله الى صاحبه فقال له اني لست بتاركك تأخذ معيشتك من ارضي حتى تفدي نفسك بهذا المال جميعه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٠٦) قالت بلغني ايها الملك السعيد أن الملك الجائر قال للتاجر الذي يريد أن يشتري الجواهر من أرضه لا يمكن أن تأخذ معاشا من أرضي حتى تفدي نفسك بهذا المال أو تهلك فقال الرجل في نفسه وقعت بين ملكين وقد علمت أن جور هذا الملك عام على كل من أقام بأرضه فان أرضيته كان هلاكي وذهاب المال لا بد منهما ولم أصب حاجتي وان اعطيته جميع المال كان هلاكي عند الملك صاحب المال لا بد منه وليس لي حيلة سوى أن اعطيه من هذا المال جزأ يسيرا وأرضيه به وادفع

من نفسي وعن هذا المال الهلاك وأصيب من خصب هـذه الارض قوت نفسي حتى ابتاع ما أريد من الجواهر وأكون قد أرضيته بما أعطيته وأخذ نصيبي من أرضه هذه وأتوجه الى صاحب المال بحاجته فاني أرجو من عدله وتجاوزه مالا أخاف معه عقوبة فيما أخذه هذا الملك من المال خصوصاً اذا كان يسيرا ثم أن التاجر دعا للملك وقال له أيها الملك أنا أفدي نفسي وهذا المال بجزء صغير من منذ دخلت أرضك حتى أخرج منها فقبل الملك منه ذلك وخلى سبيله سنة فاشترى الرجل بماله جميعه جواهر وانطلق الى صاحبه فالملك العدل مثال الاخرة والجواهر التي بارض الملك الجائر مثل الحسنات والاعمال الصالحة والرجل صاحب المال مثل لمن طلب الدنيا والمال الذي معه مثال الحياة الانسان فلما رأيت ذلك علمت أنه ينبغي لمن طلب المعيشة فى الدنيا أن لا يخلي يوما عن طلب الآخرة فيكون قد ارضى الدنيا بما ناله من خصب الارض وأرضى الآخرة بما يصرف من حياته فى طلبها قال شماس فاخبرني عن الجسد والروح سواء فى الثواب والعقاب أو انما يختص بالعقاب صاحب الشهوات وفاعل الخطيئات قال الغلام قد يكون الميل الى الشهوات والخطيئات موجبات للثواب بحبس النفس عنها والتوبة منها والامر بيد من يفعل ما يشاء وبضدها تتميز الاشياء على أن المعاش لا بد منه للجسد ولا جسد الا بالروح وطهارة الروح باخلاص النية فى الدنيا والالتفاتات الى ما ينفع فى الآخرة فهما فرسان رهان ورضيعا لبان ومشتركان فى الاعمال وباعتبار النية تفصيل الاجمال وكذلك الجسد والروح مشتركان فى الاعمال وفى الثواب والعقاب وذلك مثل الاعمى والمقعد الذين أخذهما رجل صاحب بستان وأدخلهما بستان وأمرهما أن لا يفسدا فيه ولا يصنعا فيه أمرا يضر به فلما طابت أثمار البستان قال المقعد للاعمى ويحك انى أرى أثمار طيبة وقد اشتهيتها ولست أقدر على القيام اليها الا كل منها فقم أنت لانك صحيح الرجلين وائتنا منها بما نأكل فقال الاعمى ويحك قد ذكرتها لي وقد كنت عنها غافلا ولست أقدر على ذلك لاني لست أبصرها فما الحيلة فى تحصيل ذلك فبينماهما كذلك اذ أتاهما الناظر على البستان وكان رجلا عالما فقال له المقعد ويحك يا ناظر انا قد اشتهينا شيئا من هذه الثمار ونحن كما ترى أنا مقعد وصاحبي هذا أعمى لا يبصر شيئا فما حيلتنا فقال لهما الناظر ويحكما ألستما تعلمان ما عاهد كما عليه صاحب البستان من انكما لا تتعرضان لشيء مما يؤثر فيه من الفساد فانتهيا ولا تفعلا فقالا له لا بد لنا من أن نصيب من هذه الثمار ما نأكله فاخبرنا بما عندك من الحيلة فلما لم ينتهيا عن رأيهما قال لهما الحيلة فى ذلك أن يقوم الاعمى ويحملك أيها المقعد على ظهره ويدنيك من الشجرة التي تعجبك ثمارها حتى اذا أدناك منها تجني أنت ما أصبت من الثمار فقام الاعمى وحمل المقعد وجعل يهديه الى السبيل حتى أدناه الى شجرة فصار المقعد يأخذ منها ما احب ولم يزل ذلك دأبهما حتى أفسدا ما في البستان من الشجر واذا بصاحب البستان قد جاء وقال لهما ويحكما ماهذه الفعال ألم أعاهد كما على أن لا تفسدا فى هذا البستان فقالا له قد علمت أننا لا نقدر أن نصل الى شيء من الاشياء لان أحدنا



﴿ المقعد وهو يجنى ثمار الشجرة و الاعمى حامله ﴾

مقعد لا يقوم والاخر أعمى لا يبصر ما بين يديه فما ذنبنا فقال لهما صاحب البستان لعلكما تظنان اني لست أدري كيف صنعتما وكيف أفسدتما في بستاني كاني بك أيها الاعمى قد قمت وحملت المقعد على ظهرك وصار يهديك السبيل حتى أوصلته الى الشجر ثم أنه أخذهما وعاقبهما عقوبة شديدة واخرجهما من البستان فالاعمى مثال للجسد لانه لا يبصر الا بالنفس والمقعد مثال النفس التى لا حركة لها الا بالجسد وأما البستان فانه مثال العمل الذي لا يجازي به العبد والناظر مثال للعقل الذي يامر بالخير وينهي عن الشر فالجسد والروح مشتركان في الثواب والعقاب قال له شماس قد صدقت قد قبلت قولك هذا فاخبرني أي العلماء عندك أحمد قال الغلام من كان بالله عالما و ينفعه علمه قال شماس

ومن ذلك قال الغلام من يلتمس رضاربه ويتجنب سخطه قال فايهم أفضل قال الغلام من كان بالله أعلم قال شماس فمن أشدهم اختبارا قال من كان على العمل بالعلم صبارا قال شماس اخبرني من أوقمهم قلبا قال أكثرهم استعداد الموت وذكرا وأقلهم املا لان من أدخل على نفسه طوارق الموت كان مثل الذي ينظر في المرآة الصافية فانه يعرف الحقيقة ولا تزداد المرآة الا صفاء وبريقا قال شماس أي الكنوز أحسن قال كنوز السماء قال فأي كنوز السماء أحسن قال تعظيم الله وتحميده قال فاى كنوز الارض أفضل قال اصطناع المعروف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٠٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير شماسا لما قال لابن الملك أى كنوز الارض افضل قال له اصطناع المعروف قال صدقت وقد قبلت قولك هذا فاخبرني عن الثلاثة المختلفة العلم والرأى والذهن وعن الذي يجمع بينهما قال الغلام اما العلم من التعلم وأما الرأى فانه من التجارب وأما الذهن فانه من التفكر وثباتهم واجتماعهم في العقل فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان كاملا ومن جمع اليهن تقوى الله كان مصيبا قال شماس صدقت وقد قبلت منك ذلك فاخبرني عن العالم العليم ذي الرأى السديد والفطنة الوقادة والذهن الفائق الرائق هل يغيره الهوى والشهوة عن هذه الحالات قال الغلام أن هاتين الخصلتين اذا أدخلتا على الرجل غيرتا علمه ورأيه وذهنه وكان مثل العقاب الكاسر الذي عن القنص محاذر المقيم في جو السماء لفرط حذقه فبينما هو كذلك إذ نظر رجلا صيادا قد نصب شركه فلما فرغ الرجل من نصب الشرك وضع فيه قطعة لحم فعند ذلك أبصر العقاب القطعة اللحم فغلب عليه الهوى والشهوة حتى نسي ما شاهده من الشرك ومن سوء الحال لكل من وقع من الطير فانقض من جو السماء حتى وقع على القطعة اللحم فاشتبك في الشرك فلما جاء الصياد رأى العقاب في شركه فتعجب عجبا شديدا وقال أنا نصبت شركي ليقع فيه حمام أو نحوه من الطيور الضعيفة فكيف وقع فيه هذا العقاب وقد قيل أن الرجل العاقل إذا حمله الهوى والشهوة على أمر يتدبر عاقبة ذلك الامر بعقله فيمتنع مما حسناه ويقهر بعقله شهوته وهواه فاذا حمله الهوى والشهوة على أمر ينبغي أن يجعل عقله مثل الفارس الماهر في فروسيته إذا ركب الفرس الارعن فانه يجذبه باللجام الشديد حتى يستقيم ويمضي معه على ما يريد وأما من كان سفيها لا علم له ولا أرى عنده والامور مشتبهة عليه والهوى والشهوة مسلطان عليه فانه يشمل بشهوته وهواه فيكون من الهالكين ولا يكون في الناس أسوأ حالا منه قال شماس صدقت فيما قلت وقد قبلت ذلك منك فاخبرني متى يكون العلم نافعا والعقل لونان الهوى والشهوة دافعا قال الغلام إذا صرفهما صاحبهما في طلب الاخرة لان العقل والعلم كليهما نافعان ولكن ليس ينبغي لصاحبهما أن يصرفهما في طلب الدنيا الا بمقدار ما يصيب به قوته منها ويدفع عن نفسه شرها ويصرفهما في عمل الاخرة قال فاخبرني ما أحق أن يلزم الانسان ويشغل به قلبه قال العمل الصالح قال فاذا فعل الرجل ذلك شغله عن معاشه فكيف يفعل في المعيشة التي لا بد له منها قال الغلام ان نهاره وليله أربعة وعشرون ساعة فينبغي له أن يجعل منها جزءا واحدا في طلب المعيشة وجزءا واحدا للدعة والراحة ويصرف الباقي في طلب

العلم لان الانسان اذا كان عاقلا وليس عنده علم فانه هو كالارض الجيدة التي ليس فيها موضع للعمل والغرس والنبات فاذا لم تهيأ للعمل وتغرس لا ينفع فيها ثمر واذا هيئت للعمل وغرست انبتت ثمرا حسنا كذلك الانسان بغير علم لا ينفع به حتى يغرس فيه العلم فاذا غرس فيه العلم أثمر قال شماس فاخبرني عن علم بغير عقل ماشانه قال كعلم البهيمة التي تعلمت أوان مطعمها ومشربها وأوان يقظتها ولا عقل لها قال شماس قد أوجزت في الاجابة عن ذلك وقد تمت منك هذا الكلام فاخبرني كيف ينبغي أن اتوقى السلطان قال الغلام لا تجعل له عليك سبيلا قال وكيف استطيع أن لا أجعل له علي سبيلا وهو مسلط علي وزمام أمري بيده قال الغلام انما سلطانه عليك بحقوقه التي قبلك فاذا أعطيته حقه فلا سلطان له عليك قال شماس ما حق الملك على الوزير قال النصيحة والاجتهاد في السر والعلانية والرأي السديد وكتم سره وان لا يخفى عنه شيئا مما هو حقيق بالاطلاع عليه وقلة الغفلة عما قلده اياه من قضاء حوائجه وطلب رضاه بكل وجه واجتناب سخطه عليه قال شماس فاخبرني ما الذي يفعله الوزير مع الملك قال الغلام اذا كنت وزيرا للملك وحببت أن تسلم منه فليكن سمعك وكلامك له فوق ما يؤمله منك وليكن طلبك منه الحاجة على قدر منزلتك عنده واحذر أن تنزل نفسك منزلة لم يرك لها أهلا فيكون ذلك منك مثل الجراءة عليه فاذا اغتررت بحلمه ونزلت نفسك منزلة لم يرك لها أهلا تكون مثل الصياد الذي يصطاد الوحوش فيسلخ جلودها لحاجته اليها ويطرح لحومها فجعل الاسد يأتي الى ذلك المكان فيأكل من تلك الجيفة فلما كثر تردده الى ذلك المحل استأنس بالصياد والفه فاقبل الصياد يرمي اليه ويمسح بيده على ظهره وهو يلعب بذيله فعندما رأى الصياد سكوت الاسد له وأستئناسه به وتذلله اليه قال في نفسه أن هذا الاسد قد خضع الي وملكته وما أرى الا أني اركبه واسلخ جلده مثل غيره من الوحوش فتجاسر الصياد ووثب على ظهر الاسد وطمع فيه فلما رأى الاسد ما صنع الصياد غضب غضبا شديدا ثم رفع يده وضرب الصياد فدخلت مخالبه في امعائه ثم طرحه تحت قوائمه ومزقه تمزيقا فمن ذلك علمت انه ينبغي للوزير ان يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رايه فيتغير الملك عليه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٠٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام ابن الملك جلعياد قال لشماس الوزير ينبغي للوزير ان يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رايه فيتغير الملك عليه قال شماس فأخبرني ما الذي يتزين به الوزير عند الملك قال الغلام اداء الامانة التي وض اليه امرها من النصيحة وسداد الراي وتنفيذه لاوامره قال له شماس اما ما ذكرت من ان حق الملك على الوزير ان يجتنب سخطه ويفعل ما يقتضي رضاه ويهتم بما قلده اياه فانه امر واجب ولكن اخبرني ما الحيلة اذا كان الملك انما رضاه بالجور وارتكاب الظلم والعسف فما حيلة الوزير اذا هو ابتلي بعشرة ذلك الملك الجائر فانه أن أراد أن يصرفه عن هواه وشهوته ورايه لا يقدر على ذلك وأن هو تابعه على هواه وحسن له رايه حمل وزر ذلك وصار للرعية عدوا فما تقول في هذا فأجاب الغلام قائلا

ان ماذكرت ايها الوزير من الوزر والاثم انما هو اذا تابعه على ما ارتكبه من الخطأ ولكن يجب على الوزير اذا شاوره الملك فى مثل هذا أن يبين له طريق العدل والانصاف ويحذره من الجور والاعتساف ويعرفه حسن السيرة فى الرعية ويرغبه فيما فى ذلك من الثواب ويحذره مما يلزمه من العقاب فان مال وعطف الى كلامه حصل المراد والا فلا حيلة له الا بمفارقته اياه بطريقة لطيفة لان فى المفارقة لكل واحد منهما الراحة قال الوزير فأخبرنى ما حق الملك على الرعية وما حق الرعية على الملك قال الذى يأمرهم به يعملونه بنية خالصة ويطيعونه فيما يرضيه ويرضى الله ورسوله وحق الرعية على الملك حفظ اموالهم وصون حريمهم كما ان للملك على الرعية السمع والطاعة وبذل الانفس دونه واعطاه واجب حقه وحسن الثناء عليه بما اولاهم من عدله واحسانه قال شماس قد بينت لى ما سألتك عنه من حق الملك والرعية فاخبرنى هل بقى للرعية شىء على الملك غير ما قلت قال الغلام نعم حق الرعية على الملك أوجب الى حق الملك على الرعية وهو أن ضياع حقهم عليه اضر من ضياع حقه عليهم لانه لا يكون هلاك الملك وزوال ملكه ونعمه الا من ضياع حق الرعية فمن تولى ملكا يجب عليه أن يلازم ثلاثة اشياء وهى اصلاح الدين واصلاح الرعية واصلاح السياسة فبملازمة هذه ثلاثة يدوم ملكه قال فاخبرنى كيف ينبغى أن يستقيم فى اصلاح الرعية قال باداء حقهم واقامة سننهم واستعمال العلماء والحكماء لتعليمهم وانصاف بعضهم من بعض وحقن دمائهم والكف عن اموالهم وتخفيف الثقل عنهم وتقوية جيوشهم قال فاخبرنى ما حق الوزير على الملك قال الغلام ليس على الملك حق لاحد من الناس اوجب من الحق الواجب عليه للوزير لثلاث خصال الاولى للذى يصيبه معه عند خطأ الراى والانتفاع العام للملك والرعية عند سداد الرأى والثالثة لعلم الناس حسن منزلة الوزير عند الملك فتنظر اليه الرعية بعين الاجلال والتوقير وخفض الجناح والثالثة ان الوزير اذا شاهد ذلك من الملك والرعية دفع عنهم ما يكرهونه ووفى لهم بما يحبونه قال شماس قد سمعت جميع ما قلته لى من صفات الملك والوزير والرعية وقبلته منك فأخبرنى ما ينبغى لحفظ اللسان عن الكذب والسفاهة وسب العرض والافراط فى الكلام قال الغلام ينبغى للانسان ان لا يتكلم الا بالخير والحسنات ولا ينطق فى شأن ما لا يعنيه ويترك النميمة ولا ينقل عن حديث سمعه منه لعدوه ولا يطلب لصديقه ولا لعدوه ضررا عند سلطانه ولا يعبأ بمن يرتجى خيره ويتقى شره الا الله تعالى لانه هو الضار النافع على الحقيقة ولا يذكر لأحد عيبا ولا يتكلم بجهل لئلا يلزمه الوزر والاثم من الله والبغض بين الناس واعلم ان الكلام مثل السهم اذا نفذ لا يقدر احد على رده وليحذر ان يودع سره عند من يفشيه فربما يقع فى ضرر اذاعته فشائه بعد ان يكون على ثقة من الكتمان وان تخفيا السر عن صديقه اكثر من اخفائه عن عدوه فان كتمان السر عن جميع الناس من اداء الامانة قال شماس فاخبرنى عن حسن الخلق مع الاهل والاقارب قال الغلام انه لا راحة لبنى آدم الا بحسن الخلق ولكن ينبغى أن يصرف الى الاهل ما يستحقونه والى اخوانه ما يجب لهم قال فأخبرنى ما الذى يجب ان يصرفه الى الاهل قال اما الذى يصرفه للوالدين فخفض الجناح وحلاوة اللسان ولين

الجانب والاكرام والوقار واما الذى يصرفه للاخوان فالنصيحة وبذل المال ومساعدتهم على اسبابهم والفرح لفرحهم والاغضاء عما يقع منهم من الهفوات فاذا عرفوا منه ذلك قابلوه بما عزما عندهم من النصيحة وبذلوا الانفس دونه فاذا كنت من اخيك على ثقة فابذل له وكن مساعدا له على جميع اموره . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٠٩) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الغلام ابن الملك جليعاد لما سأله الوزير شماس عن المسائل المتقدمة ورد له اجوابتها قال له الوزير شماس انى أرى الاخوان صنفين اخوان ثقة واخوان معاشرة اما اخوان الثقة فانه يجب لهم ماوصفت واسالك عن غيرهم من اخوان المعاشرة قال الغلام اما اخوان المعاشرة فانك تصيب منهم لذة وحسن خلق وحلاوة لفظ وحسن معاشرة فلا تقطع منهم لذاتك بل ابذل مثل ما يبذلونه لك وعاملهم بمثل ما يعاملونك به من طلاقة الوجه وعذوبة اللسان فيطيب عيشك ويكون كلامك مقبولا عندهم قال شماس قد عرفنا هذه الامور كلها فاخبرنى عن الارزاق المقدرة للخلق من الخالق هل هي مقسومة بين الناس والحيوان لكل احد رزق الى تمام اجله واذا كان الامر كذلك ما الذى يحمل طالب المعيشة على ارتكاب المشقة فى طلب ما عرف انه ان كان مقدوراً له فلا بد من حصوله وان لم يرتكب مشقة السعي وان لم يكن مقدورا له فلا يتحصل له ولو سعى اليه غاية السعى فهل يترك السعى ويكون على ربه متوكلا ولجسده ونفسه مريحا قال الغلام انا قد رأينا ان لكل احد رزقا مقسوما واجلا محتوما ولكن لكل رزق طريق واسباب فصاحب الطلب يصيب فى طلبه الراحة بترك الطلب ومع ذلك لا بد من طلب الرزق غير ان الطالب على ضربين اما أن يصيب وأما أن يحرم وراحة المصيب فى الحالتين اصابة رزقه وان عاقبة طلبه حميدة وراحة المحروم فى ثلاثة خصال الاستعداد لطلب رزقه والتنزه عن أن يكون كلا على الناس والخروج عن عهدة الملامة قال شماس اخبرني عن باب طلب المعيشة قال الغلام يستحل الانسان ما أحله الله ويحرم ما حرمه الله عز وجل وانقطع بينهما الكلام لما وصلا الى هذا الحد ثم قام شماس هو ومن حضر من العلماء وسجدوا للغلام وعظموه وضمه أبوه الى صدره ثم بعد ذلك أجلسه على سرير الملك وقال الحمد لله الذى رزقنى ولدا تقر به عيناى فى حياتى ثم قال الغلام لشماس ومن حضر من العلماء ايها العالم صاحب المسائل الروحانية أن لم يكن فتح الله على من العلم الا بشىء قليل فانى قد فهمت قصدك فى قبولك منى ما أتيت به جوابا عن ما سألتنى سواء كنت فيه مصيبا أو مخطئا ولعلك صفحت عن خطئى وانا أريد أن أسألك عن شىء عجز عنه رايي وضاق منه ذرعى وكل عن وصفه لسانى لانه اشكل على اشكال الماء الصافى فى الاناء الاسود فأحب منك أن تشرحه لى حتى لا يكون شىء مبهما على مثلى فيما يستقبل مثل ابهامه على فيما مضى لان الله كما جعل الحياة بالماء والقوة بالطعام وشفاء المريض بمداواة الطبيب جعل شفاء الجاهل بعلم العالم فانصت الى كلامي قال شماس ايها المضىء العقل صاحب المسائل الصالحة ومن شهد له العلماء كلهم بالفضل لحسن تفضيلك للاشياء وتقسيمك اياها وحسن اصابتك فى اجابتك عما سألتك عنه قد علمت انك لست تسألنى

عن شيء الا وانت في تاويله أصوب رايا واصدق مقالا لان الله قد آتاك من العلم مالم يأته احدا من الناس فاخبرني عن هذه الاشياء التي تسألني عنها قال الغلام أخبرني عن الخالق جلت قدرته من أي الاشياء خلق الخلق ولم يكن قبل ذلك شيء وليس ترى في هذه الدنيا شيء الا مخلوق من شيء والباري تبارك وتعالى قادر على أن يخلق الاشياء من لا شيء ولكن اقتضت ارادته مع كمال القدرة والعظمة انه لا يخلق شيأ الا من شيء قال الوزير شماس اما صناع الآلات من الفخار وغيره من الصنائع فلا يقدرون على ابتداع شيء الا من شاء اذهم مخلوقون وأما الخالق الذي صنع العالم بهذه الصنعة العجيبة فان شئت أن تعرف قدرته تبارك وتعالى على ايجاد الاشياء فاطل الفكر في اصناف الخلق فانك ستجد آيات وعلامات دالة على كمال قدرته وانه قادر على أن يخلق الاشياء من لا شيء بل أوجدها بعد العدم المحض لان العناصر التي هي مادة الاشياء كانت عدما محضا وقد اوضحت لك ذلك حتى لا تكون في شك منه ويبين لك ذلك آية الليل والنهار فانهما يتعاقبان حتى اذا ذهب النهار وجاء الليل خفي علينا النهار ولم نعرف له مقرا واذا ذهب الليل بظلمته ووحشته جاء النهار ولم نعرف لليل مقرا واذا أشرقت علينا الشمس لا نعرف أين يطوى نورها واذا غربت لم نعرف مستقر غروبها وأمثال ذلك من افعال الخالق عز اسمه وجلت قدرته كثيرة مما يحير افكار الاذكياء من المخلوقات قال الغلام ايها العالم انك عرفتني عن قدرة الخالق مالا يستطاع انكاره ولكن اخبرني كيف ايجاده لخلقه قال شماس انما الخالق خلق خلقه بكلمته التي هي موجودة قبل الدهر وبها خالق جميع الاشياء قال الغلام أن الله تعاظم اسمه وارتفعت قدرته انما اراد ايجاد الخلق قبل وجودهم قال شماس وبارادته خلقهم بكلمته فلولا ان له تعالى واظهر كلمة لم تكن الخليقة موجودة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩١٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما سأل شماسا عن المسائل المتقدمة اجابه عنها ثم قال له يا بني أنه لا يخبرك احد من الناس غير ما قلته الا بتحريف الكلام الوارد في الشرائع عن موضعه وصرف الحقائق عن وجوهها ومن ذلك قولهم أن الكلمة لها استطاعة أعوذ بالله من هذه العقيدة بل قولنا في الله عز وجل أنه خالق الخلق بكلمته معناه أنه تعالى واحد في ذاته وصفاته وليس معناه ان كلمة الله لها قدرة بل القدرة صفة لله كما أن الكلام وغيره من صفات الكمال صفات لله تعالى شأنه وعز سلطانه فلا يوصف هو دون كلمته ولا توصف كلمته دونه فالله جل ثناؤه خلق بكلمته جميع خلقه وبغير كلمته لم يخلق وانما خالق الاشياء بكلمته الحق فبالحق نحن مخلوقون قال الغلام قد فهمت من أمر الخالق وعزة كلمته ما ذكرت وقبلت ذلك بفهم لكني سمعتك تقول انما خالق الخلق بكلمته الحق والحق ضد الباطل فمن اين عرض الباطل وكيف يمكن عرضه للحق حتى يشتبه به ويلتبس على المخلوقين فيحتاجون الى الفصل بينهما وهو الخالق عز وجل محب هذا الباطل أم مبغض له فان قلت أنه محب للحق وبه حق خلقه ومبغض للباطل فمن اين دخل هذا الذي يبغضه الخالق على ما يحبه وهو الحق قال شماس أن الله لما خلق الانسان ولم يكن محتاجا الى توبة حتى دخل الباطل على الحق الذي هو مخلوق به بسبب الاستطاعة التي جعلها الله في الانسان وهي الاراده والميل المسمي بالكسب فلما دخل الباطل على

الحق بهذا الاعتبار التبس الباطل بالحق بسبب ارادة الانسان واستطاعته والكسب الذي هو الجزء الاختياري مع ضعف طبيعة الانسان فخلق الله له التوبة لتصرف عنه ذلك الباطل وتثبته على الحق وخلق له العقوبة ان هو أقام على ملابسة الباطل قال الغلام فأخبرني ما سبب عروض هذا الباطل للحق حتى التبس به وكيف وجبت العقوبة على الانسان حتى احتاج الى التوبة قال شماس أن الله خلق الانسان بالحق محباً له محباله ولم يكن له عقوبة ولا توبة واستمر كذلك حتى ركب الله فيه النفس التي هي من كمال الانسانية مع ما هي مطبوعة عليه من الميل الى الشهوات فنشأ من ذلك عروض الباطل والتباسه بالحق الذي خلق الانسان به وطبع على محبة فلما صار الانسان الى هذه الغاية زاغ عن الحق انما يقع في الباطل قال الغلام أن الحق انما دخل عليه الباطل بالمعصية والمخالفة قال شماس وهو كذلك لأن الله يحب الانسان ومن زيادة محبته له خلق الانسان محتاجا اليه وذلك هو الحق بعينه ولكن ربما امتر حى الانسان عن ذلك بسبب ميل النفس الى الشهوات ومال الى الخلاف فصار الى ذلك الباطل بالمعصية التي بها عصى ربه فاستوجب العقوبة وبازاحة الباطل عنه بتوبة ورجوعه الى محبة الحق استوجب الثواب قال الغلام اخبرني عن مبتدأ المخالفة مع ان الخلق مرجعهم جميعا الى آدم وقد خلقه الله بالحق فكيف جلب المعصية لنفسه ثم قرنت معصيته بالتوبة بعد تركيب النفس فيه ليكون عاقبة الثواب او العقاب ونحن نرى بعض الخلق مقيما على المخالفة مائلا الى ما لا يحبه مخالفا لمقتضى اصل خلقته من حب الحق مستوجبا السخط ربه عليه وترى بعضهم مقيما على رضا خالقه وطاعته مستوجبا للرحمة والثواب فما سبب اختلاف الحاصل بينهم قال شماس أن أول نزول هذه المعصية بالخليق انما كان بسبب ابليس الذي كان اشرف ما خلق الله جل اسمه من الملائكة والانس والجن وكان مطبوعا على المحبة لا يعرف غيرها فلما انفرد بهذا الأمر داخله العجب والعظمة والتجبر والتكبر عن الايمان والطاعة لأمر خالقه فجعله الله دون الخلائق جميعهم وأخرجه من المحبة وصير شواه الى نفسه في المعصية فحين علم أن الله جل اسمه لا يحب المعصية ورأى آدم وما هو فيه من ذلك ذلك الحق والمحبة والطاعة لخالقه داخله الحسد فاستعمل الحيلة في صرفه لآدم عن الحق ليكون مشتركا معه في الباطل فلزم آدم العقوبة لميله الى المعصية التي زينها له عدوه وانقياده الى هواه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩١١) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان شماس قال فلزم آدم العقوبة لميله الى المعصية التي زينها له عدوه وانقياده الى هواه وحيث خالف وصية ربه بسبب عروض الباطل ولما علم الخالق جل ثناؤه وتقدست اسماؤه ضعف الانسان وسرعة ميله الى عدوه وتركه الحق جعل له الخالق برحمته التوبة لينهض بها من ورطة الميل الى المعصية ويحمل سلاح التوبة فيقهر به عدوه ابليس وجنوده ويرجع الى الحق الذي هو مطبوع عليه فلما نظر ابليس أن الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه قد حول له امتدادا بارد الى الانسان بالمحاربة وادخل عليه الحيل ليخرجه من نعمة ربه ويجعله شريكاله في السخط الذي استوجبه هو وجنوده فجعل الله جل ثناؤه للانسان استطاعة للتوبة وامره ان يلزم

الحق ويداوم عليه ونهاه عن المعصية والخلاف واهمه أن له على الارض عدوا محاربا لا يفتر عنه ليلا ولا نهارا فبذلك استحق الانسان ثوابا أن لازم الحق الذى جبلت طبيعته على حبه وعقابا أن غلبته نفسه ومالت به الشهوات فقال له الغلام بعد ذلك اخبرنى بأى قوة استطاع الخلق أن يخالفوا خالقهم وهو فى غاية العظمة كما وصفت مع انه لا يقهره شىء ولا يخرج عن ارادته الا ترى أنه قادر على صرف خلقه عن هذه المعصية والزامهم المحبة دائما قال شماس أن الله تعالى جل اسمه عادل منصف رؤوف بأهل محبته قد بين لهم طريق الخير ومنحهم الاستطاعة والقدرة على فعل ما أرادوا من الخير فان عملوا بخلاف ذلك صاروا الى الهلاك والمعصية قال الغلام اذا كان الخالق هو الذى منحهم الاستطاعة وهم بسببها قادرون على فعل ما أرادوا فلاى شىء لم يحل بينهم وبين ما يريدون من الباطل حتى يردهم الى الحق قال شماس ذلك لعظيم رحمته وباهر حكمته لانه كما سبق منه لابليس السخط ولم يرحمه كذلك سبقت منه لآدم الرحمة بالتوبة فرضى عنه بعد سخطه عليه قال الغلام هذا هو الحق بعينه لانه هو المجازى لكل أحد على عمله وليس خالق غير الله له القدرة على كل شىء ثم قال الغلام هل خلق الله ما يحب وما لا يحب أو انما خلق ما يحب لا غيره قال شماس قد خلق كل شىء ولم يرض الا ما يحب قال الغلام ما بال هذين الشيئين أحدهما يرضى الله ويوجب الثواب لصاحبه والآخر يغضب الله فيحل العذاب بصاحبه قال شماس بين لى هذين الامرين وفهمنيهما حتى اتكلم فى شأنهما قال الغلام هما الخير والشر المركبان فى الجسم والروح قال شماس ايها العاقل أراك قد علمت ان الخير والشر من الاعمال التى يعملها الجسد والروح فسمى الخير منهما خيرا لكونه فيه رضا الله وسمى الشر شرا لكونه فيه سخط الله وقد وجب عليك ان تعرف الله وترضيه بفعل الخير لانه أمرنا بذلك ونهانا عن فعل الشر قال الغلام انى أرى هذين الشيئين أعنى الخير والشر انما يعملهما الحواس الخمس المعروفة فى جسد الانسان وهى محل الذوق الناشئ عنه الكلام والسمع والبصر والشم واللمس فأحب ان تعرفنى هل هذه الحواس الخمس خلقت للخير جميعا أم للشر قال شماس افهم أيها الانسان بيان ما سألت عنه وهو الحجة الواضحة وضعها فى ذهنك واشرب بها قلبك وهو ان الخالق تبارك وتعالى خلق الانسان بالحق وطبعه على حبه ولم يصدر عنه مخلوق الا بالقدرة العلية المؤثرة فى كل حادث ولا ينسب تبارك وتعالى الا الى الحكم بالعدل والانصاف والاحسان وقد خلق الانسان لمحبته وركب فيه النفس المطبوعة على الميل الى الشهوات وجعل له الاستطاعة وجعل هذه الحواس الخمس سببا للنعيم أو الجحيم قال الغلام وكيف ذلك قال شماس لانه خلق اللسان للنطق واليدين للعمل والرجلين للمشى والبصر للنظر والاذنين للسماع وقد أعطى كل واحدة من هذه الحواس استطاعة وهيجها على العمل والحركة وأمر كل واحدة منها ان لا تعمل الا برضاه والذى يرضيه من النطق الصدق وترك ما هو ضده الذى هو الكذب ومما يرضيه من البصر صرف النظر الى ما يحبه الله وترك ضده وهو صرف النظر الى ما يكرهه الله كالنظر الى الشهوات ومما يرضيه من السمع ان لا يستمع الا الى الحق كالموعظة ما فى كتب الله وترك ضده وهو ان يسمع ما يوجب سخط الله ومما يرضيه من اليدين ان لا يقبضهما

ما خولها الله بل يصرفاه على وجه يرضيه وترك ضده وهو الامساك أو صرف ما خولها الله في معصية وبما يرضيه من الرجلين ان يكون سعيهما في الخير كقصد التعليم وترك ضده وهو ان يمشيا في غير سبيل الله وما سوى ذلك من الشهوات التي يعملها الانسان فانه يصدر من الجسد بامر الروح ثم الشهوة التي تصدر من الجسد نوعان شهوة التناسل وشهوة البطن فالذى يرضى الله من شهوة التناسل انها لا تكون الا حلالا ويسخطه ان تكون حراما وأما شهوة البطن فالاكل والشرب والذى يرضى الله من ذلك ان لا يتعاطى منه كل أحد الا ما أحله له قليلا كان أو كثيرا ويحمد الله ويشكره والذى يغضب الله منه ان يتناول ما ليس له بحق وما سوى ذلك من هذه الاحكام باطل وقد علمت ان الله خلق كل شيء ولا يرضى الا بالخير وامر كل عضو من اعضاء الجسد ان يفعل ما أوجبه عليه لانه هو العليم الحكيم قال الغلام فاخبرني هل سبق في علم الله حلت قدرته ان آدم يا كل من الشجرة التي نهاه الله عنها حتى كان من أمره ما كان وبذلك خرج من الطاعة الى المعصية قال شماس نعم أيها العالم قد سبق ذلك في علم الله تعالى قبل ان يخلق آدم وبيان ذلك ودليله ما تقدم له من التحذير عن الاكل واعلامه بانه اذا أكل منها يكون عاصيا وذلك من طريق العدل والانصاف لئلا يكون لآدم حجة يحتج بها على ربه فلما ان سقط في الورطة والهفوة وعظمت عليه المعيرة والمعتبة جرى ذلك في نسله من بعده فبعث الله تعالى الانبياء والرسل واعطاهم كتبا فاعلمونا بالشرائع وبينوا لنا ما فيها من المواعظ والاحكام وفصلوه لنا واوضحوا لنا السبيل الموصل وبينوا لنا ما يجب ان نفعله وما يجب ان نتركه فنحن مسلطون بالاستطاعة فمن عمل بهذه الحدود فقد أصاب وربح ومن تعدى هذه الحدود وعمل بغير هذه الوصايا فقد خالف وخسر في الدارين وهذه سبيل الخير والشر فقد علمت ان الله قادر على جميع الاشياء وما خلق الشهوات لنا الا برضاه وارادته وأمرنا ان نأخذها على وجه الحلال لتكون لنا خيرا واذا استعملناها على وجه الحرام فانها تكون لنا شرا فما أصابنا من حسنة فمن الله تعالى وما أصابنا من سيئة فمن أنفسنا معاشر المخلوقين لا من الخالق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩١٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الغلام ابن الملك جليعاد لما سأل الوزير شماسا عن هذه المسائل ورد له أجوبتها قال له ما وصفته لي مما ينسب الى الله تعالى ومما ينسب الى خلقه فقد فهمته فاخبرني عن هذا الامر الذي حير عقلي فرط التعجب منه فاني عجبت من ولد آدم وغفلتهم عن الآخرة وتركهم الذكرى لها ومحبتهم للدنيا وقد علموا انهم يتركونها ويخرجون منها وهم صاغرون قال شماس نعم فان الذى تراه من تغيرها وغدرها باهلها دليل على انه لا يدوم لصاحب النعيم نعيمه ولا لصاحب البلاء بلاؤه فليس بامن صاحبها تغيرها وان كان قادرا عليها ومغتبطا بها فلا بد ان يتغير حاله ويسرع اليه الانتقال وليس الانسان منها على ثقة ولا ينتفع بما هو فيه من زخرفها وحيث عرفنا ذلك عرفنا ان سوء الناس حالا من اغتر بها وسها عن الآخرة وان ذلك النعيم الذي قد أصابه لا يعادل ذلك الخوف والمشقة والاهوال التي تحصل له بعد الانتقال منها وعلمنا انه لو كان

لا أحد يعلم ما يصيبه عند حضور الموت وفراقه ما هو فيه من اللذات والنعيم لرفض الدنيا وما فيها
ولتيقنا ان الآخرة خير لنا وأنفع قال الغلام أيها العالم قد زالت هذه الظلمة التي كانت على قلبي
بمصباحك المضيء وارشدتني الى السبيل التي سلكتها من اتباع الحق واعطيتني سراجا أنظر به
فعند ذلك قام احد الحكماء الذين كانوا بالحضرة وقال انه اذا كان زمان الربيع فلا بد ان يطلب
الارنب مع الفيل مرعى وقد سمعت منكما من المسائل والتفاسير مالم أرني اسمعه أبدا فدعاني ذلك
الى ان أسألكما عن شيء فاخبراني ما خير مواهب الدنيا قال الغلام صحة الجسم ورزق حلال وولد
صالح قال فاخبراني ما الكبير وما الصغير قال الغلام أما الكبير فهو ما صبر له أصغر منه وأما الصغير فهو
ما صبر لأكبر منه قال فاخبراني ما الاربعة أشياء التي تجتمع الخلائق فيها قال الغلام تجتمع
الخلائق في الطعام والشراب ولذة النوم وشهوة النساء وفي سكرات الموت قال فما الثلاثة أشياء لا يقدر
أحد على تنحية القباحة عنها قال الغلام الحماقة وخسة الطبع والكذب قال فاي الكذب أحسن مع انه
كله قبيح قال الغلام الكذب الذي يدفع عن صاحبه الضرر ويجر النفع قال وأي الصدق قبيح وان كان
كله حسنا قال الغلام كبر الانسان بما عنده واعجابه به قال وما أقبح القبيح قال الغلام اذا أعجب
الانسان بما ليس عنده قال فاي الرجال أحمق قال الغلام من كان ليس له همة الا في شيء يضعه في بطنه
قال شماس أيها الملك أنت ملكنا ولكن نحب ان تعهد لولدك بالملك من بعدك ونحن الخول والرعية
فعند ذلك حث الملك من حضر من العلماء والناس على ان ما سمعوه منه يحفظونه ويعملون به وأمرهم
ان يمتثلوا أمر ابنه فانه جعله ولي عهده من بعده ليكون خليفة على ملك والده وأخذ العهد على جميع
أهل مملكته من العلماء والشجعان والشيوخ والصبيان وبقية الناس ان لا يتخالفوا عليه ولا ينكثوا
عليه أمره فلما أتى على ابن الملك سبع عشرة سنة مرض الملك مرضا شديدا حتى أشرف على الموت فلما
أيقن الملك ان الموت قد نزل به قال لأهله هذا داء الموت قد نزل بي فادعوا الى أقاربي وولدي واجمعوا
الى أهل مملكتي حتى لا يبقى منهم أحد الا ويحضر فخرجوا ونادوا الناس القريبين وجهزوا بالنداء
للناس البعيدين حتى حضروا بأجمعهم ودخلوا على الملك ثم قالوا له كيف انت أيها الملك وكيف ترى
نفسك من مرضك هذا قال لهم الملك ان مرضي هذا هو الذي القاضية وقد نفذ السهم بما قدره تعالى
علي وأنا الآن في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة ثم قال لابنه ادن مني فدنا منه الغلام
وهو يبكي بكاء شديدا حتى كاد ان يبل فراشه والملك قد دمعت عيناه وبكى كل من حضر ثم قال الملك
لولده لا تبك يا بني فاني لست باول من جرى له هذا المحتوم لانه جار على جميع ما خلقه الله فاتق الله واعمل
خيرا يسبقك الى الموضع الذي تقصده جميع الخلائق ولا تطع الهوى واشغل نفسك بذكر الله في
قيامك وقعودك ويقظتك ونومك واجعل الحق نصب عينيك وهذا آخر كلامي معك والسلام
وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩١٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك جليعاد لما أوصى ولده بهذه
الوصية وعهد له الملك من بعده قال الغلام لابيه قد علمت يا ابتي اني لم أزل لك مطيعا و

وصيتك حافظا ولامرك منفذا ولرضاك طالبا وأنت لي نعم الأب فكيف أخرج بعد موتك عما ترضى به وانت بعد حسن تربيتي مفارق ولاأقدر على ردك على فاذا حفظت وصيتك صرت بها سعيدا وصار لي النصيب الاكبر فقال له الملك وهو في غاية الاستغراق من سكرات الموت يا بني الزم عشر خصال ينفعك الله بها في الدنيا والآخرة وهن اذا اغتظت فاكظم غيظك واذا بلاك فاصبر واذا نطقت فاصدق واذا وعدت فأوف واذا حكمت فاعدل واذا قدرت فاعف واكرم قوادك واصفح عن أعدائك وابذل معروفك لعدوك وكف أذاك عنه والزم أيضا عشر خصال أخرى ينفعك الله بها في أهل مملكتك وهي اذا قسمت فاعدل واذا عاقبت بحق فلا تجر واذا عاهدت فأوف بعهدك واقبل النصح واترك اللجاجة والزم الرعية بالاستقامة على الشرائع والسنن الحميدة وكن حاكما عادلا بين الناس حتى يحبك كبيرهم وصغيرهم ويخافك عاتيهم ومفسدهم ثم قال للحاضرين من العلماء والامراء الذين كانوا حاضرين عهد ولده بالملك من بعده اياكم ومخالفة امر ملككم وترك الاستماع لكبيركم فان في ذلك هلاككم وتفريقا لجمعكم وضررا لابدانكم وتلفا لاموالكم فتشمت بكم اعداؤكم وها أنتم علمتم ما عاهدتموني عليه فهكذا يكون عهدكم مع هذا الغلام والميثاق الذي بيني وبينكم وبينه وعليكم بالسمع والطاعة لامره لان في ذلك صلاح احوالكم واثبتوا معه على ما كنتم معي فتستقيم اموركم ويحسن حالكم وها هو ذا ملككم وولي نعمتكم والسلام ثم بعد هذا اشتدت به سكرات الموت والتجم لسانه فضم ابنه اليه وقبله وشكر الله ثم قضى نحبه وطلعت روحه فناح عليه جميع رعيته وأهل مملكته ثم انهم كفنوه ودفنوه باكرام وتبجيل واعظام ثم رجعوا والغلام معهم فألبسوه حلة الملك وتوجوه بتاج والده وألبسوه الخاتم في اصبعه واجلسوه على سرير الملك فسار الغلام فيهم بسيرة ابيه من الحكم والعدل والاحسان مدة يسيرة ثم تعرضت له الدنيا وجذبته بشهواتها فاستغنم لذاتها وأقبل على زخارف أمورها وترك ما كان قلده به أبوه من المواثيق ونبذ الطاعة لوالده واهمل مملكته ومشى فيما فيه هلاكه واشتد به حب النساء فصار لا يسمع بامرأة حسناء الا ويرسل اليها ويتزوج بها فجمع من النساء عددا أكثر مما جمع سليمان بن داود ملك بني اسرائيل وصار يختلي كل يوم بطائفة منهن ويستمر مع من يختلي بهن شهرا كاملا لا يخرج من عندهن ولا يسأل عن ملكه ولا عن حكمه ولا ينظر في مظلمة من يشكو اليه من رعيته واذا كاتبوه فلا يرد لهم جوابا فلما رأوا منه ذلك وعاينوا ما هو منطوع عليه من ترك النظر في أمورهم واهماله لامور دولته وأمور رعيته تحققوا أنهم عن قليل يحل بهم البلاء فشق ذلك عليهم واقبل بعضهم على بعض يتلاومون فقال بعضهم لبعض امشوا بنا الى شماس كبير وزرائه نقص عليه أمرنا ونعرفه ما يكون من أمر هذا الملك لينصحه والا فعن قليل يحل بنا البلاء فان هذا الملك قد أدهشته الدنيا بلذاتها وختنته باشطانها فقاموا واتوا الى شماس وقالوا له أيها العالم الحكيم ان هذا الملك قد أدهشته الدنيا بلذاتها وختنته بأشطانها فاقبل على الباطل وسعى في فساد مملكته وبفساد المملكة تفسد العامة ويصير أمرنا الى الهلاك وسببه

انت عكفت شهرا واياما نراه ولا يبرز الينا من عنده امر لا للوزير ولا لغيره ولا يمكن أن ترفع اليه حاجة ولا ينظر في حكومة ولا نتعهد حال احد من رعيته لغفلته عنهم وانا قد اتينا اليك لنخبرك بحقيقة الامور لانك اكبرنا واكمل منا وليس ينبغي ان يكون بلاء في ارض انت مقيم بها لانك اقدر الناس على اصلاح هذا الملك فانطلق وكلمه لعله يقبل كلامك ويرجع الى الله فقام شماس ومضى الى حيث اجتمع بمن يمكنه الوصول اليه وقال له ايها الولد الجيد اسألك ان تستأذن لي في الدخول للملك لان عندي امرا اريد انظر وجهه واخبره به واسمع ما يجيبني به عنه فاجاب الغلام قائلا والله يا سيدي من منذ شهر لم يأذن لاحد في الدخول عليه ولا انا فطول هذه المدة رأيت له وجها ولكن ادلك على من يستأذن لك وهو انك تتعلق فالوصيف الملازم الذي يقوم على رأسه ويأخذ له الطعام من المطبخ فاذا خرج الى المطبخ ليأخذ الطعام اسأله عما بدا لك فانه يفعل لك ما تريده فانطلق شماس الى باب المطبخ وجلس قليلا واذا بالوصيف اقبل واراد الدخول في المطبخ فكلمه شماس قائلا له يا بني احب ان اجتمع بالملك لاخبره بكلام يخصه فمن فضلك اذا فرغ من غدائه وطابت نفسه ان تكلمه لي وتأخذ لي منه اذنا بالدخول عليه لكي اكلمه بما يليق به فقال الوصيف سمعا وطاعة فلما اخذ الوصيف الطعام وتوجه به الى الملك واكل منه وطابت نفسه قال له الوصيف ان شماسا واقف بالباب يريد منك الاذن في الدخول عليك ليعلمك بامور تختص بك ففزع الملك وارتاب من ذلك وامر الوصيف بادخاله عليه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩١٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك لما امر الوصيف بادخال شماس عليه خرج الوصيف الى شماس ودعاه الى الدخول فلما دخل على الملك خر لله ساجدا وقبل يدي الملك ودعا له فقال الملك ما اصابك يا شماس حتى طابت الدخول علي فقال له ان لي مدة لم ار وجه سيدي الملك وقد اشتقت اليك كثيرا فها انا شاهدت طلعتك وجئت اليك بكلام اذكره لك ايها الملك المؤيد بكل نعمة فقال له قل ما بدا لك فقال شماس اعلم ايها الملك ان الله تعالى رزقك من العلم والحكمة على حداثة سنك ما لم يرزقه احدا من الملوك قبلك وأن الله تمم لك ذلك بالملك وأن الله يحب انك لا تخرج عما خولك الى غيره بسبب عصيانك فلا تحاربه بذخائرك بل ينبغي ان تكون لوصاياه حافظا ولامره طائعا لاني قد رأيتك منذ ايام قد نسيت اباك ووصيته ورفضت عهده واضعت نصيحته وكلامه وزهدت في عدله واحكامه ولم تذكر نعمة الله عليك ولم تعيدها بشكره قال الملك وكيف ذلك وما سببه قال شماس سببه انك تركت تعهد امور مملكتك وما قلدك الله اياه من امور رعيتك واقبلت على النفس فيما حسنته لك من قليل شهوات الدنيا وقد قيل ان اصلاح الملك والدين والرعية مما ينبغي للملك ان يحافظ عليه والرأي عندي أن تحسن النظر في عاقبتك فانك تجد السبيل الواضح الذي فيه النجاة ولا تقبل على اللذة القليلة الفانية الموصلة الى ورطة الهلاك فيصيبك ما اصاب صياد السمك فقال له الملك وكيف كان ذلك قال شماس قد بلغني أن صيادا اقد أتى الى نهر ليصطاد منه على عادته فلما وصل الى النهر ومشى على الجسر ابصر سمكة عظيمة فقال في نفسه ليس لي حاجة

بالمقام ههنا فانا امشي واتبع هذه السمكة الى حيث تذهب حتى اخذها وهي تغنني عن الصيد مدة ايام فتعرى من ثيابه ونزل خلف السمكة واخذها جريان الماء الي أن ظفر بالسمكة وقبض عليها ثم التفت فوجد نفسه بعيدا عن الشاطئ فلما رأى ماقد صنع به من جريان الماء لم يترك السمكة ويرجع بل خاطر بنفسه وقبض عليها بيديه وترك جسده لجامع جريان الماء فمازال يسحبه الماء الى أن رماه فى وسط دوامة لا يدخلها احد ويخلص منها فصار يصيح ويقول انقذوا الغريق فاتاه ناس من الحافظين على البحر وقالوا له ماشأنك وما دهاك حتى القيت نفسك فى هذا الخطر العظيم فقال لهم انا الذى تركت السبيل الواضح الذى فيه النجاة واقبلت على الهوى والهلكة فقالوا ياهذا كيف تركت سبيل النجاة وادخلت نفسك فى هذه الهلكة وانت تعرف من قديم انه ما دخل ههنا احد وسلم فما الذى منعك عن رمى مافى يدك ونجاة نفسك فكنت تنقذ روحك ولا تقع في هذا الهلاك الذى لا نجاة منه والآن ليس احد منا ينقذك من هذه الهلكة فقطع الرجل الرجاء من حياته وفقد ما كان بيده مما حملته نفسه عليك هلك هلاكا عظيما وما ضربت لك ايها الملك هذا المثل إلا لأجل أن تدع هذا الامر الحقير الذي فيه اللهو عن مصالحك وتنظر فيما انت متقلد به من سياسة رعيتك والقيام بنظام ملكك حتى لا يرى احد فيك عيبا قال الملك فما الذى تأمرني به قال شماس اذا كان فى غد وانت بخير وعافيه فائذن للناس في الدخول عليك وانظر فى احوالهم واعتذر اليهم ثم عدهم من نفسك بالخير وحسن السيرة فقال الملك ياشماس انك تكلمت بالصواب وانى فاعل ما نصحتني به في غد ان شاء الله تعالى فخرج شماس من عنده واعلم الناس بكل ماذكره له فلما أصبح الصباح خرج الملك من حجابه واذن للناس فى الدخول عليه وصار يعتذر اليهم ووعدهم ان يصنع لهم مايحبون فرضوا بذلك وانصرفوا وسار كل واحد الى منزله ثم ان بعض نساء الملك وكانت أحبهن اليه واكرمهن عنده قد دخلت عليه فرأته متغير اللون متفكرا فى أموره بسبب ما سمعه من كبير وزرائه فقالت مالي أراك أيها الملك قلق النفس هل تشتكى شيئا فقال لها لا وانما استغرقتني اللذات عن شئوني فمالى ولهذه الغفلة عن أحوالى وعن أحوال رعيتى وان استمريت على ذلك فعن قليل يخرج ملكى من يدى فاجابته قائلة انى اراك ايها الملك مع عمالك ووزرائك مغشوشا فانهم انما يريدون نكايتك وكيدك حتى لا يحصل لك من ملكك هذه اللذه ولا تغنم نعيما ولا راحة بل يريدون ان تقضى عمرك فى دفاع المشقة عنهم حتى ان عمرك يفنى بالنصب والتعب وتكون مثل الذى قتل نفسه لاصلاح غيره او تكون مثل الفتى واللصوص فقال الملك وكيف كان ذلك فقالت ذكروا ان سبعة من اللصوص خرجوا ذات يوم يسرقون على عادتهم فمروا على بستان فيه جوز رطب فدخلوا ذلك البستان واذا هم بولد صغير واقف بينهم فقالوا له يافتى هل لك ان تدخل معنا هذا البستان وتطلع هذه الشجرة وتأكل من جوزها كفايتك وترمى لنا منها جوزا فاجابهم الفتى الى ذلك ودخل معهم وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩١٥) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الفتى لما أجاب اللصوص ودخل معهم قال

بعضهم لبعض انظروا الى أخفنا وأصغرنا فاصعدوه فقالوا ما ترى فينا ألطف من هذا الفتى فلما أصعدوه قالوا يا فتى لا تلمس من الشجرة شيئا لئلا يراك أحد فيؤذيك فقال الفتى وكيف افعل فقالوا له اقعد في وسطها وحرك كل غصن منها بحركة كافية حتى يتناثر ما فيه فنلتقطه واذا فرغ ما فيها ونزلت الينا فخذ نصيبك مما التقطناه فلما صعد الفتى على الشجرة صار يحرك كل غصن وحده والجوز يتناثر منه واللصوص يجمعونه فبينما هم كذلك واذا بصاحب الشجرة واقف عندهم وهم على ذلك الحال فقال لهم ما لكم ولهذه الشجرة فقالوا له لم نأخذ منها شيئا غير اننا مررنا بها فرأينا هذا الولد فوقها فاعتقدنا انه صاحبها فطلبنا منه ان يطعمنا منها فهز بعض الاغصان حتى انتثر منها الجوز ونحن ما لنا ذنب فقال صاحب الشجرة للغلام فما تقول أنت فقال كذب هؤلاء ولكن أنا أقول لك الحق وهو انا أتينا جميعا الى هنا فامروني بالصعود على هذه الشجرة لاهز الاغصان كي ينتثر الجوز عليهم فامتثلت أمرهم فقال صاحب الشجرة لقد القيت بنفسك في بلاء عظيم وهل انتفعت بأكل شيء منها فقال الغلام ما أكلت منها شيئا فقال له صاحب الشجرة لقد علمت الآن حماقتك وجهلك وهو انك سعيت في تلف نفسك لاصلاح غيرك ثم قال للصوص ما لي عليكم سبيل امضوا الى حال سبيلكم وقبض على الولد وعاقبه وهكذا وزراؤك واهل دولتك يريدون ان يهلكوك لاصلاح أمرهم ويفعلوا بك مثل ما فعل اللصوص بالفتى فقال الملك حقا ما قلتيه ولقد صدقت في خبرك فانا لا أخرج اليهم ولا أترك لذاتي ثم بات مع زوجته في أرغد عيش الى ان أصبح الصباح فلما أصبح الصباح قام الوزير وجمع أرباب الدولة مع من حضر معهم من الرعية ثم جاءوا الى باب الملك مستبشرين فرحين فلم يفتح لهم الباب ولم يخرج اليهم ولم يأذن لهم بالدخول عليه فلما يئسوا من ذلك قالوا للشماس أيها الوزير الفاضل والحكيم الكامل أما ترى حال هذا الصبي الصغير السن القليل العقل الذي قد جمع الى ذنوبه الكذب فانظر وعده لك كيف أخلفه ولم يوف بما وعده وهذا ذنب يجب ان نضيفه الى ذنوبه ولكن نرجوا ان تدخل اليه ثانيا وتنظر ما السبب في تأخيره ومنعه عن الخروج فانا غير منكرين على طبيعته الذميمة مثل هذا الامر فانه بلغ غاية القساوة ثم ان شماسا توجه اليه ودخل عليه وقال السلام عليك أيها الملك مالي أراك قد أقبلت على شيء يسير من اللذة وتركت الامر الكبير الذي ينبغي الاعتناء به وكنت مثل الذي له ناقة وهو منطو على لبنها فالهاه حسن لبنها عن ضبط زمامها فاقبل يوما على حلبها ولم يعتن بزمامها فلما أحست الناقة بترك الزمام جذبت نفسها وطلبت الفضاء فصار الرجل فاقد اللبن والناقة مع ان ضرر ما لقيه أكثر من نفعه فانظر أيها الملك فيما فيه صلاح نفسك ورعيتك فانه ليس ينبغي للرجل ان يديم الجلوس على باب المطبخ من أجل حاجته الى الطعام ولا ينبغي له ان يكثر الجلوس مع النساء من أجل ميله اليهن وكما ان الرجل يبتغي من الطعام ما يدفع ألم الجوع ومن الشراب ما يدفع ألم العطش كذلك ينبغي للرجل العاقل ان يكتفي من هذه الاربعة والعشرين ساعة بساعتين مع النساء في كل نهار ويصرف الباقي في مصالح نفسه وفي مصالح رعيته ولا يطيل المكث مع النساء ولا الخلوة بهن أكثر من ساعتين فان ذلك فيه مضرة لعقله وبدنه

لانهن لا يأمرن بخير ولا يرشدن اليه ولا ينبغي ان يقبل منهن قولا ولا فعلا وقد بلغني ان ناسا كثيرة هلكوا بسبب نسائهم فمنهم رجل هلك من اجتماعه بزوجته لكونه أطاعها فيما أمرته فقال الملك وكيف كان ذلك قال شماس زعموا ان رجلا كان له زوجة وكان يحبها وكانت مكرمة عنده فكان يسمع قولها ويعمل برأيها وكان له بستان غرسه بيده جديدا فكان يأتي اليه في كل يوم ليصلحه ويسقيه فقالت له زوجته يوما من الايام أي شيء غرست في بستانك فقال لها كل ما تحبينه وتريدينه وها أنا مجتهد في اصلاحه وسقيه فقالت له هل لك ان تأخذني وتفرجني فيه حتى أراه وأدعو لك دعوة صالحة فان دعائي مستجاب فقال نعم امهليني حتى آتي اليك في غد وآخذك فلما أصبح الرجل أخذ زوجته معه وتوجه بها الى البستان ودخلا فيه وفي حال دخولهما نظر اليهما اثنان من الشبان على بعد فقال بعضهما لبعض ان هذا الرجل زان وان هذه المرأة زانية وما دخلا هذا البستان الا ليزنيا فيه فتبعاهما لينظرا ما يكون من أمرهما فأما الشابان فانهما وقفا على جانب البستان وأما الرجل وزوجته فانهما لما دخلا البستان واستقرا فيه قال الرجل لزوجته ادعي لي الدعوة التي وعدتيني بها فقالت لا أدعو لك حتى تقوم بحاجتي التي تبتغيها النساء من الرجال فقال لها ويحك أيتها المرأة اما كان مني في البيت كفاية وههنا أخاف على نفسي من الفضيحة وربما أشغلتني عن مصالحي أما تخافين أن يرانا أحد قالت فلا نبالي من ذلك لا ننا لم نرتكب فاحشة ولا حراما واما سقي هذا البستان ففيه مهلة وأنت قادر على سقيه في أي وقت أردت ولم تقبل منه عذرا ولا حجة وألحت عليه في طلب النكاح فعند ذلك قام ونام معها فعندما أبصراهما الشابان المذكوران وثبا عليهما وأمسكاهما وقالا لهما لا نطلقكما لانكما من الزناة وان لم نواقع المرأة نرفع أمرنا الى الحاكم فقال لهما الرجل ويحكما ان هذه زوجتي وأنا صاحب البستان فما سمعا له كلاما بل نهضا على المرأة فعند ذلك صاحت واستغاثت بزوجها قائلة له لا تدع الرجال يفضحونني فاقبل نحوهما وهو يستغيث فرجع اليه واحد منهما وضربه بخنجره فقتله وأتيا المرأة وفضحاها وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٦١٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب لما قتل زوج المرأة رجع الشابان الى المرأة وفضحاها وانما قلنا لك هذا أيها الملك لتعلم انه ليس ينبغي للرجل أن يسمع من امرأة كلاما ولا يطيعها في أمر ولا يقبل لها رأيا في مشورة فاياك أن تلبس ثوب الجهل بعد ثوب الحكمة والعلم أو تتبع الرأي الفاسد بعد معرفتك للرأي الرشيد النافع فلا تتبع لذة يسيرة مصيرها الى الفساد ومآلها الى الخسران الزائد الشديد فلما سمع الملك ذلك من شماس قال له اني في غد أخرج اليهم ان شاء الله تعالى فخرج شماس الى الحاضرين من كبراء المملكة واعلمهم بما قال الملك فبلغ المرأة ما قاله شماس فدخلت على الملك وقالت له انما الرعية عبيد للملك والآن رأيت انك أيها الملك عبد لرعيتك بحيث تهابهم وتخاف شرهم وهم انما يريدون ان يختبروا باطنك فان وجدوك ضعيفا تهاونوا بك وان وجدوك شجاعا هابوك وكذلك يفعل وزراء السوء بملكهم لان حيلهم كثيرة وقد أوضحت لك

حقيقة كيدهم فان وافقتهم على ما يريدون أخرجوك من أمرك الى مرادهم ولم يزالوا ينقلونك من من أمر إلى أمر حتى يوقعوك في الهلكة ويكون مثلك مثل التاجر واللصوص فقال الملك وكيف كان ذلك قالت بلغني انه كان تاجر له مال كثير فانطلق بتجارة ليبيعها في بعض المدن فلما انتهى الى المدينة اكترى له بها منزلا و نزل فيه فنظره لصوص كانوا يراقبون التجار لسرقة متاعهم فانطلقوا إلى منزل ذلك التاجر واحتالوا في الدخول عليه فلم يجدوا لهم سبيلا الى ذلك فقال لهم رئيسهم أنا أكفيكم أمره ثم انه إنطلق فلبس ثياب الاطباء وجعل على عاتقه جرابا فيه شيء من الدواء وأقبل ينادي من يحتاج الى طبيب حتى وصل الى منزل ذلك التاجر فرآه جالسا على غدائه فقال له أتريد لك طبيبا فقال لست محتاجا الى طبيب ولكن إقعد وكل معي فقعد اللص مقابله وجعل يأكل معه وكان ذلك التاجر جيد الأكل فقال اللص في نفسه لقد وجدت فرصتي ثم التفت الى التاجر وقال له لقد وجب على نصيحتك لما حصل لي من إحسانك وليس يمكن ان أخفي عليك نصيحة وهو إني أراك رجلا كثير الاكل وهذا سببه مرض في معدتك فان لم تبادر بالسعي على دوائك وإلا آل أمرك الى الهلاك فقال التاجر ان جسمي صحيح ومعدتي سريعة الهضم وإن كنت جيد الاكل فليس ببدني مرض ولله الحمد والشكر فقال له اللص انما ذلك بحسب ما يظهر لك والا فقد عرفت ان في باطنك مرضا خفيا فان اطعتني فداوي نفسك فقال التاجر وأين أجد من يعرف دوائي فقال له اللص انما المداوي هو الله ولكن الطبيب مثلي يعالج المريض على قدر امكانه فقال له التاجر أرني الان دوائي واعطني منه شيء فاعطاه سفوفا فيه صبر كثير وقال له استعمل هذا في هذه الليلة فأخذه منه ولما كان الليل تعاطى منه شيء فرآه صبرا كريه الطعم فلم ينكر منه شيء فلما تعاطاه وجد منه خفة في تلك الليلة فلما كانت الليلة الثانية جاء اللص ومعه دواء صبرا كثر من الاول فاعطاه منه شيء فلما تعاطاه اسهله تلك الليلة ولكنه صبر على ذلك ولم ينكره فلما رأى اللص أن التاجر اعتنى بقوله واستأمنه على نفسه وتحقق انه لا يخالفه انطلق وجاء بدواء قاتل واعطاه له فأخذه منه التاجر وشربه فعند ماشرب ذلك الدواء نزل ما كان في بطنه وتقطعت امعاؤه واصبح ميتا فقام اللصوص وأخذوا جميع ما كان للتاجر وانما أيها الملك ماقلت لك هذا الا لاجل انك لا تقبل من هذا المخادع كلاما فيلحقك أمور تهلك بها نفسك فقال الملك صدقت فانا لا أخرج اليهم فلما أصبح الصباح اجتمع الناس وجاؤا إلى باب الملك وقعدوا أكثر النهار حتى يئسوا من خروجه ثم رجعوا إلى شماس وقالوا له أيها الفيلسوف الحكيم الماهر اما ترى هذا الولد الجاهل لا يزداد إلا كذبا علينا وان خراج الملك من يده واستبدال غيره به فيه الصواب فتنتظم بذلك أحوالنا وتستقيم امورنا ولكن أدخل اليه ثالثا واعلمه أنه لا يمنعنا من القيام عليه ونزع الملك منه الا احسان والده الينا وما أخذه علينا من العهود والمواثيق ونحن مجتمعون في غد عن آخرنا بسلاحنا ونهدم باب هذا الحصن فان خرج الينا وصنع لنا ما نحب فلا بأس والا دخلنا عليه وقتلناه وجعلنا الملك في يد غيره فانطلق الوزير شماس ودخل على الملك وقال له أيها الملك المنهمك ما

في شهواته ولهوه ماهذا الذي تصنعه بنفسك فياهل ترى من يغريك على هذا فان كنت أنت الجاني على نفسك فقد زال ما نعهده لك من الصلاحية والحكمة والفصاحة فليت شعري من لذي حولك وتقلك من العلم إلى الجهل ومن الوفاء إلى الجفاء ومن اللين الى القسوة ومن قبولك مني إلى اعراضك عني فكيف نصحتك ثلاث مرات ولم تقبل نصيحتي وأشير عليك بالصواب وتخالف مشورتي فاخبرني ماهذه الغفلة وما هذا اللهو ومن اغراك عليه اعلم ان أهل مملكتك قد تواعدوا على أنهم يدخلون عليك ويقتلونك ويعطون مملكتك لغيرك فهل لك قوة على جميعهم والنجاة من ايديهم أو تقدر على حياة نفسك بعد قتلها فان كنت اعطيت هذا كله امنت من قبلهم فلا حاجة لك بكلامي وان كان حاجتك الى الدنيا والملك فافق لنفسك واضبط ملكك وأظهر للناس قوة باسك واعلمهم باعذارك فانهم يريدون انتزاع ما في يدك وتسليمه الى غيرك وقد عزموا على العصيان والمخالفة وصار دليل ذلك ما يعلمونه من صغر سنك ومن انكبابك على اللهو والشهوات فان الحجارة اذا طال مكثها في الماء متى أخرجت منه وضرب بعضها بعضا تقدحت منها النار والآن رعيتك خلق كثير وهم يتوازرون عليك ويريدون نقل الملك منك الى غيرك ويبلغون فيك ما يريدون من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩١٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الوزير شماسا قال للملك ويبلغون فيك ما يريدون من هلاكك ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب فقال الملك وكيف كان ذلك قال زعموا أن جماعة من الثعالب خرجوا ذات يوم يطلبون ما يأكلون فبينما هم يجولون في طلب ذلك واذا هم بجمل ميت فقالوا في أنفسهم قد وجدنا ما نعيش به زمنا طويلا ولكن نخاف أن يبغي بعضنا على بعض ويميل القوي بقوته على الضعيف فيهلك الضعيف منا فينبغي لنا أن نطلب حكما يحكم بيننا ونجعل له نصيبا فلا يكون للقوي سلاطة على الضعيف فبينما هم يتشاورون في شأن ذلك واذا بذئب اقبل عليهم فقال بعضهم لبعض أن أصاب رأيكم فاجعلوا هذا الذئب حكما بيننا لانه أقوى الناس وأبوه سابقا كان سلطانا علينا ونحن نرجو من الله أن يعدل بيننا ثم أنهم توجهوا اليه وأخبروه بما صار اليه رأيهم وقالوا قد حكمناك بيننا لاجل أن تعطي لكل واحد منا ما يقوته في كل يوم على قدر حاجته لئلا يبغي قوينا على ضعيفنا فيهلك بعضنا بعضا فاجابهم الذئب الى قولهم وتعاطى أمورهم وقسم عليهم في ذلك اليوم ما كفاهم فلما كان من الغد قال الذئب في نفسه أن قسمة هذا الجمل بين هؤلاء العاجزين لا يعود علي شيء منها الا الجزء الذي جعلوه لي وان أكلته وحدي فهم لا يستطيعون لي ضرا مع أنهم غنم لي ولاهل بيتي فمن الذي يمنعني عن أخذه لنفسي ولعل الله مسببه لي بغير جميلة فالاحسن لي أن اختص به دونهم ومن هذا الوقت لا أعطيهم شيء فلما أصبح الثعالب جاؤا اليه على العادة يطلبون منه قوتهم فقالوا اليه يا أبا سرحان اعطنا مؤنة يومنا فاجابهم قائلا ما بقي عندي شيء أعطيه لكم فذهبوا من عنده على اسوأ حال ثم قالوا أن الله أوقعنا في هم عظيم مع هذا الخائن الخبيث الذي لا يتقي الله ولا يخافه وليس لنا حول ولا قوة ثم قال بعضهم لبعض انما حمله على هذا الامر

ضرورة الجوع قد عوه اليوم يأكل حتى يشبع وفي غد نذهب اليه فلما أصبحوا توجهوا اليه وقالوا له
يا أبا سرحان انما وليناك علينا لاجل أن تدفع لكل واحد منا قوته وتنصف الضعيف من القوى واذا
فرغ تجتهد لنا في تحصيل غيره ونصير دائما تحت كنفك ورعايتك وقد مسنا الجوع وانا يومان
ما أكلنا فاعطنا قوتنا وأنت في حل من جميع ما تتصرف فيه من دون ذلك فلم يرد عليهم جوابا بل
ازداد قسوة فراجعوه فلم يرجع فقال بعضهم لبعض ليس لنا حيلة الا أننا ننطلق الى الاسد ونرمي
أنفسنا عليه ونجعل له الجمل فان أحسن لنا بشيء منه كان من فضله والا فهو أحق به من هذا الخبيث ثم
انطلقوا الى الاسد وأخبروه بما حصل لهم مع الذئب ثم قالوا له نحن عبيدك وقد جئناك مستجيرين
بك لتخلصنا من هذا الذئب ونصير لك عبيدا فلما سمع الاسد كلام الثعالب أخذته الحمية وغار لله
تعالى ومضى معهم الى الذئب فلما رأى الذئب الاسد مقبلا طلب الفرار من قدامه فجرى الاسد
خلفه وقبض عليه ومزقه قطعا ومكن الثعالب من فريستهم فمن هذا عرفنا أنه لا ينبغي لاحد من
الملوك أن يتهاون في أمر رعيته فاقبل نصيحتي وصدق القول الذي قلته لك واعلم أن أباك قبل وفاته
قد أوصاك بقبول النصيحة وهذا آخر كلامي معك والسلام فقال الملك إني سامع منك وفي غد ان
شاء الله تعالى اطلع اليهم فخرج شماس من عنده وأخبرهم بان الملك قبل نصيحته ووعده
في غد أنه يخرج اليهم فلما سمعت زوجة الملك ذلك الكلام منقولا عن شماس وتحققت
أنه لا بد من خروج الملك الى الرعية اقبلت على الملك مسرعة وقالت له ما أكثر تعجبي من
اذعانك وطاعتك لعبيدك أما تعلم أن وزراءك هؤلاء عبيد لك فلاي شيء رفعتهم هذه الرفعة
العظيمة حتى أوهمتهم انهم هم الذين أعطوك هذا الملك ورفعوك هذه الرفعة وانهم أعطوك العطايا
مع انهم لا يقدرون أن يفعلوا معك أدنى مكروه فكان من حقك عدم الخضوع لهم بل من حقهم
الخضوع لك وتنفيذ أمورك فكيف تكون مرعوبا منهم هذا الرعب العظيم وقد قيل اذا لم يكن
قلبك مثل الحديد لا تصلح أن تكون ملكا وهؤلاء غرهم حلمك حتى تجاسروا عليك ونبذوا
طاعتك مع أنه ينبغي أن يكونوا مقهورين على طاعتك مجبورين على الانقياد اليك فان أنت سارعت
لقبول كلامهم واهمالهم على ما هم فيه وقضيت لهم أدنى حاجة على غير مرادك ثقلوا عليك وطمعوا فيك
وتصير لهم هذه عادة فان أطعتني لا ترفع لاحد منهم شأنا ولا تقبل لاحد منهم كلاما ولا تطمعهم
في التجاسر عليك فتصير مثل الراعي واللص فقال لها الملك وكيف كان ذلك قالت زعموا أنه كان رجل
راعي غنم وكان محافظا على رعايتها فأتاه لص ذات ليلة يريد أن يسرق من غنمه شيئا فرآه محافظا عليها
لا ينام ليلا ولا يغفل نهارا فصار يحاوله طول ليله فلم يظفر منه بشيء فلما أعيته الحيلة انطلق الى البرية
واصطاد أسدا وسلخ جلده وحشاه تبنا ثم أتى به ونصبه على محل عال في البرية بحيث يراه الراعي
ويتحققه ثم أقبل اللص على الراعي وقال له أن هذا الاسد قد ارسلني اليك يطلب عشاه من هذه
الغنم فقال له الراعي وأين الاسد فقال له اللص ارفع بصرك ها هو واقف فرفع الراعي رأسه فرأى
صورة الاسد فلما رآها ظن انها أسد حقيقة ففزع منها فزعا شديدا وأدركه شهر زاد الصباح

فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩١٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد انها قالت له أن الراعي لما رأى صورة الاسد ظن أنها أسد حقيقة ففزع منها فزعا شديدا واخذه الرعب وقال للص يا أخي خذ ماشئت ليس عندي مخالفة فأخذ اللص من الغنم حاجته وازداد طمعه في الراعي بسبب شدة خوفه فصار كل قليل يأتي اليه ويرعبه ويقول له أن الاسد يحتاج الى كذا وقصده أن يفعل كذا ثم يأخذ من الغنم كفايته ولم يزل اللص مع الراعي على هذه الحالة حتى أفنى غالب الغنم وانما قلت لك هذا الكلام أيها الملك لئلا يغتر كبراء دولتك هؤلاء بحلمك ولين جانبك فيطمعوا فيك والرأى السديد أن يكون موتهم أقرب مما يفعلونه فقبل الملك قولها وقال أني قبلت منك هذه النصيحة ولست مطيعا لمشورتهم ولا خارجا اليهم فلما أصبح الصباح اجتمع الوزراء واكابر الدولة ووجهاء الناس وحمل كل واحد منهم سلاحه معه وتوجهوا الى بيت الملك ليهجموا عليه ويقتلوه ويولوا غيره فلما وصلوا الى بيت الملك ليهجموا عليه ويقتلوه ويولوا غيره تقربوا الى بواب المنزل وسألوا البواب أن يفتح لهم فلم يفتح لهم فارسلوا ليحضر وانارا فيحرقوا بها الابواب ثم يدخلوا فسمع البواب منهم هذا الكلام فانطلق بسرعة وأعلم الملك أن الخلق مجتمعون على الباب وقال انهم سألوني أن افتح لهم فابيت فارسلوا ليحضروا نارا فيحرقوا بها الابواب ثم يدخلوا عليك ويقتلوك فماذا تامرني فقال الملك في نفسه اني وقعت في الهلكة العظيمة ثم أرسل خلف المرأة فحضرت فقال لها أن شماسا لم يخبرني بشيء الا وقد وجدته صحيحا وقد حضر الخاص والعام من الناس يريدون قتلي وقتلك ولما لم يفتح لهم البواب ارسلوا ليحضروا نارا فيحرقوا الابواب فيحترق البيت ونحن داخله فماذا تشيرين علينا فقالت له المرأة لا بأس عليك ولا يهولنك امرهم فان هذا الزمان يقوم فيه السفهاء على ملوكهم فقال لها الملك فما تشيرين على به لافعله وما الحيلة في هذا الامر فقالت له الرأى عندي انك تعصب راسك بعصابة وتتناوم انك مريض ثم ترسل الى الوزير شماس فيحضر اليك ويرى حالك الذى أنت فيه فاذا حضر فقل له قد اردت الخروج الى الناس في هذا اليوم فمنعني هذا المرض فاخرج الى الناس واخبرهم بما انا فيه واخبرهم اني في غد أخرج اليهم واقضي حوائجهم وانظر في أحوالهم ليطمئنوا ويسكن غيظهم واذا اصبحت فاستدع بعشرة من عبيد أبيك ويكونون سامعين لقولك طائعين لامرك كاتمين لسرك حافظين لودك ثم أوقفهم على راسك وأمرهم أن لا يمكنوا احدا من الدخول عليك الا واحدا بعد واحد فاذا دخل واحد فقل لهم خذوه واقتلوه واذا اتفقوا معك على ذلك فاصبح ناصبا كرسيك في ديوانك وافتح بابك فانهم اذا رأوك فتحت الباب طابت نفوسهم وأتوك بقلب سليم واستأذنوا في الدخول عليك فائذن لهم في الدخول واحدا بعد واحد كما قلت لك وافعل بهم مرادك ولكن ينبغي أن تبدأ بقتل شماس الكبير اولهم فانه هو الوزير الاعظم وهو صاحب الامر فاقتله اولا ثم بعد ذلك أقتل الجميع واحدا بعد واحد ولا تبق منهم من تعرف أنه ينكث لك عهدا وكذلك كل من تخاف صولته فانك اذا فعلت بهم ذلك لا يبقى لهم قوة عليك وتستريح

منها الراحة الكلية ويصفو لك الملك وتعمل ما تحب واعلم أنه لا حيلة لك أنفع من هذه الحيلة فقال له الملك أن رأيك هذا سديد وأمرك رشيد فلا بد أن أعمل ما ذكرت ثم أمر بعصابة فشد بها رأسه وتضاعف وأرسل الى شماس فلما حضر بين يديه قال له يا شماس قد علمت أن لك محب ولرأيك مطيع وأنت كالاخ والوالد دون كل احد وتعرف أني أقبل منك جميع ما أمرتني به وقد كنت أمرتني بالخروج الى الرعية والجلوس لاحكامهم وتحققت أنها نصيحة منك لى وقد أردت الخروج اليهم بالامس فعرض لى هذا المرض ولست استطيع الجلوس وقد بلغني أن أهل المملكة متنغصون من عدم خروجي اليهم وهموا أن يفعلوا بي مالا يليق من شرهم فانهم غير عالمين بما أنا فيه من المرض فاخرج اليهم وأعلمهم بحالى وما أنا فيه واعتذر اليهم عنى فاني تابع لما يقولون وفاعل ما يحبون فصالح لهم هذا الامر واضمن لهم عنى ذلك فانك نصيح لى ولو الدي من قبلي وعادتك الاصلاح بين الناس وان شاء الله تعالى في غد اخرج اليهم ولعل مرضى يزول عني في هذه الليلة ببركة صالح نيتي وما أضمرته لهم من الخير في سريرتي فسجد شماس لله ودعا للملك وقبل يديه ورجليه وفرح بذلك وخرج الى الناس وأخبرهم بما سمعه من الملك ونهاهم عما أرادوه وأعلمهم بالعذر وسبب امتناع الملك عن الخروج وأخبرهم أنه وعده في غد بالخروج اليهم وأنه يصنع لهم ما يحبون فانصرفوا عند ذلك الى منازلهم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩١٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن شماسا خرج إلى الدولة وقال لهم أن الملك في غد يخرج اليكم ويصنع لكم ما تحبون فانصرفوا إلى منازلهم هذا ما كان من أمرهم (وأما) ما كان من أمر الملك فانه بعث إلى العشرة عبيد الجبابرة الذين اختارهم من جبابرة أبيه وكانوا ذوي عزم جليد وبأس شديد وقال لهم قد علمتم ما كان لكم عند والدي من الحظوة ورفعة الشان والاحسان اليكم مع لطفه بكم واكرامه إياكم فأنا أنزلكم بعده عندي في درجة أرفع من تلك الدرجة وسأعرفكم سبب ذلك وأنتم في أمان الله مني ولكن أسألكم عن مسئلة هل تكونون مني فيها طائعين لامري فيما أقوله كاتمين لسري عن جميع الناس ولكم مني الاحسان فوق ما تريدون حيث متثلتم أمري فاجابه العشرة من فم واحد وكلام متوارد قائلين جميع ما تامرنا به ياسيدنا نحن به عاملون ولا نخرج عما تشير به علينا مطلقا وأنت ولي أمرنا فقال لهم أحسن الله لكم فأنا الآن أعرفكم سبب اختصاصكم بمزيد الاكرام عندي أنكم قد علمتم ما كان فعله أبي باهل مملكته من الاكرام وما عاهدهم عليه من أمري وأقرارهم له بانهم لا ينكثون لى عهدا ولا يخالفون لى أمرا وقد نظرتم ما كان منهم بالامس حيث اجتمعوا جميعا حولي يريدون قتلي وأنا أريد أن أصنع بهم أمرا وذلك إني نظرت ما كان منهم بالامس فرأيت أنه لا يزجرهم عن مثله الا نكالهم فلا بد أن أوكلكم بقتل من اشير لكم بقتله سرا حتى أدفع الشر والبلاء عن بلادي بقتل اكابرهم ورؤسائهم وطريقة ذلك اني اقعد في هذا المقعد في هذه المقصورة في غد وآذن لهم بالدخول على واحدا بعد واحد وان يدخلوا من باب ويخرجوا من آخر فقفوا أنتم العشرة بين يدي فاهمين لاشارتي وكلما يدخل واحد فخذوه

وأدخلوا به هذا البيت واقتلوه واخفوا جثته فقالوا سمعا لقولك وطاعة لامرك فعند ذلك أحسن اليهم وصرفهم وبات فلما أصبح طلبهم وأمر بنصب السرير ثم لبس ثياب الملك وأخذ في يده كتاب القضاء وأمر بفتح الباب ففتح واوقف العشرة عبيد بين يديه ونادى من كان له حكومة فليحضر الى بساط الملك فاتى الوزراء والقواد والحجاب ووقف كل واحد في مرتبته ثم أمرهم بالدخول واحدا بعد واحد فدخل شماس الوزير اولا كما هي عادة الوزير الاكبر فلما دخل واستقر قدام الملك لم يشعر الا والعشرة عبيد محتاطون به وأخذوه وادخلوه البيت وقتلوه وأقبلوا على باقي الوزراء ثم العلماء ثم الصلحاء فصاروا يقتلونهم واحدا بعد واحد حتى فرغوا من الجميع ثم دعا بالجلادين وأمرهم بحط السيف فيمن بقي من اهل الشجاعة وقوة البأس فلم يتركوا أحدا ممن يعرفون أن له شهامة الا قتلوه ولم يتركوا الا سفلة الناس ورعاعهم ثم طردوهم ولحق كل واحد منهم باهله ثم بعد ذلك اختلى الملك بلذاته واعطى نفسه شهواتها واتبع البغي والجور والظلم حتي سبق من تقدمه من اهل الشر وكانت بلاد هذا الملك معدن الذهب والفضة والياقوت والجواهر وجميع من حوله من الملوك يحسدونه على هذه المملكة ويتوقعون له البلاء فقال في نفسه بعض الملوك المجاورين له اني ظفرت بما كنت أريد من أخذ هذه المملكة من يد هذا الولد الجاهل بسبب ما حصل من قتله لاكابر دولته وأهل الشجاعة والنجدة الذين كانوا في أرضه فهذا هو وقت الفرصة وانتزاع ما في يده لكونه صغيرا ولا دراية له بالحرب ولا رأى له ولم يبق عنده من يرشده ولا من يعضده فانا اليوم افتح معه باب الشر وهو اني اكتب له كتابا واعبث به فيه وابكته على ما حصل منه وانظر ما يكون من جوابه فكتب له مكتوبا مضمونه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغني ما فعلت بوزرائك وعلمائك وجبابرتك وما اوقعت نفسك فيه من البلاء حتى لم يبق لك طاقة ولا قوة على دفع من يصول عليك حين طغيت وافسدت وأن الله قد اعطاني النصر عليك وظفرني بك كلامي وامتثل أمري ابن لي قصرا منيعا في وسط البحر وأن لم تقدر على ذلك فاخرج من بلادك وفز بنفسك فاني باعث اليك من اقصى الهند اثني عشر كردوسا كل كردوس اثنا عشر الف مقاتل فيدخلون بلادك وينهبون أموالك ويقتلون رجالك ويسبون حريمك واجعل قائدهم بديعا وزيري وآمره ان يرسخ عليها محاصرا الى أن يملكها وقد أمرت هذا الغلام المرسل اليك أنه لا يقيم عندك غير ثلاثة أيام فان امتثلت أمري نجوت والا ارسلت اليك ما ذكرته لك ثم ختم الكتاب وأعطاه للرسول فسار به حتى وصل الى تلك المدينة ودخل على الملك وأعطاه الكتاب فلما قرأه الملك ضعفت قوته وضاق صدره والتبس عليه امره وتحقق الهلاك ولم يجد من يستشيره ولا من يستعين ولا من ينجده فقام ودخل على زوجته وهو متغير اللون فقالت له ما شانك ايها الملك فقال لها لست اليوم بملك ولكني عبد للملك ثم فتح الكتاب وقرأه عليها فلما سمعته أخذت في البكاء والنحيب وشقت ثيابها فقال لها الملك هل عندك شيء من الرأى والحيلة في هذا الامر العسير فقالت له وما عند النساء من الحيلة في الحروب والنساء لا قوة لهن ولا رأى لهن وانما القوة والرأى والحيلة للرجال في مثل هذا الامر فلما سمع الملك منها هذا الكلام حصل له غاية

الندوم والتأسف والكآبة على ما فرط منه في حق جماعته ورؤساء دولته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٣٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك لما سمع من زوجته ذلك الكلام حصل له غاية الندم والتأسف على ما فرط منه من قتل وزرائه واشراف رعيته وتمنى الموت لنفسه قبل أن يرد عليه مثل هذا الخبر الفظيع ثم قال لنسائه لقد وقع لي منكن ما وقع للدراج مع السحالف فقلن له وكيف كان ذلك فقال الملك زعموا أن سحالف كانت في جزيرة من الجزائر وكانت تلك الجزيرة ذات أشجار وأثمار وأنهار فاتفق أن دراجا اجتاز بها يوما وقد أصابه الحر والتعب فلما اضر به ذلك حط من طيرانه في تلك الجزيرة التي بها تلك السحالف فلما رأى السحالف التجأ اليها ونزل عندها وكانت السحالف ترعى في جهات الجزيرة ثم ترجع الى مكانها فلما رجعت من مسارحها الى مكانها رأت الدراج فيه فلما رأته اعجبها وزينه الله لها فسبحت خالقها واحبت هذا الدراج حبا شديدا وفرحت به ثم قال بعضها لبعض شك أن هذا من أحسن الطيور فصارت كلها تلاطفه وتجنح اليه فلما رأى منها عين المحبة مال اليها واستأنس بها وصار يطير الى أي جهة أراد وعند المساء يرجع الى المبيت عندها فاذا اصبح الصباح يطير الى حيث أراد وصارت هذه عادته واستمر على هذه الحالة مدة من الزمان فلما رأت السحالف أن غيابه عنها يوحشها وتحققت أنها لا تراه إلا في الليل واذا اصبح طار مبادرا ولا تشعر به مع زيادة حبها له قال بعضها لبعض أن هذا الدراج قد احببناه وصار لنا صديقا وما بقي لنا قدرة على فراقه فما يكون من الحيلة الموصلة إلى إقامته عندنا دائما لانه اذا طار يغيب عنا النهار كله ولا نراه الا في الليل فاشارت عليهن واحدة قائلة استريحوا يا أخواتي وأنا اجعله لا يفارقنا طرفة عين فقال لها الجميع أن فعلت ذلك صرنا لك كلنا عبيدا فلما حضر الدراج من مسرحه وجلس بينهم تقربت منه السلحفة المحتالة ودعت له وهنته بالسلامة وقالت له يا سيدي أعلم أن قد رزقك منا المحبة وكذلك أودع قلبك محبتنا وصرت لنا في هذا القفر أنيسا وأحسن أوقات المحبين اذا كانوا مجتمعين والبلاء العظيم في البعد والفراق ولكنك تتركنا عند طلوع الفجر ولم تعد الينا الا عند الغروب فيصير عندنا وحشة زائدة وقد شق علينا ذلك كثيرا ونحن في وجد عظيم لهذا السبب فقال لها الدراج نعم انا عندي محبة لكن واشتياق عظيم اليكن زيادة على ما عندكن وفراقكن ليس سهلا عندي ولكن ما بيدي حيلة في ذلك لكوني طير أجنحة فلا يمكنني المقام معكن دائما لان هذا ليس من طبعي فان الطير ذا الاجنحة ليس له مستقر الا في الليل لأجل النوم واذا أصبح طار وسرح في أي موضع أعجبه فقالت له السلحفة صدقت ولكن ذو الاجنحة في غالب الاوقات لا راحة له لكونه لا يناله من الخير ربع ما يحصل له من المشقة وغاية المقصود للشخص الرفاهية والراحة ونحن قد جعل الله بيننا وبينك المحبة والالفة ونخشى عليك ممن يصطادك من اعدائك فتهلك ونحرم من رؤية وجهك فأجابها الدراج قائلا صدقت ولكن ما عندك من الرأي والحيلة في أمري فقالت له الرأي عندي ان تنتف سواعدك التي تسرع بطيرانك وتقعد عندنا مستريحا وتأكل من أكلنا وتشرب من شربنا

في هذه المسرحة الكثيرة الاشجار اليانعة الاثمار ونقيم نحن وانت في هذا الموضع الخصب ونتمتع كلنا بصاحبه فاتك الدراج الى قولها وقصد الراحة لنفسه ثم نتف ريشه واحدة بعد واحدة حتى حكم مااستحسنه من رأي السحلفة واستقر عندهن عائشا معهن ورضي باللذة اليسيرة والطرب الزائل فبينماهم على تلك الحالة واذا بابن عرس قد مر عليه فرمقه بعينيه وتامله فرآه مقصوص الجناح لا يستطيع النهوض فلما رآه على تلك الحالة فرح به فرحا شديدا وقال في نفسه أن هذا الدراج سمين اللحم قليل الريش ثم دنا منه ابن عرس وافترسه فصاح الدراج وطلب النجدة من السحالف فلم ينجده بل تباعدون عنه وانكمش في بعضهن لما رأين ابن عرس قابضا عليه وحين رأين ابن عرس يعذبه خنقهن البكا عليه فقال لهن الدراج هل عندكن شيء غير البكاء فقلن له ياأخانا ليس لنا قوة ولا طاقة ولا حيلة في امر ابن عرس فحزن الدراج عند ذلك وقطع الرجاء من حياة نفسه وقال لهن ليس لكن ذنب انما الذنب لي حيث اطعتكن ونتفت اجنحتي التي اطير بها فأنا استحق الهلاك لطاوعتي لكن ولا الومكن في شيء وانا الآن لا الومكن ايتها النساء بل الوم نفسي واؤدبها حيث لم اتذكر انكن الشهوة التي حصلت من ابينا آدم لاجلها اخرج ونسيت انكن اصل كل شر فأطعتكن بجهلي وخطأ رأيي وسوء تدبير وقتلت وزرائي وحكام مملكتي الذين كانوا لي نصحاء في الامور وكانوا عدتي وقوتي على كل امر اهمني فانا الان لا اجد عوضا عنهم ولا ارى أحدا يقوم مقامهم وقد وقعت في الهلاك العظيم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٢١) قالت بلغني ايها الملك السعيد أن الملك لام نفسه وقال أنا الذى اطعتكن بجهلي وقتلت وزرائي ولم أجد عوضا عنهم يقوم مقامهم وان لم يفتح الله علي بمن له رأي سديد يرشدني الى مافيه خلاصي وقعت في الهلكة العظيمة ثم أنه قام ودخل مرقده بعد أن نعى الوزراء والحكماء قائلا ياليت هؤلاء الاسود عندي في هذا الوقت ولو ساعة واحدة حتى اعتذر اليهم وانظرهم واشكو اليهم أمري وماحل بي بعدهم ولم يزل غريقا في بحر الهم طول نهاره لا يأكل ولا يشرب فلما جن عليه الليل قام وغير لباسه ولبس ثيابا رديئة وتنكر وخرج يسيح في المدينة لعله يسمع من أحد كلمة يرتاح بها فبينما هو يطوف في الشوارع واذا هو بغلامين مختليين بانفسهما جالسين بجانب حائط وهما مستويان في السن عمر كل واحد منهما اثنتا عشرة سنة فسمعهما يتحدثان مع بعضهما فدنا منهما الملك بحيث يسمع كلامهما ويفهمه فسمع واحدا منهما يقول للاخر اسمع ماحكاه لي والدي ليلة امس من أجل ماوقع له في زرعه و يبسه قبل أوانه بسبب عدم المطر وكثرة البلاء الحاصل في هذه المدينة فقال له الآخر اتعرف ماسبب هذا البلاء قال له لا فان كنت تعرفه أنت فاذكره لي فاجابه قائلا نعم أعرفه واخبرك به أعلم أن بعض أصحاب والدي قال لي ان ملكنا قتل وزراءه وعظماء دولته من غير ذنب جنوه بل أجل من أحبه للنساء وميله اليهن وان الوزراء نهوه عن ذلك فلم ينته وامر بقتلهم طاعة لنسائه حتى أنه قتل شماسا وزيره ووزير والده من قبله وكان صاحب مشورته ولكن سوف تنظر مايفعل الله به بسبب ذنوبهم فسينتقم لهم منه فقال الغلام وماعسى أن يفعل الله به بعد

هلاكهم قال له علم ان ملك الهند الاقصى قد استخف بملكنا وبعث اليه كتابا يوبخه فيه ويقول له: ابن لي قصرا في وسط البحر وان لم تفعل ذلك فانا أرسل اليك اثنى عشر كردوسا كل كردوس فيه أثنا عشر الف مقاتل واجعل قائد هذه العساكر بديعا وزيرى فيأخذ ملكك ويقتل رجالك ويسبيك مع حريمك فلما جاء رسول ملك الهند الاقصي بهذا الكتاب أمهله ثلاثة أيام واعلم يا أخي ان ذلك الملك جبار عنيد ذو قوة وباس شديد وفي مملكته خلق كثير وان لم يحتل ملكنا فيما يمنعه وقع في الهلكة وبعد هلاك ملكنا يأخذ هذا الملك أرزاقنا ويقتل رجالنا ويسبي حريمنا فلما سمع الملك شيماس هذا الكلام زاد اضطرابا ومال اليهم وقال في نفسه ان هذا الغلام لحكيم لكونه اخبرعن شيء لم يبلغه مني فان الكتاب الذي جاء من ملك أقصى الهند عندي والسر معي ولم يطلع أحد على هذا الخبر غيري فكيف علم هذا الغلام به ولكن أنا التجيء اليه وا كلمه واسأل الله أن يكون خلاصنا على يديه ثم أن الملك دنا من الغلام بلطف وقال له أيها الولد الحبيب ماهذا الذي ذكرته من أجل ملكنا فانه قد أساء كل الاساءة في قتل وزرائه وكبراء دولته لكنه في الحقيقة قد أساء لنفسه ورعيته وأنت صدقت فيما قلته ولكن عرفني أيها الولد من أين عرفت ان ملك الهند الاقصى كتب الى ملكنا كتابا ووبخه فيه وقال له هذا الكلام الصعب الذي قلته قال له هذا الغلام قد علمت هذا من قول القدماء أنه ليس يخفى على الله خافية والخلق من بني آدم فيهم روحانية تظهر لهم الاسرار الخفية فقال له صدقت ياولدي لكن هل لملكنا حيلة وتدبير يدفع به عن نفسه وعن مملكته هذا البلاء العظيم فاجاب الغلام قائلا نعم اذا ارسل الملك الي وسألني ماذا يصنعه ليدفع به عدوه وينجو من اخبرته بما فيه نجاته بقوة الله تعالى قال له الملك ومن يعلم الملك بذلك حتى يرسل اليك ويدعوك فاجابه قائلا اني سمعت عنه انه يفتش على اهل الخبرة والرأي الرشيد واذا ارسل الى سرت معهم اليه وعرفته بما فيه صلاحه ودفع البلاء عنه وأن اهمل هذا الامر العسير واشتغل بلهوه مع نسائه واردت بان اعلمه بما فيه نجاته وتوجهت اليه من تلقاء نفسي فانه يامر بقتلي مثل اولئك الوزراء وتكون معرفتي به سببا الهلاكي وتستقل الناس بي ويستنقصون عقلي واكون من مضمون قول من قال من كان علمه اكثر من عقله هلك ذلك العالم فلما سمع الملك كلام الغلام تحقق حكمته وتبين فضيلته ان النجاة تحصل له ولرعيته على يديه فعند ذلك اعاد الملك الكلام على الغلام وقال له من اين انت واين بيتك فقال له الغلام أن هذا الحائط توصل الى بيتنا فتعهد الملك ذلك المكان ثم أنه ودع الغلام ورجع الى مملكته مسرورا فلما استقر في بيته لبس ثيابه ودعا بالطعام والشراب ومنع عنه النساء واكل وشرب وشكر الله تعالى وطلب منه النجاة والمعونة والمغفرة والعفو عما فعل بعلماء دولته ورؤسائهم ثم تاب الى الله توبة خالصة وافترض على نفسه الصوم والصلاة الكثيرة بالنذر ودعا باحد غلمانه الخواص ووصف له مكان الغلام وامره أن ينطلق اليه ويحضره بين يديه برفق فمضى ذلك العبد الى الغلام وقال له الملك يدعوك لخير يصل اليك من قبله ويسالك سؤالا ثم تعود في خير الى منزلك فأجاب الغلام قائلا وما الحاجة الملك التي دعاني من أجلها قال له الخادم ان حاجة مولاي التي دعاك

من أجلها هي سؤال وجواب فقال له الغلام الف سمع والف طاعة لامر الملك ثم سار معه حتى وصل اليه فلما صار بين يديه سجد لله ودعا للملك بعد أن سلم عليه فرد الملك عليه السلام وأمره بالجلوس فجلس . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٣٢) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الغلام لما جاء الى الملك وسلم عليه امره بالجلوس فجلس فقال له هل تعرف من تكلم معك بالامس قال الغلام نعم قال له فأين هو فاجابه بقوله هو الذي يكلمني في هذا الوقت فقال له الملك لقد صدقت ايها الحبيب ثم امر الملك بوضع كرسي بجانب كرسيه وأجلسه عليه وامر باحضار اكل وشرب ثم امتزجا في الحديث الى أن قال للغلام انك ايها الوزير حدثتني بالامس حديثا وذكرت فيه ان معك حيلة تدفع بها عنا كيد ملك الهند فما هي الحيلة وكيف التدبير في دفع شره فاخبرني لكي اجعلك أول من يتكلم معي في الملك واصطفيك وزيرا لي واكون تابعا لرأيك في كل ما اشرت به علي واجيزك جائزة سنية فقال له الغلام جائزتك لك ايها الملك والملك والمشورة والتدبير عند نسائك اللاتي اشرن عليك بقتل والدي شماس مع بقية الوزراء فلما سمع الملك منه ذلك خجل وتنهد وقال ايها الولد الحبيب وهل شماس والدك كما ذكرت فاجابه الغلام قائلا أن شماسا والدي حقا وانا ولده صدقا فعند ذلك خشع الملك ودمعت عيناه واستغفر الله وقال ايها الغلام أني فعلت ذلك بجهلي وسوء تدبير النساء وكيدهن اسالك أن تكون مسامحا لي واني جاعلك في موضع ابيك واعلى مقاما من مقامه واذا زالت هذه النقمة النازلة بنا طوقتك بطوق الذهب واركبتك اعز مركوب وامرت المنادي أن ينادي قدامك قائلا هذا الولد العزيز صاحب الكرسي الثاني بعد الملك واما ما ذكرت من امر النساء فاني اضمرت الانتقام منهن ورحلته الى الوقت الذي يريده الله تعالى فاخبرني بما عندك من التدبير ليطمئن قلبي فاجابه الغلام قائلا اعطني عهدا أنك لا تخالف رأيي فيما اذكره لك واني اكون مما اخشاه في امان فقال له الملك هذا عهد الله بيني وبينك اني لا اخرج عن كلامك وانك عندي صاحب المشورة ومهما امرتني به فعلته والشاهد بيني وبينك على ما اقول هو الله تعالى فعند ذلك انشرح صدر الغلام واتسع عنده مجال الكلام فقال ايها الملك أن التدبير والحيلة عندي انك تنتظر الوقت الذي يحضر لك فيه الساعي طالب الجواب بمدة المهلة التي امهلته اياها فاذا حضر بين يديك وطلب الجواب فادفعه عنك وامهله الى يوم آخر فمنه ذلك يعتذر اليك أن ملكه حدد عليه اياما معلومة فيراجعك في كلامك فاطرحه وامهله الى يوم آخر ولا تعين له ذلك اليوم فيخرج من عندك غضبان ويتوجه الى وسط المدينة ويتكلم جهرا بين الناس ويقول يا اهل المدينة اني ساعي ملك الهند الاقصى وهو صاحب بأس شديد وعزم يلين له الحديد قد ارسلني بكتاب الى ملك هذه المدينة وحدد لي اياما وقال لي أن لم تحضر عقب الايام التي حددتها لك حلت بك نقمتي وها أنا جئت الى ملك هذه المدينة واعطيته الكتاب فلما قرأه امهلني ثلاثة ايام ثم لم يعطني جواب ذلك الكتاب فأجبته الى ذلك لطفا به ورعاية لخاطره وقد مضت الثلاثة الايام واتيت اطلب منه الجواب فامهلني الى يوم آخر وانا ليس عندي صبر فها أنا منطلق الى سيدي

ملك الهند الاقصى واخبره بما وقع لي وانتم ايها القوم شاهدون بيني وبينه فعند ذلك بيلتك كلامه فارسل اليه واحضره بين يديك وكلمه بلطف وقل له ايها الساعي الاتلاف نفسه ... حملك على ملامتنا بين رعيتنا لقد استحقيت منا التلف عاجلا ولكن قالت القدماء العفو من شيم الكرام واعلم أن تأخير الجواب عنك ليس بحجزامنا وانما هو لزيادة اشغالنا وقلة تفرغنا لكتابة جوابه ملككم ثم اطلب الكتاب واقرأه ثانيا وبعد أن تفرغ من قرأته اكثر من الضحك وقل له هل معك كتاب غير هذا الكتاب فنكتب جوابا له ايضا فيقول لك ليس معي كتاب غير هذا الكتاب فاعد عليه القول ثانيا وثالثا فيقول لك ليس معي غيره اصلا فقل له أن ملككم هذا معدوم العقل حيث ذكر في هذا الكتاب كلاما يريد به تقويم نفوسنا لاجل أن نتوجه بعسكرنا اليه فنغزو بلاده ونأخذ مملكته ولكن لا نؤاخذه في هذه المرة على اساءة ادبه بهذا المكتوب لانه قاصر العقل ضعيف الحزم فالمناسب لمقدرتنا اننا ننذره ولا نحذره من أن يعود لمثل هذه الهذيانات فان خاطر بنفسه وعاد الى مثلها استحق البلاء عاجلا واظن أن الملك الذي ارسلك جاهلا احمق غير مفكر في العواقب وليس له وزير عاقل سديد الرأي يستشيره ولو كان عاقلا لاستشار وزيرا قبل أن يرسل الينا مثل هذا الكلام السخرية ولكن له عندي جواب مثل كتابه وازيد وأنا ادفع كتابه لبعض صبيان المكتب ليجيبه ثم ارسل الي واطلبني فاذا احضرت بين يديك فائذن لي بقراءة الكتاب ورد جوابه فعند ذلك انشرح صدر الملك واستحسن رأي الغلام واعجبته حيلته فانعم عليه وخوله رتبة والذهب وصرفه مسرورا فلما انقضت الثلاثة ايام التي جعلها مهلة للساعي جاء الساعي ودخل على الملك وطلب الجواب فامهله الملك الى يوم آخر فخرج الساعي الى آخر البساط وتكلم بكلام غير لائق مثل ما قال الغلام ثم خرج الى السوق وقال يا اهل هذه المدينة اني رسول ملك الهند الاقصى الى ملككم جئته برسالة وهو يماطلني في جوابها وقد انقضت المدة التي حددها لي مكناولم يبق لملككم عذر فانتم تكونون شهداء على ذلك فلما بلغ الملك هذا الكلام ارسل الى ذلك الساعي واحضره بين يديه وقال له ايها الساعي في اتلاف نفسه الست ناقلا كتابا من ملك الى ملك بينهما اسرار فكيف تخرج بين الناس وتظهر اسرار الملوك على العامة لقد استحقيت منا القصص ولكن نحن نتحمل ذلك لاجل عود جوابك لهذا الملك الاحمق والانسب أن لا يرد له جوابا عنا الا اقل صبيان المكتب ودعا شموروذلك الغلام فحضر ولما دخل على الملك والساعي حاضر سجد لله ودعا للملك بدوام العز والبقاء فعند ذلك رمى الملك الكتاب للغلام وقال له اقرأ هذا الكتاب واكتب جوابه بسرعة فأخذ الغلام الكتاب وقراه وتبسم بالضحك وقال للملك هل ارسلت خلفي لاجل جواب هذا الكتاب فقال له نعم فاجاب بمزيد السمع والطاعة واخرج الدواة والقرطاس وكتب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٢٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الغلام لما اخذ الكتاب وقراه اخرج في الوقت دواة وقرطاسا وكتب بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من فاز بالامان ورحمة الرحمن اما

بعد فانى اعلمك ايها المدعو ملكا كبيرا اسما لا رسما انه قد وصل الينا كتابك وقرأناه وفهمنا ما فيه من الخرافات وغريب الهذيانات فتحققنا جهلك وبغيك علينا وقد مددت يديك الى ما لا تقدر عليه ولولا ان الرأفة اخذتنا على خلق الله والرعية لما تأخرنا عنك واما رسولك فانه خرج الى السوق ونشر اخبار كتابك على الخاص والعام وستحق منا القصاص ولكن ابقيناه رحمة منا له لكونه معذورا معك ولم نتركه قصاصه وقارا لك فأما ماذكرته فى كتابك من قتلى لوزرائى اوعلمائى وكبراء مملكتى ذلك حق ولكن لسبب قام عندى وما قتلت من العلماء واحدا الا وعندى من جنسه الف اعلم منه وافهم واعقل وليس عندى طفل الا وهو ممتلئ من العلوم وعندى عوض من كل واحد من المقتولين من فضلاء نوعه ما لا اقدر أن احصيه وكل واحد من عسكرى يقاوم كردوسا من عسكرك اما من جهة المال فان عندى معامل الذهب والفضة واما المعادن فانها عندى كقطع الحجارة واما اهل مملكتى فانى لا اقدر أن اصف لك حسنهم وجمالهم وغناهم فكيف تجاسرت علينا وقلت لنا ابن لى قصرا فى وسط البحر فان هذا امر عجيب ولعله ناشئ عن سخافة عقلك لانه لو كان لك عقل لكنت فحصت عن دفعات الامواج وحركات الرياح وانا ابنى لك القصر واما زعمك انك تظفر بى فحاش لله من ذلك كيف يبغى علينا امثالك ويظفر علكنا بل أن الله تعالى يظفرنى لكونك معتديا باغيا على بغير حق فاعلم انك انك قد استوجبت العذاب من الله ومنى ولكن أنا اخاف الله فيك فى رعيتك ولا أركب عليك الا بعد النذارة فان كنت تخشى الله فعجل لى بارسال خراج هذه السنة والا لا ارجع عن الركوب عليك ومعى الف الف ومائة الف مقاتل كلهم جبابرة بافيال فسر دتهم حول وزيرنا وآمره أن يقيم على محاصرتك ثلاث سنوات نظير الثلاثة ايام التى امهلتها القاصدك واتملك واتملك مملكتك بحيث لا اقتل منها احدا غير نفسك ولا اسبى منها غير حريمك ثم صور الغلام فى المكتوب صورته وكتب بجانبها أن هذا الجواب كتبه اصغر اولادى الكتاب ثم سلمه الى الملك فاعطاه الملك للساعى فاخذه الساعى وقبل يدى الملك ومضى من عنده شاكر الله تعالى وللملك على حلمه وانطلق وهو يتعجب مما رأى من حذق الغلام فلما وصل الى ملكه وكان دخوله عليه فى اليوم الثالث بعد الثلاثة أيام المحدودة له وكان الملك فى ذلك الوقت ناصب الديوان بسبب تأخير الساعى عن المدة المحدودة له فلما دخل عليه سجد بين يديه ثم أعطاه الكتاب فاخذه وسأل الساعي عن سبب ابطائه وعن أحوال الملك وردخان فقص عليه القصة وحكى له جميع ما نظره بعينه وسمعه باذنه فاند من عقل الملك وقال للساعي ويحك ماهذه الاخبار التى تخبرنى بها عن مثل هذا الملك فاجابه الساعي قائلا أيها الملك العزيز ها أنا بين يديك فافتح الكتاب واقرأه يظهر لك الصدق من الكذب فعند ذلك فتح الملك الكتاب وقرأه ونظر فيه صورة الغلام الذى كتبه فايقن بزوال ملكه وتحير فيما يكون من أمره ثم التفت الى وزرائه وعظماء دولته وأخبرهم بما جرى وقرأ عليهم الكتاب فارتاعوا لذلك وارتعبوا رعبا عظيما وصاروا يسكنون روع الملك بكلام من ظاهر اللسان وقلوبهم تتمزق من الخفقان ثم ان بديعا الوزير الكبير قال اعلم

أيها الملك ان الذي يقوله أخوتي من الوزراء لا فائدة فيه والرأي عندي انك تكتب لهذا الملك كتابا وتعتذر اليه فيه وتقول له أنا محب لك ولو الدك من قبلك وما أرسلنا اليك الساعي بهذا الكتاب الا على طريق الامتحان لك لننظر عزائمك وما عندك من الشجاعة والامور العملية والعلمية والزهو والبلاغية وما انت منطو عليه من الكمالات الكلية ونسأل الله تعالى ان يبارك لك في مملكتك ويشيد حصون مدينتك ويزيد في سلطانك حيثما كنت حافظا لنفسك فتتم أمور رعيتك وأرسله له مع ساع آخر فقال الملك والله العظيم ان هذا العجب أعظيما كيف يكون هذا أملك كاعظيما معتد الحرب بعد قتله لعلماء مملكته وأصحاب رأيه ورؤساء جنده وتكون مملكته عامرة بعد ذلك ويخرج منها هذه القوة العظيمة وأعجب من هذا ان صغار مكانتها يردون عن ملكها مثل هذا الجواب لكن أنا بسوء طمعي أشعلت هذه النار علي وعلى أهل مملكتي ولا أدري ما يطفئها الا رأي وزيري هذا ثم انه جهز هدية ثمينة وخدما وحشما كثيرة وكتب كتابا مضمونه بسم الله الرحمن أما بعد أيها الملك العزيز وردخان ولد الأخ العزيز جليعاد رحمه الله وأبقاك لقد حضر لنا كتابك فقرأناه وفهمنا ما فيه فرأينا فيه ما يسرنا وهذا غاية طلبنا لك من الله ونسأل الله ان يعلي شأنك ويشيد أركان مملكتك وينصرك على أعدائك الذين يريدون بك السوء واعلم أيها الملك ان أباك كان لي أخا وبيني وبينه عهود ومواثيق مدة حياته وما كان يرى منا الا خيرا وكنا نحن كذلك لا نرى منه الا خيرا ولما توفي وجلست أنت على كرسي مملكته حصل عندنا غاية الفرح والسرور ولما بلغني ما فعلت بوزرائك وأكابر دولتك خشينا أن يصل خبر ذلك الى ملك غيرنا فيطمع فيك وكنا نظن انك في غفلة عن مصالحك وحفظ حصونك ومهملا لامور مملكتك فكاتبناك بما ننبهك فلما رأيناك قد رددت لنا مثل هذا الجواب اطمأن قلبنا عليك متعك الله بملكك وجعلك معانا على شأنك والسلام ثم جهز له الهدية وأرسلها اليه مع مائة فارس وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٢٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان ملك الهند الاقصى لما جهز الهدية الى الملك وردخان أرسلها له مع مائة فارس فساروا الى أن أقبلوا علي الملك وردخان وسلموا عليه ثم أعطوه الكتاب فقرأه وفهم معناه ثم أنزل رئيس المائة فارس في محل يصلح له وأكرمه وقبل الهدية منه وشاع خبرها عند الناس وفرح الملك بذلك فرحا شديدا ثم أرسل الى الغلام ابن شماس واحضره بين يديه وأكرمه وارسل الي رئيس المائة فارس ثم طلب الكتاب الذي أحضره من ملكه وأعطاه للغلام ففتحه وقراه فسر الملك بذلك سرورا كبيرا وصار يعاتب رئيس المائة فارس وهو يقبل يديه ويعتذر اليه ويدعو اله بدوام البقاء وخلود النعم عليه فشكره على ذلك وأكرمه إكراما زائدا وأعطاه وأعطى جميع من معه ما يليق بهم وجهز معهم هدايا وأمر الغلام ان يكتب رد الجواب فعند ذلك كتب الغلام الجواب وأحسن الخطاب وأوجز في باب الصلح وذكر أدب الرسول ومن معه من الفرسان فلما تمم الكتاب عرضه على الملك فقال له الملك اقرأه أيها الولد العزيز لكي نعرف ما كتبت فيه فعند ذلك قرأ الغلام بحضرة المائة فارس فاعجب الملك هو وكل من حضر نظامه ومعناه ثم ختمه الملك وسلمه الى

رئيس المائة فارس وصرفه وأرسل معه من عسكره طائفة توصلهم الى أطراف بلادهم هذا ما كان من أمر الملك والغلام (وأما) ما كان من أمر رئيس المائة فارس فانه اندهش عقله مما رآه من أمر الغلام ومعرفته وشكر الله تعالى على قضاء مصلحته بسرعة وعلى قبول الصلح ثم انه سار الى ان وصل الى ملك أقصى الهند وقدم اليه الهدايا والتحف واوصل اليه العطايا وناوله الكتاب وأخبره بما نظر ففرح الملك بذلك فرحا شديدا وشكر الله تعالى واكرم رئيس المائة فارس وشكر همته على فعله ورفع درجته وصار من ذلك الوقت في امن وأمان وطمأنينة وزيادة انشراح هذا ما كان من أمر ملك أقصى الهند (وأما) ما كان من أمر الملك ورد خان فانه استقام مع الله ورجع عن طريقته الرديئة وتاب الى الله توبة خالصة عما كان فيه وترك النساء جملة ومال بكليته الى صلاح مملكته والنظر بخوف الله الى الرعية وجعل ابن شماس وزيرا عوضا عن والده وصاحب الرأي المقدم عنده في المملكة وكاتم السره وأمر بزينة مدينته سبعة أيام وكذلك بقية المدائن ففرحت الرعية بذلك وزوال الخوف والرعب عنها واستبشروا بالعدل والانصاف وابتهلوا بالدعاء للملك والوزير الذي أزال عنه وعنهم هذا الغم وبعد ذلك قال الملك للوزير ما الرأي عندك في اتقان المملكة واصلاح الرعية ورجوعها الى ما كانت عليه أولا من وجود الرؤساء والمدبرين فعند ذلك أجابه الوزير قائلا أيها الملك العزيز الشان الرأي عندي انك قبل كل شيء تبتدي بقطع أمر المعاصي من قلبك وتترك ما كنت فيه من اللهو والعسف والاشتغال بالنساء لانك ان رجعت الى أصل المعاصي تكون الضلالة الثانية أشد من الاولى فقال الملك وما هي أصل المعاصي التي ينبغي ان أقلع عنها فاجابه ذلك الوزير الصغير السن الكبير العقل قائلا أيها الملك الكبير اعلم ان اصل المعصية أتباع هوى النساء والميل اليهن وقبول رأيهن وتدبيرهن لان محبتهن تغير العقول الصافية وتفسد الطباع السليمة والشاهد على قولي من دلائل واضحة لو تفكرت فيها وتتبعت وقايعها بامعان النظر لوجدت لك ناصحا من نفسك واستغنيت عن قولي جملة فلا تشغل قلبك بذكرهن واقطع من ذهنك رسمهن لان الله تعالى أمر بعدم الاكثار منهن على يد نبيه موسى حتى قال بعض الملوك من الحكماء لولده ياولدي اذا استقمت في الملك من بعدي فلا تستكثر من النساء لئلا يضل قلبك ويفسد رأيك بالجملة فالاستكثار منهن يفضي الى حبهن وحبهن يفضي الى فساد الرأي والبرهان على ذلك ما جرى لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام الذي خصه الله بالعلم والحكمة والملك العظيم ولم يعط أحدا من الملوك الذين تقدموا مثل ما أعطاه فكانت النساء سببا لهفوة والده ومثل هذا كثير أيها الملك وانما ذكرت لك سليمان لتعرف انه ليس لاحد ان يملك مثل ما ملك حتى أطاعه جميع ملوك الارض واعلم أيها الملك ان محبة النساء أصل كل شر وليس لاحد منهن رأي فينبغي للانسان ان يقتصر منهن على قدر الضرورة ولا يميل اليهن كل الميل فان ذلك يوقعه في الفساد والهلكة فان أطعت قولي أيها الملك استقامت لك جميع أمورك وان تركته ندمت حيث لا ينفعك الندم فاجابه الملك قائلا لقد تركت ما كنت فيه من فرط الميل اليهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٢٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك ورد خان لما قال لوزيره اني قد تركت ما كنت فيه من الميل اليهن واعرضت عن الاشتغال بالنساء جميعاً ولكن ماذا اصنع اليهن جزاء ما فعلن لان قتل شماس والدك كان من كيدهن ولم يكن ذلك مرادي ولا عرفت كيف جرى لي في عقلي حتى وافقتهن على قتله ثم تأوه وصاح قائلاً واأسفاه على فقد وزيري وسداد رأيه وحسن تدبيره وعلى فقد نظرائه من الوزراء ورؤساء المملكة وحسن آرائهم الرشيد فاجابه الوزير قائلاً اعلم ايها الملك ان الذنب ليس للنساء وحدهن لانهن مثل بضاعة مستحسنة تميل اليها شهوات الناظرين فمن اشتهى واشترى باعوه ومن لم يشتر لم يجبره احد على الشراء ولكن الذنب لمن اشترى وخصوصاً إذا كان عارفاً بمضرة تلك البضاعة وقد حذرتك والدي من قبلي كان يحذرك ولم تقبل منه نصيحة فاجابه الملك اني اوجبت على نفسي الذنب كما قلت ايها الوزير ولا عذر لي الى التقادير الالهية فقال الوزير اعلم ايها الملك ان الله تعالى خلقنا وخلق لنا استطاعة وجعل لنا ارادة واختياراً فان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل ولم يامرنا الله بفعل ضرر لئلا يلزمنا ذنب فيجب علينا حساب فيما يكون لله صواباً لانه تعالى لا يأمرنا الا بالخير على سائر الاحوال وانما نهانا عن الشر ولكن نحن بارادتنا نفعل ما نفعله صواباً كان أو خطأ فقال له الملك صدقت وانما كان خطئي مني الميل الى الشهوات وقد حذرت نفسي من ذلك مراراً وحذرني والدك شماس مراراً فغلبت نفسي على عقلي فهل عندك شيء يمنعني عن ارتكاب هذا الخطأ حتى يكون عقلي غالباً على شهوات نفسي فاجاب الوزير نعم اني ارى شيئاً يمنعك عن ارتكاب هذا الخطأ وهو انك تنزع عنك ثوب الجهل وتلبس ثوب العدل وتعصي هواك وتطيع مولاك وترجع الى سيرة الملك العادل ابيك وتعمل ما يجب عليك من حقوق الله وحقوق رعيتك وتحافظ على دينك وعلى رعيتك وعلى سياسة نفسك وعلى عدم قتل رعيتك وتنظر في عواقب الامور وتنزل عن الظلم والجور والبغي والفساد وتستعمل العدل والانصاف والخضوع وتمتثل اوامر الله تعالى وتلازم الشفقة على خليقته الذين استخلفك عليهم وتواظب على ما يوجب دعاءهم لك لانك اذا أدام لك ذلك صفا وقتك وعفا الله برحمته عنك وجعلك مهاباً عند كل من يراك وتتلاشى أعداؤك ويهزم الله جيوشهم وتصير عند الله مقبولاً وعند خلقه مهاباً محبوباً فقال له الملك لقد أحييت فؤادي ونورت قلبي بكلامك الحلو وجلوت عين بصيرتي بعد العمى وأنا عازم على أن أفعل جميع ما ذكرته لي بمعونة الله تعالى واترك ما كنت عليه من البغي والشهوات واخرج نفسي من الضيق الى السعة ومن الخوف الى الامن وينبغي ان تكون بذلك فرحاً مسروراً لاني صرت لك ابناً مع كبر سني وصرت لي انت والداً حبيباً على صغر سنك وصار من الواجب على بذل المجهود فيما تأمرني به وأنا اشكر فضل الله تعالى وفضلك فان الله تعالى اولاني بك من النعم وحسن الهداية وسداد الرأي ما يدفع همي وغمي وقد حصلت سلامة رعيتي على يديك بشرف معرفتك وحسن تدبيرك فانت الآن مدبر المملكة لا اتشرف عليك بسوى الجلوس على الكرسي وكل ما تفعله جائز على ولا اردلك كلمتك وليس يفصلني منك الا الموت وجميع ما تملكه يدي لك التصرف فيه وان لم يكن لي

خلف تجلس علي تختي عوضا عني فانت اولى من جميع اهل مملكتي فاولئك ملكي بحضرة اكابر مملكتي واجعلك ولي عهدي من بعدي ان شاء الله تعالى وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٢٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك ورد خان قال لابن شماس الوزير سوف استخلفك عني واجعلك ولي عهدي من بعدي واشهد على ذلك أكابر مملكتي بعون الله تعالى ثم بعد ذلك دعا بكاتبه فحضر بين يديه فامره ان يكتب الى سائر كبراء دولته بالحضور اليه وجهر بالنداء في مدينته للحاضرين الخاص والعام وامر ان يجتمع الامراء والقواد والحجاب وسائر ارباب الخدم الى حضرة الملك وكذلك العلماء والحكماء وعمل الملك ديوانا عظيما وسماطا لم يعمل مثله قط وعزم جميع الناس من الخاص والعام فاجتمع الجميع على حظ واكل وشرب مدة شهر وبعد ذلك كسا جميع حاشيته وفقراء مملكته واعطى العلماء عطايا وافرة فاختار جملة من العلماء والحكماء بمعرفة ابن شماس وادخلهم عليه وامره ان ينتخب منهم سبعة ليجعلهم وزراء من تحت كلمته ويكون هو الرئيس عليهم فعند ذلك اختار الغلام ابن شماس منهم اكبرهم سنا واكملهم عقلا واكثرهم دراية واسرعهم حفظا ورأى من بهذه الصفات ستة اشخاص فقدمهم الى الملك والبسهم ثياب الوزراء وكلمهم قائلا انتم تكونون وزرائي تحت طاعة ابن شماس وجميع ما يقوله لكم او يأمركم به وزيري هذا ابن شماس لا تخرجوا عنه ابدا ولو كان هو اصغركم سنا لانه اكبركم عقلا ثم ان الملك اجلسهم على كراسي مزركشة على عادة الوزراء واجرى عليهم الارزاق والنفقات ثم امرهم ان ينتخبوا من اكابر الدولة الذين اجتمعوا عنده في الوليمة من يصلح لخدمة المملكة من الاجناد ليجعل منهم رؤساء الوف ورؤساء خمسين ورؤساء عشرات ورتب لهم المرتبات واجرى عليهم الارزاق على عادة الكبراء ففعلوا ذلك في اسرع وقت وامرهم ايضا ان ينعموا على بقية من حضر بالانعامات الجزيلة وأن يصرفوا كل واحد الى أرضه بعز وإكرام وأمر عماله بالعدل في الرعية وأوصاهم بالشفقة على الفقراء والاغنياء وأمر باسعافهم من الخزنة على قدر درجاتهم فدعا له الوزير بدوام العز والبقاء ثم انه أمر بزينة المدينة ثلاثة أيام شكرا لله تعالى على ما حصل له من التوفيق هذا ما كان من أمر الملك ووزيره ابن شماس في ترتيب المملكة وأمرائها وعمالها (وأما) ما كان من أمر النساء المحظيات من السراري وغيرهن اللاتي كن سببا لقتل الوزراء وفساد المملكة بحيلهن وخداعهن فانه لما انصرف جميع من كان في الديوان من المدينة والقرى الى محله واستقامت أمورهم أمر الملك الوزير الصغير السن الكبير العقل الذي هو ابن شماس أن يحضر بقية الوزراء وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٢٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك امر وزيره ابن شماس ان يحضر بقية الوزراء فلما حضروا جميعا بين يدي الملك اختلى بهم وقال لهم اعلموا أيها الوزراء اني كنت حائدا عن الطريق المستقيم مستغرقا في الجهل معرضا عن النصيحة ناقضا للعهود والمواثيق مخالفا لاهل

النصح وسبب ذلك كله ملاعبة هؤلاء النساء وخداعهن إياي وزخرفة كلامهن وباطلهن لي وقبولي لذلك لأني كنت أظن ان كلامهن نصح بسبب عذوبته ولينه فاذا هو سم قاتل والآن قد تقرر عندي انهن يردن لي الهلاك والتلف فقد استحققن العقوبة والجزاء مني لكن على جهة العدل حتى أجعلهن عبرة لمن اعتبر فما الرأي السديد في اهلاكهن فاجابه الوزير ابن شماس قائلا أيها الملك العظيم الشان انني قلت لك أولا الذنب ليس مختصا بالنساء وحدهن بل هو مشترك بينهن وبين الرجال الذين يطيعونهن لكن النساء يستوجبن الجزاء على كل حال لأمرين الاول تنفيذ قولك لكونك الملك الاعظم والثاني لتجاسرهن عليك وخداعهن لك وخوضهن فيما يعنيهن ولا يصلح لهن الخوض فيه فهن أحق بالهلاك ولكن كفاهن ما هو نازل بهن ومن الآن أجعلهن بمنزلة الخدم والأمر اليك في ذلك وغيره ثم أن بعض الوزراء أشار على الملك بما قاله ابن شماس وبعض الوزراء تقدم إلى الملك وسجد له وقال أدام الله أيام الملك أن كان لا بد أن تفعل بهن فعلة لهلاكهن فافعل ما أقوله لك فقال الملك ما الذي تقوله لي فقال له أن تأمر احدى محاظيك بان تأخذ النساء اللاتي خدعنك وتدخلهن البيت الذي حصل فيه قتل الوزراء والحكماء وتسجنهن هناك وتأمر أن يعطى لهن قليل من الطعام والشراب بقدر ما يمسك أبدانهن ولا يؤذن اليهن في الخروج من ذلك الموضع أصلا وكل من ماتت بنفسها تبقى بينهن على حالها إلى أن يمتن عن آخرهن وهذا أقل جزائهن لانهن كن سببا لهذه الفتنة العظيمة بل واصل جميع البلايا والفتن التي وقعت في هذا الزمان وصدق عليهن قول القائل أن من حفر بئرا لاخيه وقع فيها وما طالت سلامته فقبل الملك رأيه وفعل كما قال له وأرسل خلف أربع محظيات جبارات وسلم اليهن النساء وأمرهن أن يدخلن في محل القتلى ويسجنهن فيه وأجرى لهن طعاما دنيئا قليلا وشرابا رديئا قليلا فكان من أمرهن أنهن حزن حزنا عظيما وندمن على ما فرط منهن وتأسفن تأسفا كثيرا وأعطاهن الله جزاءهن في الدنيا من الخزي وأعد لهن العذاب في الآخرة ولم يزلن في ذلك الموضع المظلم المنتن الرائحة وفي كل يوم تموت ناس منهن حتى هلكن عن آخرهن وشاع خبر هذه الواقعة في جميع البلاد والاقطار وهذا ما انتهى اليه أمر الملك ووزرائه ورعيته والحمد لله مفني الامم ومحيي الرمم المستحق للتجليل والاعظام والتقديس على الدوام

﴿حكاية أبي قير وأبي صير﴾

﴿ومما يحكى أيضاً﴾ أن رجلين كانا في مدينة الاسكندرية وكان أحدهما صباغا واسمه أبو قير وكان الثاني مزينا واسمه أبو صير وكانا جارين لبعضهما في السوق وكان دكان المزين في جانب دكان الصباغ وكان الصباغ نصابا كذابا صاحب شر قوي كأنما صدغه منحوت من الجلمود أو مشتق من عتبة كنيسة اليهود لا يستحي من عيبة يفعلها بين الناس وكان من عادته أنه اذا أعطاه أحد قماشا لصبغه يطلب منه الكراء أولا ويوهمه أنه يشتري به أجزاء ليصبغ بها فيعطيه الكراء مقدما فاذا أخذه منه يصرفه على أكل وشرب ثم يبيع القماش الذي أخذه بعد ذهاب صاحبه ويصرف ثمنه في الأكل والشرب وغير ذلك ولا يأكل الا طيبا من أفخر المأكول ولا يشرب الا من أجود ما يذهب

فيقول فاذا أتاه صاحب القماش يقول له فى غد تجىء لى من قبل طلوع الشمس فتلقى حاجتك مصبوغه فيروح صاحب الحاجة ويقول فى نفسه يوم من يوم قريب ثم يأتيه فى ثانى يوم على الميعاد فيقول له تعال فى غد فانى أمس ما كنت فاضيا لانه كان عندى ضيوف فقمت بواجبهم حتى راحوا وفى غد قبل الشمس تعال خذ قماشك مصبوغا فيروح و يأتيه فى ثالث يوم فيقول له إنى كنت أمس معذورا لان زوجتى ولدت بالليل وطول النهار وانا أقضى مصالح ولكن فى غد من كل بد تعال خذ حاجتك مصبوغة فيأتى له على الميعاد فيطلع له بحيلة أخرى من حيث كان ويحلف له وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٣٨) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الصباغ صار كلما أتى له صاحب الشىء يطلع له بحيلة من حيث كان ويحلف له ولم يزل يعده ويخلف اذا جاءه حتى يقلق الزبون ويقول له كم تقول لى فى غد أعطنى حاجتى فانى لا أريد صبغها فيقول والله يا أخى أنا مستح منك ولكن أخبرك بالصحيح والله يؤذى كل من يؤذى الناس فى أمتعتهم فيقول له أخبرنى ماذا حصل فيقول أما حاجتك فانى صبغتها صبغا ليس له نظير ونشرتها على الحبل فسرقت ولا أدرى من سرقها فان كان صاحب الحاجة من أهل الخير يقول له يعوض الله على وان كان من أهل الشر يستمر معه فى هتيكة وجرسة ولا يحصل منه شىء ولو اشتكاه إلى الحاكم ولم يزل يفعل هذه الفعال حتى شاع ذكره بين الناس وصار الناس يحذر بعضهم من أبى قير ويضربون به الامثال وامتنعوا عنه جميعا وصار لا يقع معه الا الجاهل بحاله ومع ذلك لا بد له كل يوم من جرسه وهتيكة من خلق الله فحصل له كساد بهذا السبب فصار يأتى الى دكان جاره المزين أبى صير ويقعد فى داخلها قبال المصبغة فان رأى أحدا جاهلا بحاله واقفا على باب المصبغة ومعه شىء يريد صبغه يقوم من دكان المزين ويقول له مالك يا هذا فيقول له خذ أصبغ لى هذا الشىء فيقول له أى لون تطلبه لانه مع هذه الخصال الذميمة كان يخرج من يده أن يصبغ سائر الالوان ولكنه لم يصدق مع احد ابدا والشقاوة غالبة عليه ثم يأخذ الحاجة منه ويقول له هات الكراء قدام وفى غد تعال خذها فيعطيه الاجرة ويروح وبعد أن يتوجه صاحب الشىء الى حال سبيله يأخذ هو ذلك الشىء ويذهب الى السوق فيبيعه ويشترى بثمنه اللحم والخضار والدخان والفاكهة وما يحتاج اليه واذا رأى أحدا واقفا على الدكان من الذين أعطوه حاجة ليصبغها فلا يظهر اليه ولا يريه نفسه ودام على هذه الحالة سنين فاتفق له فى يوم من الايام أنه أخذ حاجة من رجل جبار ثم باعها وصرف ثمنها وصار صاحبها يجىء اليه فى كل يوم فلم يره فى الدكان لانه متى رأى أحدا له عنده شىء يهرب منه فى دكان المزين أبى صير فلما لم يجده ذلك الجبار فى دكانه وأعياه ذلك ذهب الى القاضى وأتاه برسول من طرفه وسمر باب الدكان بحضرة جماعة من المسلمين وختمه لانه لم ير فيها غير بعض مواجير مكسرة ولم يجد فيها شيأ يقوم مقام حاجته ثم أخذ الرسول المفتاح وقال للجيران قولوا له يجىء بحاجة هذا الرجل ويأتى ليأخذ مفتاح دكانه ثم ذهب الرجل والرسول الى حالهما فقال أبو صير لابى قير ما دهيتك فان كل من جاءك بحاجة تعدمه اياها أين راحت حاجة هذا الرجل الجبار قال له

يا جاري سرقت مني قال أبو صير عجائب كل من أعطاك حاجة يسرقها منك لص هل أنت معاد جميع اللصوص ولكن أظن أنك تكذب فاخبرني بقصتك يا جاري ما أحد سرق مني شيء فقال أبو صير وما تفعل في متاع الناس فقال له كل من أعطاني حاجة أبيعها وأصرف ثمنها فقال له أبو صير أيحل لك هذا من الله قال له أبو صير إنما أفعل هذا من الفقر لأن صنعتي كاسدة وأنا فقير وليس عندي شيء ثم صار يذكر له الكساد وقلة السبب وصار أبو صير يذكر له كساد صنعته أيضا ويقول أنا أسطى ليس لي نظير في هذه المدينة ولكن لا يحلق عندي أحد لكوني رجل فقيرا وكرهت هذه الصنعة يا أخي فقال له أبو قير الصباغ وأنا ايضا كرهت صنعتي من الكساد ولكن يا أخي ما الداعي لاقامتنا في هذه البلد فانا وانت نسافر منها نتفرج في بلاد الناس وصنعتنا في أيدينا رائجة في جميع البلاد فاذا سافرنا نشم الهواء ونرتاح من هذا الهم العظيم ومازال أبو قير يحسن السفر لابي صير حتى رغب في الارتحال ثم انهما اتفقا على السفر وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٩) قالت بلغني ايها الملك السعيد أن أبا قير مازال يحسن السفر لابي صير حتى رغب في الارتحال ثم انهما اتفقا على السفر وفرح أبو قير بان أبا صير رغب في أن يسافر وأنشد قول الشاعر

تغرب عن الاوطان في طلب العلا ... وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة ... وعلم وآداب وصحبة ماجد
وان قيل في الاسفار غم وكربة ... وتشتيت شمل وارتكاب شدائد
فموت الفتى خيرا له من حياته ... بدار هوان بين واش وحاسد

وحين عزما على السفر قال أبو قير لابي صير يا جاري نحن صرنا أخوين ولا فرق بيننا فينبغي أننا نقرأ الفاتحة على أن عمالنا يكتسب ويطعم بطالنا ومهما فضل نضعه في صندوق فاذا رجعنا الى الاسكندرية نقسمه بيننا بالحق والانصاف قال أبو صير وهو كذلك وقرأ الفاتحة على أن العمال يكتسب ويطعم البطال ثم أن أبا صير قفل الدكان وأعطى المفاتيح لصاحبها وأبو قير ترك المفاتيح عند رسول القاضي وترك الدكان مقفولة مختومة وأخذ مصالحهما وأصبح مسافرين ونزلا في غليون في البحر المالح وسافرا في ذلك النهار وحصل لهما اسعاف ومن تمام سعد المزين أن جميع من كان في الغليون لم يكن معهم أحد من المزينين وكان فيه مائة وعشرون رجلا غير الريس والبحرية ولما حلوا قلوع الغليون قام المزين وقال للصباغ يا أخي هذا بحر نحتاج فيه الى الاكل والشرب وليس معنا الا قليل من الزاد وربما يقول لي أحد تعال يا مزين احلق لي فأحلق له برغيف أو بنصف فضه او بشربة ماء فانتفع بذلك أنا وأنت فقال له الصباغ لا بأس ثم حط رأسه ونام وقام المزين وأخذ عدته والطاسه ووضع على كتفه خرقة تغني عن الفوطه لانه فقير وشق بين الركاب فقال له واحد تعال يا أسطى احلق لي فحلق له فلما حلق لذلك الرجل أعطاه نصف فضة فقال له المزين ليس لي حاجة بهذا النصف الفضة ولو كنت أعطيتني رغيفا كان أبرك في هذا البحر لان لي رفيقا وزادنا شيء قليل فاعطاه رغيفا وقطعة جبن وملأ

له الطاسة ماء حلوا فأخذ ذلك وأتى الى أبي قير وقال له خذ هذا الرغيف وكله بالجبن واشرب ما في الطاسة فأخذ ذلك منه وأكل وشرب ثم أن أباصير المزين بعد ذلك حمل عدته وأخذ الخرقة على كتفه والطاسة في يده وشق في الغليون بين الركاب خاق لانسان برغيفين ولآخر بقطعة جبن ووقع عليه الطلب وصاركل من يقول له احلق ياأسطى يشرط عليه رغيفين ونصف فضة وليس في الغليون مزين غيره فما جاء المغرب حتى جمع ثلاثين رغيفا وثلاثين نصف فضة وصار عنده جبن وزيتون وبطارخ وصار كلما طلب حاجة يعطونه اياها حتى صار عنده شيء كثير وحلق للقبطان وشكا له قلة الزاد في السفر فقال له القبطان مرحبا بك هات رفيقك في كل ليلة وتعشيا عندي ولا تحملا هما مادمتما مسافرين معنا ثم رجع الى الصباغ فرآه لم يزل نائما فأيقظه فلما أفاق أبو قير رأى عند رأسه شيء كثيرا من عيش وجبن وزيتون وبطارخ فقال له من أين لك ذلك فقال من فيض الله تعالى فأراد أن يأكل فقال له أبو صير لا تاكل ياأخي من هذا واتركه ينفعنا في وقت آخر واعلم اني حلقت للقبطان وشكوت اليه قلة الزوادة فقال لي مرحبا بك هات رفيقك كل ليلة وتعشيا عندي فأول عشائنا عند القبطان في هذه الليلة فقال له أبو قير أنا دائخ من البحر ولا أقدر أن أقوم من مكاني فدعني أتعشى من هذا الشيء ورح أنت وحدك عند القبطان فقال له لا بأس بذلك ثم جلس يتفرج عليه وهو يأكل فرآه يقطع اللقمة كما يقطع الحجارة من الجبل ويبتلعها ابتلاع الغول الذي له أيام ما أكل ويلقم اللقمة قبل ازدراد التي قبلها ويحملق عينيه فيما بين يديه حملقة الغول وينفخ مثل الثور الجائع على التبن والفول واذا بنوتي جاء وقال ياأسطى يقول لك القبطان هات رفيقك وتعال للعشاء فقال أبو صير لأبي قير اتقوم بنا فقال له أنا لا أقدر على المشي فراح المزين وحده فرأى القبطان جالسا وقدامه سفرة فيها عشرون لونا أو أكثر وهو وجماعته ينتظرون المزين ورفيقه فلما رآه القبطان قال له أين رفيقك فقال له ياسيدي انه دائخ من البحر فقال له القبطان لا بأس عليه ستزول عنه الدوخة تعال أنت تعش معنا فاني كنت في انتظارك ثم أن القبطان عزل صحنا وحط فيه من كل لون فصار يكفي عشرة وبعد أن تعشى المزين قال له القبطان خذ هذا الصحن معك إلى رفيقك فأخذه أبو صير وأتى إلى أبي قير فرآه يطحن بأنيابه فيما عنده من الأكل مثل الجمل ويلحق اللقمة باللقمة على عجل فقال له أبو صير ما قلت لك لا تأكل فان القبطان خيره كثير فانظر أي شيء بعث به اليك لما أخبرته أنك دائخ فقال هات فناوله الصحن فأخذه منه وهو ملهوف عليه وعلى غيره من الأكل مثل الكلب الكاسر أو السبع الكاسر أو الرخ إذا انقض على الحمام أو الذي كاد أن يموت من الجوع ورأى شيأ من الطعام وصار يأكل فتركه أبو صير وراح إلى القبطان وشرب القهوة هناك ثم رجع إلى أبي قير فرآه قد أكل جميع ما في الصحن ورماه فارغا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

(وفي ليلة ٩٣٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن أباصير لما رجع إلى أبي قير رآه قد أكل ما في الصحن ورماه فارغا فأخذه وأوصله إلى اتباع القبطان ورجع الى أبي قير ونام إلى الصباح فلما كان ثاني الايام صار أبو صير يحلق وكلما جاءه شيء يعطيه لأبي قير وأبو قير يأكل ويشرب وهو قاعد لا يقوم إلا

لازالة الضرورة وكل ليلة يأتي له بصحن ملآن من عند القبطان واستمرا على هذه الحالة عشرين يوما حتى رسا الغليون على مينة مدينة فطلعا من الغليون ودخلا تلك المدينة وأخذا لهما حجرة في خان وفرشها أبو صير واشترى جميع ما يحتاجان اليه وجاء بلحم وطبخه وأبو قير نائم من حين دخل الحجرة ولم يستيقظ حتى ايقظه أبو صير ووضع السفرة بين يديه فلما أفاق أكل وبعد ذلك قال له لا تؤاخذني فاني دايخ ثم نام واستمر على هذه الحالة أربعين يوما وكل يوم يحمل المزين العدة ويدور في المدينة فيعمل بالذي فيه النصيب ويرجع فيجد أبا قير نائما فينبهه وحين ينتبه يقبل على الأكل بلهفه فيأكل أكل من لا يشبع ولا يقنع ثم ينام ولم يزل كذلك مدة أربعين يوما أخرى وكلما يقول له أبو صير اجلس ارتاح واخرج تفسح في المدينة فانها فرجة وبهجة وليس لها نظير في المدائن يقول له أبو قير الصباغ لا تؤاخذني اني دايخ فلا يرضى أبو صير المزين أن يكدر خاطره ولا يسمعه كلمة تؤذيه وفي اليوم الحادي والاربعين مرض المزين ولم يقدر أن يسرح فسخر بواب الخان فقضى لهما حاجتهما وأتى لهما بما يأكلان وما يشربان كل ذلك وأبو قير يأكل وينام وما زال المزين يسخر بواب الخان في قضاء حاجته مدة أربعة أيام وبعد ذلك اشتد المرض على المزين حتى غاب عن الوجود من شدة مرضه وأما أبو قير فانه أحرقه الجوع فقام وفتش في ثياب أبي صير فرأى معه مقدارا من الدراهم فأخذه وقفل باب الحجرة على أبي صير ومضى ولم يعلم أحدا وكان البواب في السوق فلم يره حين خروجه ثم أن أبا قير عمد إلى السوق وكسا نفسه ثيابا نفيسة وصار يدور في المدينة ويتفرج فرآها مدينة ما وجد مثلها في المدائن وجميع ملبوسها أبيض وأزرق من غير زيادة فأتى الى صباغ فرأى جميع ما في دكانه أزرق فاخرج له محرمة وقال له يا معلم خذ هذه المحرمة واصبغها وخذ أجرتك فقال له ان أجرة صبغ هذه عشرون درهما فقال له نحن نصبغ هذه في بلادنا بدرهمين فقال رح اصبغها في بلادكم وأما أنا فلا اصبغها إلا بعشرين درهما لا تنقص عن هذا القدر شيأ فقال له أبو قير أي لون تريد صبغها فقال له الصباغ زرقاء قال له أبو قير أنا مرادي أن تصبغها لي حمراء قال له لا أدري صباغ الاحمر قال خضراء قال لا أدري صباغ الاخضر قال صفراء قال له لا أدري صباغ الاصفر وصار أبو قير يعد له الالوان لونا بعد لون فقال له الصباغ نحن في بلادنا أربعون معلما لا يزيدون واحدا ولا ينقصون واحدا وإذا مات منا واحد نعلم ولده وان لم يخلف ولدا نبقى ناقصين واحدا والذي له ولدان نعلم واحدا منهما فان مات علمنا أخاه وصنعتنا هذه مضبوطة ولا نعرف أن نصبغ غير الازرق من غير زيادة فقال له أبو قير الصباغ اعلم اني صباغ واعرف أن اصبغ سائر الالوان ومرادي ان تخدمني عندك بالاجرة وأنا أعلمك جميع الالوان لاجل أن تفتخر بها على كل طائفة من الصباغين فقال له نحن لا نقبل غريبا يدخل في صنعتنا أبدا فقال له وإذا فتحت لي مصبغة وحدي فقال له لا يمكنك ذلك أبدا فتركه وتوجه إلى الثاني فقال له كما قال له الاول ولم يزل ينتقل من صباغ إلى صباغ حتى طاف على الاربعين معلما فلم يقبلوه لا أجيرا ولا معلما فتوجه الى شيخ الصباغين واخبره فقال له انا لا نقبل غريبا يدخل في صنعتنا فحصل عند أبي قير غيظ عظيم وطلع يشكو الى ملك تلك المدينة وقال له يا ملك الزمان أنا

غريب وصنعتي الصباغة وجرى لي مع الصباغين ما هو كذا وكذا وأنا أصبغ الاحمر ألوانا مختلفة كوردي وعنابي والاخضر ألوانا مختلفة كزرعي وفستقي وزيتي وجناح الدرة والاسود ألوانا مختلفة كفحمي وكحلي والاصفر ألوانا مختلفة كنارنجي وليموني وصار يذكر له سائر الالوان ثم قال يا ملك الزمان كل الصباغين الذين في مدينتك لا يخرج من ايديهم أن يصبغوا شيأ من هذه الالوان ولا يعرفون الاصبغ الازرق ولم يقبلوني ان أكون عندهم معلما ولا أجيرا فقال له الملك صدقت في ذلك ولكن انا افتح لك مصبغة وأعطيك راس مال وما عليك منهم وكل من تعرض لك شنقته على باب دكانه ثم أمر البنائين وقال لهم امضوا مع هذا المعلم وشقوا أنتم واياه في المدينة واي مكان أعجبه فاخرجوا صاحبه منه سواء كان دكانا أو خانا أو غير ذلك وابنوا له مصبغة على مراده ومهما أمركم به فافعلوه ولا تخالفوه فيما يقول ثم أن الملك ألبسه بدلة مليحة وأعطاه ألف دينار وقال له اصرفها على نفسك حتى تتم البناية وأعطاه مملوكين من أجل الخدمة وحصانا بعدة مزركشة فلبس البدلة وركب الحصان وصار كانه أمير واخلى له الملك بيتا وأمر بفرشه ففرشوه له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٣١) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الملك أخلى بيتا لابي قير وأمر بفرشه ففرشوه له وسكن فيه وركب في ثاني يوم وشق في المدينة والمهندسون قدامه ولم يزل يتامل حتى أعجبه مكان فقال هذا المكان طيب فاخرجوا صاحبه منه وأحضروه الى الملك فاعطاه ثمن مكانه زيادة على ما يرضيه ودارت فيه البناية وصار أبو قير يقول للبنائين ابنوا كذا وكذا وافعلوا كذا وكذا حتى بنوا له مصبغة ليس لها نظير ثم حضر الى الملك واخبره بان المصبغة تم بناؤها وانما يحتاج لثمن الصباغ من أجل ادارتها فقال له الملك خذ هذه الاربعة آلاف دينار واجعلها رأس مال وأرني ثمرة مصبغتك فاخذها ومضى الى السوق فرأى النيلة كثيرة وليس لها ثمن فاشترى جميع ما يحتاج اليه من حوائج الصباغة ثم أن الملك أرسل اليه خمسمائة شقة من القماش فدور الصبغ فيها وصبغها من سائر الالوان ثم نشرها قدام باب المصبغة فلما مر الناس عليها رأوا شيأ عجيبا عمرهم ما رأوا مثله فازدحمت الخلائق على باب المصبغة وصاروا يتفرجون ويسألونه ويقولون له يا معلم ما اسم هذه الالوان فيقول لهم هذا أحمر وهذا أصفر وهذا أخضر ويذكر لهم أسامي الالوان فصاروا يأتونه بشيء من القماش ويقولون له اصبغ لنا مثل هذا وهذا وخذ ما تطلب ولما فرغ من صباغ قماش الملك أخذه وطلع به الى الديوان فلما رأى الملك ذلك الصباغ فرح به وانعم عليه انعاما زائدا وصار جميع العسكر يأتون اليه بالقماش ويقولون له اصبغ لنا هكذا فيصبغ لهم على اغراضهم ويرمون عليه بالذهب والفضة ثم أنه شاع ذكره وسميت مصبغته مصبغة السلطان ودخل عليه الخير من كل باب وجميع الصباغين لم يقدر أحد منهم ان يتكلم معه وانما كانوا يأتونه ويقبلون يديه ويعتذرون اليه مما سبق منهم في حقه ويعرضون أنفسهم عليه ويقولون له اجعلنا خدما عندك فلم يرض ان يقبل واحدا منهم وصار عنده عبيد وجوار وجمع مالا كثيرا هذا ما كان من أمر أبي قير (واما) ما كان من أمر ابي صير فانه لما قفل

عليه أبو قير باب الحجرة بعد أن أخذ دراهمه وراح وخلاه وهو مريض غائب عن الوجود فصار مرميا في تلك الحجرة والباب مقفول عليه واستمر على ذلك ثلاثة أيام فانتبه بواب الخان الى باب الحجرة فرآه مقفولا ولم يرا حدا من هذين الاثنين الى المغرب ولم يعلم لهما خبرا فقال في نفسه لعلهما سافروا ولم يدفعا اجرة الحجرة أو ماتا أو ما خبرهما ثم أنه أتى إلى باب الحجرة فرآه مقفولا وسمع انين المزين في داخلها ورأي المفتاح في الضبة ففتح الباب ودخل فرأي المزين يئن فقال له لا بأس عليك أين رفيقك فقال له والله اني ما افقت من مرضي إلا في هذا اليوم وصرت أنادي فما أحد رد على جوابا بالله عليك يا أخي أن تنظر الكيس تحت راسي وتاخذ منه خمسة انصاف وتشتري لي بها شيئا اقتات به فاني في غاية الجوع فمد يده وأخذ الكيس فرآه فارغا فقال للمزين أن الكيس فارغ ما فيه شيء فعرف أبو صير المزين أن أبا قير اخذ ما فيه وهرب فقال له أما رأيت رفيقي فقال له من مدة ثلاثة أيام ما رأيته وما كنت اظن إلا أنك سافرت أنت واياه فقال له المزين ما سافرنا وانما طمع في فلوسي فأخذها وهرب حين رآني مريضا ثم أنه بكى وانتحب فقال له بواب الخان لا باس عليك وهو يلقى فعله من الله ثم أن بواب الخان راح وطبخ له شربة وغرف له صحنا وأعطاه اياه ولم يزل يتعهده مدة شهرين وهو يكلفه من كيسه حتى عرق وشفاه الله من المرض الذي كان به ثم قام على أقدامه وقال لبواب الخان أن أقدرني الله تعالى جازيتك على ما فعلته معي من الخير ولكن لا يجازي إلا الله من فضله فقال له بواب الخان الحمد لله على العافية انا ما فعلت معك ذلك إلا ابتغاء وجه الله الكريم ثم أن المزين خرج من الخان وشق في الاسواق فاتت به المقادير إلى السوق الذي فيه مصبغة أبي قير فرأى الاقمشة ملونة بالصباغ منشورة في باب المصبغة والخلائق مزدحمة يتفرجون عليها فسأل رجلا من أهل المدينة وقال له ما هذا المكان ومالي أرى الناس مزدحمين فقال له المسؤل ان هذه مصبغة السلطان التي انشاها رجل غريب اسمه أبو قير وكلما صبغ ثوبا نجتمع عليه ونتفرج على صبغه لان بلادنا ما فيها صباغون يعرفون صبغ هذه الالوان وجرى له مع الصباغين الذين في البلد ما جرى واخبره بما جرى بين أبي قير وبين الصباغين وأنه شكاهم الى السلطان فاخذ بيده وبنى له هذه المصبغة وأعطاه كذا وكذا واخبره بكل ما جرى ففرح أبو صير وقال في نفسه الحمد لله الذي فتح عليه وصار معلما والرجل معذور لعله تلهى عنك بالصنعة ونسيك ولكن أنت عملت معه معروفا واكرمته وهو بطال فمتى رآك فرح بك واكرمك في نظير ما اكرمته ثم أنه تقدم الى جهة باب المصبغة فرأي أبا قير جالسا على مرتبة عالية فوق مصطبة في باب المصبغة وعليه بدلة من ملابس الملوك وقدامه أربعة عبيد وأربعة مماليك يلبسون أفخر الملابس ورأى الصنائعية عشرة عبيد واقفين يشتغلون لانه حين اشتراهم علمهم الصباغة وهو قاعد بين المخدات كانه وزير اعظم او ملك افخم لا يعمل شيا بيده وانما يقول لهم افعلوا كذا وكذا فوقف ابو صير قدامه وهو يظن أنه اذا رآه يفرح به ويسلم عليه ويكرمه ويأخذ بخاطره فلما وقعت العين في العين قال له أبو قير يا خبيث كم مرة وأنا أقول لك لا تقف في باب هذا الدولاب مرادك ان تفضحني مع الناس يا حرامي امسكوه فجرت خلفه العبيد وقبضوا عليه وقام ابو قير على

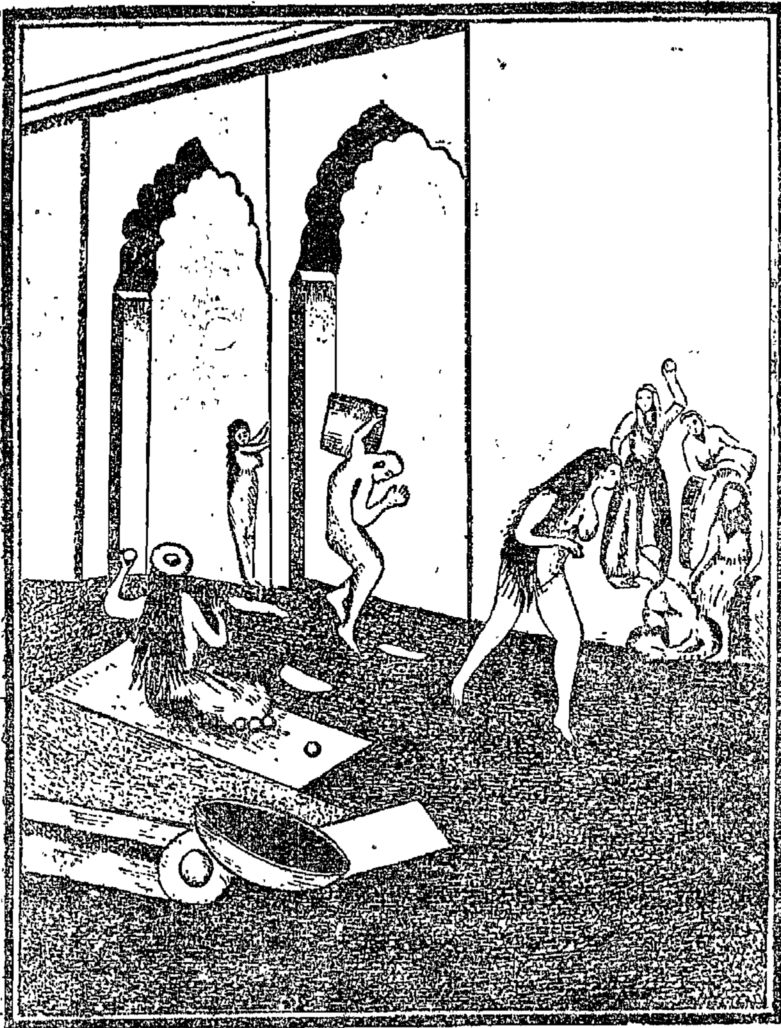
حيلة وأخذ عصا وقال ارموه فرموه فضربه على ظهره مائة ثم قلبوه فضربه على بطنه مائة وقال يا خبيث يا خائن ان نظرتك بعد هذا اليوم واقفا على باب هذه المصبغة ارسلتك الى الملك في الحال فيسلمك الى الوالي ليرمي عنقك امش لا بارك الله لك فذهب من عنده مكسور الخاطر بسبب ما حصل له من الضرب والتذليل فقال الحاضرون لابي قير الصباغ اى شيء عمل هذا الرجل فقال لهم انه حرامي يسرق أقمشة الناس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٣٢) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان أبا قير ضرب أبا صير وطرده وقال للناس ان هذا حرامي يسرق أقمشة الناس فانه سرق مني كم مرة من القماش وأنا أقول في نفسي سامحه الله فانه رجل فقير ولم أرض أن أشوش عليه وأعطي الناس ثمن أقمشتهم وأنهاه بلطف فلم ينته فان رجع مرة غير هذه المرة أرسلته الى الملك فيقتله ويريح الناس من أذاه فصار الناس يشتمونه بعد ذهابه هذا ما كان من أمر أبي قير (وأما) ما كان من أمر أبي صير فانه رجع الى الخان وجلس يتفكر فيما فعل به أبو قير ولم يزل جالسا حتى برد عليه الضرب ثم خرج وشق في أسواق المدينة فخطر بباله أن يدخل الحمام فسأل رجلا من أهل المدينة وقال له يا أخي من أين طريق الحمام فقال له وموضع تغتسل فيه الناس فقال له عليك بالبحر قال أنا مرادي يزيلون ما عليهم من الاوساخ وهو من أطيب طيبات الدنيا فقال له عليك بالبحر قال أنا مرادي الحمام قال له نحن لا نعرف الحمام كيف يكون فاننا كلنا نروح الى البحر حتى الملك اذا أراد أن يغتسل فانه يروح الى البحر فلما علم أبو صير أن المدينة ليس فيها حماما وأهلها لا يعرفون الحمام ولا كيفيته مشى الى الملك ودخل عليه وقبل الارض بين يديه ودعا له وقال له أنا رجل غريب البلاد وصنعتي حمامي فدخلت مدينتك وأردت الذهاب الى الحمام فما رأيت فيها ولا حماما واحدا والمدينة التي تكون بهذه الصفة الجميلة كيف تكون من غير حمام مع أنه من أحسن نعيم الدنيا فقال له الملك أي شيء يكون الحمام فصار يحكي له أوصافه وقال له لا تكون مدينتك مدينة كاملة الا اذا كان بها حمام فقال له مرحبا بك وألبسه بدلة ليس لها نظير وأعطاه حصانا وعبيدين ثم أنعم عليه بأربع جوار ومملوكين وهيأ له دارا مفروشة وأكرمه أكثر من الصباغ وأرسل معه البنائين وقال لهم الموضع الذي يعجبه ابنوا له فيه حماما فأخذهم وشق بهم في وسط المدينة حتى أعجبه مكان فأشار لهم اليه فدوروا فيه البناية وصار يرشدهم الى كيفيته حتى بنوا له حماما ليس له نظير ثم أمرهم بنقشه فنقشوه نقشا عجيبا حتى صار بهجة للناظرين ثم طلع الى الملك وأخبره بفراغ بناء الحمام ونقشه وقال له انه ليس ناقصا غير الفرش فأعطاه الملك عشرة آلاف دينار فأخذها وفرش الحمام وصف فيه الفوط على الحبال وصار كل من مر على باب الحمام يشخص له ببصره ويحتار فكره في نقشه وازدحمت الخلائق على ذلك الشيء الذي ما رأوا مثله في عمرهم وصاروا يتفرجون عليه ويقولون أي شيء هذا فيقول لهم أبو صير حمام فيتعجبون منه ثم أنه سخن الماء ودور الحمام وعمل سلسبيلا في الفسقية يأخذ عقل كل من رآه من أهل المدينة وطلب من الملك عشرة مماليك دون البلوغ فأعطاه عشرة مماليك مثل الاقمار فصار يكبسهم ويقول لهم افعلوا مع الزبائن هكذا ثم أطلق البخور وأرسل مناديا ينادي في المدينة ويقول

ياخلائق الله عليكم بالحمام فانه يسمى حمام السلطان فاقبلت عليه الخلائق وجعل يأمر المماليك أن يغسلوا أجساد الناس وصارت الناس ينزلون المغطس ويطلعون وبعد طلوعهم يجلسون فى الليوان والمماليك تكبسهم مثل ماعلمهم أبو صير واستمر الناس يدخلون الحمام ويقضون حاجتهم منه ثم يخرجون بلا أجرة مدة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع عزم الملك على الذهاب الى الحمام فركب هو وأكابر دولته وتوجهوا الى الحمام فقلع ودخل فدخل أبو صير وكبس الملك وأخرج من جسده الوسخ مثل الفتايل وصار يريه له ففرح الملك وصار لوضع يده على بدنه صوت من النعومة والنظافة وبعد أن غسل جسده مزج له ماء الورد بماء المغطس فنزل الملك فى المغطس ثم خرج وجسده قد ترطب فحصل له نشاط عمره مارآه ثم بعد ذلك أجلسه فى الليوان وصار المماليك يكبسونه والمباخر تفوح بالعود والند فقال الملك يامعلم أهذا هو الحمام قال نعم فقال له وحياة رأسى أن مدينتى ماصارت مدينة الا بهذا الحمام ثم قال له أنت تأخذ على كل رأس أى شىء أجرة قال أبو صير الذى تأمر لى به آخذه فأمر له بألف دينار وقال له كل من اغتسل عندك خذ منه ألف دينار فقال العفو ياملك الزمان ان الناس ليسوا سواء بل فيهم الغنى وفيهم الفقير واذا أخذت من كل واحد ألف دينار يبطل الحمام فان الفقير لا يقدر على الألف دينار قال الملك وكيف تعمل فى الاجرة قال أجعل الاجرة بالمروءة فكل من يقدر على شىء سمحت به نفسه يعطيه فنأخذ من كل انسان على قدر حاله فان الامر اذا كان كذلك تأتى الينا الخلائق والذى يكون غنيا يعطى على قدر مقامه والذى يكون فقيرا يعطى على قدر ما تسمح به نفسه فاذا كان الامر كذلك يدور الحمام ويبقى له شأن عظيم وأما الألف دينار فانها عطية الملك ولا يقدر عليها كل احد فصدق عليه أكابر الدولة وقالوا هذا هو الحق ياملك الزمان أتحسب أن الناس كلهم مثلك أيها الملك العزيز قال الملك ان كلامكم صحيح ولكن هذا رجل غريب فقير واكرامه واجب علينا فانه عمل فى مدينتنا هذا الحمام الذى عمرنا ما رأينا مثله ولا تزينت مدينتنا وصار لها شأن الا به فاذا اكرمناه بزيادة الاجرة ما هو كثير فقالوا اذا كنت تكرمه فاكرمه من مالك واكرام الفقير من الملك بقلة أجرة الحمام لاجل أن تدعو لك الرعية وأما الالف دينار فنحن أكابر دولتك ولا تسمح انفسنا بعطائها فكيف تسمح بذلك نفوس الفقراء فقال الملك ياأكابر دولتى كل منكم يعطيه فى هذه المرة مائة دينار ومملوكا وجارية وعبدا فقالوا نعم نعطيه ذلك ولكن بعد هذا اليوم كل من دخل لا يعطيه الا ما تسمح به نفسه فقال لا بأس بذلك فجعلت الاكابر يعطيه كل واحد منهم مائة دينار وجارية ومملوكا وعبدا وكان عدد الاكابر الذين اغتسلوا مع الملك فى هذا اليوم أربعمائة نفس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٣٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أنه كان عدد الاكابر الذين اغتسلوا مع الملك فى هذا اليوم أربعمائة نفس فصار جملة ما اعطوه من الدنانير أربعين الف دينار ومن المماليك اربعمائة مملوك ومن العبيد أربعمائة عبد ومن الجوارى اربعمائة جارية وناهيك بهذه العطية وأعطاه الملك عشرة آلاف دينار وعشرة مماليك وعشرة جوارى وعشرة عبيد فتقدم أبو صير وقبل الارض بين

أيادى الملك وقال له أيها الملك السعيد صاحب الرأي الرشيد أى مكان يسعني بهذه المماليك والجوارى والعبيد فقال له الملك أنا ما أمرت دولتى بذلك الا لأجل أن نجمع لك مقداراً عظيما من المال لانك ربما تفكرت بلادك وعيالك واشتقت اليهم وأردت السفر الى أوطانك فتكون أخذته من بلادنا مقداراً جسيما من المال تستعين به على وقتك فى بلادك قال يا ملك الزمان أعزك الله أن هذه المماليك والجوارى والعبيد الكثيرة شأن الملوك ولو كنت أمرت لى بمال نقد لكان خير لى من هذا الجيش فانهم يأكلون ويشربون ويلبسون ومهما حصلته من المال لا يكفيهم فى الانفاق عليهم فضحك الملك وقال والله انك صدقت فانهم صاروا عسكر جرار وأنت ليس لك مقدرة على الانفاق عليهم ولكن أتبيعهم لى كل واحد بمائة دينار فقال بعتك اياهم بالثمن فأرسل الملك الى الخازندار ليحضر له المال فأحضره وأعطاه ثمن الجميع بالتمام والكمال ثم بعد ذلك أنعم بهم على أصحابهم وقال كل من يعرف عبده أو جاريته أو مملوكه فليأخذه فانهم هدية منى اليكم فامتثلوا أمر الملك وأخذ كل واحد منهم ما يخصه فقال له أبو صير أراحك الله يا ملك الزمان كما أرحتنى من هؤلاء الغيلان الذين لا يقدر أن يشبعهم الا الله فضحك الملك من كلامه وتصدق عليه ثم أخذ أكابر دولته وذهب من الحمام الى سرايته وبات تلك الليلة أبو صير وهو يصر الذهب ويضعه فى الاكياس ويختم عليه وكان عنده عشرون عبدا وعشرون مملوكا وأربع جوارى برسم الخدمة فلما أصبح الصباح فتح الحمام وارسل مناديا ينادى ويقول كل من دخل الحمام واغتسل فانه يعطى ما تسمح به نفسه وما تقتضيه مروءته وقعد أبو صير عند الصندوق وهجمت عليه الزبائن وصار كل من طلع يحط الذى يهون عليه فما أمسى المساء حتى امتلا الصندوق من خيرات الله تعالى ثم أن الملكة طلبت دخول الحمام فلما بلغ أبا صير ذلك قسم النهار من أجلها قسمين وجعل من الفجر الى الظهر الرجال ومن الظهر الى المغرب النساء ولما أتت الملكة أوقف جارية خلف الصندوق وكان علم أربع جوار البلانة حتى صرن بلانات ماهرات فلما أعجبها ذلك وانشرح صدرها حطت الف دينار وشاع ذكره فى المدينة وصار كل من دخل يكرمه سواء غنيا او فقيرا فدخل عليه الخير من كل باب وتعرف باعوان الملك وصار الملك يأتى اليه فى الجمعة يوما ويعطيه الف دينار وبقية أيام الجمعة للاكابر والفقراء وصار يأخذ بخاطر الناس ويلاطفهم غاية الملاطفة فاتفق أن قبطان الملك دخل عليه يوما من الايام فقلع أبو صير ودخل معه وصار يكبسه ويلاطفه ملاطفة زائدة ولما خرج من الحمام عمل له الشربات والقهوة فلما أراد أن يعطيه شيأ حلف انه لا يأخذ منه شيئا فحمل القبطان جميله لما رأى من مزيد لطفه به واحسانه اليه وصار متحيرا فيما يهديه الى ذلك الحمامى فى نظير اكرامه له هذا ما كان من أمر أبى صير (وأما) ما كان من أمر أبى قير فانه لما سمع جميع الخلائق يلهجون بذكر الحمام وكل منهم يقول ان هذا الحمام نعيم الدنيا بلا شك ان شاء الله يا فلان تدخل بنا غدا هذا الحمام النفيس فقال أبو قير فى نفسه لا بد أن أروح مثل الناس وانظر هذا الحمام الذى أخذ عقول الناس ثم انه لبس افخر ما كان عنده من الملابس وركب بغلة واخذ معه اربع عبيد واربع مماليك يمشون خلفه وقدامه وتوجه الى الحمام ثم انه نزل فى باب الحمام فلما



﴿ الملكة وهي تعطي الالف دينار الى الجارية التي قاعدة بجوار الصندوق في الحمام ﴾

صار عند الباب شم رائحة العود والند ورأى ناسا داخلين وناسا خارجين ورأى المساطب ملآنة من الاكابر والاصغار فدخل الدهليز فرآه أبو صير فقام اليه وفرح به فقال له أبو قير هل هذا شرط اولاد الحلال وانا فتحت لي مصبغة وبقيت معلم البلد وتعرفت بالملك وصرت في سعادة وسيادة وأنت لا تأتي عندي ولا تسأل عني ولا تقول اين رفيقي وانا عجزت وانا أفتش عليك وابعث عبيدي ومماليكي يفتشون عليك في الخانات وفي سائر الاماكن فلا يعرفون طريقك ولا أحد يخبرني بخبرك فقال له أبو صير اما جئت اليك وعملتني لصا وضربتني وهتكتني بين الناس فاغتم أبو قير وقال اي شيء هذا الكلام هل هو أنت الذي ضربتك فقال أبو صير نعم هو أنا فحلف له أبو قير الف يمين أنه ما عرفه

وقال انما كان واحد شبيهك يأتي في كل يوم ويسترق قماش الناس فظننت انك هو وصار يتندم ويضرب كفا على كف ويقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قد أسأناك ولكن يا ليتك عرفتني بنفسك وقلت انا فلان فالعيب عندك لكونك لم تعرفني خصوصا وأنا مدهوش من كثرة الاشغال فقال له أبو صير سامحك الله يا رفيقي وهذا الشيء كان مقدارا في الغيب والجبر على الله ادخل اقلع ثيابك واغتسل وانبسط فقال له بالله عليك ان تسامحني يا أخي فقال له ابرأ الله ذمتك وسامحك فانه كان أمرا مقدرا علي في الازل ثم قال له ابو قير ومن اين لك هذه السيادة فقال له الذي فتح عليك فتح علي فاني طلعت الى الملك وأخبرته بشأن الحمام فامر ببنائه فقال له وكما أنك معرفة الملك فانا الآخر معرفته وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٣٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان ابا قير لما عاتب هو وابو صير قال له كما انت معرفة الملك أنا الآخر معرفته وان شاء الله تعالى انا أخليه يحبك ويكرمك زيادة على هذا الاكرام من أجلي فانه لم يعرف انك رفيقي فأنا أعرفه بانك رفيقي وأوصيه عليك فقال له ما احتاج الى وصية فان المحنن موجود وقد أحبني الملك هو وجميع دولته واعطاني كذا وكذا وأخبره بالخبر ثم قال له اقلع ثيابك خلف الصندوق وادخل الحمام وانا أدخل معك لاجل ان أكبسك فخلع ما عليه ودخل الحمام ودخل معه أبو صير وكبسه وصبنه والبسه واشتغل به حتى خرج فلما خرج أحضر له الغداء والشربات وصار جميع الناس يتعجبون من كثرة اكرامه له ثم بعد ذلك أراد أبو قير ان يعطيه شيئا فحلف انه لا يأخذ منه شيئا وقال له استحي من هذا الامر وانت رفيقي وليس بيننا فرق ثم ان أبا قير قال لابي صير يا رفيقي والله ان هذا الحمام عظيم ولكن صنعتك فيه ناقصة فقال له وما نقصها فقال له الدواء الذي هو عقد الزرنيخ والجير الذي يزيل الشعر بسهولة فاعمل هذا الدواء فاذا أتى الملك فقدمه اليه وعلمه كيف يسقط به الشعر فيحبك حبا شديدا ويكرمك فقال له صدقت ان شاء الله أصنع ذلك ثم ان أبا قير خرج وركب بغلته وذهب الى الملك ودخل عليه وقال له انا ناصح لك يا ملك الزمان فقال له وما نصيحتك فقال بلغني خبر وهو انك بنيت حماما قال نعم قد أتاني رجل غريب فانشأته له كما انشأت لك هذه المصبغة وهو حمام عظيم وقد تزينت مدينتي به وصار يذكر له محاسن ذلك الحمام فقال له ابو قير وهل دخلته قال نعم قال الحمد لله الذي نجاك من شر هذا الخبيث عدو الدين وهو الحمامي فقال له الملك وما شأنه قال له ابو قير اعلم يا ملك الزمان انك ان دخلته بعد هذا اليوم فانك تهلك فقال له لاي شيء فقال له ان الحمامي عدوك وعدو الدين فانه ما حملك على انشاء هذا الحمام الا لان مراده ان يدخل عليك فيه السم فانه صنع لك شيئا واذا دخلته يأتيك به ويقول لك هذا دواء كل من دهن به محله يرمي الشعر منه بسهولة وليس هو بدواء بل هو داء عظيم وسم قاتل وان هذا الخبيث قد وعده سلطان النصارى انه ان قتلك يفك له زوجته واولاده من الاسر فان زوجته واولاده مأسورين عند سلطان النصارى وانا كنت مأسورا معه في بلادهم ولكن أنا فتحت مصبغة وصبغت لهم ألوانا فاستعطفوا على قلب الملك فقال الملك أي شيء تطلب فطلبت منه العتق فاعتقني وجئت الى هذه

المدينة ورأيته في الحمام وسألته وقلت له كيف كان خلاصك وخلاص زوجتك واولادك فقال لم أزل
أنا وزوجتي وأولادي مأسورين حتى ان ملك النصارى عمل ديوانا فحضرت في جملة من حضر وكنت
واقفا من جملة الناس فسمعتهم فتحوا مذاكرة الملوك الى ان ذكروا ملك هذه المدينة فتأوه ملك
النصارى وقال ماقهرني في الدنيا الا ملك المدينة الفلانية فكل من تحيل لي على قتله فانني أعطيه كل
ماتمناني فتقدمت أنا اليه وقلت له اذا تحيلت لك على قتله هل تعتقني انا وزوجتي وأولادي فقال لي
نعم اعتقكم واعطيك كل ماتتمنى ثم اني اتفقت انا واياه على ذلك وارسلني في غليون الى هذه المدينة
وطلعت الى هذا الملك فبنى لي هذا الحمام ومابقي الا ان اقتله واروح الى ملك النصارى وافدي
اولادي وزوجتي واتمنى عليه فقلت وما الحيلة التي دبرتها في قتله حتى تقتله قال لي هي حيلة سهلة
اسهل مايكون فانه يأتي الي في هذا الحمام وقد اصطنعت له شيئا فيه سم فاذا جاء اقول له خذ هذا
الدواء وادهن به تحتك فانه يسقط الشعر فيأخذه ويدهن به تحته فيلعب السم فيه يوما وليلة حتى
يسري الى قلبه فيهلكه والسلام فلما سمعت منه هذا الكلام خفت عليك لان خيرك علي وقد اخبرتك
بذلك فلما سمع الملك هذا الكلام غضب غضبا شديدا وقال للصباغ اكتم هذا السر ثم طلب الرواح
الى الحمام حتى يقطع الشك باليقين فلما دخل الحمام تعرى ابوصير على جري عادته وتقيد بالملك وكبسه
وبعد ذلك قال له ياملك الزمان اني عملت دواء لتنظيف الشعر التحتاني فقال له احضره لي فاحضره
بين يديه فرأى رائحته كريهة فصح عنده انه سم فغضب وصاح على الاعوان وقال امسكوه فقبض
عليه الاعوان وخرج الملك وهو ممتزج بالغضب ولا احد يعرف سبب غضبه ومن شدة غضب
الملك لم يخبر احدا ولم يتجاسر احد ان يسأله ثم انه لبس وطلع الديوان ثم احضر اباصير بين يديه
وهو مكتف ثم طلب القبطان فحضر فلما حضر القبطان قال له الملك خذ هذا الخبيث وحطه في زكيبة
وحط في الزكيبة قنطارين جيرا من غير طفء واربط فمها عليه وعلى الجير ثم حطها في الزورق وتعال
تحت قصري فتراني جالسا في شباكي وقل لي هل أرميه فاقول لك ارمه فاذا قلت لك ذلك فارمه حتى
ينطفىء الجير عليه لاجل ان يموت غريقا حريقا فقال سمعا وطاعة ثم أخذه من قدام الملك الى جزيرة
قبال قصر الملك وقال لابي صير ياهذا انا جئت عندك مرة واحدة في الحمام فاكرمتني وقمت بواجبي
وانبسطت منك كثيرا وحلفت انك لم تأخذ مني أجرة وانا قد أحببتك محبة شديدة فاخبرني
ماقضيتك مع الملك وأي شيء صنعت معه من المكاره حتى غضب عليك وأمر ان تموت هذه الموتة
الرديئة فقال له والله ماعملت شيئا وليس عندي علم بذنب فعلته معه يستوجب هذا وادرك شهرزاد
الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٣٤) قالت بلغني ايها الملك السعيد أن القبطان لما سأل أباصير عن سبب غضب
الملك عليه قال له والله يا أخي ماعملت معه شيئا قبيحا يستوجب هذا فقال له القبطان ان لك عند الملك
مقاما عظيما ما ناله أحد قبلك وكل ذي نعمة محسود فلعل أحدا حسدك على هذه النعمة ورمى في حقك
بعض كلام عند الملك حتى ان الملك غضب عليك هذا الغضب ولكن مرحبا بك وما عليك من بأس

فكما انك أكرمتني من غير معرفة بيني وبينك فانا أخلصك ولكن اذا خلصتك تقيم عندي في هذه
الجزيرة حتى يسافر من هذه المدينة غليون الى ناحية بلادك فارسلك معه فقبل أبو صير يد القبطان
وشكره على ذلك ثم انه أحضر الجير ووضعه في زكيبة ووضع فيها حجرا كبيرا قدر الرجل وقال توكلت
على الله ثم ان القبطان أعطى أباصير شبكة وقال له ارم هذه الشبكة في البحر لعلك تصطاد شيئا من
السمك لان مطبخ الملك رتب علي في كل يوم وقد اشتغلت عن الصيد بهذه المصيبة التي أصابتك
فاخاف أن تأتي غلمان الطباخ ليطلبوا السمك فلم يجدوه فان كنت تصطاد شيأ فانهم يجدونه حتى
أروح أعمل الحيلة تحت القصر واجعل اني رميتك فقال له أبو صير أنا اصطاد وروح انت والله يعينك
فوضع الزكيبة في الزورق وسار الى ان وصل تحت القصر فرأى الملك جالسا في الشباك فقال له ياملك
الزمان هل ارميه فقال له ارمه واشار بيده واذا بشيء يبرق ثم سقط في البحر واذا بالذي سقط في البحر
خاتم الملك وكان مرصودا بحيث اذا غضب الملك على احد واراد قتله يشير عليه باليد اليمنى التي فيها
الخاتم فيخرج من الخاتم بارقة فتصيب الذي يشير عليه فتقع راسه من بين كتفيه وما اطاعته العسكر
ولا قهر الجبابرة الا بسبب هذا الخاتم فلما وقع الخاتم من اصبعه كتم امره ولم يقدر ان يقول خاتمي
وقع في البحر خوفا من العسكر ان يقوموا عليه فيقتلوه فسكت (هذا) ما كان من امر الملك (واما) ما
كان من امر ابي صير فانه بعد ما تركه القبطان اخذ الشبكة وطرحها في البحر وسحبها فطلعت ملآنة
سمكا ثم طرحها ثانيا فطلعت ملآنة سمكا ايضا ولم يزل يطرحها وهي تطلع ملآنة سمكا حتى صار قدامه
كوم كبير من السمك فقال في نفسه والله ان لي مدة طويلة ما اكلت من السمك ثم انه نقى له سمكة
كبيرة سمينة وقال لما يأتي القبطان اقول له يقلي لي هذه السمكة لاتغدى بها ثم انه ذبحها بسكين كانت
معه فعلقت السكين في خشوشها فرأى خاتم الملك فيه لانها كانت ابتلعته ثم ساقتها القدرة الى تلك
الجزيرة ووقعت في الشبكة فاخذ الخاتم ولبسه في خنصره وهو لا يعلم ما فيه من الخواص واذا
بغلامين من خدام الطباخ اتيا لطلب السمك فلما صارا عند ابي صير قالا يارجل اين راح القبطان فقال
لا ادري واشار بيده اليمنى واذا براس الغلامين وقعتا من بين اكتافهما حين اشار اليهما وقال لا ادري
فتعجب ابو صير من ذلك وجعل يقول ياهل ترى من قتلهما وصعب عليه وصار يتفكر في ذلك واذا
بالقبطان اقبل فرأى كوما كبيرا من السمك ورأى الاثنين مقتولين ورأى الخاتم في اصبع ابي صير
فقال له يا اخي لاتحرك يدك التي فيها الخاتم فانك ان حركتها قتلتني فتعجب من قوله لاتحرك
يدك التي فيها الخاتم فان حركتها قتلتني فلما وصل اليه القبطان قال من قتل هذين الغلامين قال له
ابو صير والله يا اخي لا ادري قال صدقت ولكن اخبرني عن هذا الخاتم من اين وصل اليك قال رأيته
في خشوش هذه السمكة قال صدقت فاني رأيته نازلا يبرق من قصر الملك حتى سقط في البحر وقت
ان اشار اليك وقال لي ارمه فانه لما اشار رميت الزكيبة وكان سقط من اصبعه ووقع في البحر فابتلعته هذه
السمكة وساقها الله اليك حتى اصطدتها فهذا نصيبك ولكن هل تعرف خواص هذا الخاتم قال ابو
صير لا ادري له خواصا فقال القبطان اعلم ان عسكر ملكنا ما اطاعوه الا خوفا من هذا الخاتم لانه

مرصود فاذا غضب الملك على أحد واراد قتله يشير بدعليه فتقع راسه من بين كتفيه فان اراد خروج من هذا الخاتم ويتصل شعاعها بالمغضوب عليه فيموت لوقته فلما سمع ابو قير هذا الكلام فرح فرحا شديدا وقال للقبطان ردني الى المدينة فقال له القبطان اردك فاني ما بقيت اخاف عليك من الملك فانك متى اشرت بيدك واضمرت على قتله فان راسه تقع بين يديك ولو كنت تطلب قتل الملك وجميع العسكر فانك تقتلهم من غير عاقة ثم انزله في الزورق وتوجه به الى المدينة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٣٥) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان القبطان لما انزل اباصير في الزورق توجه به الى المدينة فلما وصل اليها طلع الى قصر الملك ثم دخل الديوان فراى الملك جالسا والعسكر بين يديه وهو في غم عظيم من شان الخاتم ولم يقدر ان يخبر احدا من العسكر بضياع الخاتم فلما رآه قال اما رميناك في البحر كيف فعلت حتى خرجت منه فقال له يا ملك الزمان لما امرت برمي في البحر اخذني قبطانك وسار بي الى جزيرة وسألني عن سبب غضبك علي وقال لي اي شيء صنعت مع الملك حتى امر بموتك فقلت له والله ما اعلم اني عملت معه شيئا قبيحا فقال لي ان لك مقاما عظيما عند الملك فلعل احدا حسدك ورمى فيك كلاما عند الملك حتى غضب عليك ولكن انا جئتك في حمامك فاكرمتني فنظير اكرامك اياي في حمامك انا اخلصك وارسلك الى بلادك ثم حط في الزورق حجرا عوضا عني ورماه في البحر ولكن حين اشرت له علي وقع الخاتم من يدك في البحر فابتلعته سمكة وكنت انا في الجزيرة اصطاد سمكا فطلعت تلك السمكة في جملة السمك فاخذتها واردت أن اشويها فلما فتحت جوفها رأيت الخاتم فيه فاخذته وجعلته في اصبعي فاتاني اثنان من خدام المطبخ وطلبا السمك فاشرت اليهما وانا لا ادري خاصية الخاتم فوقعت رؤسهما ثم اتي القبطان فعرف الخاتم وهو في اصبعي واخبرني برصده فاتيت به اليك لانك عملت معي معروفا واكرمتني غاية الاكرام وما عملته معي من الجميل لم يضع عندي وهذا خاتمك فخذه وان كنت فعلت معك شيئا يوجب القتل فعرفني بذنبي واقتلني وأنت في حل من دمي ثم خلع الخاتم من أصبعه وناوله للملك فلما رأى الملك ما فعل أبو صير من الاحسان أخذ الخاتم منه وتختم به فردت له روحه وقام على أقدامه واعتنق أباصير وقال له يا رجل أنت من خواص أولاد الحلال فلا تؤاخذني وسامحني مما صدر مني في حقك ولو كان أحد غيرك ملك هذا الخاتم ما كان أعطاني اياه فقال يا ملك الزمان ان أردت أن أسامحك فعرفني بذنبي الذي أوجب غضبك علي حتى أمرت بقتلي فقال له والله انه ثبت عندي انك بريء وليس لك ذنب في شيء حيث فعلت هذا الجميل وانما الصباغ قال لي كذا وكذا وأخبره بما قاله الصباغ فقال له أبو صير والله يا ملك الزمان أنا لا أعرف ملك النصارى ولا عمري رحت بلاد النصارى ولا خطر ببالي اني أقتلك ولكن هذا الصباغ كان رفيقي وجاري في مدينة اسكندرية وضاق بنا العيش هناك فخرجنا منها لضيق المعاش وقرانا مع بعضنا فاتحة على ان العمال يطعم البطال وجرى لي معه كذا وكذا وأخبره بجميع ما جرى له مع أبي قير الصباغ وكيف أخذ دراهمه وفاته ضعيفا في الحجرة التي في الخان وان

بواب الخان كان ينفق عليه وهو مريض حتى شفاه الله ثم طلع وسرح فى المدينة بعدته على العادة فبينما هو فى الطريق اذا رأى مصبغة عليها ازدحام فنظر فى باب المصبغة فرأى أبا قير جالسا على مصطبة هناك فدخل ليسلم عليه فوقع منه ما وقع من الضرب والاساءة وادعى عليه انه حرامي وضربه ضربا مؤلما وأخبر الملك بجميع ما جرى له من أوله الى آخره ثم قال يا ملك الزمان هو الذى قال لى اعمل الدواء وقدمه للملك فان الحمام كامل من جميع الامور الا ان هذا الدواء مفقود منه واعلم يا ملك الزمان ان هذا الدواء لا يضر ونحن نصنعه فى بلادنا وهو من لوازم الحمام وأنا كنت نسيته فلما أتانى الصباغ وأكرمته ذكرنى به وقال لى اعمل الدواء وارسل يا ملك الزمان هات بواب الخان الفلانى وصنايعية المصبغة فلما حضر الجميع سألهم فاخبروه بالواقع فارسل الى الصباغ وقال هاتوه حافيا مكشوف الرأس مكتفا وكان الصباغ جالسا فى بيته مسرورا بقتل أبى صير فلم يشعر الا واعوان الملك هجموا عليه وأوقعوا الضرب فى قفاه ثم كتفوه وحضروا به قدام الملك فرأى أبا صير جالسا جنب الملك وبواب الخان وصنايعية المصبغة واقفين أمامه فقال بواب الخان أما هذا رفيقك الذى سرقت دراهمه وتركته عندى فى الحجرة ضعيفا وفعلت معه ما هو كذا وكذا وقال له صنايعية المصبغة أما هذا الذى أمرتنا بالقبض عليه وضربناه فتبين للملك قباحة أبى قير وانه يستحق ما هو أشد من تشديد منكر ونكير فقال الملك خذوه وجرسوه فى المدينة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٣٦) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الملك لما سمع كلام بواب الخان وصنايعية المصبغة تحقق انه عنده خبث أبى قير فاقام عليه النكير وقال لاعوانه خذوه وجرسوه فى المدينة وحطوه فى زكيبة وارموه فى البحر فقال أبو صير يا ملك الزمان شفعنى فيه فانى سامحته من جميع ما فعل بى فقال الملك ان كنت سامحته فى حقك فانا لا يمكن ان أسامحه فى حقى ثم صاح وقال خذوه فاخذوه وجرسوه وبعد ذلك وضعوه فى زكيبة ووضعوا معه الجير ورموه فى البحر فمات غريقا حريقا وقال للملك يا أبا صير تمن على تعط فقال له تمنيت عليك أن ترسلنى الى بلادى فانى ما بقى لى رغبة فى القعود هنا فاعطاه شيئا كثيرا زيادة على ماله ونواله ومواهبه ثم أنعم عليه بغليون مشحون بالخيرات وكان بحريته مماليك فوهبهم له أيضا بعد ان عرض عليه أن يجعله وزيرا فما رضى ثم ودع الملك وسافر وجميع ما فى الغليون ملكه حتى النوتية ملكه وما زال سائرا حتى وصل الى أرض اسكندرية ورسوا على جانب اسكندرية وخرجوا الى البر فرأى مملوكا من مماليكه معه زكيبة فى جانب البر فقال يا سيدى ان فى جنب شاطىء البحر زكيبة ثقيلة وفمها مربوط ولا أدرى ما فيها فأتى أبو صير وفتحها فرأى فيها أبا قير قد دفعه البحر الى جهة اسكندرية فاخرجه ودفنه بالقرب من اسكندرية وعمل له مزارا ووقف عليه أوقافا ثم ان أبا صير أقام مدة وتوفاه الله فدفنوه بجوار قبر رفيقه أبى قير ومن أجل ذلك سمى هذا المكان بابى قير وأبى صير واشتهر الآن بانه أبو قير وهذا ما بلغنا من حكايتهما فسبحان الباقى على الدوام وبارادته تصرف الليالى والايام

﴿حكاية عبد الله البري مع عبد الله البحري﴾

(ومما يحكى أيضاً) أنه كان رجل صياد اسمه عبد الله وكان كثير العيال وله تسعة أولاد وأمهم وكان فقيراً جداً لا يملك إلا الشبكة وكان يروح كل يوم إلى البحر ليصطاد فإذا اصطاد قليلاً يبيعه وينفقه على أولاده بقدر ما رزقه الله وإن اصطاد كثيراً يطبخ طبخة طيبة ويأخذ فاكهة ولا يزل يصرف حتى لا يبقى معه شيء ويقول في نفسه رزق غد يأتي في غد فلما وضعت زوجته صاروا عشرة أشخاص وكان الرجل في ذلك اليوم لا يملك شيئاً أبداً فقالت زوجته ياسيدي انظر لي شيئاً أتقوت به فقال لها أنا سارح على بركة الله تعالى إلى البحر في هذا اليوم على بخت هذا المولود الجديد حتى ننظر سعده فقالت له توكل على الله فأخذ الشبكة وتوجه إلى البحر ثم إنه رمى الشبكة على بخت ذلك الطفل الصغير وقال اللهم اجعل رزقه يسيراً غير عسير وكثيراً غير قليل وصبر عليها مدة ثم سحبها فخرجت ممتلئة عفشاً ورملاً وحصى وحشيشاً ولم ير فيها شيئاً من السمك لا كثيراً ولا قليلاً فرماها ثاني مرة وصبر عليها ثم سحبها فلم ير فيها سمكاً فرمى ثالثاً ورابعاً وخامساً فلم يطلع فيها سمك فانتقل إلى مكان آخر وجعل يطلب رزقه من الله تعالى ولم يزل على هذه الحالة إلى آخر النهار فلم يصطاد ولا صيرة فتعجب في نفسه وقال هل هذا المولود خلقه الله تعالى من غير رزق فهذا لا يكون أبداً لأن الذي شق الأشداق تكفل لها بالأرزاق فالله تعالى كريم رزاق ثم إنه حمل الشبكة ورجع مكسور الخاطر وقلبه مشغول بعياله فإنه تركهم بغير أكل ولا سيما زوجته نفساء وما زال يمشي وهو يقول في نفسه كيف العمل وماذا أقول للأولاد في هذه الليلة ثم إنه وصل قدام فرن خباز فرأى عليه زحمة وكان وقت غلاء وفي تلك الأيام لا يوجد عند الناس من المؤنة إلا القليل والناس يعرضون الفلوس على الخباز وهو لا ينتبه لأحد منهم من كثرة الزحام فوقف ينظر ويشم رائحة العيش السخن فصارت نفسه تشتهيه من الجوع فنظر إليه الخباز وصاح عليه وقال تعال يا صياد فتقدم إليه فقال له أتريد عيشاً فسكت فقال له تكلم ولا تستح فالله كريم إن لم يكن معك دراهم فأنا أعطيك وأصبر عليك حتى يجيئك الخير فقال له والله يا معلم أنا ما معي دراهم ولكن أعطني عيشاً كفاية عيالي وأرهن عندك هذه الشبكة إلى غد فقال له يا مسكين إن هذه الشبكة دكانك وباب رزقك فإذا رهنتها بأي شيء تصطاد فأخبرني بالقدر الذي يكفيك قال بعشرة أنصاف فضة فأعطاه خبزاً بعشرة أنصاف ثم أعطاه عشرة أنصاف فضة وقال له خذ هذه العشرة أنصاف واطبخ لك بها طبخة فيبقى عندك عشرون نصف فضة وفي غد هات لي بها سمكاً وإن لم يحصل لك شيء تعال خذ عيشك وعشرة أنصاف وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(في ليلة ٩٣٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الخباز قال للصياد خذ ما تحتاج إليه وأنا أصبر عليك حتى يأتيك الخير وبعد ذلك هات لي بما استحقه عندك سمكاً فقال له آجرك الله تعالى وجزاك عني كل خير ثم أخذ العيش والعشرة أنصاف فضة وراح مسروراً واشترى له ما تيسر ودخل على زوجته فرآها قاعدة تأخذ بخاطر الأولاد وهم يبكون من الجوع وتقول لهم في هذا الوقت يأتي

ابو كم بما اتاكلونه فلما دخل عليهم حط لهم العيش فاكلوا واخبر زوجته بما حصل له فقالت له الله
كريم وفي ثاني يوم حمل شبكته وخرج من داره وهو يقول اسألك يارب ان ترزقني في هذا اليوم بما
يبيض وجهي مع الخباز فلما وصل الى البحر صار يطرح الشبكة فلا يخرج فيها سمكا ولم يزل كذلك
الى اخر النهار فلم يحصل شيء فرجع وهو في غم عظيم وكان طريق بيته على فرن الخباز فقال في نفسه
من أين أروح الى داري ولكن أسرع خطاي حتى لا يراني الخباز فلما وصل الى فرن الخباز رأى
زحمة فاسرع في المشي من حيائه من الخباز حتى لا يراه واذا بالخباز وقع بصره عليه فصاح وقال
له ياصياد تعالى خذ عيشك ومصروفك فانك نسيت قال لا والله ما نسيت وانما استحييت منك فاني
لم أصطد سمكا في هذا اليوم فقال له لا تستحي اما قلت لك على مهلك حتى يأتيك الخير ثم اعطاه العيش
والعشرة أنصاف وراح الى زوجته واخبرها بالخبر فقالت له الله كريم ان شاء الله يأتيك الخير وتوفيه
حقه ولم يزل على هذه الحالة مدة أربعين يوما وهو في كل يوم يروح الى البحر من طلوع الشمس الى
غروبها و يرجع بلا سمك و يأخذ عيشا ومصروفا من الخباز ولم يذكر له السمك يوما من الايام
ولم يهمله مثل الناس بل يعطيه العشرة أنصاف والعيش وكلما يقول له يا أخي حاسبني يقول له روح
ما هذا وقت الحساب حتى يأتيك الخير فاحاسبك فيدعو له و يذهب من عنده شاكرا له وفي اليوم
الحادي والاربعين قال لامرأته مرادي ان أقطع هذه الشبكة وارتاح من هذه المعيشة فقالت له
لاي شيء قال لها كأن رزقي انقطع من البحر فالى متى هذا الحال والله اني ذبت حياء من الخباز فانا
ما بقيت أروح الى البحر حتى لا اجوز على فرنه فانه ليس لي طريق الا على فرنه وكلما جزت عليه يناديني
و يعطيني العيش والعشرة أنصاف والى متى وانا أتداين منه قالت له الحمد لله تعالى الذي عطف قلبه
عليك فيعطيك القوت وأي شيء تكرهه من هذا قال بقي له على قدر عظيم من الدراهم ولا بد انه
يطلب حقه قالت له زوجته هل آذاك بكلام قال لا ولا يرضى يحاسبني و يقول لي حتى يأتيك الخير
قالت فاذا طالبك قل له حتى يأتي الخير الذي نرتجيه أنا وأنت فقال لها متى يجيء الخير الذي نرتجيه
قالت الله كريم قال صدقت ثم حمل شبكته وتوجه الى البحر وهو يقول يارب ارزقني ولو بسمكة
واحدة حتى اهديها الى الخباز ثم انه رمى الشبكة في البحر وسحبها فوجدها ثقيلة فما زال يعالج فيها
حتى تعب تعبا شديدا فلما أخرجها وجد فيها حمارا ميتا منفوخا ورائحته كريهة فسئمت نفسه ثم
خلصه من الشبكة وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم قد عجزت وأنا أقول لهذه المرأة ما بقي
لي رزق في البحر دعيني أترك هذه الصنعة وهي تقول لي الله كريم سيأتيك الخير فهل هذا الحمار الميت
هو الخير ثم انه حصل له غم شديد وتوجه الى مكان آخر ليبعد عن رائحة الحمار وأخذ الشبكة
ورماها وصبر عليها ساعة زمانية ثم جذبها فرآها ثقيلة فلم يزل يعالج فيها حتى خرج الدم من كفيه
فلما أخرج الشبكة رأى فيها آدميا فظن انه عفريت من عفاريت السيد سليمان الذي كان يحبسهم
في قماقم النحاس و يرميهم في البحر فلما انكسر القمقم من طول السنين خرج منه ذلك العفريت
وطلع في الشبكة فهرب منه وصار يقول الامان الامان ياعفريت سليمان فصاح عليه الآدمي من

داخل الشبكة وقال تعال ياصياد لاتهرب مني فاني آدمي مثلك فخلصني لتنال أجري فلما سمع كلامه الصياد اطمأن قلبه وجاءه وقال أما انت عفريت من الجن قال لا انما أنا انسي مؤمن بالله ورسوله قال له ومن رماك في البحر قال له انا من أولاد البحر كنت دائراً فرميت على الشبكة ونحن اقوام مطيعون لأحكام الله ونشفق على خلق الله تعالى ولولا اني أخاف وأخشى ان أكون من العاصين لقطعت شبكتك ولكن رضيت بما قدر الله علي وانت اذا خلصتني تصير مالكاً لي وأنا أصير اسيرك فهل لك ان تعتقني ابتغاء وجه الله تعالى وتعاهدني وتبقى صاحبي أجيئك كل يوم في هذا المكان وأنت تأتيني وتجيء لي معك بهدية من ثمار البر فان عندكم عنبا وتينا وبطيخا وخوخا ورمانا وغير ذلك وكل شيء تجيء به الي مقبول منك ونحن عندنا مرجان ولؤلؤ وزبرجد وزمرد وياقوت وجواهر فانا املأ لك المشنة التي تجيء لي فيها بالفاكهة معادن من جواهر البحر فما تقول يا أخي في هذا الكلام قال له الصياد الفاتحة بيني وبينك على هذا الكلام فقرأ كل منهما الفاتحة وخلصه من الشبكة ثم قال له الصياد ما اسمك قال اسمي عبد الله البحري فاذا أتيت الى هذا المكان ولم ترني فناد وقل أين أنت ياعبد الله يا بحري فاكون عندك في الحال وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٣٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان عبد الله البحري قال له اذا اتيت الى هذا المكان ولم ترني فناد وقل اين أنت ياعبد الله يا بحري فاكون عندك في الحال وانت ما اسمك فقال الصياد اسمي عبد الله قال انت عبد الله البري وأنا عبد الله البحري فقف هنا حتى اروح وآتيك بهدية فقال له سمعاً وطاعة فراح عبد الله البحري في البحر فعند ذلك ندم عبد الله البري على كونه خلصه من الشبكة وقال في نفسه من اين اعرف انه يرجع الي وانما هو ضحك علي حتى خلصته ولو ابقيته كنت افرج عليه الناس في المدينة وآخذ عليه الدراهم وأدخل به بيوت الاكابر فصار يتندم على إطلاقه ويقول لنفسه راح صيدك من يدك فبينما هو يتأسف على خلاصه من يده واذا بعبد الله البحري رجع اليه ويداه مملوءتان لؤلؤا ومرجانا وزمردا وياقوتا وجواهر وقال له خذ يا اخي ولا تؤاخذني فانه ما عندي مشنة كنت املؤها لك فعند ذلك فرح عبد الله البري وأخذ منه الجواهر وقال له كل يوم تأتي الى هذا المكان قبل طلوع الشمس ثم ودعه وانصرف ودخل البحر وأما الصياد فانه دخل المدينة وهو فرحان ولم يزل ماشيا حتى وصل الى فرن الخباز وقال له يا اخي قد اتانا الخير فحاسبني قال له ما احتاج الى حساب ان كان معك شيء فاعطني وان لم يكن معك شيء فخذ عيشك ومصروفك ورح الى ان يأتيك الخير فقال له يا صاحبي قد اتاني الخير من فيض الله وقد بقي لك عندي جملة كثيرة ولكن خذ هذا وكبش له كبشة من لؤلؤ ومرجان وياقوت وجواهر وكانت تلك الكبشة نصف ما معه فاعطاها للخباز وقال له اعطني شيأ من المعاملة اصرفه في هذا اليوم حتى ابيع هذه المعادن فاعطاه كل ما كان تحت يده من الدراهم وجميع ما في المشنة التي كانت عنده من الخبز وفرح الخباز بتلك المعادن وقال للصياد انا عبدك وخدامك وحمل جميع العيش الذي عنده على رأسه ومشى خلفه الى البيت فاعطى العيش لزوجته واولاده ثم راح الى السوق وجاء باللحم والخضار وسائر اصنافه

الفاكهة وترك الفرن واقام طول ذلك اليوم وهو يعاطى خدمة عبد الله البرى ويقضى له مصالحه فقال له الصياد يا اخى اتعبت نفسك قال له الخباز هذا واجب لانى صرت خدامك واحسانك قد غمرني فقال له انت صاحب الاحسان على فى الضيق والغلاء وبات معه تلك الليلة على اطيب كل ثم أن الخباز صار صديقا للصياد أخبر زوجته بواقعته مع عبد الله البحري ففرحت وقالت اكتم سرك لئلا تتسلط عليك الحكام فقال لها أن كتمت سرى عن جميع الناس فلا اكتمه عن الخباز ثم انه أصبح فى ثانى يوم وكان قد ملأ مشنة فاكهة من سائر الاصناف فى وقت المساء ثم حملها قبل الشمس وتوجه الى البحر وحطها على جنب الشاطئ وقال اين انت يا عبد الله يا بحرى واذا به يقول له لبيك وخرج اليه فقدم له الفاكهة فحملها ونزل بها وغطس فى البحر وغاب ساعة زمانية ثم خرج ومعه المشنة ملآنة من جميع اصناف المعادن والجواهر فحملها عبد الله البرى على رأسه وذهب بها فلما وصل الى فرن الخباز قال له يا سيدى قد خبزت لك اربعين كف شريك وارسلتها الى بيتك وها أنا اخبز العيش الخاص فتى خلص اوصله الى البيت وأروح ولك اجىء بالخضار واللحم فكبش له من المشنة ثلاث كبشات واعطاه اياها وتوجه الى البيت وحط المشنة واخذ من كل صنف من اصناف الجواهر فاخذ جوهرة نفيسة ثم ذهب الى سوق الجواهر ووقف على دكان شيخ السوق وقال اشتر منى هذه الجواهر فقال له ارنى اياها فاراه فقال له هل عندك غير هذا قال عندى مشنة ممتلئة قال له اين بيتك قال فى الحارة الفلانية فاخذ منه الجواهر وقال لاتباعه امسكوه فانه هو الحرامى الذى سرق مصاغ الملكة زوجة السلطان ثم امرهم أن يضربوه فضربوه وكتفوه وقام الشيخ هو وجميع اهل سوق الجواهر وصاروا يقولون مسكنا الحرامى وبعضهم يقول ما سرق متاع فلان الا هذا الخبيث وبعضهم يقول ما سرق جميع ما فى بيت فلان إلا هو وبعضهم يقول كذا كل ذلك وهو ساكت ولم يرد على احد منهم جوابا ولم يبد له خطابا حتى اوقفوه قدام الملك قال الشيخ يا ملك الزمان لما سرق عقد الملكة ارسلت اعلمتنا وطلبت منا وقوع الغريم فاجتهدت انا من دون الناس واوقعت لك الغريم وها هو بين يديك وهذه الجواهر خاصناها من يده فقال الملك للطواشى خذ هذه المعادن وارها للملكة وقل لها هل هذا متاعك الذى ضاع من عندك فاخذها الطواشى ودخل بها قدام الملكة فلما رأتها تعجبت منها وارسلت تقول للملك انى رأيت عقدى فى مكانى وهذا ما هو متاعى ولكن هذه الجواهر أحسن من جواهر عقدى فلا تظلم الرجل وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٤٠) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان زوجة الملك لما أرسلت تقول له هذا ما هو متاعى ولكن هذه الجواهر احسن من جواهر عقدى فلا تظلم الرجل وأن كان يبيعها فاشترها منه لبنتك ام السعود تضعها لها فى عقد فلما رجع الطواشى واخبر الملك بما قالته الملكة لعن شيخ الجواهرجية هو وجماعته لعنة عاد وثمود فقالوا يا ملك الزمان انا كنا نعرف أن هذا الرجل صياد فقير فاستكثرنا ذلك عليه وقد ظننا انه سرقها فقال يا قبحاء اتستكثرون النعمة على مؤمن فلا شئ علم

سبيلو در بما رزقه الله بها من حيث لا يحتسب فكيف تجعلونه حراميا وتفضحونه بين العالم اخرجوا لا بارك الله فيكم فخرجوا وهم خائفون هذا ما كان من امرهم (وأما) ما كان من امر الملك فانه قال له يا رجل بارك الله لك فيما انعم به عليك وعليك الامان ولكن اخبرني بالصحيح من اين هذه الجواهر فاني ملك ولا توجد عندي مثلها فقال يا ملك الزمن انا عندي مشنة ممتلئة منها وهو ان الامر كذا وكذا واخبره بصحبته لعبد الله البحري وقال له انه قد صار بيني وبينه عهد على انني كل يوم املأ له المشنة فاكهة وهو يملؤها لي من هذه الجواهر فقال له يا رجل هذا نصيبك ولكن المال يحتاج الى الجاه فانا ادفع عنك تسلط الناس عليك في هذه الايام ولكن ربما عزلت اومت وتولى غيري فانه يقتلك من اجل حب الدنيا والطمع فرادي ان ازوجك ابنتي واجعلك وزيري واوصي لك بالملك من بعدي حتى لا يطمع فيك أحد بعد موتي ثم أن الملك قال خذوا هذا الرجل وادخلوا الحمام فاخذوه وغسلوا جسده والبسوه ثيابا من ثياب الملوك واخرجوه قدام الملك فجعله وزيرا له وارسل السعاة واصحاب النوبة وجميع نساء الاكابر الى بيته فالبسوا زوجته ملابس نساء الملوك هي واولادها واركبوها في تختروان ومشت قدامها جميع نساء الاكابر والعساكر والسعاة واصحاب النوبة واتوا بها الى بيت الملك والطفل الصغير في حضنها وادخلوا اولادها الكبار على الملك فاكرمهم واخذهم على حجره واجلسهم في جانبه وهم تسعة اولاد ذكور وكان الملك معدوم الذرية ما رزق غير تلك البنت التي اسمها ام السعود واما الملكة فانها اكرمت زوجة عبد الله البري وانعمت عليها وجعلتها وزيرة عندها وامر الملك يكتب عبد الله البري على ابنته وجعل مهرها جميع ما كان عنده من الجواهر والمعادن وفتحوا ابواب الفرح وامر الملك أن ينادي بزينة المدينة من أجل فرح ابنته وفي اليوم الثاني بعد أن دخل على بنت الملك وازال بكارتها طل الملك من الشباك فرأى عبد الله حاملا على رأسه مشنة ممتلئة فاكهة فقال له ما هذا الذي معك يا نسيبي والى اين تذهب فقال الى صاحبي عبد الله البحري فقال له يا نسيبي ما هذا وقت الرواح الى صاحبك فقال اخاف أن أخلف معه المعاد فيعدني كذابا ويقول لي أن الدنيا الهتك عني قال صدقت رح الى صاحبك اعانك الله فمشى في البلد وهو متوجه الى صاحبه وكانت الناس قد عرفته فصار يسمع الناس يقولون هذا نسيب الملك رائح يبدل الاثمار بالجواهر والذي يكون جاهلا به ولا يعرفه يقول يا رجل بكم الرطل تعال بعني فيقول له انتظرني حتى ارجع اليك ولا يغم احدا ثم راح واجتمع بعبد الله البحري واعطاه الفاكهة وابدلها له بالجواهر ولم يزل على هذه الحالة وفي كل يوم يمر على فرن الخباز فيراه مقفولا ودام على ذلك مدة عشرة ايام فلما لم ير الخباز ورأى فرنه مقفولا قال في نفسه ان هذا شيء عجيب يا ترى راح الخباز ثم انه سأل جاره له يا اخي اين جارك الخباز فما فعل الله به قال له يا سيدي انه مريض لا يخرج من بيته قال له اين بيته قال له في الحارة الفلانية فعمد اليه وسأل عنه فلما طرق الباب طل الخباز من الطاقة فرأى صاحبه الصياد وعلى رأسه مشنة ممتلئة فنزل اليه وفتح له الباب ورمى روحه عليه وعانقه وقال له كيف حالك يا صاحبي فاني كل يوم امر على الفرن فأراه مقفولا ثم سألت جارك فاخبرني بانك مريض فسألته

عن البيت لاجل أن اراك فقال له الخباز جزاك الله عني كل خير فلاتبسى في مرض وانما بلغني ان الملك اخذك لان بعض الناس كذب عليك وادعى انك حرامي فخفت انا وقفلت الفرن واختفيت قال صدقت ثم انه اخبره بقضيته وماوقع له مع الملك وشيخ سوق الجواهر وقال له أن الملك قدزوجني ابنته وجعلني وزيره ثم قال له خذ مافي المشنة نصيبك ولا تخف ثم خرج من عنده بعد أن اذهب عنه الخوف وراح الى الملك بالمشنة فارغة فقال له الملك يانسيبي كانك ما اجتمعت برفيقك عبد الله البحري في هذا اليوم فقال رحت له والذي أعطاه لي أعطيته الى صاحبي الخباز فان له علي جميلا قال من يكون هذا الخباز قال انه رجل صاحب معروف وجرى لي معه في ايام الفقر ماهو كذا وكذا ولم يهملني يوما ولا كسر خاطري قال الملك ما اسمه قال اسمه عبد الله الخباز وأنا اسمي عبد الله البري وصاحبي اسمه عبد الله البحري قال الملك وأنا اسمي عبد الله وعبيد الله كلهم اخوان فارسل الى صاحبك الخباز هاته لتجعله وزير ميسرة فارسل اليه فلما حضر بين يدي الملك البسه بدلة وزير وجعله وزير الميسرة وجعل عبد الله البري وزير الميمنة. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٤١) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن جعل عبد الله البري نسيبه وزير الميمنة وعبد الله الخباز وزير الميسرة واستمر عبد الله على تلك الحالة سنة كاملة وهو في كل يوم ياخذ المشنة ممتلئة فاكهة ويرجع بها ممتلئة جواهر ومعادن ولما فرغت الفواكه من البساتين صار ياخذ زبيبا ولوزا وبندقا وجوزا وتينا وغير ذلك وجميع ماياخذه له يقبله منه ويرد له المشنة ممتلئة جواهر على عادته فاتفق يوما من الايام انه اخذ المشنة ممتلئة نقلا على عادته فاخذها منه وجلس عبد الله البري على الشاطىء وجلس عبد الله البحري في الماء قرب الشاطىء وصارا يتحدثان مع بعضهما ويتداولان الكلام بينهما حتى انجرا الى ذكر المقابر فقال البحري يا أخي انهم يقولون في أن النبي ﷺ مدفون عندكم في البر فهل تعرف قبره قال نعم قال له في اي مكان هو قال له في مدينة يقال لها مدينة طيبة قال وهل تزوره الناس أهل البر قال نعم قال هنيئا لكم ياأهل البر بزيارة هذا النبي الكريم الرؤف الرحيم الذي من زاره استوجب شفاعته وهل انت زرته يا أخي قال لا لاني كنت فقيرا ولا اجد ما انفقه في الطريق وما استغنيت الا من حين عرفتك وتصدقت علي بهذا الخير ولكن قد وجبت علي زيارته بعد أن احج بيت الله الحرام ومامنعني من ذلك الا محبتك فاني لا أقدر أن افارقك يوما واحدا فقال له وهل تقدم محبتي على زيارة قبر سيدنا محمد ﷺ الذي يشفع فيك يوم العرض على الله وينجيك من النار وتدخل الجنة بشفاعته وهل من أجل حب الدنيا تترك زيارة قبر نبيك محمد ﷺ فقال لا والله أن زيارته مقدمة عندي على كل شيء ولكن أريد منك اجازة أن أزوره في هذا العام قال أعطيتك الاجازة بزيارته واذا وقفت على قبره فاقرئه مني السلام وعندي أمانة فادخل معي في البحر حتى آخذك الى مدينتي وأدخلك بيتي وأضيفك وأعطيك الامانة لتضعها على قبر النبي ﷺ وقل له يارسول الله أن عبد الله البحري يقرئك السلام وقد أهدى اليك هذه الهدية وهو يرجو منك الشفاعة من النار فقال له عبد الله البري يا أخي أنت

خلقت من الماء ومسكنك الماء وهو لا يضرك فهل اذا خرجت منه الى البر يحصل لك ضرر قال نعم ينشف بدني وتهب على نسمات البر فأموت قال له وأنا كذلك خلقت في البر ومسكني البر فاذا دخلت البحر يدخل الماء في جوفي ويخنقني فاموت قال له لا تخف من ذلك فاني آتيك بدهن تدهن به جسمك فلا يضرك الماء ولو كنت تقضي بقية عمرك وأنت دائر في البحر وتنام وتقوم في البحر ولا يضرك شيء قال اذا كان الامر كذلك فلا بأس هات لي الدهان حتى أجربه قال وهو كذلك ثم أخذ المشنه ونزل في البحر وغاب قليلا ثم رجع ومعه شحم مثل شحم البقر لونه أصفر كلون الذهب ورائحته زكية فقال له عبد الله البري ماهذا يا أخي فقال له شحم كبد صنف من أصناف السمك يقال له الدندان وهو أعظم أصناف السمك خلقة وهو أشد أعدائنا علينا وصورته اكبر صورة توجد عندكم من دواب البر ولو رأى الجمل أو الفيل لابتلعه فقال له يا أخي وما يأكل هذا المشؤم فقال يأكل من دواب البحر أما سمعت أنه يقال في المثل مثل سمك البحر القوي يأكل الضعيف قال صدقت ولكن هل عندكم من هذا الدندان في البحر كثير قال عندنا شيء لا يحصيه الا الله تعالى قال عبد الله البري اني أخاف اذا نزلت معك ان يصادفني هذا النوع فيأكلني قال عبد الله البحري لا تخف فانه متى رآك عرف أنك ابن آدم فيخاف منك ويهرب ولا يخاف من أحد في البحر مثل ما يخاف من ابن آدم لانه متى اكل ابن آدم مات من وقته وساعته فان شحم ابن آدم سم قاتل لهذا النوع ونحن ما نجمع شحم كبده الا بواسطة ابن آدم اذا وقع في البحر غريقا فانه تتغير صورته وربما تمزق لحمه فيأكله الدندان لظنه انه من حيوان البحر فيموت فنعثر به ميتا فنأخذ شحم كبده وندهن به اجسامنا وندور في البحر فاي مكان كان فيه ابن آدم اذا كان فيه مائة أو مائتان او الف او اكثر من النوع وسمعوا صيحة ابن آدم فان الجميع يموتون في وقتهم من صيحة مرة واحدة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٤٢) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله البحري قال لعبد الله البري واذا سمع الف من هذا النوع أو أكثر من ابن آدم صيحة واحدة يموتون في وقتهم ولا يقدر أحد منهم أن ينتقل من مكانه فقال عبد الله البري توكلت على الله ثم قلع ما كان عليه من الملبوس وحفر في شاطىء البحر ودفن ثيابه وبعد ذلك دهن جسمه من فوقه الى قدمه بهذا الدهن ثم نزل في الماء وغطس وفتح عينه فلم يضره الماء فمشى يمينا وشمالا ثم جعل أن شاء يعلو وان شاء ينزل الى القرار ورأى ماء البحر مخيما عليه مثل الخيمة ولا يضره فقال عبد الله البحري ماذا ترى يا أخي قال له أرى خيرا وقد صدقت فيما قلت فان الماء ماضرني قال له اتبعني فتبعه ولا زالا يمشيان من مكان الى مكان وهو يرى أمامه وعن يمينه وعن شماله جبالا من الماء فصار يتفرج عليها وعلى أصناف السمك وهي تلعب في البحر البعض كبير والبعض صغير وفيه شيء يشبه الجاموس وشيء يشبه البقر وشيء يشبه الكلاب وشيء يشبه الآدميين وكل نوع قربنا منه يهرب منا فقال له مخافة منك لان جميع ماخلقه الله تعالى يخاف من ابن آدم وما زالا يتفرج على عجائب البحر حتى وصل الى جبل عال فمشى عبد الله البري بجانب ذلك

الجبل فلم يشعر الا وصيحة عظيمة فالتفت فرأى شيأ أسود منحدرا عليه من ذلك الجبل وهو قدر
الجمل أو اكبر وصار يصيح فقال ماهذا يا أخي قال له البحري هذا الدندان فانه نازل في طلبي مراده
أن يأكلني فصح عليه يا أخي قبل ان يصل الينا فيخطفني و يأكلني فصاح عليه عبد الله البري
فوقع ميتا فقال سبحان الله وبحمده أنا لا اضربه بسيف ولا بسكين كيف هذه العظمة التي فيها هذا
المخلوق ولم يحمل صيحتي بل مات فقال عبد الله البحري لا تعجب فوالله يا أخي لو كان من هذا النوع
ألف او الفان لم يحملوا صيحة ابن آدم ثم مشيا الى مدينة فرأيا اهلها جميعا بنات وليس فيهن ذكور فقال
يا أخي ماهذه المدينة وماهذه البنات فقال له هذه مدينة البنات لان أهلها من بنات البحر قال هل
فيهن ذكور قال لا وكيف يحبلن ويلدن من غير ذكور قال أن ملك البحر ينفيهن الى هذه المدينة وهن
لا يحبلن ولا يلدن وانما كل واحدة غضب عليها من بنات البحر يرسلها الى هذه المدينة ولا تقدر ان
تخرج منها فان خرجت منها فكل من يراها من دواب البحر يأكلها وأما غير هذه المدينة ففيها
رجال و بنات قال له هل في البحر مدن غير هذه المدينة قال له كثيرة قال وهل عليكم سلطان
في البحر قال له نعم قال له يا أخي اني رأيت في البحر عجائب كثيرة قال له وأي شيء رأيت من العجائب
أما سمعت صاحب المثل يقول عجائب البحر اكثر من عجائب البر قال صدقت ثم أنه صار يتفرج على
هذه البنات فرأى لهن وجوها مثل الاقمار وشعورا مثل شعور النساء ولكن لهن أياد وارجل في
بطونهن ولهن أذناب مثل أذناب السمك ثم انه فرجه على اهل تلك المدينة وخرج به ومشى قدامه
الى مدينة أخرى فرآها ممتلئة خلائق اناثا وذكورا صورتهم مثل صورة البنات ولهم أذناب ولكن
ليس عندهم بيع ولا شراء مثل اهل البر وليسوا لابسين بل الكل عرايا مكشوفون العورة فقال له
يا اخي اني أرى الاناث والذكور مكشوفون العورة فقال له أن أهل البحر لا قماش عندهم فقال له يا أخي
كيف يصنعون اذا تزوجوا فقال له هم لا يتزوجون بل كل من أعجبته أنثى يقضي مراده منها قال له أن
هذا شيء حرام ولأي شيء لم يخطبها ويمهرها ويقيم لها فرحا ويتزوجها بما يرضي الله ورسوله قال
ليس كلنا ملة واحدة فان فينا مسلمين موحدين وفينا نصارى و يهود وغير ذلك والذي يتزوج
خصوص المسلمين فقال انتم عريانون وماعندكم بيع ولا شراء فأي شيء يكون مهر نسائكم هل
تعطونهن جواهر ومعادن قال له أن الجواهر أحجار ليس لها عندنا قيمة وانما الذي يريد ان يتزوج
يجعلون عليه شيأ معلوما من اصناف السمك يصطاده قدر الف او الفين او اكثر او اقل بحسب ما يحصل
عليه الاتفاق بينه و بين أبي الزوجة فحين يحضر المطلوب يجتمع أهل العريس وأهل العروسة
و يأكلون الوليمة ثم يدخلونه على زوجته وبعد ذلك يصطاد من السمك و يطعمها واذا عجز تصطاد
هي و تطعمه قال وان زنى بعضهم ببعض كيف يكون الحال قال ان الذي يثبت عليه الامر ان كان أنثى
ينفوه الى مدينة البنات فاذا كانت حاملا من الزنا فانهم يتركونها الى أن تلد فان ولدت بنتا ينفونها معها
وتسمى زانية بنت زانية ولا تزال بنتا حتى تموت وان كان المولود ذكرا فانهم يأخذونه الى الملك
سلطان البحر فيقتله فتعجب عبد الله البري من ذلك ثم أن عبد الله البحري أخذه الى مدينة أخرى

وهكذا وما زال يفرجه حتى فرجه على ثمانين مدينة وكل مدينة يرى أهلها لا يشبهون أهل غيرها من المدن فقال له يا أخي هل بقي في البحر مدائن قال وأي شيء رأيت من مدائن البحر وعجائبه وحق النبي الكريم الرؤوف الرحيم لو كنت فرجتك ألف عام كل يوم على مدينة وأريتك في كل مدينة ألف أعجوبة ما أريتك قيراطا من أربعة وعشرين قيراطا من مدائن البحر وعجائبه وانما فرجتك على ديارنا وأرضنا لا غير فقال له يا أخي حيث كان الامر كذلك يكفيني ما تفرجت عليه فاني سئمت من أكل السمك ومضى لي في صحبتك ثمانون يوما وأنت لا تطعمني صباحا ومساء الا السمك طريا لا مستويا ولا مطبوخا فقال له أي شيء يكون المطبوخ والمشوي قال له عبد الله البري نحن نشوي السمك في النار ونطبخه ونجعله اصنافا ونصنع منه انواعا كثيرة فقال له البحري من أين تأتي لنا النار فنحن لا نعرف المشوي من المطبوخ وغير ذلك فقال له البري نحن نقليه بالزيت والسيرج فقال له البحري ومن اين لنا الزيت والسيرج ونحن في هذا البحر لا نعرف شيأ مما ذكرته قال صدقت ولكن يا أخي قد فرجتني على مدائن كثيرة ولم تفرجني على مدينتك قال له اما مدينتي فاننا فتناها بمسافة وهي قريبة من البر الذي اتينا منه وانما تركت مدينتي وجئت بك الى هنا لاني قصدت ان افرجك على مدائن البحر قال له يكفيني ما تفرجت عليه ومرادي ان تفرجني على مدينتك قال له وهو كذلك ثم رجع به الى مدينته فلما وصل اليها قال له هذه مدينتي فرآها مدينة صغيرة عن المدائن التي تفرج عليها ثم دخل المدينة ومعه عبد الله البحري الى ان وصل الى مغارة قال له هذا بيتي وكل بيوت هذه المدينة كذلك مغارات كبار وصغار في الجبال وكذلك جميع مدائن البحر على هذه الصفة فان كل من اراد ان يصنع له بيتا يروح الى الملك ويقول له مرادي ان اتخذ بيتا في المكان الفلاني فيرسل معه الملك طائفة من السمك يسمون النقارين ويجعل كراهم شيأ معلوما من السمك ولهم مناقير تفتت الحجر الجامد فيأتون الى الجبل الذي اراده صاحب البيت وينقرون في البيت وصاحب البيت يصطاد لهم من السمك ويلقمهم حتى تتم المغارة فيذهبون وصاحب البيت يسكنه وجميع اهل البحر على هذه الحالة لا يتعاملون مع بعضهم ولا يخدمون بعضهم الا بالسمك وكلهم سمك ثم قال ادخل فدخل فقال عبد الله البحري يا بنتي واذا بابنته اقبلت عليه ولها وجه مدور مثل القمر ولها شعر طويل وردف ثقيل وطرف كحيل وخصر نحيل لكنها عريانة ولها ذنب فلما رأت عبد الله البري مع ابيها قالت له يا ابي ما هذا الأزعر الذي جئت به معك فقال لها يا بنتي هذا صاحبي البري الذي كنت اجيء لك من عنده بالفاكهة البرية تعالي سلمي عليه فتقدمت وسلمت عليه بلسان فصيح وكلام بليغ فقال أبوها هات زادا لضيفنا الذي حلت علينا بقدومه البركة فجاءت له بسمكتين كبيرتين كل واحدة منهما مثل الخروف فقال له كل فأكل غصبا عنه من الجوع لانه سئم من أكل السمك وما عندهم شيء غير السمك فما مضى حصة الا وامرأة عبد الله البحري أقبلت وهي جميلة الصورة ومعها ولدان كل واحد في يده فرخ سمك يقرش فيه كما يقرش الانسان في الخيارة فلما رأت عبد الله البري قالت أي شيء هذا الأزعر وتقدم الولدان واختهما وامهم وصاروا ينظرون الى دبر عبد الله البري ويقولون أي والله أزعر

و يضحكون عليه فقال عبدالله البري ياأخي هل أنت جئت بي لتجعلني سخرية للاولاد كونزوجتك
وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٤٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبدالله البرى قال لعبد الله البحرى يا أخي هل أنت جئت بي لتجعلني سخرية للاولاد كونزوجتك فقال له عبدالله البحرى العفو يا أخي فان الذى لا ذنب له غير موجود عندنا واذا وجد من غير ذنب يأخذه السلطان ليضحك عليه ولكن يا أخي لا تؤاخذ هؤلاء الاولاد الصغار والمرأة فان عقولهم ناقصة ثم صرخ عبدالله البحري على عياله وقال لهم اسكتوا فخافوا منه وسكتوا وجعل يأخذ بخاطره فبينما هو يتحدث معه واذا بعشرة أشخاص كبار شداد غلاظ أقبلوا عليه وقالوا يا عبدالله انه بلغ الملك ان عندك أزعر من زعر البر قال نعم وهو هذا الرجل فانه صاحبي أتاني ضيفا ومرادي أن ارجعه الى البر قالوا انا لانقدر ان نروح الا به فان كان مرادك كلاما فقم وخذه واحضر به قدام الملك والذى تقوله لنا قله للملك فقال عبدالله البحري يا أخي العذر واضح ولا يمكننا مخالفة الملك ولكن امض معي للملك وأنا أسعى فى خلاصك منه ان شاء الله تعالى ولا تخف فانه متى رآك عرف انك من أولاد البر ومتى علم انك بري فلا بد أنه يكرمك ويردك الى البر فقال عبدالله البري الرأي رأيك فانا أتوكل على الله وامشي معك ثم أخذه ومضى الى أن وصل الى الملك فلما رآه ضحك وقال مرحبا بالازعر وصار كل من كان حول الملك يضحك عليه ويقول أي والله انه أزعر فتقدم عبدالله البحري الى الملك وأخبره بأحواله وقال له هذا من أولاد البر وصاحبي وهو لا يعيش بيننا لانه لا يحب أكل السمك الا مقليا أو مطبوخا والمراد انك تأذن لي فى أن أرده الى البر فقال له الملك حيث كان الامر كذلك وأنه لا يعيش عندنا فقد أذنت لك أن ترده الى مكانه بعد الضيافة ثم ان الملك قال هاتوا له الضيافة فأتوا له بسمك أشكالا وألوانا فأكل امتثالا لامر الملك ثم قال له الملك تمن علي فقال عبدالله البري أتمنى عليك أن تعطيني جواهر فقال خذوه الى دار الجواهر ودعوه ينتقي ما يحتاج اليه فأخذه صاحبه الى دار الجواهر ونقى على قدر ما أراد ثم رجع الى مدينته وأخرج له صرة وقال له خذ هذه أمانة وأوصلها الى قبر النبي ﷺ فأخذها وهو لا يعلم ما فيها ثم خرج معه ليوصله الى البر فرأى فى طريقه غناء وفرحا وسماطا ممدودا من السمك والناس يأكلون ويغنون وهم فى فرح عظيم فقال عبدالله البرى لعبدالله البحرى ما لهؤلاء الناس فى فرح عظيم هل عندهم عرس فقال البحرى ليس عندهم عرس وانما مات عندهم ميت فقال له هل أنتم اذا مات عندكم ميت تفرحون له وتغنون وتأكلون قال نعم وأنتم يا أهل البر ماذا تفعلون قال البرى اذا مات عندنا ميت نحزن عليه ونبكي والنساء يلطمن وجوههن ويشققن جيوبهن حزنا على من مات فحملق عبدالله البحرى عينيه فى عبدالله البرى وقال له هات الامانة فأعطاها له ثم أخرجه الى البر وقال له قد قطعت صحبتك وودك فبعد هذا اليوم لا تراني ولا أراك فقال له لماذا هذا الكلام فقال له ما أنتم يا أهل البر أمانة الله فقال البرى نعم قال فكيف لا يهون عليكم ان الله يأخذ أمانته بل تبكون عليها فكيف أعطيك أمانة النبي ﷺ وأنتم اذا أتاكم المولود

بحوث به مع ان الله يضع فيه الروح أمانة فاذا أخذها كيف تصعب عليكم وتبكون وتحزنون فالله رفقتكم حاجة ثم تركه وراح الى البحر ثم ان عبد الله البري لبس حوائجه واخذ جواهره وتوجه الى الملك فتلقاه باشتياق وفرح به وقال له كيف أنت يا نسيبي وما سبب غيابك عني هذه المدة فأخبره بقصته وما رآه من العجائب في البحر فتعجب الملك من ذلك ثم اخبره بما قاله عبد الله البحري فقال له أنت الذي أخطأت في أخبارك له بهذا الخبر ثم أنه استمر مدة من الزمان وهو يروح الى جانب البحر ويصيح على عبد الله البحري فلم يرد عليه ولم يأت اليه فقطع عبد الله البري الرجاء منه وأقام هو والملك نسيبه وأهلهما في أسر حال وحسن أعمال حتى أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات وماتوا جميعا فسبحان الحي الذي لا يموت ذي الملك والملكوت وهو على كل شيء قدير وبعباده لطيف خبير

﴿من نوادر هرون الرشيد مع الشاب العماني﴾

(ومما يحكى أيضا) أن الخليفة هرون الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فاستدعى مسرورا فحضر فقال له ائتني بجعفر بسرعة فذهب وأحضره فلما وقف بين يديه قال يا جعفر قد اعتراني في هذه الليلة أرق فمنع عني النوم ولا أعلم ما يزيله عني قال يا أمير المؤمنين قد قالت الحكماء النظر الى المرآة ودخول الحمام واستعمال الغناء يزيل الهم والفكر فقال يا جعفر اني قد فعلت هذا كله فلم يزل عني شيئا وانا أقسم بآبائي الطاهرين ان لم تتسبب فيما يزيل عني ذلك لأضربن عنقك قال يا أمير المؤمنين هل تفعل ما أشير به عليك قال وما الذي تشير به علي قال ان تنزل بنا في زورق وننحدر به في بحر الدجلة مع الماء الى محل يسمى قرن الصراط لعلنا نسمع ما لم نسمع أو ننظر ما لم ننظر فانه قد قيل تفريج الهم بواحد من ثلاثة أمور أن يرى الانسان ما لم يكن رآه أو يسمع ما لم يكن سمعه أو يطأ أرضا ما لم يكن وطئها فلعل ذلك يكون سببا في زوال القلق عنك يا أمير المؤمنين فعند ذلك قام الرشيد من موضعه وصحبته جعفر وأخوه الفضل وابو اسحق النديم وابو نواس وابو دلف ومسرور والسياف وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٤٤) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الخليفة لما قام من موضعه وصحبته جعفر وباقي جماعته دخلوا حجرة الثياب ولبسوا كلهم ملابس التجار وتوجهوا الى الدجلة ونزلوا في زورق مزركش بالذهب وانحدروا وامع الماء حتى وصلوا إلى الموضع الذي يريدونه فسمعوا صوت جارية تغني على العود وتنشد هذه الابيات

أقول وقد حضر العقار ... وقد غنى على الايك الهزار
الى كم ذا التأني عن سرور ... افق ما العمر الا مستعار
فخذها من يدي ظبي غرير ... بجفنيه فتور وانكسار
زرعت بخده وردا طريا ... فاثمر في السوالف جلنار
وتحسب موضع التخميش فيه ... رمادا خامدا والخد نار

يقول لى العزول تسل عنه　　　فما عذرى وقد تم العذار

فلما سمع الخليفة هذا الصوت قال يا جعفر ما أحسن هذا الصوت قال جعفر يا مولانا ما طرق سمعي أطيب ولا أحسن من هذا الغناء ولكن ياسيدى ان السماع من وراء جدار نصف سماع فكيف بالسماع من خلف ستر فقال انهض بنا يا جعفر حتى نتطفل على صاحب هذه الدار لعلنا نرى المغنية عيانا قال جعفر سمعا وطاعة فصعدوا من المركب واستأذنوا في الدخول واذا بشاب صبيح المنظر عذب الكلام فصيح اللسان خرج اليهم وقال اهلا وسهلا ياسادتي المنعمين على ادخلوا بالرحب والسعة فدخلوا وهو بين أيديهم فرأوا الدار بأربعة اوجه وسقفها بالذهب وحيطانها



﴿الجوارى والغلمان وهم يرقصون ويغنون فى منزل طاهر بن العلاء﴾

منقوشة باللازورد وفيها ايوان به سدلة جميلة وعليها مائة جارية كأنهن اقمار فصاح عليهن فنزلن عن اسرتهن ثم التفت رب المنزل الى جعفر وقال ياسيدى أنا ما أعرف منكم الجليل من الاجل بسم الله ليتفضل منكم من هو أعلى فى الصدر ويجلس اخوانه كل واحد في مرتبته فجلس كل واحد فى منزلته وقام مسرور فى الخدمة بين أيديهم ثم قال لهم صاحب المنزل يا ضيافى عن اذنكم هل أحضر لكم شيئا من المأكول قالوا له نعم فامر الجوارى باحضار الطعام فاقبل أربع جوار مشدودات الاوساط بين أيديهن مائدة وعليها من غرائب الالوان مما درج وطار وسبح في البحار من قطا وسمان

وافراخ وحمام ومكتوب على حواشي السفرة من الاشعار ما يناسب المجلس فاكلوا على قدر كفايتهم ثم غسلوا أيديهم فقال الشاب يا سادتي ان كان لكم حاجة فاخبرونا بها حتى نتشرف بقضائها فقالوا نعم فاننا ما جئنا منزلك الا لاجل صوت سمعناه من وراء حائط دارك فاشتهينا ان نسمعه ونعرف صاحبته فان رأيت ان تنعم علينا بذلك كان من مكارم اخلاقك ثم نعود من حيث جئنا فقال مرحباً بكم ثم التفت الى جارية سوداء وقال احضري سيدتك فلانة فذهبت الجارية ثم جاءت ومعها كرسي فوضعته ثم ذهبت ثانيا وأتت ومعها جارية كأنها البدر في تمامه فجلست على الكرسي ثم ان الجارية السوداء ناولتها خرقة من أطلس فأخرجت منها عوداً مرصعاً بالجواهر واليواقيت وملاويه من الذهب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٤٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الجارية لما أقبلت جلست على كرسي وأخرجت العود من الخريطة واذا هو مرصع بالجوهر واليواقيت وملاويه من الذهب فشدت أوتاره ورنات المزاهر وهي كما قال فيها وفي عودها الشاعر

حضنته كالام الشفيقة بابنها ۞ في حجرها وجلت عليه ملاويه
ماحركت يدها اليمين لجسه ۞ الا واصلحت اليسار ملاويه

ثم ضمت العود الى صدرها وانحت عليه انحناء الوالدة على ولدها وجسبت أوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبي بأمه ثم ضربت عليه وجعلت تنشد هذه الابيات

جاد الزمان بمن أحب فاعتبا ۞ ياصاحبي فادر كؤسك واشربا
من خمرة ما مازجت قلب امرىء ۞ الا وأصبح بالمسرة مطربا
قام النسيم بحملها في كأسها ۞ أرأيت بدرا ثم يحمل كوكبا
كم ليلة سامرت فيها بدرها ۞ من فوق دجلة قد أضاء الغيهبا
والبدر يجنح للغروب كأنما ۞ قد مد فوق الماء سيفا مذهبا

فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديدا وصاح كل من في الدار من البكاء حتى كادوا أن يهلكوا وما منهم احد الا وغاب عن وجوده ومزق أثوابه ولطم على وجهه لحسن غنائها فقال الرشيد ان غناء هذه الجارية يدل على أنها عاشقة مفارقة فقال سيدها انها ثاكلة لامها وأبيها فقال الرشيد ما هذا بكاء من فقد اباه وأمه وانما هو شجو من فقد محبوبه وطرب الرشيد من غنائها وقال لابي اسحق والله ما رأيت مثلها فقال أبو اسحق ياسيدي اني لاعجب منها غاية العجب ولا أملك نفسي من الطرب وكان الرشيد مع ذلك كله ينظر الى صاحب الدار ويتأمل في محاسنه وظرف شمائله فرأى في وجهه اصفرارا فالتفت اليه وقال يافتى فقال لبيك ياسيدي فقال له هل تعلم من نحن قال لا فقال له جعفر أتحب ان نخبرك عن كل واحد باسمه فقال نعم فقال جعفر هذا أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين وذكر له بقية أسماء الجماعة وبعد ذلك قال الرشيد اشتهي ان تخبرني عن هذا الاصفرار الذي في وجهك هل هو مكتسب أو أصلي من حين ولادتك قال يا أمير المؤمنين ان حديثي غريب

وأمري عجيب لو كتب بالإبر على آماق البصر لكان عبرة لمن اعتبر قال اعلمني به لعل شفاءك يكون على يدي قال يا أمير المؤمنين أرعني سمعك وإخل لي ذرعك قال هات حدثني فقد شوقتني الى سماعه فقال اعلم يا أمير المؤمنين اني رجل تاجر من تجار البحر واصلي من مدينة عمان وكان أبي تاجرا كثير المال وكان له ثلاثون مركبا تعمل في البحر أجرتها في كل عام ثلاثون ألف دينار وكان رجلا كريما وعلمني الخط وجميع ما يحتاج اليه الشخص فلما حضرته الوفاة دعاني وأوصاني بما جرت به العادة ثم توفاه الله تعالى الى رحمته وابقى الله أمير المؤمنين وكان لأبي شركاء يتجرون في ماله ويسافرون في البحر فاتفق في بعض الايام اني كنت قاعدا في منزلي مع جماعة من التجار اذ دخل علي غلام من غلماني وقال يا سيدي ان بالباب رجلا يطلب الاذن في الدخول عليك فاذنت له فدخل وهو حامل على رأسه شيئا مغطى فوضعه بين يدي وكشفه فاذا فيه فواكه بغير اوان وملح وطرائف ليست في بلادنا فشكرته على ذلك وأعطيته مائة دينار وانصرف شاكرا ثم فرقت ذلك على كل من كان حاضرا من الاصحاب ثم سألت التجار من أين هذا فقالوا أنه من البصرة واثنوا عليه وصاروا يصفون حسن البصرة واجمعوا على أنه ليس في البلاد أحسن من بغداد ومن أهلها وصاروا يصفون بغداد وحسن اخلاق أهلها وطيب هوائها وحسن تركيبها فاشتاقت نفسي اليها وتعلقت آمالي برؤيتها فقمت وبعت العقار والأملاك وبعت المراكب بمائة الف دينار وبعت العبيد والجواري وجمعت مالي فصار ألف ألف دينار غير الجواهر والمعادن واكتريت مركبا وشحنتها بالاموال وسائر متاعي وسافرت بها اياما وليالي حتى جئت الى البصرة فاقمت بها مدة ثم استأجرت سفينة وانزلت مالي فيها وسرنا منحدرين اياما قلائل حتى وصلنا الى بغداد فسألت أين تسكن التجار وأي موضع أطيب للسكان فقالوا في حارة الكرخ فجئت اليها واستأجرت دارا في درب يسمى درب الزعفران ونقلت جميع مالي الى تلك الدار واقمت فيها مدة ثم توجهت في بعض الايام الى الفرجة ومعي شيء من المال وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فأتيت الى جامع يسمى جامع المنصور تقام فيه الجمعة وبعد ان خلصنا من الصلاة خرجت مع الناس الى موضع يسمى قرن الصراط فرأيت في ذلك المكان موضعا عاليا جميلا وله روشن مطل على الشاطىء وهناك شباك فذهبت من جملة الناس الى ذلك المكان فرأيت شيخا جالسا وعليه ثياب جميلة وتفوح منه رائحة طيبة وقد سرح لحيته فافترقت على صدره فرقتين كانهما قضيب من لجين وحوله أربع جوار وخمسة غلمان فقلت لشخص ما اسم هذا الشيخ وما صنعته فقال هذا طاهر ابن العلاء وهو صاحب الفتيان وكل من دخل عنده يأكل ويشرب وينظر الى الملاح فقلت له والله ان لي زمانا وأنا أدور على مثل هذا وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٤٦) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب لما قال والله ان لي زمانا وأنا أدور على مثل هذا ثم قال فتقدمت اليه يا أمير المؤمنين وسلمت عليه وقلت له يا سيدي ان لي عندك حاجة فقال ما حاجتك قلت اشتهي أن أكون ضيفك في هذه الليلة فقال حبا وكرامة ثم قال يا ولدي عندي

جوار كثيرة منهن من ليلتها بعشرة دنانير ومنهن من ليلتها باكثر فاختر من تريد فقلت اختار التي ليلتها بعشرة دنانير ثم وزنت له ثلثمائة دينار عن شهر فسلمني لغلام فأخذني ذلك الغلام وذهب بي الى حمام القصر وخدمني خدمة حسنة فخرجت من الحمام واتى بي الى مقصورة وطرق الباب فخرجت له جارية فقال لها خذي ضيفك فتلقتني بالرحب والسعة ضاحكة مستبشرة وأدخلتني دارا عجيبة مزركشة بالذهب فتأملت في تلك الجارية فرأيتها كالبدر ليلة تمامه وفي خدمتها جاريتان كانهما كوكبان ثم اجلستني وجلست بجانبي ثم أشارت الى الجواري فاتين بمائدة فيها من أنواع اللحوم من دجاج وسماني وقطا وحمام فأكلنا حتى اكتفينا ومارأيت في عمري الذ من ذلك الطعام فلما أكلنا رفعت تلك المائدة وأحضرت مائدة الشراب والمشموم والحلوى والفواكه واقمت عندها شهرا على هذا الحال فلما فرغ الشهر دخلت الحمام وجئت الى الشيخ وقلت له ياسيدي أريد التي ليلتها بعشرين دينارا فقال ازن الذهب فمضيت واحضرت الذهب فوزنت له ستمائة دينار عن شهر فنادى غلاما وقال له خذ سيدك فأخذني وأدخلني الحمام فلما خرجت أتى بي الى باب مقصورة وطرقه فخرجت جارية فقال لها خذي ضيفك فتلقتني باحسن ملتقى واذا حولها أربع جوار ثم أمرت باحضار الطعام فحضرت مائدة عليها من سائر الاطعمة فأكلت ولما فرغت من الاكل ورفعت المائدة فاخذت العود وغنت بهذه الابيات

ايا نفحات المسك من أرض بابل ... بحق غرامي ان تؤدي رسائلي
عهدت بهاتيك الاراضي منازلا ... لاحبابنا أكرم بها من منازل
وفيها التي ماحبها كل عاشق ... تعنى ولم يرتد منها بطائل

فاقمت عندها شهرا ثم جئت الى الشيخ وقلت أريد صاحبة الاربعين دينارا فقال ازن لي الذهب فوزنت له شهر الفا ومائتي دينار ومكثت عندها شهرا كأنه يوم واحد لما رأيت من حسن المنظر وحسن العشرة ثم جئت الى الشيخ وكنا قد امسينا فسمعت ضجة عظيمة واضواتا عالية فقلت له ماالخبر فقال لي الشيخ ان هذه الليلة عندنا شهر الليالي وجميع الخلائق يتفرجون على بعضهم فيها فهل لك أن تصعد على السطح وتتفرج على الناس فقلت نعم وطلعت على السطح فرأيت ستارة حسنة ووراء الستارة محل عظيم وفيه سدلة وعليها فرش مليح وهناك صبية تدهش الناظرين حسنا وجمالا وقدا واعتدالا وبجانبها غلام يده على عنقها وهو يقبلها فلما رأيتهما ياأمير المؤمنين لم املك نفسي ولم أعرف أين أنا لما بهرني من حسن صورتها فلما نزلت سألت الجارية التي أنا عندها واخبرتها بصفتها فقالت مالك وما لها فقلت والله انها أخذت عقلي فتبسمت وقالت ياأبا الحسن ألك فيها غرض فقلت أي والله فانها تملكت قلبي ولبي فقالت هذه ابنة طاهر بن العلاء وهي سيدتنا وكلنا جواريها أتعرف ياأبا الحسن بكم ليلتها ويومها قلت لا قالت بخمسمائة دينار وهي حسرة في قلوب الملوك فقلت والله لاذهبن مالي كله على هذه الجارية وبت أكابد الغرام وطول ليلي فلما أصبحت دخلت الحمام ولبست أفخر ملبوس من ملابس الملوك

وجئت الى أبيها وقلت ياسيدى أريد التي ليلتها بخمسمائة دينار فقال زن الذهب فوزنت له عن كل شهر عشرة الاف دينار فاخذها ثم قال للغلام احمد به الى سيدتك فلانة فاخذني واتى بي الى دار لم تر عيني أظرف منها على وجه الارض فدخلتها فرأيت الصبية جالسة فلما رأيتها اندهش عقلي بحسنها يا امير المؤمنين وهي كالبدر في ليلة أربعة عشر ذات حسن وجمال وقد واعتدال والفاظ تفضح رنات المزاهر كانها المقصود الشاعر

قالت وقد لعب الغرام عطفها ... في جنح ليل سابل الاحلاك
ياليل هل لي في دجاك مسامر ... أوهل لهذا الكس من نياك
ضربت عليه بكفها وتنهدت ... كتنهد الآسف الحزين الباكي
والثغر بالمسواك يظهر حسنه ... والاير للاكساس كالمسواك
يامسلمون أما تقوم أيوركم ... مافيكم أحد يغيث الشاكي
فانقض من تحت الغلائل قائما ... ايري وقال لها إتاك اتاك
وحللت عقد أزارها فتفزعت ... من أنت قلت فتى أجاب نداك
وغدرت أرهزها بمثل ذراعها ... رهز اللطيف يضر بالاوراك
حتى اذا ماقمت بعد ثلاثة ... قالت هناك النيك قلت هناك

وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٧ ؛ ٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب لما حدث أمير المؤمنين بصفات الجارية وانشد في حسنها الابيات المتقدمة ثم أنشد هذه الابيات

ولو انها للمشركين تعرضت ... لباتوا ابهامن دون أصنامهم ربا
ولو تفلت في البحر والبحر مالح ... لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا
ولو انها في الشرق لاحت لراهب ... لخلى سبيل الشرق واتبع الغربا

وما أحسن قول الآخر

نظرت اليها نظرة فتحيرت ... دقائق فكري في بديع صفاتها
فاوحي اليهم الوهم اني أحبها ... فاثر ذاك الوهم في وجناتها

فسلمت عليها فقالت أهلا وسهلا ومرحبا وأخذت بيدي يا أمير المؤمنين واجلستني الى جانبها ثم من فرط الاشتياق بكيت مخافة الفراق واسلبت دمع العين وانشدت هذين البيتين

أحب ليالي الهجر لا فرحا بها ... عسى الدهر ياتي بعدها بوصال
واكره ايام الوصال لانني ... ارى كل شيء معقبا بزوال

ثم انها صارت تؤانسني بلطف الكلام وانا غريق في بحر الغرام خائف في القرب الم الفراق من فرط الوجد والاشتياق وتذكرت لوعة النوى والبين فانشدت هذين البيتين

فكرت ساعة وصلها في هجرها ... فجرت مدامع مقلتي كالعندم

فطفقت امسح مقلتى فى جيدها   من عادة الكافور امساك الدم



(الشاب العمانى وهو يبكى حين نفدت منه نقوده فى بيت طاهر بن العلاء)
(ويشكى لابنته تخوفه من مراقها وهى توعده خيرا)

ثم أمرت باحضار الاطعمة فاقبلت أربع جوار نهد ابكار فوضعن بين ايدينا من الاطعمة والفاكهة والحلوى والمشموم والمدام ما يصلح للملوك فاكلنا يا امير المؤمنين وجلسنا على المدام وحولنا الرياحين فى مجلس لا يصلح الا للملك ثم جاءتها يا امير المؤمنين جارية بخريطة من الابريسم فاخذتها واخرجت منها عودا فوضعته فى حجرها وجست اوتاره فاستغاثت كما يستغيث الصبى بامه وانشدت هذين البيتين

لا تشرب الراح الا من يدي رشأ تحكيه في رقة المعنى ويحكيها
ان المدامة لا يلتذ شاربها حتى يكون نقي الخد ساقيها

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٤٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الشاب قال لما انشدت هذين البيتين قالت يا امير المؤمنين عندها على هذه الحالة مدة من الزمان حتى نفد جميع مالي فتذكرت وانا جالس معها مفارقتها فنزلت دموعي على خدي كالانهار وصرت لا اعرف الليل من النهار فقالت لاي شيء تبكي فقلت لها يا سيدتي من حين جئت اليك وأبوك يأخذ مني في كل ليلة خمسمائة دينار وما بقي عندي شيء من المال وقد صدق الشاعر حيث قال

الفقر في أوطاننا غربة والمال في الغربة اوطان

فقالت اعلم ان أبي من عادته انه اذا كان عنده تاجر وافتقر فانه يضيفه ثلاثة أيام ثم بعد ذلك يخرجه فلا يعود الينا أبدا ولكن اكتم سرك واخف أمرك وأنا اعمل حيلة في اجتماعي بك الى ما شاء الله فان لك في قلبي محبة عظيمة واعلم أن جميع مال أبي تحت يدي وهو لا يعرف قدره فانا أعطيك في كل يوم كيسا فيه خمسمائة دينار وأنت تعطيه لابي وتقول له ما بقيت أعطي الدراهم الا يوما بيوم وكلما دفعته اليه فانه يدفعه الي وأنا أعطيه لك وتستمر هكذا الى أن شاء الله فشكرتها على ذلك وقبلت يدها ثم أقمت عندها يا أمير المؤمنين على هذه الحالة مدة سنة كاملة فاتفق في بعض الايام انها ضربت جاريتها ضربا وجيعا فقالت لها والله لاوجعن قلبك كما أوجعتيني ثم مضت تلك الجارية الى أبيها واعلمته بامرنا من أوله إلى آخره فلما سمع طاهر بن العلاء كلام الجارية قام من وقته وساعته ودخل علي وأنا جالس مع ابنته وقال لي يا فلان قلت له لبيك قال عادتنا انه إذا كان عندنا تاجر وافتقر اننا نضيفه عندنا ثلاثة أيام وأنت لك عندنا سنة تأكل وتشرب وتفعل ما تشاء ثم التفت الى غلمانه وقال اخلعوا ثيابه ففعلوا وأعطوني ثيابا رديئة قيمتها خمسة دراهم ودفعوا إلي عشرة دراهم ثم قال لي أخرج فانا لا أضربك ولا أشتمك واذهب الى حال سبيلك وان أقمت في هذه البلدة كان دمك هدرا فخرجت يا أمير المؤمنين برغم انفي ولا أعلم أين أذهب وحل في قلبي كل هم في الدنيا وشغلني الوسواس وقلت في نفسي كيف اجيء في البحر بألف ألف من جملتها ثمن ثلاثين مركبا ويذهب هذا كله في دار هذا الشيخ النحس وبعد ذلك اخرج من عنده عريانا مكسور القلب فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم اقمت في بغداد ثلاثة أيام لم أذق طعاما ولا شرابا وفي اليوم الرابع رأيت سفينة متوجهة إلى البصرة فنزلت فيها واستكريت مع صاحبها إلى أن وصلت إلى البصرة فدخلت السوق وأنا في شدة الجوع فرآني رجل بقال فقام إلي وعانقني لانه كان صاحبا لي ولابي من قبلي وسألني عن حالي فاخبرته بجميع ما جرى لي فقال لي والله ما هذه فعال عاقل ومع هذا الذي جرى لك فاي شيء في ضميرك تريد أن تفعله فقلت له لا أدري ماذا أفعل فقال اتجلس عندي وتكتب خرجي ودخلي ولك في كل يوم درهم زيادة على اكلك وشربك فاجبته واقمت عنده يا أمير المؤمنين سنة كاملة أبيع

واشتري الى أن صار معي مائة دينار فاستأجرت غرفة على شاطىء البحر لعل مركبا تأتي ببضاعة فاشتري بالدنانير بضاعة واتوجه بها الى بغداد فاتفق في بعض الايام أن المراكب جاءت وتوجهوا اليها جميع التجار يشترون فرحت معهم واذا برجلين قد خرجا من بطن المركب ونصبا لهما كرسيين وجلسا عليهما ثم اقبل التجار عليهما لاجل الشراء فقال لبعض الغلمان احضروا البساط فاحضروه وجاء واحد بخرج فاخرج منه جرابا وفتحه وكبه على البساط واذا به يخطف البصر لما فيه من الجواهر واللؤلؤ والمرجان والياقوت والعقيق من سائر الالوان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٤٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الشاب لما أخبر الخليفة بقضية التجار وبالجراب ومافيه من سائر أنواع الجواهر قال ياأمير المؤمنين ثم أن واحدا من الرجلين الجالسين على الكراسي التفت إلى التجار وقال لهم يامعاشر التجار أنا ما أبيع في يومي هذا لأني تعبان فتزايدت التجار في الثمن حتى بلغ مقداره أربعمائة دينار فقال لي صاحب الجراب وكان بيني وبينه معرفة قديمة لماذا لم تتكلم ولم تزد مثل التجار فقلت له والله ياسيدي ما بقي عندي شيء من الدنيا سوى مائة دينار واستحيت منه ودمعت عيني فنظر الي وقد عسر عليه حالي ثم قال للتجار اشهدوا علي اني بعت جميع ما في الجراب من أنواع الجواهر والمعادن لهذا الرجل بمائة دينار وأنا أعرف أنه يساوي كذا وكذا الف دينار وهو هدية مني اليه فاعطاني الخرج والجراب والبساط وجميع ما عليه من الجواهر فشكرته على ذلك وجميع من حضر من التجار اثنوا عليه ثم أخذت ذلك ومضيت به إلى سوق الجواهر وقعدت أبيع وأشتري وكان من جملة هذه المعادن قرص تعويذ صنعة المعلمين وزنته نصف رطل وكان أحمر شديد الحمرة وعليه أسطر مثل دبيب النمل من الجانبين ولم اعرف منفعته فبعت واشتريت مدة سنة كاملة ثم أخذت قرص التعويذ وقلت هذا له عندي مدة لا أعرفه ولا أعرف منفعته فدفعته إلى الدلال فاخذه ودار به ثم عاد وقال مادفع احد من التجار سوى عشرة دراهم فقلت له ما أبيعه بهذا القدر فرماه في وجهي وانصرف ثم عرضته للبيع يوما آخر فبلغ ثمنه خمسة عشر درهما فاخذته من الدلال مغضبا ورميته عندي فبينما أنا جالس يوما اذ قبل علي رجل فسلم علي وقال لي عن أذنك هل اقلب ما عندك من البضائع قلت نعم وأنا ياأمير المؤمنين مغتاظ من كساد قرص التعويذ فقلب الرجل البضاعة ولم يأخذ منها سوى قرص التعويذ فلما رآه ياأمير المؤمنين قبل يده وقال الحمد لله ثم قال ياسيدي اتبيع هذا فازداد غيظي وقلت له نعم فقال لي كم ثمنه فقلت له كم تدفع أنت فيه قال عشرين دينارا فتوهمت أنه يستهزىء بي فقلت أذهب الى حال سبيلك فقال لي هو بخمسين دينارا فلم أخاطبه فقال ألف دينار هذا كله ياأمير المؤمنين وأنا ساكت ولم أجبه وهو يضحك من سكوتي ويقول لاي شيء لم ترد علي فقلت له اذهب الى حال سبيلك وأردت أن أخاصمه وهو يزيد الفا بعد الف ولم ارد عليه حتى قال اتبيعه بعشرين الف دينار وانا أظن انه يستهزىء بي فاجتمع علينا الناس وكل منهم يقول بعه وان لم يشتر فنحن الكل عليه ونضربه ونخرجه من البلد فقلت له هل أنت

تشتريني أو تستهزىء قلت له ابيع قال هو بثلاثين ألف دينار وخذه وامض البيع فقلت للحاضرين اشهدوا عليه ولكن بشرط أن تخبرني ما فائدته وما نفعه قال امض البيع وانا اخبرك بفائدته ونفعه فقلت بعتك فقال الله على ما نقول وكيل ثم اخرج الذهب واقبضني اياه واخذ قرص التعويذ ووضعه في جيبه ثم قال لي هل رضيت قلت نعم فقال اشهدوا عليه انه امضى البيع وقبض الثمن ثلاثين ألف دينار ثم انه التفت الي وقال يا مسكين والله لو اخرت البيع لزدتك الى مائة ألف دينار بل الى الف الف دينار فلما سمعت يا امير المؤمنين هذا الكلام نفر الدم من وجهي وعلاه هذا الاصفرار الذي انت تنظره من ذلك اليوم ثم قلت له اخبرني ما سبب ذلك وما نفع هذا القرص فقال اعلم ان ملك الهند له بنت لم ير احسن منها وبها داء الصداع فاحضر الملك ارباب الاقلام واهل العلوم والكهان فلم يرفعوا عنها ذلك فقلت له وكنت حاضر بالمجلس ايها الملك انا اعرف رجلا يسمى سعد الله البابلي ما على وجه الارض اعرف منه بهذه الامور فان رايت ان ترسلني اليه فافعل فقال اذهب اليه فقلت له احضر الي قطعة من العقيق فاحضر لي قطعة كبيرة من العقيق ومائة الف دينار وهدية فاخذت ذلك وتوجهت الى بلاد بابل فسألت عن الشيخ فدلوني عليه ودفعت له المائة الف دينار والهدية فاخذ ذلك مني ثم اخذ القطعة العقيق واحضر حكاكا فعملها هذا التعويذ ومكث الشيخ سبعة أشهر يرصد النجم حتى اختار وقتا للكتابة وكتب عليه هذه الطلاسم التي تنظرها ثم جئت به الى الملك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٥٠) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الشاب قال لامير المؤمنين ان الرجل قال لي اخذت هذا التعويذ وجئت به الى الملك فلما وضعه على ابنته برئت من ساعتها وكانت مربوطة في أربع سلاسل وكل ليلة تبيت عندها جارية فتصبح مذبوحة فمن حين وضع عليها هذا التعويذ برئت لوقتها ففرح الملك بذلك فرحا شديدا وخلع علي وتصدق بمال كثير ثم وضعه في عقدها فاتفق انها نزلت يوما في مركب هي وجواريها تتنزه في البحر فمدت جارية يدها اليها لتلاعبها فانقطع العقد وسقط في البحر فعاد من ذلك الوقت العارض لابنة الملك فحصل ما حصل للملك من الحزن فاعطاني مالا كثيرا وقال لي اذهب الى الشيخ ليعمل لها تعويذا عوضا عنه فسافرت اليه فوجدته قد مات فرجعت الى الملك وأخبرته فبعثني أنا وعشرة أنفس نطوف في البلاد لعلنا نجد لها دواء فأوقعني الله به عندك فاخذه مني يا أمير المؤمنين وانصرف فكان ذلك الامر سببا للاصفرار الذي في وجهي ثم اني توجهت الى بغداد ومعي جميع مالي وسكنت في الدار التي كنت فيها فلما أصبح الصباح لبست ثيابي وجئت الى بيت طاهر بن العلاء لعلي أرى من أحبها فان حبها لم يزل يتزايد في قلبي فلما وصلت الى داره رأيت الشباك قد انهدم فسألت غلاما وقلت له ما فعل الله بالشيخ فقال يا أخي أنه قدم عليه في سنة من السنين رجل تاجر يقال له أبو الحسن العماني فاقام مع ابنته مدة من الزمان ثم بعد أن ذهب ماله أخرجه الشيخ من عنده مكسور الخاطر وكانت الصبية تحبه حبا شديدا فلما فارقها امرضت مرضا شديدا حتى بلغت الموت وعرفت اباها بذلك فارسل خلفه في البلاد وقد ضمن لمن يأتي به مائة الف

دينار فلم يره أحد ولم يقع له على أثر وهي الآن مشرفة على الموت قالت وكيف حال أبيها قال باع الجواري من عظم ما أصابه فقالت له هل أدلك على أبي الحسن العماني فقال بالله عليك يا أختي أن تدلني عليه فقلت له اذهب إلى أبيها وقل له لي البشارة عندك فان أبا الحسن العماني واقف على الباب فذهب الرجل يهرول كانه بغل انطلق من طاحون ثم غاب ساعة وجاء وصحبته الشيخ فلما رآني رجع إلى داره وأعطى الرجل مائة ألف دينار فاخذها وانصرف وهو يدعو لي ثم اقبل الشيخ وعانقني وبكى وقال يا سيدي أين كنت في هذه الغيبة قد هلكت ابنتي من أجلك فادخل معي إلى المنزل فلما دخلت سجد شكراً لله تعالى وقال الحمد لله الذي جمعنا بك ثم دخل لابنته وقال لها شفاك الله من هذا المرض فقالت يا ابت ما أبرأ من مرضي إلا إذا نظرت وجه أبي الحسن فقال إذا أكلت أكلة ودخلت الحمام جمعت بينكما فلما سمعت كلامه قالت أصحيح ما تقول قال لها والله العظيم ان الذي قلته صحيح فقالت والله ان نظرت وجهه ما احتاج إلى أكل فقال لغلامه احضر سيدك فدخلت فلما نظرتني يا أمير المؤمنين وقعت مغشياً عليها فلما أفاقت انشدت هذا البيت

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما ... يظنان كل الظن ان لا تلاقيا

ثم استوت جالسة وقالت يا سيدي ما كنت أظن اني أرى وجهك الا ان كان مناماً ثم انها عانقتني وبكت وقالت يا أبا الحسن الآن آكل واشرب فاحضروا الطعام والشراب ثم صرت عندهم يا أمير المؤمنين مدة من الزمان وعادت لما كانت عليه من الجمال ثم ان أباها استدعي بالقاضي والشهود وكتب كتابها علي وعمل وليمة عظيمة وهي زوجتي إلى الآن ثم ان ذلك الفتى قام من عند الخليفة ورجع اليه بغلام بديع الجمال بقد ذي رشاقة واعتدال وقال له قبل الارض بين أيادي امير المؤمنين فقبل الارض بين يدي الخليفة فتعجب الخليفة من حسنه وسبح خالقه ثم ان الرشيد انصرف هو وجماعته وقال يا جعفر ما هذا إلا شيء عجيب ما رأيت ولا سمعت باغرب منه فلما جلس الرشيد في دار الخلافة قال يا مسرور فقال لبيك يا سيدي قال اجمع في هذا الايوان خراج البصرة وخراج بغداد وخراج خراسان فجمعه فصار مالا عظيما لا يحصى عدده إلا الله تعالى ثم قال الخليفة يا جعفر قال لبيك قال احضر لي أبا الحسن قال سمعاً وطاعة ثم احضره فلما حضر قبل الارض بين يدي الخليفة وهو خائف أن يكون طلبه بسبب خطأ وقع منه وهو عنده بمنزله فقال الرشيد يا عماني قال له لبيك يا أمير المؤمنين خلد الله نعمه عليك فقال اكشف هذه الستارة وكان الخليفة أمرهم أن يضعوا مال الثلاثة أقاليم ويسبلوا عليه الستارة فلما كشف العماني الستارة عن الايوان اندهش عقله من كثرة المال فقال الخليفة يا أبا الحسن اهذا المال أكثر أم الذي فاتك من قرص التعويذ فقال بل هذا يا أمير المؤمنين أكثر باضعاف كثيرة فقال الرشيد اشهدوا يا من حضر اني وهبت هذا المال لهذا الشاب فقبل الارض واستحى وبكى من شدة الفرح بين يدي الرشيد فلما بكى جرى الدمع من عينه على خده فرجع الدم الى محله فصار وجهه كالبدر ليلة تمامه فقال الخليفة لا إله الا الله سبحان من يغير حالا بعد حال وهو باق لا يتغير ثم اتى بمرآة وأراه وجهه فيها فلما رآه سجد شكراً لله تعالى ثم أمر الخليفة أن

يحمل اليه المال وسأله انه لا ينقطع عنه لاجل المنادمة فصار يتردد اليه الى ان توفى الخليفة الى رحمة الله تعالى فسبحان الحى الذى لا يموت ذى الملك والملكوت

(حكاية ابراهيم بن الخصيب مع جميلة بنت ابي الليث عامل البصرة)

(ومما يحكى ايضا) أيها الملك السعيد ان الخصيب صاحب مصر كان له ولد ولم يكن فى زمانه احسن منه وكان من خوفه عليه لا يمكنه من الخروج الا لصلاة الجمعة فروهو خارج من صلاة الجمعة على رجل كبير وعنده كتب كثيرة فنزل عن فرسه وجلس عنده وقلب الكتب وتاملها فرأى فيها صورة امرأة تكاد ان تنطق ولم ير احسن منها على وجه الارض فسلبت عقله وادهشت لبه فقال له ياشيخ بعلى هذه الصورة فقبل الارض بين يديه ثم قال له ياسيدى بغير ثمن فدفع له مائة دينار وأخذ الكتاب الذى فى هذه الصورة وصار ينظر اليها ويبكى ليله ونهاره وامتنع من الطعام والشراب والمنام فقال فى نفسه لو سألت الكتبي عن صانع هذه الصورة من هو ربما أخبرني فان كانت صاحبتها فى الحياة توصلت اليها وان كانت صورة مطلقة تركت التولع بها ولا أعذب نفسى بشيء لا حقيقة له وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٥١) قالت بلغنى ايها الملك السعيد ان الشاب لما قال فى نفسه لو سألت الكتبي عن هذه الصورة ربما أخبرنى فان كانت صورة مطلقة تركت التولع بها ولا أعذب نفسى بشيء لا حقيقة له فلما كان يوم الجمعة مر على الكتبي فنهض اليه قائما فقال له ياعم اخبرنى من صنع هذه الصورة قال ياسيدى صنعها رجل من أهل بغداد يقال له أبو القاسم الصندلانى فى حارة تسمى حارة الكرخ وما أعلم صورة من هي فقام الغلام من عنده ولم يعلم بحاله أحدا من أهل مملكته ثم صلى الجمعة وعاد الى البيت فاخذ جرابا وملأه من الجواهر والذهب وقيمة الجواهر ثلاثون الف دينار ثم صبر الى الصباح وخرج ولم يعلم أحدا ولحق قافلة فرأى بدويا فقال له ياعم كم بيني وبين بغداد فقال له ياولدى أين أنت وأين بغداد ان بينك وبينها مسيرة شهرين فقال له ياعم ان أوصلتنى الى بغداد أعطيتك مائة دينار وهذه الفرس التى تحتى وقيمتها الف دينار فقال له البدوى الله على مانقول وكيل ولكن لا تنزل فى هذه الليلة الا عندى فأجابه الى قوله وبات عنده فلما لاح الفجر أخذه البدوى وسار به سريعا فى طريق قريب طمعا فى تلك الفرس التى وعده بها وما زالا سائرين حتى وصلا الى حيطان بغداد فقال له البدوى الحمد لله على السلامة ياسيدى هذه بغداد ففرح الغلام فرحا شديدا ونزل عن الفرس وأعطاها للبدوى هى والمائة دينار ثم أخذ الجراب وصار يسأل عن حارة الكرخ وعن محل التجار فساقه القدر الى درب فيه عشرة حجر تقابل خمسة وفى صدر الدرب باب بمصراعين له حلقة من فضة وفى الباب مصطبتان من الرخام مفروشتان باحسن الفرش وفى احداهما رجل جالس وهو مهاب حسن الصورة وعليه ثياب فاخرة وبين يديه خمس مماليك كأنهم أقمار فلما رأى الغلام ذلك عرف العلامة التى ذكرها له الكتبي فسلم على الرجل فرد عليه السلام ورحب به واجلسه وسأله عن حاله فقال له الغلام أنا رجل غريب وأريد من احسانك ان تنظر لى فى هذا الدرب دارا لاسكن فيها فصاح الرجل

وقال ياغزالة فخرجت اليه جارية وقالت لبيك ياسيدي فقال خذي معك بعض خدم واذهبوا الى حجرة ونظفوها وافرشوها وحطوا فيها جميع ما يحتاج من آنية وغيرها لاجل هذا الشاب الحسن الصورة فخرجت الجارية وفعلت ما أمرها به ثم أخذه الشيخ وأراه الدار فقال له الغلام ياسيدي كم أجرة هذه الدار فقال له ياصبيح الوجه انا ما آخذ منك اجرة مادمت هنا فشكره على ذلك ثم ان الشيخ نادى جارية أخرى فخرجت اليه جارية كأنها الشمس فقال لها هات الشطرنج فأتت به ففرش المملوك الرقعة وقال الشيخ للغلام اتلعب معي قال نعم فلعب معه مرات والغلام يغلبه فقال أحسنت ياغلام لقد كملت صفاتك والله ما في بغداد من يغلبني وقد غلبتني أنت ثم بعد ان هيؤا الدار بالفرش وسائر ما يحتاج اليه سلم المفاتيح وقال ياسيدي الا تدخل منزلي وتأكل عيشي فنتشرف بك فاجابه الغلام الى ذلك ومشى معه فلما وصلا الى الدار رأى دارا حسنة جميلة مزركشة بالذهب وفيها من جميع التصاوير ومن أنواع الفرش والامتعة ما يعجز عن وصفه اللسان ثم صار يحييه وأمر باحضار الطعام فاتوا بمائدة من شغل صنعاء اليمن فوضعت واتوا بالطعام ألوانا غريبة لا يوجد أفخر منها ولا الذ فأكل الغلام حتى اكتفى ثم غسل يديه وصار الغلام ينظر الى الدار والفرش ثم التفت الى الجراب الذي كان معه فلم يره فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم أكلت لقمة تساوي درهما أو درهمين فذهب مني جراب فيه ثلاثون ألف دينار ولكن استعنت بالله ثم سكت ولم يقدر ان يتكلم وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٥٢) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الغلام لما رأى الجراب مفقودا حصل له غم كبير فسكت ولم يقدر ان يتكلم فقدم له الشيخ الشطرنج وقال للغلام هل تلعب معي قال نعم فلعب فغلبه الشيخ فقال الغلام احسنت ثم ترك اللعب وقام فقال له مالك ياغلام فقال أريد الجراب فقام وأخرجه له وقال هاهو ياسيدي هل ترجع الى اللعب معي قال نعم فلعب معه فغلبه الغلام فقال الرجل لما اشتغل فكرك بالجراب غلبتك فلما جئت به اليك غلبتني ثم قال له ياولدي اخبرني من أي البلاد أنت فقال من مصر فقال له وما سبب مجيئك الى بغداد فاخرج له الصورة وقال ياعم اني ابن الخصيب صاحب مصر وقد رأيت هذه الصورة عند رجل كتبي فسلبت عقلي فسألت عن صانعها فقيل لي ان صانعها رجل من بغداد بحارة الكرخ يقال له أبو القاسم الصندلاني بدرب يعرف بدرب الزعفران فاخذت معي شيأ من المال وجئت وحدي ولم يعلم بحالي أحد واريد من تمام احسانك ان تدلني عليه حتى اسأله عن سبب تصويره لهذه الصورة وصورة من هي ومهما اراده مني فاني اعطيه اياه فقال والله يابني اني انا ابو القاسم الصندلاني وهذا امر عجيب كيف ساقتك المقادير الي فلما سمع الغلام كلامه قام اليه وعانقه وقبل راسه ويديه وقال له بالله عليك ان تخبرني صورة من هي فقال سمعا وطاعة ثم قام وفتح خزانة واخرج منها عدة كتب كان صور فيها هذه الصورة وقال له اعلم ياولدي ان صاحبة هذه الصورة ابنة عمي وهي في البصرة وابوها حاكم البصرة يقال له ابو الليث وهي يقال لها جميلة وما على وجه الارض اجمل منها ولكنها زاهدة في الرجال ولا تقدر ان تسمع ذكر رجل في مجلسها وقد

ذهبت الى عمي بقصد أنه يزوجني بها وبذلت له الاموال فلم يجبني الي ذلك فلما علمت ابنته بذلك اغتاظت وأرسلت الى كلاما من جملته انها قالت ان كان لابي عقل فلا تقم بهذه البلدة والا تهلك ويكون ذنبك في عنقك وهي جبارة من الجبابرة فخرجت من البصرة وانا منكسر الخاطر وعملت هذه الصورة في الكتب وفرقتها في البلاد لعلها تقع في يد غلام حسن الصورة مثلك فيتحيل في الوصول اليها لعلها تعشقه واكون قد أخذت عليه العهد انه اذا تمكن منها يريني اياها ولو نظرة من بعيد فلما سمع ابراهيم ابن الخصيب كلامه اطرق براسه ساعة وهو يتفكر فقال له الصندلاني ياولدي اني مارايت بيغداد احسن منك واظن انها اذا نظرتك تحبك فهل يمكنك اذا اجتمعت بها ان تريني اياها ولو نظرة من بعيد فقال نعم فقال اذا كان الامر كذلك فاقم عندي الي ان تسافر فقال لا اقدر على المقام فان في قلبي من عشقها نارا زائدة فقال له اصبر حتى اجهز لك مركبا في ثلاثة أيام لتذهب فيه الي البصرة فصبر حتى جهز له مركبا ووضع فيها كل ما يحتاج اليه من مأكول ومشروب وغير ذلك وبعد الثلاثة أيام قال الغلام تجهز للسفر فقد جهزت لك مركبا فيها سائر ما تحتاج اليه والمركب ملكي والملاحون من أتباعي وفي المركب ما يكفيك الى ان تعود وقد أوصيت الملاحين ان يخدموك الى ان ترجع بالسلامة فنهض الغلام ونزل في المركب وودعه وسار حتى وصل الى البصرة فاخرج الغلام مائة دينار للملاحين فقالوا له نحن أخذنا الاجرة من سيدنا فقال لهم خذوها انعاما وانا لا اخبره بذلك فاخذوها منه ودعوا له ثم دخل الغلام البصرة وسأل اين مسكن التجار فقالوا له في خان يسمى خان حمدان فمشى حتى وصل الى السوق الذي فيه الخان فامتدت اليه الاعين بالنظر من فرط حسنه وجماله ثم دخل الخان مع رجل ملاح وسأل عن البواب فدلوه عليه فرآه شيخا كبيرا مهابا فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ياعم هل عندك حجرة ظريفة قال نعم ثم اخذه هو والملاح وفتح لهما حجرة ظريفة مزركشة بالذهب وقال ياغلام ان هذه الحجرة تصلح لك فاخرج الغلام دينارين وقال له خذ هذين حلوان المفتاح فاخذهما ودعا له وأمر الغلام الملاح بالذهاب الي المركب ثم دخل الحجرة واستمر عنده بواب الخان وخدمه وقال له ياسيدي حصل لنا بك السرور فاعطاه الغلام دينارا وقال له هات لنا به خبزا ولحما وحلوى وشرابا فاخذه وذهب به الي السوق ورجع اليه وقد اشترى ذلك بعشرة دراهم واعطاه الباقي فقال الغلام اصرفه على نفسك ففرح بواب الخان بذلك فرحا عظيما ثم ان الغلام اكل مما طلبه قرصا واحدا بقليل من الادم وقال لبواب الخان خذ هذا الى اهل منزلك فاخذه وذهب به الى أهل منزله وقال لهم ما أظن ان أحدا على وجه الارض اكرم من الغلام الذي سكن عندنا في هذا اليوم ولا أحلى منه فان دام عندنا حصل لنا الغنى ثم ان بواب الخان دخل على ابراهيم فرآه يبكي فقعد وصار يكبس رجليه ثم قبلهما وقال ياسيدي لاي شيء تبكي لا ابكاك الله فقال ياعم اريد ان نشرب انا وأنت في هذه الليلة فقال له سمعا وطاعة فاخرج له خمسة دنانير وقال له اشتر لنا بها فاكهة وشرابا ثم دفع له خمسة دنانير أخرى وقال له اشتر لنا بهذه نقلا ومشموما وخمس فراخ سمان واحضر لي عودا الفرج واشترى له ما امره به وقال لزوجته اصنعي هذا الطعام وصفي لنا هذا الشراب وليكن

ما تصنعيه جيدا فان هذا الغلام قد عمنا باحسانه فصنعت زوجته ما امرها به على غاية المراد ثم اخذه ودخل على ابراهيم ابن السلطان وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٥٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان بواب الخان لما صنعت زوجته الطعام والشراب أخذه ودخل به على بن السلطان فاكلا وشربا وطربا فبكى الغلام وأنشد هذين البيتين

ياصاحبيّ لو بذلت الروح مجتهدا وجملة المال والدنيا وما فيها
وجنة الخلد والفردوس اجمعها بساعة الوصل كان القلب شاريها

ثم شهق شهقة عظيمة وخر مغشيا عليه فتنهد بواب الخان فلما أفاق قال له بواب الخان ياسيدى ما يبكيك ومن هى التى تريدها بهذا الشعر فانها لا تكون الا ترابا لاقدامك فقام الغلام واخرج بقجة من أحسن ملابس النساء وقال له خذ هذه الى حريمك فاخذها منه ودفعها الى زوجته فاتت معه ودخلت على الغلام فاذا هو يبكى فقالت له فتت أكبادنا فعرفنا باى مليحة تريدها وهى لا تكون الا جارية عندك فقال ياعم اعلم انى أنا ابن الخصيب صاحب مصر وانى متعلق بجميلة بنت أبى الليث العميد فقالت زوجة بواب الخان الله الله يا أخى اترك هذا الكلام لئلا يسمع بنا أحد فنهلك فانه ماعلى وجه الارض اجبر منها ولا يقدر أحد ان يذكر لها اسم رجل لانها زاهدة فى الرجال فياولدى اعدل عنها لغيرها فلما سمع كلامها بكى بكاء شديدا فقال له بواب الخان مالى سوى روحى فانا أخاطر بها فى هواك وادبر لك أمرا فيه بلوغ مرادك ثم خرجا من عنده فلما أصبح الصباح دخل الحمام ولبس حلة من ملبوس الملوك واذا ببواب الخان هو وزوجته قد ماعليه وقالا له ياسيدى اعلم ان هنا رجلا خياطا أحدب وهو خياط السيدة جميلة فاذهب اليه واخبره بحالك فعساه يدلك على مافيه وصولك الى أغراضك فقام الغلام وقصد دكان الخياط الاحدب فدخل عليه فوجد عنده عشرة مماليك كانهم الاقمار فسلم عليهم فردوا عليه السلام وفرحوا به وأجلسوه وتحيروا فى محاسنه وجماله فلما رآه الاحدب اندهش عقله من حسن صورته فقال له الغلام اريد ان تخيط لى جيبى فتقدم الخياط وأخذ فتلة من الحرير وخاطه وكان الغلام قد فتقه عمدا فلما خاطه أخرج له خمسة دنانير وأعطاها له وانصرف الى حجرته فقال الخياط اى شىء عملته لهذا الغلام حتى أعطانى الخمسة دنانير ثم بات ليلته يفكر فى حسنه وكرمه فلما أصبح الصباح ذهب الى دكان الخياط الاحدب ثم دخل وسلم عليه فرد عليه السلام وأكرمه ورحب به فلما جلس قال للاحدب ياعم خيط لى جيبى فانه فتق ثانيا فقال له ياولدى على الرأس والعين ثم تقدم وخاطه فدفع له عشرة دنانير فاخذها وصار مبهوتا من حسنه وكرمه ثم قال والله ياغلام ان فعلك لا بد له من سبب وما هذا خبر خياطة جيب ولكن اخبرنى عن حقيقة امرك فان كنت عشقت واحدا من هؤلاء الاولاد فوالله مافيهم احسن منك وكلهم تراب اقدامك وهاهم عبيدك وبين يديك وان كان غير هذا فاخبرنى فقال ياعم ماهذا محل الكلام فان حديثى عجيب وأمرى غريب قال فاذا كان الامر كذلك فقم بنا فى خلوة ثم نهض الخياط وأخذه بيده ودخل معه حجرة فى داخل الدكان وقال له ياغلام حدثنى فحدثه بامره من اوله الى اخره

فبهتت من كلامه وقال يا غلام اتق الله في نفسك فان التي ذكرتها جبارة زاهدة في الرجال فاحفظ يا أخي لسانك والا فانك تهلك نفسك فلما سمع الغلام كلامه بكى بكاء شديدا ولزم ذيل الخياط وقال اجرني يا عم فاني هالك وقد تركت ملكي وملك ابي وجدي وصرت في البلاد غريبا وحيدا ولا صبر لي عنها فلما رأى الخياط ما حل به رحمه وقال يا ولدي ما عندي الا نفسي فانا اخاطر بها في هواك فانك قد جرحت قلبي ولكن في غداة تدبر لك أمرا يطيب به قلبك فدعا له وانصرف الى الخان فحدث بوابه الخان بما قاله الاحدب فقال له قد فعل معك جميلا فلما اصبح الصباح لبس الغلام افخر ثيابه واخذ كيسا فيه دنانير واتى الى الاحدب فسلم عليه وجلس ثم قال له يا عم انجز وعدي فقال له قم في هذه الساعة وخذ ثلاث فراخ سمان وثلاث اواق من السكر النبات وكوزين لطيفين واملأهما شرابا وخذ قدحا وضع ذلك في كارة وانزل بعد صلاة الصبح في زورق مع ملاح وقل له اريد ان تذهب بي تحت البصرة فان قال لك ما اقدر ان اعدي اكثر من فرسخ فقل له الرأي لك فاذا عدى فرغبه بالمال حتى يوصلك فاذا وصلت فأول بستان تراه فانه بستان السيدة جميلة فاذا رأيته فاذهب الى بابه ترى درجتين عاليتين عليهما فرش من الديباج وجالس عليهما رجل احدب مثلي فاشتك اليه حالك وتوسل به فعساه ان يرثي لحالك ويوصلك الى ان تنظرها ولو نظرة من بعيد وما بيدي حيلة غير هذا واما اذا لم يرث لحالك فقد هلكت انا وانت وهذا ما عندي من الرأي والأمر الى الله تعالى فقال الغلام استعنت بالله تعالى ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قام من عند الخياط الاحدب وذهب الى حجرته واخذ ما أمره به في كارة لطيفة ثم انه لما أصبح جاء الى شاطىء الدجلة واذا هو برجل ملاح نائم فأيقظه وأعطاه عشرة دنانير وقال له عدني الى تحت البصرة فقال له يا سيدي بشرط اني لا أعدي اكثر من فرسخ وان تجاوزته شبرا هلكت أنا وأنت فقال له الرأي لك فأخذه وانحدر به فلما قرب من البستان قال يا ولدي من هنا ما أقدر ان اعدي فان تعديت هذا الحد هلكت انا وانت فاخرج له عشرة دنانير وقال خذ هذه نفقة تستعين بها على حالك فاستحى منه وقال سلمت أمري لله تعالى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٥٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الغلام لما أعطى للملاح العشرة دنانير الاخرى اخذها وقال سلمت أمري لله تعالى وانحدر به فلما وصل الى البستان نهض الغلام من فرحته ووثب من الزورق وثبة مقدار رمية رمح ورمى نفسه فرجع الملاح هاربا ثم تقدم الغلام فرأى جميع ما وصفه له الاحدب من البستان ورأى بابه مفتوحا وفي الدهليز سرير من العاج جالس عليه رجل أحدب لطيف المنظر عليه ثياب مذهبة وفي يده دبوس من فضة مطلي بالذهب فنهض الغلام مسرعا وانكب على يده وقبلها فقال له من انت ومن اين اتيت ومن أوصلك الى ههنا يا ولدي وكان ذلك الرجل لما رأى ابراهيم بن الخصيب انبهر من جماله فقال له ابراهيم يا عم انا صبي جاهل غريب ثم بكى فرق له واصعده على السرير ومسح له دموعه وقال له لا بأس عليك ان كنت مديونا قضى الله

جيئتك وان كنت خائفاً آمن الله خوفك فقال ياعم لا بي خوف ولا علي دين ومعي مال جزيل بحمد الله وعونه فقال له ياولدي ما حاجتك حتى خاطرت بنفسك وجمالك الى محل فيه الهلاك فحكى له حكايته وشرح له امره فلما سمع كلامه اطرق برأسه ساعة الى الارض وقال هل الذي دلك على الخياط الاحدب قال له نعم قال هذا اخي وهو رجل مبارك ثم قال ياولدي لولا ان محبتك نزلت في قلبي ورحمتك لهلكت انت واخي وبواب الخان وزوجته ثم قال اعلم ان هذا البستان ما على وجه الارض مثله وانه يقال له بستان اللؤلؤ وما دخله احد مدة عمري الا السلطان وانا وصاحبته جميلة واقمت فيه عشرين سنة فما رايت احد جاء الى هذا المكان وكل اربعين يوماً تأتي في المركب الى ههنا وتصعد بين جواريها في حلة اطلس تحمل اطرافها عشر جوار بكلاليب من الذهب الى ان تدخل فلم ار منها شيئاً ولكن انا مالي الا نفس واحدة اخاطر بها من اجلك فعند ذلك قبل الغلام يده فقال له اجلس عندي حتى ادبر لك امراً ثم اخذ بيد الغلام وادخله البستان فلما رأى ابراهيم ذلك البستان ظن انه الجنة ورأى الاشجار ملتفة والنخيل باسقة والمياه متدفقة والاطيار تناغي باصوات مختلفة ثم ذهب به الى قبة وقال له هذه التي تقعد فيها السيدة جميلة فتأمل تلك القبة فوجدها من اعجب المنتزهات وفيها سائر التصاوير بالذهب واللازورد وفيها اربعة ابواب يصعد اليها بخمس درج وفي وسطها بركة ينزل اليها بدرج من الذهب وتلك الدرج مرصعة بالمعادن وفي وسط البركة سلسبيل من الذهب فيه صور كبار وصغار والماء يخرج من افواهها فاذا صفقت الصور عند خروج الماء باصوات مختلفة تخيل لسامعها انه في الجنة وحول القبة ساقية قواديسها من الفضة وهي مكسوة بالديباج وعلى يسار الساقية شباك من الفضة مطل على برج اخضر فيه من سائر الوحوش والغزلان والارانب وعلى يمينها شباك مطل على ميدان فيه من سائر الطيور وكلها تغرد باصوات مختلفة تدهش السامع فلما رأى الغلام ذلك اخذه الطرب وقعد في باب البستان وقعد البستاني بجانبه فقال له كيف ترى بستاني فقال له الغلام هو جنة الدنيا فضحك البستاني ثم قام وغاب عنه ساعة وعاد ومعه طبق فيه دجاج وسمان وماكول مليح وحلوى من السكر فوضعه بين يدي الغلام وقال له كل حتى تشبع قال ابراهيم فأكلت حتى اكتفيت فلما رآني اكلت فرح وقال هكذا شأن الملوك واولاد الملوك ثم قال يا ابراهيم أي شيء معك في هذه السكارة فحللتها بين يديه فقال احملها معك فانها تنفعك اذا حضرت السيدة جميلة فانها اذا جاءت لا اقدر ان ادخل لك بطعام كل ثم قام واخذ بيدي واتى بي الى مكان قبال قبة جميلة فعمل عريشة بين الاشجار وقال لي اصعد هنا فاذا جاءت فانك تنظرها وهي لا تنظرك وهذا اكثر ما عندي من الحيلة وعلى الله الاعتماد فاذا اغنت فاشرب على غنائها فاذا ذهبت فارجع من حيث جئت ان شاء الله مع السلامة فشكره الغلام واراد ان يقبل يده فمنعه ثم ان الغلام وضع السكارة في العريشة التي عملها له ثم قال له البستاني يا ابراهيم تفرج في البستان وكل من اثماره فان ميعاد حضور صاحبتك في غد فصار ابراهيم يتنزه في البستان ويأكل من اثماره وبات ليلته عنده فلما أصبح الصباح واضاء بنوره ولاح صلى ابراهيم الصبح واذا بالبستاني جاء وهو مصفر اللون وقال له ياولدي قم واصعد الى العريشة فان الجواري

قد أتين ليفرشن المكان وهي تأتي بعدهن وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٥٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الخولي لما دخل على ابراهيم بن الخصيب في البستان قال له قم ياولدي اصعد على العريشة فان الجواري قد أتين ليفرشن المكان وهي تأتي بعدهن واحذر من ان تبصق او تمخط او تعطس فنهلك انا وانت فقام الغلام وصعد الى العريشة وذهب الخولي وهو يقول رزقك الله السلامة ياولدي فبينما الغلام قاعد واذا بخمس جوار اقبلن لم ير مثلهن احد فدخلن القبة وقلعن ثيابهن وغسلن القبة ورششنها بماء الورد واطلقن العود والعنبر وفرشن الديباج واقبل بعدهن خمسون جارية ومعهن آلات الطرب وجميلة بينهن من داخل خيمة حمراء من الديباج والجواري رافعات اذيال الخيمة بكلاليب من الذهب حتى دخلت القبة فلم ير منها ولا أثوابها شيأ فقال في نفسه والله انه ضاع جميع تعبي ولكن لا بد من أن اصبر حتى انظر كيف يكون الامر فقدمت الجواري الاكل والشرب ثم اكلن وغسلن ايديهن ونصبن لها كرسيا فجلست عليه ثم ضربن بآلات الملاهي جميعهن وغنين باصوات مطربة لا مثل لها ثم خرجت عجوز قهرمانة فصفقت ورقصت فجذبها الجواري واذا بالستر قد رفع وخرجت جميلة وهي تضحك فرآها ابراهيم وعليها الحلي والحلل وعلى رأسها تاج مرصع بالدر والجوهر وفي جيدها عقد من اللؤلؤ وفي وسطها منطقة من قضبان الزبرجد وحبالها من الياقوت واللؤلؤ فقام الجواري وقبلن الارض بين يديها وهي تضحك قال ابراهيم بن الخصيب فلما رأيتها غبت عن وجودي واندهش عقلي وتحير فكري لما رأيتها من جمال لم يكن على وجه الارض مثله ووقعت مغشيا علي ثم أفقت باكي العينين وانشدت هذين البيتين

اراك فلا ارد الطرف كيلا ... يكون حجاب رؤيتك الجفون

ولواني نظرت بكل لحظ ... لما استوفت محاسنك العيون

فقالت العجوز للجواري لتقم منكن عشرة يرقصن ويغنين فلما رآهن ابراهيم قال في نفسه اشتهي الآن ترقص السيدة جميلة فلما انتهى رقص العشر جوار أقبلن حولها وقلن ياسيدتنا نشتهي ان ترقصي في هذا المجلس ليتم سرورنا بذلك لاننا ما رأينا أطيب من هذا اليوم فقال ابراهيم بن الخصيب في نفسه لاشك ان ابواب السماء قد فتحت واستجاب الله دعائي ثم قبل الجواري اقدامها وقلن لها والله ما رأينا صدرك منشرحا مثل هذا اليوم فما زلن يرغبنها حتى قلعت اثوابها وصارت بقميص من نسيج الذهب مطرزا بانواع الجواهر وابرزت نهودا كانهن الرمان واسفرت عن وجه كالبدر ليلة تمامه فرأى ابراهيم من الحركات ما لم ير في عمره مثله واتت في رقصها باسلوب غريب وابتداع عجيب حتى انست رقص الحبب في الكؤس واذكرت ميل العمائم عن الرؤس وهي كما قال فيها الشاعر

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت ... في قالب الحسن لا طول ولا قصر

كانها خلقت من ماء لؤلؤة ... في كل جارحة من حسنها قمر

وكما قال الآخر

وراقص مثل غصن البان قامته ... تكاد تذهب روحي من تنقله
لا يستقر له في رقصته قدم ... كأنما نار قلبي تحت ارجله

قال ابراهيم فبينما انظر اليها اذ لاحت منها التفاتة الي فرأتني فلما نظرتني تغير وجهها فقالت للجواري غنوا انتم حتى اجيء اليكن ثم عمدت الى سكين قدر نصف ذراع واخذتها واتت نحوي ثم قالت لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فلما اقتربت مني غبت عن الوجود فلما رأتني ووقع وجهها في وجهي وقعت السكين من يدها وقالت سبحان مقلب القلوب ثم قالت لي ياغلام طب نفسا ولك الامان مما تخاف فصرت ابكي وهي تمسح دموعي بيدها وقالت ياغلام اخبرني من انت وما جاء بك الى هذا المكان فقبلت الارض بين يديها ولزمت ذيلها فقالت لا بأس عليك فوالله ما ملأت عيني من ذكر غيرك فقل من انت قال ابراهيم فحدثتها بحديثي من أوله الى آخره فتعجبت من ذلك وقالت لي ياسيدي انشدك هل انت ابراهيم بن الخصيب قلت نعم فانكبت علي وقالت ياسيدي انت الذي زهدتني في الرجال لانني لما سمعت انه وجد في مصر صبي لم يكن على وجه الارض اجمل منه واسمه ابراهيم بن الخصيب هويتك بالوصف وتعلق قلبي بحبك لما بلغني عنك من الجمال الباهر وصرت فيك كما قال الشاعر

اذني لقد سبقت في عشقه بصري ... والاذن تعشق قبل العين احيانا

فالحمد لله الذي اراني وجهك والله لو كان احد غيرك لكنت صلبت البستاني وبواب الخان والخياط ومن يلوذ بهم ثم قالت لي كيف احتال على شيء تأكله من غير اطلاع جواري فقلت لها معي ما نأكل وما نشرب ثم حللت السكارة بين يديها فاخذت دجاجة وصارت تلقمني والقمها فلما رأيت ذلك منها توهمت انه منام ثم قدمت الشراب فشربنا كل ذلك وهي عندي والجواري تغني ومازلنا كذلك من الصبح الى الظهر ثم قامت وقالت قم الآن هيء لك مركبا وانتظرني في المحل الفلاني حتى اجيء اليك فانه بقي لي صبر على فراقك فقلت ياسيدتي ان معي مركبا وهي ملكي والملاحون في اجارتي وهم في انتظاري فقالت هذا هو المراد ثم مضت الى الجواري وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٥٦) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان السيدة جميلة لما مضت الى الجواري قالت لهن قمن بنا للرواح الى قصرنا فقلن لها كيف نقوم في هذه الساعة وعادتنا اننا نقعد ثلاثة ايام فقالت اني اجد في نفسي ثقلا عظيما كأني مريضة واخاف ان يثقل علي ذلك فقلن لها سمعا وطاعة فلبسن ثيابهن ثم توجهن الى الشاطىء ونزلن في الزورق واذا بالبستاني قد اقبل على ابراهيم وما عنده علم بالذي جرى له فقال له يا ابراهيم مالك حظ في التلذذ برؤيتها فان من عادتها ان تقيم هنا ثلاثة ايام وانا اخاف ان تكون رأتك فقال ابراهيم ما رأتني ولا رأيتها ولا خرجت من القبة قال صدقت ياولدي فانها لو رأتك لكنا هلكنا ولكن اقعد عندي حتى تأتي في الاسبوع الثاني وتراها وتشبع

من النظر اليها فقال ابراهيم ان معى مالا وأخاف عليه وورائى رجال فاخاف ان يستغيبونى فقال
ياولدى انه يعز على فراقك ثم عانقه وودعه ثم ان ابراهيم توجه الى الخان الذى كان نازلا فيه وقابل
بواب الخان واخذ ماله فقال بواب الخان خير خير ان شاء الله فقال له ابراهيم انى ماوجدت الى حاجتى
سبيلا وأريد ان ارجع الى أهلى فبكى بواب الخان وودعه وحمل امتعته واوصلها الى المركب وبعد ذلك
توجه الى المحل الذى قالت له عليه وانتظرها فيه فلما جن الليل واذا بها قد اقبلت عليه وهى فى زى
رجل شجاع بلحية مستديرة ووسط مشدود بمنطقة وفى احدى يديها قوس ونشاب وفى الاخرى
سيف مجرد وقالت له هل انت ابن الخصيب صاحب مصر فقال لها ابراهيم هو انا فقالت له وأى علق
أنت حتى جئت تفسد بنات الملوك قم كلم السلطان قال ابراهيم فوقعت مغشيا على وأما الملاحون
فانهم ماتوا فى جلدهم من الخوف فلما رأت ما حل بى خلعت تلك اللحية ورمت السيف وحلت
المنطقة فرأيتها هى السيدة جميلة فقلت لها والله انك قطعت قلبى ثم قلت للملاحين اسرعوا فى
سير المركب فحلوا الشراع واسرعوا فى السير فما كان الا ايام قلائل حتى وصلنا الى بغداد واذا
بمركب واقفة على جانب الشط فلما رآنا الملاحون الذين معنا وصاروا يقولون يافلان ويافلان
نهنيكم بالسلامة دفعوا مراكبهم على مركبنا فنظرنا فاذا فيها ابو القاسم الصندلانى فلما
رآنا قال ان هذا هو مطلوبى امضوا فى وداعة الله وانا أريد التوجه الى غرض وكان بين يديه
شمعة ثم قال لى الحمد لله على السلامة هل قضيت حاجتك قلت نعم فقرب الشمعة منا فلما رأته جميلة
تغير حالها واصفر لونها ولما رآها الصندلانى قال اذهبوا فى أمان الله أنا رائح الى البصرة فى مصلحة
للسلطان ولكن الهدية لمن حضر ثم أحضر علبة من الحلويات ورماها فى مركبنا وكان فيها البنج
فقال ابراهيم ياقرة عينى كلى من هذا فبكت وقالت يا ابراهيم اتدرى من هذا قلت نعم هذا فلان
قالت انه ابن عمى وكان سابقا خطبنى من والدى فما رضيت به وهو متوجه الى البصرة فربما يعرف أبى
بنا فقلت ياسيدتى هو لا يصل الى البصرة حتى نصل نحن الى مصر ولم يعلما بما هو مخبوء لهما فى الغيب
فأكلت شيئا من الحلاوة فما نزلت جوفى حتى ضربت الارض برأسى فلما كان وقت السحر عطست
فخرج البنج من منخرى وفتحت عينى فرأيت نفسى عريانا مرميا فى الخراب فلطمت على وجهى
وقلت فى نفسى ان هذه حيلة عملها فى الصندلانى فسرت لا أدرى أين أذهب وما على سوى سروال
فقمت وتمشيت قليلا واذا بالوالى اقبل على ومعه جماعة بسيوف ومطارق فخفت فرأيت حماما خربا
فتواريت فيه فعثرت رجلى فى شىء فوضعت يدى عليه فتلوثت بالدم فمسحتها فى سروالى ولم اعلم
ما هو ثم مددت يدى اليه ثانيا فجاءت على قتيل وطلعت رأسه فى يدى فرميتها وقلت لا حول ولا
قوة الا بالله العلى العظيم ثم دخلت زوية من زوايا الحمام واذا بالوالى واقف على باب الحمام وقال ادخلوا
هذا المكان وفتشوا فدخل منهم عشرة بالمشاعل فمن خوفى دخلت وراء حائط فتأملت تلك
المقتول فرأيتها صبية ووجهها كالبدر ورأسها فى ناحية وجثتها فى ناحية وعليها ثياب ثمينة فلما رأيتها
وقعت الرجفة فى قلبى ودخل الوالى وقال فتشوا جهات الحمام فدخلوا الموضع الذى أنا فيه فنظرنى

رجل منهم فجاءني وبيده سكين طولها نصف ذراع فلما قرب مني قال سبحان الله خالق هذا الوجه الحسن يا غلام من أين أنت ثم أخذ بيدي وقال يا غلام لأي شيء قتلت هذه المقتولة فقلت والله ما قتلتها وما أعرف من قتلها وما دخلت هذا المكان الا فزعا منكم وأخبرته بقصتي وقلت له بالله عليك لا تظلمني فاني مشغول بنفسي فأخذني وقدمني الى الوالي فلما رأى على يدي أثر الدم قال هذا لا يحتاج الى بينة فاضربوا عنقه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٥٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان ابن الخصيب قال فلما قدموني الى الوالي ورأى على يدي أثر الدم قال هذا لا يحتاج الى بينة فاضربوا عنقه فلما سمعت هذا الكلام بكيت بكاء شديدا وجرت مني دموع العين وانشدت هذين البيتين

مشيناها خطا كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطا مشاها

ومن كانت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشيا على فرق لي قلب الجلاد وقال والله هذا وجه من لا يقتل فقال الوالي اضربوا عنقه فأجلسوني في نطع الدم وشدوا على عيني غطاء وأخذ السياف سيفه واستأذن الوالي وأراد أن يضرب عنقي فصحت واغربتاه واذا بخيل قد أقبلت وقائل يقول دعوه امنع يدك يا سياف وكان لذلك سبب عجيب وأمر غريب وهو أن الخصيب صاحب مصر كان قد ارسل حاجبه الى الخليفة هرون الرشيد ومعه هدايا وتحف وصحبته كتاب يذكر له فيه أن ولدي قد فقد من منذ سنة وقد سمعت أنه ببغداد والمقصود من انعام خليفة الله ان يفحص عن خبره ويجتهد في طلبه ويرسل الي مع الحاجب فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر الوالي أن يبحث عن حقيقة خبره فلم يزل الوالي والخليفة يسألان عنه حتى قيل له أنه بالبصرة فأخبر الخليفة بذلك فكتب الخليفة كتابا وأعطاه للحاجب المصري وأمره أن يسافر الى البصرة وياخذ معه جماعة من اتباع الوزير فمن حرص الحاجب على ابن سيده خرج من ساعته فوجد الغلام في نطع الدم مع الوالي فلما رأى الوالي الحاجب وعرفه ترجل اليه فقال له الحاجب ما هذا الغلام وما شأنه فأخبره بالخبر فقال الحاجب والحال أنه لم يعرف أنه ابن السلطان أن وجه هذا الغلام وجه من لا يقتل وأمر بحل وثاقه فحله فقال قدمه الي فقدمه اليه وكان قد ذهب جماله من شدة الأهوال فقال له الحاجب اخبرني بقضيتك يا غلام وما شأن هذه المقتولة معك فلما نظر ابراهيم الى الحاجب عرفه فقال له ويلك أما تعرفني أما أنا ابراهيم ابن سيدك فلعلك جئت في طلبي فأمعن الحاجب فيه النظر فعرفه غاية المعرفة فلما عرفه انكب على أقدامه فلما رأى الوالي ما حصل من الحاجب أصفر لونه فقال له الحاجب ويلك يا جبار هل كان مرادك أن تقتل ابن سيدي الخصيب صاحب مصر فقبل الوالي ذيل الحاجب وقال له يا مولاي من أين أعرفه وانما رأيناه على هذه الصفة ورأينا الصبية مقتولة بجانبه فقال ويلك انك لا تصلح للولاية هذا غلام له من العمر خمسة عشر عاما وما قتل عصفورا فكيف يقتل قتيلا هلا امهلته وسألته عن حاله ثم قال الحاجب والوالي فتشوا على قاتل الصبية فدخلوا الحمام ثانيا فرأوا قاتلها فأخذوه واتوا به الى الوالي فارسله الى دار

الخلافة واعلم الخليفة بما جرى فامر الرشيد بقتل قاتل الصبية ثم أمر باحضار ابن الخصيب فلما تمثل بين يديه تبسم الرشيد فى وجهه وقال له اخبرني بقضيتك وما جرى لك فحدثه بحديثه من اوله الى آخره فعظم ذلك عنده فنادى مسرورا السياف وقال اذهب فى هذه الساعة واهجم على دار ابى القاسم الصندلانى وائتنى به وبالصبية فمضى من ساعته وهجم على داره فرأى الصبية فى وثاق من شعرها وهى فى حالة التلف فحلها مسرور وأتى بها وبالصندلانى فلما رآها الرشيد تعجب من جمالها ثم التفت الى الصندلانى وقال خذوه واقطعوا يديه اللتين ضرب بهما هذه الصبية واصلبوه وسلموا أمواله وأملاكه الى ابراهيم ففعلوا ذلك فبينما هم كذلك واذا بابى الليث عامل البصرة والد السيدة جميلة قد أقبل عليهم يستغيث بالخليفة من ابراهيم بن الخصيب صاحب مصر ويشكو اليه انه أخذ بنته فقال له الرشيد انه كان سببا فى خلاصها من العذاب والقتل وامر باحضار ابن الخصيب فلما حضر قال لابى الليث الا ترضى أن يكون هذا الغلام ابن سلطان مصر بعلا لابنتك فقال سمعا وطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين فدعا الخليفة بالقاضى والشهود وزوج الصبية بابراهيم ابن الخصيب ووهب له جميع أموال الصندلانى وجهزه الى بلاده وعاش معها فى أتم سرور وأوفى حبور الى ان أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحى الذى لا يموت

(حكاية أبى الحسن الخرسانى الصيرفى مع شجرة الدر)

(ومما يحكى أيضا) ايها الملك السعيد ان المعتضد بالله كان عالى الهمة شريف النفس وكان له ببغداد ستمائة وزير ما كان يخفى عليه من أمور الناس شىء فخرج يوما هو وابن حمدون يتفرجان على الرعايا ويسمعان ما يتجدد من اخبار الناس فحمى عليهما الحر والهجير وقد انتهيا الى زقاق لطيف فى شارع فدخلا ذلك الزقاق فرأيا فى صدر الزقاق دارا حسنة شاهقة البناء تفصح عن صاحبها بلسان الثناء فقعدا على الباب يستريحان فخرج من تلك الدار خادمان وجه كل منهما كالقمر ليلة أربعة عشر فقال احدهما لصاحبه لو استأذن اليوم ضيف لان سيدى لا يأكل الا مع الضيفان وقد صرنا الى هذا الوقت ولم أر أحدا فتعجب الخليفة من كلامهما وقال ان هذا دليل على كرم صاحب الدار ولا بد أن ندخل داره وننظر مروأته ويكون ذلك سببا فى نعمة تصل اليه منا ثم قال للخادم استأذن سيدك فى قدوم جماعة اغراب وكان الخليفة فى ذلك الزمان اذا أراد الفرجة على الرعية تنكر فى زى التجار فدخل الخادم على سيده واخبره ففرح وقام وخرج اليهما بنفسه واذا به جميل الوجه حسن الصورة وعليه قميص نيسابورى ورداء مذهب وهو مضمخ بالطيب وفى يده خاتم من الياقوت فلما رآهما قال أهلا وسهلا بالسادة المنعمين علينا غاية الانعام بقدومهم فلما دخلا تلك الدار رأياها تنسى الاهل والاوطان كأنها قطعة من الجنان وادرك شهرزاد الصباح عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٥٨) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان الخليفة لما دخل الدار هو ومن معه رآها تنسى الأهل والاوطان كأنها قطعة من الجنان ومن داخلها بستان فيه من سائر الاشجار

وهي تدهش الابصار وأما كنها مفروشة بنفائس الفرش فجلسوا وجلس المعتضد يتأمل الدار والفرش فقال ابن حمدون فنظرت الى الخليفة فرأيت وجهه قد تغير وكنت اعرف من وجهه حالة الرضا والغضب فلما رأيته قلت في نفسي يا ترى ما باله حتى غضب ثم جاؤا بطشت من الذهب فغسلنا أيدينا ثم جاؤا بسفرة من الحرير وعليها مائدة من الخيزران فلما انكشفت الاغطية عن الاواني رأينا طعاما كزهر الربيع في عز الاوان صنوان وغير صنوان ثم قال صاحب الدار بسم الله يا سادتنا والله ان الجوع قد أضناني فانعموا علي بالاكل من هذا الطعام كما هو اخلاق الكرام وصاحب الدار يفسخ الدجاج ويضعه بين أيدينا ويضحك وينشد الاشعار ويورد الاخبار ويتكلم بلطائف ما يليق بالمجلس قال ابن حمدون فأكلنا وشربنا ثم نقلنا الى مجلس آخر يدهش الناظرين تفوح منه الروائح الزكية ثم قدم لنا سفرة فاكهة جنية وحلويات شهية فزادت افراحنا وزالت اتراحنا قال ابن حمدون ومع ذلك لم يزل الخليفة في عبوس ولم يتبسم لما فيه فرح النفوس مع أن عادته أنه يحب اللهو والطرب ودفع الهموم وانا أعرف أنه غير حسود ولا ظلوم فقلت في نفسي يا ترى ما سبب عبوسه وعدم زوال بؤسه ثم جاؤا بطبق الشراب وجمع شمل الاحباب واحضروا الشراب المروق وبواطي الذهب والبلور والفضة وضرب صاحب الدار على باب مقصورة بقضيب من الخيزران واذا بباب المقصورة قد فتح وخرج منه ثلاث جوار نهد ابكار وجوههن كالشمس في رابعة النهار وتلك الجواري ما بين عوادة وجنكية ورقاصة ثم قدم لنا النقل والفواكه قال ابن حمدون فضرب بيننا وبين الثلاث جوار ستارة من الديباج وشراريبها من الابريسم وحلقاتها من الذهب فلم يلتفت الخليفة الى هذا جميعه وصاحب الدار لم يعلم من هو الذي عنده فقال الخليفة لصاحب الدار أشريف انت قال لا يا سيدي انما انا رجل من أولاد التجار اعرف بين الناس بأبي الحسن علي ابن أحمد الخراساني فقال له الخليفة أتعرفني يا رجل قال له والله يا سيدي ليس لي معرفة بأحد من جنابكم الكريم فقال له ابن حمدون يا رجل هذا أمير المؤمنين المعتضد بالله حفيد المتوكل على الله فقام الرجل وقبل الارض بين يدي الخليفة وهو يرتعد من خوفه وقال يا أمير المؤمنين بحق آبائك الطاهرين ان كنت رأيت مني تقصيرا أو قلة ادب بحضرتك ان تعفو عني فقال الخليفة أما ما صنعته معنا من الاكرام فلا مزيد عليه وأما ما انكرته عليك هنا فان صدقتني حديثه واستقر ذلك بعقلي نجوت مني وان لم تعرفني حقيقته اخذتك بحجة واضحة وعذبتك عذابا لم اعذب أحدا مثله قال معاذ الله ان أحدث بالمحال وما الذي انكرته علي يا أمير المؤمنين فقال له الخليفة انا من حين دخلت الدار وانا انظر الى حسنها واوانيها وفراشها وزينتها حتى ثيابك ولماذا عليها اسم جدي المتوكل على الله قال نعم اعلم يا أمير المؤمنين ايدك الله الحق شعارك والصدق دثارك ولا قدرة لاحد على ان يتكلم بغير الصدق في حضرتك فامره بالجلوس فجلس فقال له حدثني فقال اعلم يا أمير المؤمنين ايدك الله بنصره وحفك بلطائف أمره أنه لم يكن ببغداد أحد أيسر مني ولا من أبي ولكن اخل لي ذهنك وسمعك وبصرك حتى أحدثك بسبب ما أنكرته علي

فقال له الخليفة قل حديثك فقال اعلم يا أمير المؤمنين انه كان أبي بسوق الصيارف والعطارين والبزازين وكان له في كل سوق حانوت ووكيل و بضائع من سائر الاصناف وكان له حجرة من داخل الدكان التي بسوق الصيارف لاجل الخلوة فيها وجعل الدكان لاجل البيع والشراء وكان ماله يكثر عن العد و يزيد عن الحد ولم يكن له ولد غيري وكان محباً لي وشفيقاً علي فلما حضرته الوفاة دعاني وأوصاني بوالدتي و بتقوى الله تعالى ثم مات رحمه الله تعالى وأبقى أمير المؤمنين فاشتغلت باللذات وأكلت وشربت ثم اتخذت الاصحاب والاصدقاء وكانت أمي تنهاني عن ذلك و تلومني عليه فلم اسمع منها كلاما حتى ذهب المال جميعه و بعت العقار ولم يبق لي شيء غير الدار التي انا فيها وكانت دار حسنة يا أمير المؤمنين فقلت لأمي أريد أن أبيع الدار فقالت يا ولدي أن بعتها تفتضح ولا تعرف لك مكانا تأوي اليه فقلت هي تساوي خمسة آلاف دينار فاشتري من جملة ثمنها دارا بألف دينار ثم اتجر بالباقي فقالت اتبيعني هذه الدار بهذا المقدار قلت نعم فجاءت الى طابق وفتحته واخرجت منه اناء من الصيني فيه خمسة آلاف دينار فتخيل الي أن الدار كلها ذهب فقالت لي يا ولدي لا تظن ان هذا المال مال ابيك والله يا ولدي انه من مال ابي و كنت ادخرته لوقت الحاجة اليه فاني كنت في زمن ابيك غنية عن الاحتياج الى هذا المال فاتخذت المال منها يا أمير المؤمنين وعدت لما كنت عليه من المأكل والمشرب والصحبة حتى نفدت الخمسة آلاف دينار ولم اقبل من امي كلاما ولا نصيحة ثم قلت لها مرادي أن ابيع الدار فقالت يا ولدي قد نهيتك عن بيعها لعلمي انك محتاج اليها فكيف تريد بيعها ثانيا فقلت لها لا تطيلي علي الكلام فلا بد من بيعها فقالت بعني اياها بخمسة عشر الف دينار بشرط أن اتولى أمورك بنفسي فبعتها لها بذلك المبلغ على ان تتولى اموري بنفسها فطلبت وكلاء ابي واعطت كل واحد منهم الف دينار و جعلت المال تحت يدها والاخذ والعطاء معها واعطتني بعضا من المال لاتجر فيه وقالت لي أقعد أنت في دكان ابيك ففعلت ما قالت امي يا أمير المؤمنين وجئت الى الحجرة التي في سوق الصيارف وجاء اصحابي وصاروا يشترون مني وابيع لهم وطاب لي الربح و كثر مالي فلما رأتني أمي على تلك الحالة الحسنة اظهرت لي ما كان مدخرا عندها من جوهر ومعدن ولؤلؤ وذهب ثم عادت لي املاكي التي كان وقع فيها التفريط و كثر مالي كما كان ومكثت على هذه الحال مدة وجاء وكلاء ابي فأعطيتهم البضائع ثم بنيت حجرة ثانية من داخل الدكان فبينما انا قاعد فيها على عادتي يا أمير المؤمنين واذا بجارية قد قبلت علي لم تر العيون اجمل منها منظرا فقالت هذه حجرة ابي الحسن علي بن أحمد الخراساني قلت لها نعم قالت اين هو فقلت هو أنا ولكن اندهش عقلي من فرط جمالها يا أمير المؤمنين ثم انها جلست وقالت لي قل لغلامك يزن لي ثلاثمائة دينار فامرته أن يزن لها ذلك المقدار فوزنه لها فأخذته وانصرفت وانا ذاهل العقل فقال لي غلامي اتعرفها قلت لا والله قال فلم قلت لي وزن لها فقالت والله اني لم ادر ما اقول مما بهرني من حسنها وجمالها فقام الغلام وتبعها من غير علمي ثم رجع وهو يبكي وبوجهه اثر ضربة فقالت له ما بالك فقال اني تبعت الجارية لانظر اين تذهب فلما احست بي رجعت وضربتني هذه الضربة فكادت أن تتلف

عيني ثم مكثت شهراً لم ارها ولم تأت وأنا ذاهل العقل في هواها يا أمير المؤمنين فلما كان آخر الشهر واذا بها جاءت وسلمت علي فكدت أن اطير فرحاً فسألتني عن خبري وقالت لعلك قلت في نفسك ماشأن هذه المحتالة كيف أخذت مالي وانصرفت فقالت والله ياسيدي أن مالي ورو حي ملك فأسفرت عن وجهها وجلست لتستريح والحلي والحلل تلعب على وجهها وصدرها ثم قالت زن لي ثلثمائة دينار فقلت سمعاً وطاعة ثم وزنت لها الدنانير فأخذتها وانصرفت فقلت للغلام اتبعها فتبعها ثم عاد لي وهو مبهوت ومضت مدة ثلاث فبينما انا جالس في بعض الايام واذا بها قد اقبلت علي وتحدثت ساعة ثم قالت لي زن لي خمسمائة دينار فاني قد احتجت اليها فاردت أن اقول لها على أي شيء اعطيك مالي فمنعني فرط الغرام من الكلام وأنا يا أمير المؤمنين كلما رأيتها ترتعد مفاصلي ويصفر لوني وانسى ما اريد أن اقول واصير كما قال الشاعر.

فما هو الا أن اراها فجأة فابهت حتى لا اكاد اجيب

ثم وزنت لها الخمسمائة دينار فاخذتها وانصرفت فقمت وتبعتها بنفسي الى أن وصلت الى سوق الجواهر فوقفت على انسان فاخذت منه عقداً والتفتت فرأتني فقالت زن لي خمسمائة دينار فلما نظرني صاحب العقد قام الي وعظمني فقلت له اعطها العقد وثمنه علي فقال سمعاً وطاعة فاخذت العقد وانصرفت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٦٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن ابا الحسن الخراساني قال فقلت له اعطها العقد وثمنه علي فاخذت العقد وانصرفت فتبعتها حتى جاءت الى الدجلة ونزلت في مركب فأومأت الى الارض لاقبلها بين يديها فذهبت وضحكت ومكثت واقفاً انظرها الى أن دخلت قصراً فتأملته فاذا هو قصر الخليفة المتوكل فرجعت يا امير المؤمنين وقد حل بقلبي كل هم في الدنيا وكانت قد اخذت مني ثلاثة آلاف دينار فقلت في نفسي قد اخذت مالي وسلبت عقلي وربما تلفت نفسي في هواها ثم رجعت الى داري وقد حدثت امي بجميع ماجرى لي فقالت لي ياولدي اياك أن تتعرض لها بعد ذلك فتهلك فلما رحت الى دكاني جاءني وكيلي الذي بسوق العطارين وكان شيخاً كبيراً فقال لي ياسيدي مالي اراك متغير الحال يظهر عليك اثر الكآبة فحدثني بخبرك فحدثته بجميع ماجرى لي معها فقال لي ياولدي أن هذه من جواري قصر أمير المؤمنين وهي محظية الخليفة فاحتسب المال لله تعالى ولا تشغل نفسك بها واذا جاءتك فاحذر أن تتعرض لها واعلمني بذلك حتى ادبر لك أمراً لئلا يحصل لك تلف ثم تركني وذهب وفي قلبي لهيب النار فلما كان آخر الشهر اذا بها قد أقبلت علي ففرحت بها غاية الفرح فقالت لي ما حملك على انك تبعتني فقلت لها حملني على ذلك فرط الوجد الذي بقلبي وبكيت بين يديها فبكت رحمة لي وقالت والله ما في قلبك شيء من الغرام الا وفي قلبي أكثر منه ولكن كيف اعمل والله مالي من سبيل غير اني أراك في كل شهر مرة ثم دفعت الي ورقة وقالت خذ هذه الى فلان الفلاني فانه وكيلي واقبض منه مافيها فقلت ليس لي حاجة بمال ومالي وروحي فداك فقالت سوف أدبر لك امراً يكون فيه وصولك الي وأن كان فيه تعب لي ثم ودعتني وانصرفت فجئت الى الشيخ

العطار واخبرته بما جرى فجاء معي الى دار المتوكل فرأيتها هي والمكان الذى دخلت فيه الجارية فصار الشيخ العطار متحيرا فى حيلة يفعلها ثم التفت فرأى خياطا قبل الشباك المطل على الشاطى وعنده صناع فقال بهذا تنال مرادك ولكن افتق جيبك وتقدم اليه وقل له أن يخيطه لك فاذا خاطه فادفع له عشرة دنانير فقلت له سمعا وطاعة ثم توجهت الى الخياط واخذت معي شقتين من الديباج الرومي وقلت له فصل هاتين اربعة ملابس اثنين فرجية واثنين غير فرجيه فلما فرغ من تفصيل الملابس وخياطتها اعطيته اجرتها زيادة عن العادة بكثير ثم مد يده الى بتلك الملابس فقلت خذها لك ولمن حضر عندك وصرت اقعد عنده واطيل القعود معه ثم فصلت عنده غيرها وقلت له علقه على وجه الدكان لمن ينظره فيشتريه ففعل وصار كل من خرج من قصر الخليفة واعجبه شيء من الملابس وهبته له حتى البواب فقال الخياط يوما من الايام اريد يا ولدى أن تصدقنى حديثك لانك فصلت عندي مائة حلة ثمينه وكل حلة تساوى جملة من المال ووهبت غالبها الناس وهذا ما هو فعل تاجر لان التاجر يحاسب على الدرهم وما مقدار رأس مالك حتى تعطى هذه العطايا وما يكون مكسبك فى كل يوم فاخبرنى خبرا صحيحا حتى اعاونك على مرادك ثم قال انا اشدك الله اما انت عاشق قلت نعم فقال لمن قلت لجارية من جوارى قصر الخليفة فقال قبحهن الله كم يفتن الناس ثم قال هل تعرف اسمها قلت لا فقال صفها لى فوصفتها له فقال ويلاه هذه عوادة الخليفة المتوكل والحظية عنده لكن لها مملوك فاجعل بينك وبينه صداقة لعله يكون سببا فى اتصالك بها فبينما نحن فى الحديث واذا بالمملوك مقبل من الخليفة وهو كانه القمر فى ليلة اربعة عشر وبين يدي الثياب التى خاطها الخياط وكانت من الديباج من سائر الالوان فصار ينظر اليها ويتأمل ثم اقبل على فقمت اليه فسلمت عليه فقال من انت فقلت رجل من التجار قال اتبيع هذه الثياب قلت نعم فاخذ منها خمسة وقال بكم الخمسة فقلت هى هدية منى اليك عقد صحبة بيني وبينك ففرح بها ثم جئت الى بيتي واخذت له ملبوسا مرصعا بالجواهر واليواقيت قيمته ثلاثة آلاف دينار وتوجهت به اليه فقبله منى ثم اخذني ودخل بي حجرة فى داخل القصر وقال ما اسمك بين التجار فقلت له رجل منهم فقال قد رابنى امرك فقلت لماذا قال انك اهديت لى شيأ كثيرا ملكت به قلبي وقد صح عندى انك ابو الحسن الخراسانى فاكثر الصيرفى فبكيت يا أمير المؤمنين فقال لى لم تبكي فوالله أن التى تبكي من اجلها عندها من الغرام بك مما عندك من الغرام بها واعظم وقد شاع عند جميع جوارى القصر خبرها معك ثم قال لى واى شيء تريد فقلت اريد انك تساعدنى الى بليتي فوعدني الى غد فمضيت الى داري فلما اصبحت توجهت اليه ودخلت حجرته فلما جاء قال اعلم انها لما فرغت من خدمتها عند الخليفة بالامس ودخلت حجرتها حدثتها بحديثك جميعه وقد عزمت على الاجتماع بك فاقعد عندى الى آخر النهار فقعدت عنده فلما جن الليل اذا بالمملوك اتى ومعه قميص منسوج من الذهب وحلة من حلل الخليفة فالبسني اياها وبخرني فصرت اشبه الخليفة ثم اخذني الى محل فيه الحجر صفين من الجانبين وقال لى هذه حجرة الجوار الخواص فاذا مررت عليها فضع على كل باب من الابواب حبة من الفولة

لانه من عادة الخليفة أن يفعل هكذا في كل ليلة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح
(وفي ليلة ٩٦٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن المملوك لما قال لابي الحسن فاذا مررت عليها فضع
على كل باب من الابواب حبة من الفول لان من عادة الخليفة أن يفعل هكذا الى أن تأتي الى الدرب
الثاني الذي على يدك اليمنى فترى حجرة عتبة بابها من المرمر فاذا وصلت اليها فمسها بيدك وإن شئت
فعد الابواب فهي كذا وكذا بابا فادخل الباب الذي علامته كذا وكذا فتراك صاحبتك وتأخذك
عندها واما خروجك فان الله يهون علي فيه ولو اخرجك في صندوق ثم تركني ورجع وصرت امشي
وأعد الابواب وأضع على كل باب حبة فول فلما صرت في وسط الحجر سمعت ضجة عظيمة ورأيت
ضوء شموع واقبل ذلك الضوء نحوي حتى قرب مني فتأملته فاذا هو الخليفة وحوله
الجواري ومعهن الشمع فسمعت واحدة منهن تقول لصاحبتها يا أختي هل نحن لنا خليفتان
على أن الخليفة قد جاز حجرتي وشممت رائحة العطر والطيب ووضع حبة الفول
على حجرتي كعادته وفي هذه الساعة ارى ضوء شموع الخليفة وها هو مقبل فقالت
ان هذا أمر عجيب لان التزيي بزي الخليفة لا يجسر عليه أحد ثم قرب الضوء مني فارتعدت اعضائي
واذا بخادم يصيح على الجواري ويقول ههنا فانعطفوا الى حجرة من الحجر ودخلوا ثم خرجوا
ومشوا حتى وصلوا الى بيت صاحبتي فسمعت الخليفة يقول حجرة من هذه فقالوا هذه حجرة
شجرة الدر فقال نادوها فنادوها فخرجت وقبلت اقدام الخليفة فقال لها اتشربين الليلة فقالت ان
لم يكن لحضرتك والنظر الى طلعتك فلا أشرب فانني لا أميل الى الشراب في هذه الليلة فقال للخازن
ادفع لها العقد الفلاني ثم أمر بالدخول الى حجرتها فدخلت بين الشموع واذا بجارية بها امامهم
وضوء وجهها غالب على ضوء الشمعة التي بيدها فقربت مني وقالت من هذا ثم قبضت علي
وأخذتني الى حجرة من الحجر وقالت لي من أنت فقبلت الارض بين يديها وقلت لها انا شدك الله
يا مولاتي ان تحقني دمي وترحميني وتتقربي الى الله بانقاذ مهجتي وبكيت فرعا من الموت فقالت
لا شك انك لص فقلت لا والله ما انا لص فهل ترين علي أثر اللصوص فقالت اصدقني خبرك وأنا
أجعلك في أمان فقلت أنا عاشق جاهل احمق قد حملتني الصبابة وجهلي على ما ترين مني حتى وقعت
في هذه الورطة فقالت قف هنا حتى أجيء اليك ثم خرجت وجاءتني بثياب جارية من جواريها
والبستني تلك الثياب في تلك الزاوية وقالت اخرج خلفي فخرجت خلفها حتى وصلت الى حجرتها
وقالت ادخل هنا فدخلت حجرتها فجاءت بي الى سرير وعليه فرش عظيم وقالت اجلس لا بأس
عليك أما أنت ابو الحسن الخرساني الصيرفي قلت بلى قالت قد حقن الله دمك ان كنت صادقا ولم
تكن لصا والا فانك تهلك لا سيما وأنت في زي الخليفة ولباسه وبخوره وأما ان كنت أبا الحسن
الخرساني الصيرفي فانك قد امنت ولا بأس عليك فانك صاحب شجرة الدر التي هي اختي فانها
لا تقطع ذكرك أبدا وتخبرنا كيف أخذت منك المال ولم تتغير وكيف جئت خلفها الى الشاطئ
وأخبرت لها الى الارض تعظيما وفي قلبها منك النار اكثر مما في قلبك منها ولكن كيف وصلت الى

ههنا بأمرها أم بغير أمرها بل خاطرت بنفسك وما مرادك من الاجتماع بها فقلت والله ياسيدتي اني أنا الذي خاطرت بنفسي وما غرضي من الاجتماع بها الا النظر والاستماع لحديثها فقالت أحسنت فقلت ياسيدتي الله شهيد على ما أقول ان نفسي لم تحدثني في شأنها بمعصية فقالت بهذه النية نجاك الله ووقعت رحمتك في قلبي ثم قالت لجاريتها يافلانة امضي الى شجرة الدر وقولي لها ان اختك تسلم عليك وتدعوك فتفضلي عندها في هذه الليلة على جري عادتك فان صدرها ضيق فتوجهت اليها ثم عادت واخبرتها انها تقول متعني الله بطول حياتك وجعلني فداك والله لو دعوتيني الى غير هذا ماتوقفت لكن يشغلني صداع الخليفه وأنت تعلمين منزلتي عنده فقالت للجارية ارجعي اليها وقولي لها انه لابد من حضورك لسر بينك وبينها فتوجهت اليها الجارية وبعد ساعة جاءت مع الجارية ووجهها يضيء كأنه البدر فقابلتها واعتنقتها وقالت يا أبا الحسن اخرج اليها وقبل يديها وكنت في مخدع في داخل الحجرة فخرجت اليها يا أمير المؤمنين فلما رأتني القت نفسها على وضمتني الى صدرها وقالت لي كيف صرت بلباس الخليفة وزينته وبخوره ثم قالت حدثني بما جرى لك فحدثتها بما جرى لي وبما قاسيته من خوف وغيره فقالت يعز على ما قاسيته من أجلي والحمد لله الذي جعل العاقبة الى السلامة وتمام السلامة دخولك في منزلي ومنزل اختي ثم أخذتني الى حجرتها وقالت لاختها اني قد عاهدته اني لا اجتمع معه في الحرام ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذا الهول لأكونن أرضا لوطء قدميه وترابا لنعاليه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٦٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الجارية قالت لاختها اني قد عاهدته اني لا اجتمع معه في الحرام ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذه الاهوال لأكونن أرضا لوطء قدميه وترابا لنعاليه فقالت لها أختها بهذه النية نجاه الله تعالى فقالت سوف ترين ما أصنع حتى اجتمع معه في الحلال فلا بد أن أبذل مهجتي في التحيل على ذلك فبينما نحن في الحديث واذا ضجة عظيمة فالتفتنا فرأينا الخليفة قد جاء يريد حجرتها من كثرة ما هو كلف بها فأخذتني يا أمير المؤمنين وحطتني في سرداب وطبقته علي وخرجت تقابل الخليفة فلاقته ثم جلس فوقفت بين يديه وخدمته ثم أمرت باحضار الشراب وكان الخليفة يحب جارية اسمها البنجة وهي أم المعتز بالله وكانت الجارية قد هجرته وهجرها فلعز الحسن والجمال تصالحه والمتوكل لعزة الخلافة والملك لا يصالحها ولا يكسر نفسه لها مع ان في قلبه منها لهيب النار ولكنه تشاغل عنها بنظائرها من الجواري والدخول اليهن في حجراتهن وكان يحب غناء شجرة الدر فأمرها بالغناء وأخذت العود وشدت الاوتار وغنت بهذه الاشعار

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها	فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى	وزرتك حتى قيل ليس له صبر
فياحبها زدني جوى كل ليلة	ويا سلوة الايام موعدك الحشر
لها بشر مثل الحرير ومنطق	رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ماتفعل الخمر

فلما سمعها الخليفة طرب طربا شديدا وطربت انا يا امير المؤمنين فى السرداب ولولا لطف الله تعالى لصحت وافتضحنا ثم انشدت هذه الابيات

أعانقه والنفس بعد مشوقة اليه وهل بعد العناق تدانى
وألثم فاه كى تزول حرارتى فيشتد ماالقى من الهيمان
كان فؤادى ليس يبرى غليله سوى ان ترى الروحان يمتزجان

فطرب الخليفة وقال تمنى على يا شجرة الدر فقالت اتمنى عليك عتقى يا أمير المؤمنين لما فيه من الثواب فقال أنت حرة لوجه الله تعالى فقبلت الارض بين يديه فقال خذى العود وقولى لنا شيئا فى شأن جاريتى التى انا متعلق بهواها والناس تطلب رضاى وأنا اطلب رضاها فأخذت العود وأنشدت هذين البيتين

ايا ربة الحسن التى أذهبت نسكي على كل احوالى فلا بدلى منك
فاما بذل وهو أليق بالهوى وأما بعز وهو أليق بالملك

فطرب الخليفة وقال خذى العود وغنى شعرا يتضمن شرح حالى مع ثلاث جوار ملكن قيادى ومنعن رقادى وهن انت وتلك الجارية الهاجرة واخرى لا اسميها لها مناظرة فأخذت العود واطربت بالنغمات وانشدت هذه الابيات

ملك الثلاث الغانيات عنانى وحللن من قلبي أعز مكان
مالى مطاوع فى البرية كلها وأطيعهن وهن فى عصيانى
ماذاك الا ان سلطان الهوى وبه غلبن أعز من سلطانى

فتعجب الخليفة من موافقة هذا الشعر لحاله غاية العجب ومال به الى مصالحة الجارية الهاجرة الطرب ثم خرج وقصد حجرتها فسبقت جارية واخبرتها بقدوم الخليفة فاستقبلته وقبلت الارض بين يديه ثم قبلت قدميه فصالحها وصالحته هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر شجرة الدر فانها جاءت الى وهى فرحانة وقالت انى صرت حرة بقدومك المبارك ولعل الله يعينني على ما ادبره حتى اجتمع بك فى الحلال فقلت الحمد لله فبينما نحن فى الحديث واذا بخادمها قد دخل علينا فحدثناه بما جرى لنا فقال الحمد لله الذى جعل آخره خيرا ونسأل الله أن يتم ذلك بخروجك سالما فبينما نحن فى الحديث واذا بالجارية أختها وقد جاءت وكان اسمها فاتر فقالت يا أختى كيف نعمل حتى نخرجه من القصر سالما فان الله تعالى من على بالعتق وصرت حرة ببركة قدومه فقالت لها ليس لى حيلة فى خروجه الا ان ألبسه ثياب النساء ثم جاءت ببدلة من ثياب النساء فألبستنيها ثم خرجت يا أمير المؤمنين فى ذلك الوقت فلما جئت الى وسط القصر اذا بأمير المؤمنين جالس والخدم بين يديه فنظر الى وانكر فى غاية الانكار وقال لحاشيته اسرعوا وائتونى بهذه الجاريه فلما أتوا بى رفعوا نقابى فلما رآنى عرفنى وسألنى فاخبرته بالخبر ولم أخف عليه شيئا فلما سمع حديثى تفكر فى أمرى ثم قام من وقته وساعته

ودخل حجرة شجرة الدر فقال كيف تختارين على بعض أولاد التجار فقبلت الارض بين يديه وحدثته بحديثها من اوله الى آخره على وجه الصدق فلما سمع كلامها رحمها ورق قلبه لها وعذرها في العشق وأحواله ثم انصرف ودخل عليها خادمها وقال طيبي نفسا ان صاحبك لما حضر بين يدي الخليفة سأله فأخبره كما اخبرتيه حرفا بحرف ثم رجع الخليفة واحضرني بين يديه وقال ما حملك على التجاري على دار الخلافة فقلت يا أمير المؤمنين حملني على ذلك جهلي والصبابة والاقبال على عفوك وكرمك ثم بكيت وقبلت الارض بين يديه فقال عفوت عنكما ثم أمرني بالجلوس فجلست فدعا بالقاضي احمد بن أبي دؤاد وزوجني بها وأمر بحمل جميع ما عندها الي وزفوها علي في حجرتها وبعد ثلاثة أيام خرجت ونقلت جميع ذلك الى بيتي فجميع ما تنظره يا أمير المؤمنين في بيتي وتنكره كله من جهازها ثم انها قالت لي يوما من الايام اعلم ان المتوكل رجل كريم وأخاف ان يتذكرنا او يذكرنا عنده أحد من الحساد فاريد ان أعمل شيئا يكون فيه الخلاص من ذلك قلت وما هو قالت أريد أن استأذنه في الحج والتوبة من الغناء فقلت لها نعم الرأي الذي أشرت اليه فبينما نحن في الحديث واذا برسول الخليفة قد جاء في طلبها لانه كان يحب غناءها فمضت وخدمته فقال لها لا تنقطعي عنا فقالت سمعا وطاعة فاتفق انها ذهبت اليه في بعض الايام وكان قد أرسل اليها على جري العادة فلم أشعر الا وقد جاءت من عنده ممزقة الثياب باكية العين ففزعت من ذلك وقلت انا لله وانا اليه راجعون وتوهمت أنه أمر بالقبض علينا فقلت لها هل المتوكل غضب علينا فقالت وأين المتوكل ان المتوكل قد انقضى حكمه وامحي رسمه فقلت اخبريني بحقيقة الامر فقالت له انه كان جالسا وراء الستارة يشرب وعنده الفتح بن خاقان وصدقة بن صدقة فهجم عليه ولده المنتصر هو وجماعته من الاتراك فقتلوه وانقلب السرور بالشرور والحظ الجميل بالبكاء والعويل فهربت انا والجارية وسلمنا الله ثم قمت في الحال يا أمير المؤمنين وانحدرت الى البصرة وجاءني الخبر بعد ذلك بوقوع الحرب بين المنتصر والمستعين فخفت ونقلت زوجتي وجميع مالي الى البصرة وهذه حكايتي يا أمير المؤمنين لا زدتها حرفا ولا نقصتها حرفا فجميع ما نظرته في بيتي يا أمير المؤمنين مما عليه اسم جدك المتوكل هو من نعمته علينا لان أصل نعمتنا من أصولك الاكرمين وأنتم أهل النعم ومعدن الكرم ففرح الخليفة بذلك فرحا شديدا وتعجب من حديثه ثم أخرجت للخليفة الجارية وأولادي منها فقبلوا الارض بين يديه فتعجب من جمالها وأستدعي بدواة وكتب لنا برفع الخراج من أملاكنا عشرين سنة ثم خرج الخليفة واتخذه نديما الى أن فرق الدهر بينهم وسكنوا القبور بعد القصور فسبحان الملك الغفور

حكاية قمر الزمان مع معشوقته

(ومما يحكى أيضا) أيها الملك السعيد أنه كان في قديم الزمان رجل تاجر اسمه عبد الرحمن قد رزقه الله بنتا وولدا فسمي البنت كوكب الصباح لشدة حسنها وجمالها وسمي الولد قمر الزمان لشدة حسنه ولما نظر ما أعطاهما الله من الحسن والجمال والبهاء والاعتدال خاف عليهما من أعين الناظرين

والشنعة الحاسدين ومكر الماكرين وتحيل الفاسقين فحجبهما عن الناس فى قصر مدة أربعة عشر سنة ولم يرهما أحد غير والديهما وجارية تتعاطى خدمتهما وكان والدهما يقرأ القرآن كما أنزله الله وكذلك أمهما تقرأ القران فصارت الام تقرىء بنتها والرجل يقرأ ولده حتى حفظا القرآن وتعلما الخط والحساب والفنون والآداب من أبيهما وأمهما ولم يحتاجا الى معلم فلما بلغ الولد مبلغ الرجال قالت للتاجر زوجته الى متى وانت حاجب ولدك قمر الزمان عن أعين الناس أهو بنت أو غلام فقال لها غلام قالت حيث كان غلاما مالم تأخذه معك الى السوق وتقعده فى الدكان حتى يعرف الناس ويعرفوه لاجل ان يشتهر عندهم انه ابنك وتعلمه البيع والشراء وربما يحصل لك أمر فيكون الناس قد عرفوا انه ولدك فيضع يده على مخلفاتك واما اذا مت على هذه الحالة وقال للناس أنا ابن التاجر عبد الرحمن فانهم لا يصدقونه بل يقولون ما رأيناك ولا نعرف ان له ولدا وتأخذ أموالك الحكام ويصير ولدك محروما وكذلك البنت مرادى أن أشتهرها عند الناس لعل احدا يكون كفؤا لها يخطبها فنزوجها له ونفرح بها فقال لها انما فعلت ذلك مخافة عليهما من أعين الناس. وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٦٣) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن زوجة التاجر لما قالت له ذلك الكلام قال لها انما فعلت ذلك مخافة عليهما من أعين الناس لانى محب لهما والمحب شديد الغيرات وقد أحسن قول من قال هذه الابيات

أغار عليك من نظرى ومنى ومنك ومن مكانك والزمان
ولو انى وضعتك فى عيونى دواما ماسئمت من التدانى
ولو واصلتنى فى كل يوم الى يوم القيامة ما كفانى

فقالت له زوجته توكل على الله ولا باس على من يحفظه الله وخذه فى هذا اليوم معك الى الدكان ثم انها البسته بدلة من أفخر الملابس فصار فتنة للناظرين وحسرة فى قلوب العاشقين وأخذه ابوه معه ومضى به الى السوق فصار كل من رآه يفتتن به ويتقدم اليه ويبوس يده ويسلم عليه وصار أبوه يشتم الناس حيث يتبعنه لقصد الفرجة وصار البعض من الناس يقول ان الشمس قد طلعت فى المحل الفلانى واشرقت فى السوق والبعض يقول مطلع البدر فى الجهة الفلانية والبعض يقول ظهر هلال العيد على عباد الله وصاروا يلمحون الى الولد بالكلام ويدعون له وقد حصل لابيه خجل من كلام الناس ولا يقدر ان يمنع أحدا منهم عن الكلام وصار يشتم امه ويدعو عليها لانها هى التى كانت سببا فى خروجه والتفت أبوه فرأى الخلائق مزدحمين عليه خلفه وقدامه وهو ماش الى ان وصل الى الدكان ففتح الدكان وجلس وأجلس ولده قدامه والتفت الى الناس فرآهم قد سدوا الطريق وصار كل من مر به من رائح وغاد يقف قدام الدكان وينظر الى ذلك الوجه الجميل ولا يقدر ان يفارقه وانعقد عليه اجماع النساء والرجال متمثلين بقول من قال

خلقت الجمال لنا فتنة وقلت لنا ياعبادى اتقون
وأنت جميل تحب الجمال فكيف عبادك لا يعشقون

فلما رأى التاجر عبد الرحمن الناس مزدحمين عليه وواقفين صفوفا نساء ورجالا لديه شاخصين لولده خجل غاية الخجل وصار متحيرا في أمره ولم يدر ماذا يصنع فلم يشعر الا ورجل درويش من السياحين وعليه شعار عباد الله الصالحين قد أقبل عليه من طرف الشوق ثم تقدم الى التاجر وصار ينشد الاشعار ويرخي الدموع الغزار فلما رأى قمر الزمان جالسا كأنه قضيب البان نابت على كثيب من الزعفران أفاض دمع العين وأنشد هذين البيتين

رأيت غصنا على كثيب شبيه بدر اذا تلالا
فقلت ما الاسم قال لولو فقلت لي لي فقال لا لا

ثم ان الدرويش صار يمشي الهوينا ويمسح شيبته بيده اليمنى فانشق لهيبته قلب الزحام فلما نظر الى الغلام اندهش منه العقل والنظر وانطبق عليه قول الشاعر

فبينما ذاك المليح في محل من وجهه هلال عيد الفطر هل
اذا بشيخ ذي وقار قد أهل معتمدا في مشيه على مهل
يرى عليه أثر الزهد
قد مارس الايام والليالي وخاض في الحرام والحلال
وهام بالنساء والرجال ورق حتى صار كالخلال
وعاد عظما بالباقي جلد
وكان في ذا الفن مغربيا الشيخ عنده يرى صبيا
وفي محبة النساء عذريا في الخصلتين ماهرا عويا
فزينب لديه مثل زيد
يهيم بالحسنا ويهوى الحسنا ويندب الربع ويبكي الدمنا
تخاله من فرط شوقه غصنا مع الصبا الى هناك أوهنا
ان الجمود من طباع الصلد
وكان في فن الهوى خبيرا مستيقظا في أمره بصيرا
وجاب منه السهل والعسيرا وعانق الظبية والغزيرا
وهام بالشيب معا والمراد

ثم تقدم الى الولد وأعطاه عرق ريحان فمد ابوه يده الى جيبه واخرج له ما تيسر من الدراهم وقال خذ نصيبك يادرويش واذهب الى حال سبيلك فاخذ منه الدراهم وجلس على مصطبة الدكان قدام الولد وصار ينظر الى الولد ويبكي ويتحسر حسرات متتابعة ودموعه كالعيون النابعة فصارت الناس تنظر اليه وتعترض عليه وبعضهم يقول كل الدراويش فساق وبعضهم يقول ان الدرويش في قلبه من عشق الولد احتراق وأما أبوه فانه لما عاين هذا الحال قام وقال قم ياولدي حتى نقفل الدكان ونروح الى بيتنا ولا ينبغي لنا في هذا اليوم بيع ولا شراء الله تعالى يجازي أمك بما فعلت معنا فانها هي

التي تسببت في هذا كله ثم قال يادرويش قم حتى أقفل الدكان فقام الدرويش وقفل التاجر دكانه وأخذ ولده ومشى فتبعهما الدرويش والناس الى ان وصلا الى منزلهما فدخل الولد المنزل والتفت التاجر الى الدرويش وقال له ماتريد يادرويش ومالي أراك تبكي فقال ياسيدي اريد ان أكون ضيفك في هذه الليلة والضيف ضيف الله تعالى فقال مرحبا بضيف الله ادخل يادرويش وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٦٤) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان الدرويش لما قال للتاجر والد قمر الزمان انا ضيف الله قال التاجر مرحبا بضيف الله ادخل يادرويش وقال التاجر في نفسه ان كان هذا الدرويش عاشقا للولد وطلب منه فاحشة فلا بد ان أقتله في هذه الليلة وأخفي قبره وان كان ما عنده فساد فان الضيف يأكل نصيبه ثم انه ادخل الدرويش هو وقمر الزمان قاعة وقال سر القمر الزمان ياولدي اجلس بجانب الدرويش وناغشه ولاعبه بعد ان أخرج من عندكما فان طلب منك فسادا فانا أكون ناظرا لكما من الطاقة المطلة على القاعة فانزل اليه واقتله ثم ان الولد لما اختلى به الدرويش في تلك القاعة وقعد بجانب الدرويش فصار الدرويش ينظر اليه ويتحسر ويبكي واذا كلمه الولد يرد عليه برفق وهو يرتعش ويلتفت الى الولد ويتنهد ويبكي الى ان أتى العشاء فصار يأكل وعينه من الولد ولا يفتر عن البكاء فلما مضى ربع الليل وفرغ الحديث وجاء وقت النوم قال ابو الولد ياولدي تقيد بخدمة عمك الدرويش ولا تخالفه واراد ان يخرج فقال له الدرويش ياسيدي خذ ولدك معك أو نم عندنا قال لا هاهو ولدي نائم عندك ربما تشتهي نفسك شيئا فولدي يقضي حاجتك ويقوم بخدمتك ثم خرج وخلاهما وقعد في قاعة ثانية فيها طاقة تطل على القاعة التي هما فيها هذا ما كان من أمر التاجر (وأما) ما كان من أمر الولد فانه تقدم الى الدرويش وصار يناغشه ويعرض نفسه عليه فاغتاظ الدرويش وقال له ما هذا الكلام ياولدي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللهم ان هذا منكرا لا يرضيك ابعد عني ياولدي ثم قام الدرويش من مكانه وقعد بعيدا عن الولد فتبعه الولد ورمى روحه عليه وقال له لاي شيء يادرويش تحرم نفسك من لذة وصالي وانا قلبي يحبك فازداد غيظ الدرويش وقال له ان لم تمتنع عني ناديت أباك واخبرته بخبرك فقال له ان ابي يعرف اني بهذه الصفة ولا يمكن ان يمنعني فتجبر بخاطري لاي شيء تمتنع عني أما أعجبتك فقال له والله ياولدي ما افعل ذلك ولو قطعت بالسيوف البواتر وانشد قول الشاعر

ان قلبي يهوى الملاح ذكورا وإناثا ولست بالمتواني
بل أراهم أصائلا وبكورا لم اكن لائطا ولا أنا زاني

ثم بكى وقال قم افتح لي الباب حتى أروح الى حال سبيلي أنا ما بقيت أنام في هذا المكان ثم قام على قدميه فتعلق به الولد وصار يقول له انظر لاشراق وجهي وحمرة خدي ولين معاطفي ورقة شفائفي ثم كشف له عن ساق يخجل الخمر والساقي ورنا اليه بلحظ يعجز السحر والراقي وكان بديع الجمال كثير الدلال كما قال فيه بعض من قال

لم انسه مذقام يكشف عامداً عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لاتعجبوا من ان تقوم قيامتى ان القيامة يوم كشف الساقي

ثم بين له الغلام صدره وصار يقول له انظر الى نهودى فنها احسن من نهود البنات وريقى احلى من السكر النبات فدع الورع والزهاده وخلها من النسك والعباده واغتنم وصالى وتمل بجمالى ولا تخف من شيء ابدا وعليك الامان من الردى واترك هذه البلاد فانها بئست العادة وصار يريه ماخفي من محاسنه ويبديه ويثني عنان عقله بتثنيه والدرويش يلفت وجهه ويقول اعوذ بالله استح ياولدى ان هذا الشيء حرام لا افعله ولا فى المنام فشدد عليه الغلام فانفلت الدرويش واستقبل القبله وصار يصلى

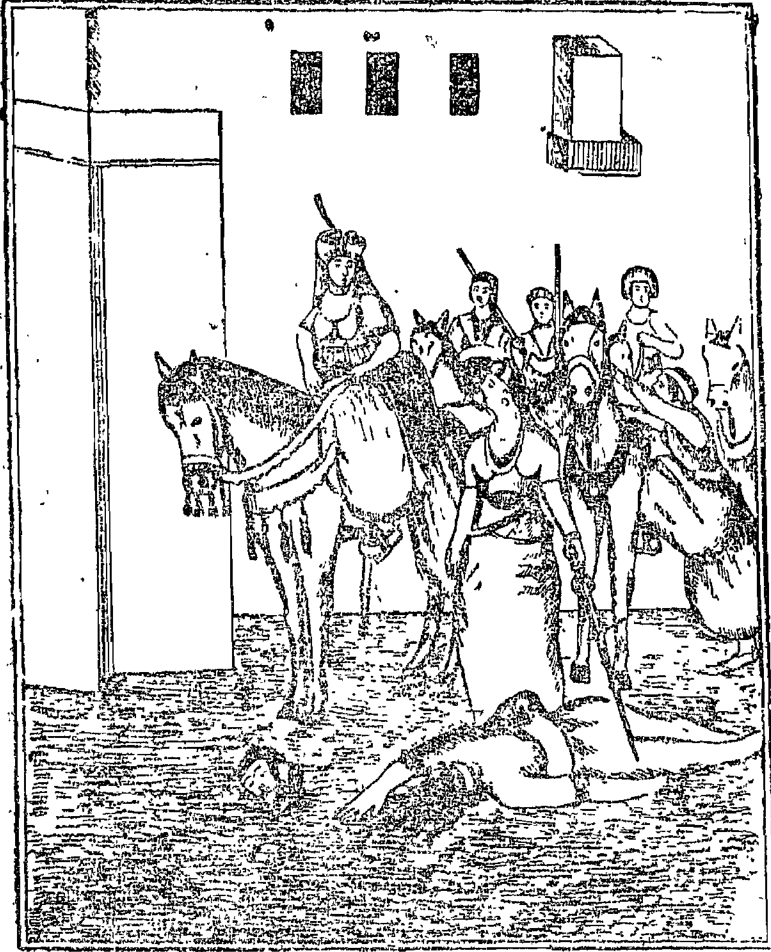


الدرويش الذى أضافه والد قمر الزمان

فلما رآه تركه حتى صلى ركعتين وسلم واراد ان يتقدم اليه فنوى الصلاة ثاني مرة وصلى ركعتين ولم يزل يفعل هكذا ثالثا ورابعا وخامسا فقال له الولد وماهذه الصلاة هل مرادك ان تطير الى السحاب اضعت حظنا وانت طول الليل فى المحراب ثم ان الغلام ارتمى عليه وصار يبوسه بين عينيه فقال له ياولدى اخزعنك الشيطان وعليك بطاعة الرحمن فقال له ان لم تفعل بي ما أريد اناديا بى واقول له ان

الدرويش يريد ان يفعل بي الفاحشة فيدخل عليك ويضربك حتى يكسر عظمك على لحمك نكل هذا وابوه ينظر بعينه ويسمع باذنه فثبت عند ابي الولد ان الدرويش ما عنده فساد وقال في نفسه لوكان هذا الدرويش مفسدا ما كان يتحمل هذه المشقة كلها ثم ان الولد صار يحاول الدرويش وكلما نوي الصلاة قطعها عليه حتى اغتاظ الدرويش غاية الغيظ واغلظ على الولد وضربه فبكى الولد فدخل عليه ابوه ومسح دموعه واخذ بخاطره وقال للدرويش يا اخي حيث انك على هذه الحالة لاي شيء تبكي وتتحسر حين رأيت ولدي اهل لهذا من سبب فقال له نعم انا لما رايتك تبكي عند رؤيته ظننت فيك السوء فامرت الولد بهذا الامر حتى اجربك واضمرت اني اذا رايتك تطلب منه فاحشة ادخل عليك واقتلك فلما رأيتك ما وقع منك عرفت انك من الصلاح على غاية ولكن بالله عليك ان تخبرني بسبب بكائك فتنهد الدرويش وقال له ياسيدي لا تحرك علي ساكن الجراح فقال لا بد ان تخبرني فقال له اعلم اني درويش سياح في البلاد والاقطار لاعتبر بآثار خالق الليل والنهار فاتفق اني دخلت مدينة البصرة في يوم جمعة ضحوة النهار فرأيت الدكاكين مفتوحة وفيها من سائر الاصناف والبضائع والمأكول والمشروب وهي خالية ليس فيها رجل ولا امرأة ولا بنت ولا ولد وليس في الشوارع كلاب ولا قطط ولا حس حسيس ولا انس انيس فتعجبت من ذلك وقلت ياترى اين راح اهل هذه المدينة بقططهم وكلابهم وما فعل الله بهم وكنت جائعا فاخذت عيشا سخنا من فرن خباز ودخلت دكان زيات وبسست العيش بالسمن والعسل واكلت وطلعت دكان شربات فشربت ما اردت ورأيت القهوة مفتوحة فدخلتها ورأيت فيها البكارج على النار ممتلئة بالقهوة وليس فيها احد فشربت كفايتي وقلت ان هذا الشيء عجيب كان اهل هذه المدينة اتاهم الموت فماتوا كلهم في هذه الساعة او خافوا من شيء نزل بهم فهربوا وما قدروا ان يقفلوا دكاكينهم فبينما انا افكر في هذا الامر واذا بصوت نوبة تدق فخفت واختفيت حصة من الزمان وصرت انظر من خلال الخروق فرأيت جواري كأنهن الاقمار قد مشين في السوق زوجا زوجا من غير غطاء بل مكشوفات الوجوه وهن اربعون زوجا بثمانين جارية ورايت وليدة راكبة على جواد لا يقدر ان ينقل اقدامه مما عليه وعليها من الذهب والفضة والجواهر وتلك الوليدة مكشوفة الوجه من غير غطاء وهي مزينة بافخر الزينة ولابسة افخر الملبوس وفي عنقها عقد من الجوهر وفي صدرها قلائد من الذهب وفي يديها اساور تضيء كالنجوم وفي رجليها خلاخل من الذهب مرصعة بالمعادن والجواري قدامها وخلفها وعن يمينها وشمالها وبين يديها جارية مقلدة بسيف عظيم قبضته زمرد وعلائقه من ذهب مرصع بالجواهر فلما وصلت تلك الصبية الى الجهة التي قدامي حبست عنان الجواد وقالت يا بناتي قد سمعت حس شيء في داخل الدكان ففتشنه لئلا يكون فيه احد مستخف ومراده يتفرج علينا ونحن مكشوفات الوجوه ففتشن الدكان الذي قدام القهوة التي انا مستخف فيها وبقيت انا خائف فرأيتهن قد خرجن برجل وقلن لها يا سيدتنا قد رأينا هنا رجلا وها هو بين يديك فقالت للجارية التي معها السيف ارمي عنقه فتقدمت اليه الجارية وضربت عنقه ثم تركته مطروحا على الارض ومضين فلما رأيت هذه

الحاله ولكن تعلق قلبي بعشق الصبيه وبعد ساعة ظهر الناس وصار كل من كان له دكان يدخلها ودرجت الناس فى الاسواق والتموا على المقتول يتفرجون عليه فخرجت انا من المكان الذي كنت فيه سرا ولم ينتبه لى احد ولكن تملك قلبي عشق تلك الصبية فصرت اتجسس عليها سرا فلم يخبرنى احد عنها بخبر ثم انى خرجت من البصرة وفى قلبي من عشقها حسرة فلما رأيت ابنك هذا رأيته أشبه



﴿ الجوارى الذى رآهن الدرويش فى مدينة البصرة ﴾
(وقد أمرت سيدتهن احداهن بضرب عنق الرجل الذى كان مختفيا فى الدكان)

الناس بتلك الصبية فذكرني بها وهيج على نار الغرام واضرم بقلبي لهيب الهيام وهذا سبب بكائى ثم انه بكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد وقال له يا سيدى بالله عليك ان تفتح لى الباب حتى اروح الى حال سبيلى ففتح له الباب فخرج هذا ما كان من امره (واما) ما كان من امر قمر الزمان فانه لما سمع كلام الدرويش اشتغل باله بعشق تلك الصبية وتمكن منه الغرام وهاج به الوجد والهيام فلما اصبح الصباح

قال لابيه كل اولاد التجار يسافرون البلاد لتحصيل المراد وليس منهم واحد الا وابوه يجهز له بضاعة فيسافر بها ويربح فيها ولاي شيء يا أبي لم تجهز لي تجارة حتى أسافر بها وانظر سعدي فقال له ياولدي ان التجار مقلون من المال فيسفرون اولادهم لاجل الفوائد والمكاسب وجاب الدنيا واما انا فعندي أموال كثيرة وليس عندي طمع فكيف اغربك وانا لا اقدر على فراقك ساعة خصوصا وانت فريد في الجمال والحسن والكمال واخاف عليك فقال له يا أبي لا يمكن الا ان تجهز لي متجرا لاسافر به والا اغافلك واهرب ولو كان من غير مال ولا تجارة وان أردت تطييب خاطري فجهز لي بضاعة حتى أسافر واتفرج على بلاد الناس فلما رآه ابوه متعلقا بالسفر اخبر زوجته بهذا الخبر وقال لها ان ولدك يريد ان اجهز له متجرا ليسافر به الى بلاد الغربة مع ان الغربة كربة فقالت له زوجته ماذا يضرك من ذلك ان هذه عادة اولاد التجار فكلهم يتفاخرون بالاسفار والمكاسب فقال لها ان غالب التجار فقراء يطلبون كثرة الاموال واما انا فمالي كثير فقالت له زيادة الخير لا تضر وان كنت أنت لا تسمح له بذلك فانا اجهز له متجرا من مالي فقال التاجر اني اخاف من الغربة لانها بئست الكربة قالت لا بأس بالاغتراب الذي فيه الاكتساب ولا يذهب ولدنا ونطلبه فلا نراه ونفتضح بين الناس فقبل التاجر كلام زوجته وجهز متجر الولده بتسعين الف دينار واعطته امه كيسا فيه اربعون فصا من ثمين الجواهر اقل قيمة الواحد خمسمائة دينار وقالت ياولدي احتفظ على الجواهر فانها تنفعك فاخذ قمر الزمان جميع ذلك وسافر الى البصرة وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام

(وفي ليلة ٩٦٥) قالت بلغني ايها الملك السعيد أن قمر الزمان اخذ جميع ذلك وسافر الى البصرة وكان قد وضع الجواهر في كمر وشده على وسطه ولم يزل مسافرا حتى لم يبق بينه وبين البصرة الا مرحلة واحدة فخرج عليه العرب وعروه وقتلوا رجاله وخدمه فرقد بين قتلين ولطخ روحه بالدم فظن العرب انه مقتول فتركوه ولم يتقرب منه احد ثم اخذوا امواله وراحوا فلما راح العرب الى حال سبيلهم قام قمر الزمان من بين القتلى ومشى وهو لا يملك شيأ غير الفصوص التي على حزامه ولم يزل سائرا حتى دخل البصرة فاتفق ان دخوله كان في يوم جمعة وكانت المدينة خالية من الناس كما اخبر الدرويش فرأى الاسواق خالية والدكاكين مفتوحة وهي ممتلئة بالبضائع من كل مأكول ومشروب وصار يتفرج فبينما هو كذلك اذ سمع النوبة تدق فاختفى في دكان الى ان جاءت البنات فتفرج عليهن ولما رأى الصبية راح اخذه العشق والغرام وملكه الوجد والهيام حتى لا يستطيع القيام وبعد حصة من الزمان ظهرت الناس وملأت الاسواق فذهب الى السوق وتوجه الى رجل جوهري واخرج له حجرا من الاربعين يساوي الف دينار فباعه له ورجع الى محله ثم بات تلك الليلة ولما أصبح الصباح غير حوائجه ودخل الحمام وطلع كانه البدر التمام ثم باع اربع فصوص بأربعة آلاف دينار وصار يتفرج في شوارع البصرة وهو لابس افخر الملابس حتى وصل الى سوق فرأى فيه رجلا مزينا فدخل عنده وحلق رأسه وعمل معه صاحبة ثم قال له يا والدي انا غريب البلاد وبالامس دخلت هذه المدينة فرأيتها خالية من السكان وما فيها احد من انس ولا جان ثم اني

رأيت بنات وبينهن صبية راكبة فى موكب وأخبره بما رآه فقال له ياولدى هل أخبرت غيرى بهذا الخبر قال لا فقال له ياولدى اياك أن تذكر هذا الكلام قدام احد غيرى فان كل الناس لا يكتمون الكلام والاسرار وانت ولد صغير فاخاف عليك أن ينتقل الكلام من ناس الى ناس حتى يصل الى اصحابه فيقتلوك واعلم ياولدى أن هذا الذى رأيته ما احد رآه ولا يعرفه فى غير هذه المدينة واما اهل البصرة فانهم يموتون بهذه الحسرة وفى كل يوم جمعة عند ضحوة النهار يحبسون الكلاب والقطط ويمنعونها عن المشى فى الاسواق وجميع اهل المدينة يدخلون الجوامع ويغلقون عليهم الابواب ولا يقدر احد منهم أن يمر فى السوق ولا أن يطل من طاقة ولا يعرف احد ما سبب هذه البلية ولكن ياولدى فى هذه الليلة اسأل زوجتى عن سببها فانها داية تدخل بيوت الاكابر وتعرف اخبار هذه المدينة فان شاء الله تعالى تاتى عندى فى غد وانا اخبرك بما تخبرنى به فكبش كبشة وقال له ياولدى خذ هذا الذهب واعطه لزوجتك فانها صارت امى وكبش كبشة ثانية وقال خذ هذا لك فقال المزين ياولدى اجلس مكانك حتى اروح الى زوجتى واسألها واجى اليك بالخبر الصحيح ثم تركه فى الدكان وراح الى زوجته واخبرها بشأن الغلام وقال لها مرادى أن تخبرينى بحقيقة امر هذه المدينة حتى اخبر بها هذا الشاب التاجر فانه متولع بالاطلاع على حقيقة امرها امتناع الناس والحيوانات عن الاسواق فى ضحوة يوم الجمعة واظن انه عاشق وهو كريم سخى فاذا اخبرناه يحصل لنا منه خير كثير فقالت له رح هاته وقل له تعال كلم امك زوجتى فانها تقرئك السلام وتقول لك أن الحاجة مقضية فذهب الى الدكان فرآى قمر الزمان قاعدا ينتظره فاخبره بالخبر وقال له ياولدى اذهب بنا الى امك زوجتى فانها تقول لك أن الحاجة مقضية ثم اخذه وسار به حتى دخل على زوجته فرحبت به واجلسته ثم انه اخرج مائة دينار واعطاها لها وقال لها يا امى اخبرينى عن هذه الصبية من تكون فقالت ياولدى لتعلم أن سلطان البصرة قد جاءته الجوهرة من عند ملك الهند فاراد أن يثقبها فاحضر جميع الجوهرية وقال لهم اريد منكم أن تثقبوا الى هذه الجوهرة والذى يثقبها له على تمنية فمهما تمناه اعطيته له وأن كسرها فانى ارمى رأسه فخافوا وقالوا ياملك الزمان أن الجواهر سريع العطب وقل أن يثقبه احد ويسلم لان الغالب عليه الكسر فلا تحملنا ما لا نطيق فنحن لا نخرج من ايدينا ان نثقب هذه الجوهرة وانما شيخنا اخبر منا فقال الملك ومن شيخكم قالوا المعلم عبيد وهو اخبر منا بهذه الصناعة وعنده اموال كثيرة وله معرفة جيدة فأرسل اليه واحضره بين يديك وأمره أن يثقب لك هذه الجوهرة فارسل اليه وامره بثقبها وشرط عليه الشرط المذكور فاخذها وثقبها على مراد الملك فقال تمن على يا معلم فقال ياملك الزمان امهلنى الى الغد والسبب فى ذلك انه اراد أن يشاور زوجته وكانت زوجته تلك الصبية التى رأيتها فى الموكب وكان يحبها محبة شديدة ومن عظم محبته لها انه كان لا يفعل شيأ الا اذا شاورها فيه ولاجل ذلك امهل التمنية حتى يشاورها فلما اتى اليها قال لها انا ثقبت للملك جوهرة واعطانى تمنية وقد امهلته حتى اشاورك فاى شى تريدين حتى اتمناه قالت نحن عندنا اموال لا تاكلها النيران ولكن ان كنت تحبنى فتمن على الملك انه

ينادي في شوارع البصره أن اهلها يدخلون الجوامع يوم الجمعة قبل الصلاة بساعتين ولا يبقى في البلد كبير ولا صغير الا ويكون في المسجد او في البيت وتقفل عليهم ابواب المساجد والبيوت ويتركون دكاكين البلد مفتوحة واركب بجواري واشق في المدينة ولا ينظر لي احد من طاقة ولا من شباك وكل من عثرت به قتلته فراح الى الملك وتمنى عليه هذه الامنية فاعطاه ماتمناه ونادى بين اهل البصره بما تمناد قالوا اننا نخاف على البضائع من القطط والكلاب فامر الملك بحبسها في ذلك اليوم حتى تخرج الناس من صلاة الجمعة وصارت تلك الجارية تخرج في كل يوم جمعة قبل الصلاة بساعتين وتركب بجواريها في شوارع البصره ولا يقدر احد أن يمر في السوق ولا أن يطل من طاقة ولا من شباك فهذا هو السبب وقد عرفتك بالجارية ولكن ياولدي هل مرادك معرفة خبرها او مرادك الاجتماع بها فقال يا امي مرادي الاجتماع بها فقالت اخبرني بما عندك من الذخائر الفاخرة فقال يا امي عندي من ثمين المعادن اربعة اصناف صنف ثمن كل واحد منه خمسمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه سبعمائة دينار وصنف ثمن كل واحد منه ثمانمائة دينار وصنف كل واحد منه الف دينار قالت له تسمح نفسك بأربعة منهم قال نفسي تسمح بالجميع قالت قم ياولدي من غير مطرود واخرج منها فصا يكون ثمنه خمسمائة دينار واسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية واذهب اليه تراه جالسا في دكانه وعليه ثياب فاخرة وتحت يده الصناع فسلم عليه واجلس على الدكان واخرج الفص وقل له يامعلم خذ هذا الحجر واصنع لي خاتما بالذهب ولا تجعله كبيرا بل اجعله على قدر مثقال من غير زيادة واصنعه صنعا جيدا ثم اعطه عشرين دينارا واعط الصناع كل واحد دينارا واقعد عنده حصة وتحدث معه واذا اتاك سائل فاعطه دينارا واظهر الكرم حتى يتولع بمحبتك ثم قم من عنده ورح الى منزلك وبت هناك فاذا اصبحت فهات معك مائة دينار واعطها لابيك فانه فقير قال وهو كذلك ثم خرج من عندها وذهب الى الوكالة واخذ فصا ثمنه خمسمائة دينار وعمد به الى سوق الجواهر وسال عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية فدلوه على دكانه فلما وصل الى الدكان رأى شيخ الجوهرية رجلا مهابا وعليه ثياب فاخرة وتحت يده اربع صناع فقال لهم السلام عليكم فردعليه السلام ورحب به واجلسه فلما جلس اخرج له الفص وقل له يامعلم اريد منك أن تصوغ لي هذا الحجر خاتما بالذهب ولكن اجعله على قدر مثقال من غير زيادة وصغه صياغة طيبة ثم اخرج له عشرين دينارا وقال له خذ هذه في نظير نقشة الاجرة باقية ثم اعطى كل صانع دينارا فأحبه الصناع واحبه المعلم عبيد وقعد يتحدث معه وصار كل من اتاه من السائلين يعطيه دينارا فتعجبوا من كرمه ثم أن المعلم عبيد كان عنده عدة في بيته مثل العدة التي في الدكان وكان من عادته انه اذا أراد أن يصنع شيئا غريبا يشتغله في بيته حتى ان الصناع لا يتعلمون منه الصنعة الغريبة وكانت الصبية زوجته تجلس قدامه فاذا كانت قدامه ونظر اليها يصنع كل شيء غريب صناعته بحيث لا يليق الا بالملوك فقعد يصنع هذا الخاتم صنعة عجيبة في البيت فلما رأته زوجته قالت ما مرادك ان تصنع بهذا الفص قال أريد ان اصوغه خاتما بالذهب لان ثمنه خمسمائة دينار فقالت له لمن قال لغلام تاجر جميل الصورة له عيون تجرح

وخدود تقدح وله فم كخاتم سيدنا سليمان وجنتان كشقائق النعمان وشفائف حمر كالمرجان وله عنق مثل أعناق الغزلان وهو أبيض مشرب بحمرة ظريف لطيف كريم فعل كذا وكذا وصار تارة يصف لها حسنه وجماله وتارة يصف لها كرمه وكماله وما زال يذكرها محاسنه وكرم أخلاقه حتى عشقها فيه ولم يكن أحد أعرض من الذي يصف لزوجته انسانا بالحسن والجمال وفرط سخائه بالمال فلما أفاض بها الغرام قالت له هل يوجد فيه شيء من محاسني فقال لها جميع محاسنك كلها فيه وهو شبيهك في الصفة وربما كان عمره قدر عمرك ولولا اني اخاف على خاطرك لقلت أنه أحسن منك الف مرة فسكتت ولكن التهبت نار محبته في قلبها ثم ان الصائغ لم يزل يتحدث معها في بعداد محاسنه حتى فرغ من صياغة هذا الخاتم ثم ناولها له فلبسته فجاء على قدر أصبعها فقالت له ياسيدي ان قلبي حب هذا الخاتم واشتهي أن يكون لي ولا انزعه من أصبعي فقال لها اصبري فان صاحبه كريم وانا اطلب ان اشتريه منه فان باعني اياه جئت به اليك وان كان عنده حجر آخر اشتريه لك واصوغه مثله وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٦٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الجوهري قال لزوجته اصبري فان صاحبه كريم وانا اطلب أن اشتريه منه فان باعني اياه جئت به اليك وان كان عنده حجر آخر اشتريه واصوغه لك مثله هذا ما كان من أمر الجوهري وزوجته (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فانه بات في منزله فلما أصبح أخذ مائة دينار وأتى الى العجوز زوجة المزين وقال لها خذي هذه المائة دينار فقالت له اعطها لابيك فاعطاها له ثم انها قالت له هل فعلت كما قلت قال نعم قالت له قم وتوجه الآن الى شيخ الجوهرية فاذا أعطاك الخاتم فضعه في رأس أصبعك وانزعه بسرعة وقل له يامعلم اخطأت اذ الخاتم جاء ضيقا فيقول لك ياتاجر هل اكسره واصوغه واسعا فقل له ما احتاج الى كسره وصياغته ثانيا ولكن خذه واعطه لجارية من جواريك واخرج له حجر آخر يكون ثمنه سبعمائة دينار وقل له خذ هذا الحجر صغه لي فانه أحسن من ذلك واعطه ثلاثين دينار واعط لكل صانع دينارين وقل له هذه الدنانير في نظير نقشه والاجرة باقية ثم ارجع الى منزلك وبت هناك وتعالى في الصباح ومعك مائتا دينار وانا أكمل لك بقية الحيلة ثم انه ذهب الى الجوهري فرحب به واجلسه على الدكان فلما جلس قال له هل قضيت الحاجة قال نعم وأخرج له الخاتم فأخذه وحطه في رأس أصبعه ثم نزعه سريعا وقال له اخطأت يامعلم ورماه له وقال له أنه ضيق على اصبعي فقال له الجوهري ياتاجر هل أوسعه قال لا ولكن خذه احسانا والبسه لبعض جواريك فان ثمنه تافه لانه خمسمائة دينار فلا احتاج الى صياغته ثانيا ثم اخرج له فصا آخر ثمنه سبعمائة دينار وقال له اصنع هذا ثم اعطاه ثلاثين دينار وأعطى كل صانع دينارين فقال له ياسيدي لما نصوغ الخاتم نأخذ أجرته فقال له هذه في نظير نقشه والاجرة باقية ثم تركه ومضى فاندهش الجوهري من شدة كرم قمر الزمان وكذلك الصناع ثم ان الجوهري ذهب الى زوجته وقال لها يافلانة ما رأت عيني أكرم من هذا الشاب وانت بختك طيب لانه اعطاني الخاتم بلا ثمن وقال لي اعطه لبعض جواريك وحكى لها

القصة ثم قال لها اظن ان هذا الولد ما هو من أولاد التجار وانما هو من أولاد الملوك والسلاطين وصار كلما مدحه تزداد فيه غراما ووجدا وهياما ثم لبست الخاتم والجوهري صاغ له الثاني أوسع من الاول بقليل فلما فرغ من صناعته لبسته في أصبعها من داخل الخاتم الاول ثم قالت ياسيدي انظر ما أحسن الخاتمين في اصبعي فاشتهي ان يكون الخاتمان لي فقال لها اصبري لعلي اشتري الثاني لك ثم بات فلما اصبح أخذ الخاتم وتوجه الى الدكان هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فانه أصبح متوجها الى العجوز زوجة المزين وأعطاها مائتي دينار فقالت له توجه الى الجوهري فاذا أعطاك الخاتم فضعه في أصبعك وانزعه سريعا وقل اخطأت يامعلم ان الخاتم جاء واسعا والمعلم الذي يكون مثلك اذا اتاه مثلي بشغل ينبغي له ان يأخذ القياس فلو كنت أخذت قياس أصبعي ما اخطأت واخرج له حجرا آخر يكون ثمنه ثمانمائة دينار وقال له خذ هذا اصنعه واعط هذا الخاتم الى جارية من جواريك ثم أعطه أربعين دينارا وأعط كل صانع ثلاثة دنانير وقل له هذا في نظير نقشه وأما الاجرة فانها باقية وانظر ماذا يقول لك ثم تعالي ومعك ثلثمائة دينار واعطها لابيك يستعين بها على وقته فانه رجل فقير الحال فقال سمعا وطاعة ثم انه توجه الى الجوهري فرحب به واجلسه ثم أعطاه الخاتم فوضعه في أصبعه ونزعه بسرعة وقال له ينبغي للمعلم الذي مثلك اذا أتاه مثلي بشغل ان يأخذ قياسه فلو كنت أخذت قياس أصبعي ما اخطأت ولكن خذه واعطه لبعض جواريك ثم اخرج له حجرا ثمنه ثمانمائة دينار وقال له خذ هذا واصنعه لي خاتما على قدر اصبعي فقال صدقت والحق معك فاخذ القياس وأخرج له أربعين دينارا وقال له خذ هذه في نظير نقشه والاجرة باقية فقال له ياسيدي كم أجرة اخذناها منك فاحسانك علينا كثير فقال له لا بأس ثم انه تحدث معه حصة وصار كلما يمر به سائل يعطيه دينارا وبعد ذلك تركه وانصرف هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الجوهري فانه توجه الى بيته وقال لزوجته ما اكرم هذا الشاب التاجر فما رأيت أكرم منه ولا أجمل منه ولا احلى من لسانه وصار يذكر لها محاسنه وكرمه ويبالغ في مدحه فقالت له ياعديم الذوق حيث كنت تعرف فيه هذه الصفات وقد اعطاك خاتمين مثمنين ينبغي لك ان تعزمه وتعمل له ضيافة وتتودد اليه فاذا رأى منك المودة وجاء منزلنا فربما تنال منه خيرا كثيرا وان كنت لا تسمح له بضيافة فاعزمه وانا اعمل له الضيافة من عندي فقال لها هل أنت تعرفين انني بخيل حتى تقولي هذا الكلام قالت له ما أنت بخيل ولكنك عديم الذوق فاعزمه في هذه الليلة ولا تجيء بدونه وان امتنع فاحلف بالطلاق وأكد عليه فقال لها على الرأس والعين ثم انه صاغ الخاتم ونام وأصبح في ثالث يوم متوجها الى الدكان وجلس فيها هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فانه أخذ ثلثمائة دينار وتوجه الى العجوز وأعطاها الى وجها فقالت له ربما يعزم عليك في هذا اليوم فاذا عزم عليك وبت عنده فمهما جرى لك فاخبرني به في الصباح وهات معك اربعمائة دينار واعطها لابيك فقال سمعا وطاعة وصار كلما فرغت منه الدراهم يبيع من الاحجار ثم انه توجه الى الجوهري فقام له واخذه بالاحضان وسلم عليه وعقد معه صحبة ثم انه اخرج الخاتم فرآه على

قدر أصبعه فقال له بارك الله فيك ياسيد المعلمين ان الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٦٧) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان قمر الزمان لما قال للجوهرى ان الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادى لان عندى أحسن منه فخذه واعطه لبعض جواريك واخرج له غيره واخرج له مائة دينار وقال له خذ اجرتك ولا تؤاخذنا فاننا اتعبناك فقال له ان الذى تعبنا فيه قد أعطيتنا اياه وتفضلت علينا بشىء كثير وانا قلبى تعلق بحبك ولا اقدر على فراقك فبالله عليك ان تكون ضيفى فى هذه الليلة وتجبر خاطرى فقال لا بأس ولكن لا بد ان اتوجه الى الخان لاجل ان اوصى اتباعى واخبرهم باننى غير بائت فى الخان حتى لا ينتظرونى فقال له انت نازل فى أى خان قال فى الخان الفلانى فقال أجىء اليك هناك فقال لا بأس ثم ان الجوهرى توجه الى ذلك الخان قبل المغرب خوفا من غضب زوجته عليه ان دخل البيت بدونه ثم انه أخذه ودخل به فى بيته وجلسا فى قاعة ليس لها نظير وكانت الصبية رأته حين دخوله فافتتنت به ثم صارا يتحدثان الى ان جاء العشاء فاكلا وشربا وبعد ذلك جاءت القهوة والشربات ولم يزل يسامره الى وقت العشاء فصليا الفريضة ثم دخلت عليهما جارية ومعها فنجانان من المشروب فلما شربا غلب عليهما النوم فناما ثم جاءت الصبية فرأتهما نائمين فنظرت فى وجه قمر الزمان فاندهش عقلها من جماله وقالت كيف ينام من عشق الملاح ثم قلبته على قفاه وركبت على صدره ومن شدة غيظها من غرامه نزلت على خدوده بعضة بوس حتى اثر ذلك فى خده فاشتدت حمرته وزهت وجنته ونزلت على شفته بالمص ولم تزل تمص شفته حتى خرج الدم من فمها ومع ذلك لم تنطفىء نارها ولم يرو اوارها ولم تزل معه بين بوس وعناق والتفاف ساق على ساق حتى اشرق جبين الصباح وتبلج الفجر ولاح ثم وضعت فى جيبه أربعة عواشق وتركته وراحت وبعد ذلك ارسلت جارية بشىء مثل النشوق فوضعته فى مناخيرهما فعطسا وأفاقا فقالت لهما الجارية اعلموا يا أسيادى ان الصلاة وجبت فقوموا صلوا الصلاة الصبح واتت لهما بالطشت والابريق ثم قال قمر الزمان يا معلم ان الوقت جاء وقد تجاوزنا الحد فى النوم فقال الجوهرى للتاجر ياصاحبى ان نوم هذه القاعة ثقيل كلما أنام فيها يجرى لى هذا الامر فقال صدقت ثم ان قمر الزمان أخذ يتوضأ فلما وضع الماء على وجهه احرقته خدوده وشفته فقال عجائب اذا كان هوى القاعة ثقيلا واستغرقنا فى النوم فما بال خدودى وشفتى تحرقنى ثم قال يامعلم ان خدودى وشفتى تحرقنى ثم فقال اظن ان هذا من أكل الناموس فقال عجائب وهل يجرى لك فيها مثلى قال لا ولكن اذا كان عندى ضيف مثلك يصبح يشكو من قرص الناموس ولا يكون ذلك الا اذا كان الضيف مثلك أمرد وأما اذا كان متلحيا فلا يقف عليه الناموس وما منع الناموس عنى الا لحيتى كأن الناموس لا يهوى أصحاب اللحى فقال له صدقت ثم ان الجارية جاءت لهما بالفطور فافطرا وخرجا وراح قمر الزمان الى العجوز فلما رأته قالت له انى أرى آثار الحظ على وجهك بما رأيت قال ما رأيت شيئا وانما تعشيت أنا وصاحب المحل فى قاعة وصلينا العشاء ثم نمنا فما أفقنا الا الصبح فضحكت وقالت ما هذا الاثر الذى على

خدك وعلى شفتك قال لها ان نمرس القاعة فعل معي هذه الفعال فقالت صدقت وهل جرى لصاحب البيت مثل ما جرى لك قال لا ولكنه اخبرني ان ناموس تلك القاعة لا يضر أصحاب اللحى ولا يعف الا على المرد وكما يكون عنده ضيف فان كان أمرد يصبح يشكوا من قرص الناموس وان كان ماتحيا فلا يجرى له شىء من ذلك فقالت صدقت فهل رأيت شيئا غير هذا قال رأيت في جيبي أربعة عواشق قالت ارنى اياها فاعطاها لها فاخذتها وضحكت وقالت ان معشوقتك قد وضعت هذه العواشق فى جيبك قال وكيف ذلك قالت انها تقول لك بالاشارة لو كنت عاشقا ما نمت فان الذى يعشق لا ينام ولكن انت لم تزل صغيرا ولا يليق بك الا اللعب بهذه العواشق فما حملك على عشق الملاح وقد جاءتك فى الليل فرأتك نائما فقطعت خدودك بالبوس وحطت لك هذه الامارة ولكنها لا يكفيها منك ذلك بل لا بد أن ترسل اليك زوجها فيعزم عليك فى هذه الليلة فاذا رحت معه فلا تنم عاجلا وهات معك خمسمائة دينار وتعالى اخبرني بما حصل وأنا أكمل لك الحيلة قال لها سمعا وطاعة ثم توجه الى الخان هذا ما كان من امره (وأما) ما كان من أمر زوجة الجوهرى فانها قالت لزوجها هل راح الضيف قال نعم ولكن يافلانة ان الناموس شوش عليه فى الليلة وقطع خدوده وشفته وانا استحيت منه فقالت هذه عادة ناموس قاعتنا فانه لا يهوى الا المرد ولكن اعزمه فى الليلة الآتيه فتوجه الى فى الخان الذى هو فيه وعزمه وأتى به الى القاعة فأكلا وشربا وصليا العشاء فدخلت عليهما الجارية واعطت كل واحد فنجانا وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٦٧) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الجارية دخلت عليهما واعطت كل واحد فنجانا فشربا وناما فاتت الصبية وقالت له ياعلق كيف تنام وتدعي انك عاشق والعاشق لا ينام ثم ركبت على صدره ومازالت نازلة عليه ببوس وعض ومص وهراش الى الصباح ثم حطت له فى جيبه سكينا وارسلت جاريتها عند الصباح فنبهتهما وخدوده كأنها ملتهبة بالنار من شدة الاحمرار وشفاهه كالمرجان بسبب المص والتقبيل فقال له الجوهرى لعل الناموس شوش عليك قال لا لانه لما عرف النكتة ترك الشكاية ثم انه رأى السكين فى جيبه فسكت ولما افطر وشرب القهوة خرج من عند الجوهري وتوجه الى الخان واخذ خمسمائة دينار وذهب الى العجوز واخبرها بما رأى وقال لها اني نمت غصبا عني ولما أصبحت ما رأيت شيئا غير سكين فى جيبي فقالت له الله يحميك منها فى الليلة القابلة فان نمت ذبحتك فقال وكيف يكون العمل فقالت اخبرني بما تأكله وما تشربه قبل النوم قال نتعشى على عادة الناس ثم تدخل علينا جارية بعد العشاء وتعطى كل واحد منا فنجانا فمتى شربت فنجانى نمت ولا افيق الا فى الصباح فقالت له ان الداهية فى الفنجان فخذه منها ولا تشربه حتى يشرب سيدها ويرقد وحين تعطيه لك الجارية قل لها اسقيني ماء فتذهب لتجيء اليك بالقلة فكب الفنجان خلف المخدة واجعل روحك نائما ولما ترجع اليك بالقلة تظن انك نمت بعد ان شربت الفنجان فتروح عنك وبعد حصة يظهر لك الحال واياك ان تخالف أمرى فقال لها سمعا وطاعة ثم توجه الى الخان هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر زوجة الجوهرى فانها قالت لزوجها اكرام الضيف ثلاث

ليال بعزمه مهرة ثالثة فتوجه اليه وعزمه واخذه ودخل به الى القاعة فلما تعشيا وصليا العشاء اقبلت الجارية فدخلت واعطت كل واحد فنجانا فشرب سيدها ورقد واما قمر الزمان فانه لم يشرب فقالت له الجارية أما تشرب ياسيدى فقال لها انا عطشان هات القلة فذهبت لتجيء اليه بالقلة فسكب الفنجان خلف المخدة ورقد فلما رجعت الجارية رأته راقدا فاخبرت سيدتها بذلك وقالت انه لما شرب الفنجان رقد فقالت الصبية في نفسها ان موته احسن من حياته ثم أخذت سكينا ماضية ودخلت عليه وهي تقول ثلاث مرات وانت لم تلحظ الاشارة يا احمق الان أشق بطنك فلما رآها مقبلة عليه وفي يدها السكين فتح عينيه وقام ضاحكا فقالت له مافهمت هذه الاشارة بفطنتك بل بدلالة ماكر فاخبرني من اين لك هذه المعرفة قال من عجوز وجرى لى معها كذا وكذا وأخبرها بالخبر فقالت له في غد اخرج من عندنا وروح الى العجوز وقل لها هل بقى معك من الحيل زيادة عن هذا المقدار فان قالت لك معى فقل لها اجتهدى في الوصول اليها جهارا وان قالت مالى مقدرة وهذا آخر ماعندي فاتركها عن بالك وفى ليلة غد يأتي زوجى ويعزمك فتعال معه واخبرنى وانا أعرف بقية التدبير فقال لا بأس ثم بات معها بقية الليلة على ضم وعناق واعمال حرف الجر بانفاق واتصال الصلة بالموصول وزوجها كتنوين الاضافة معزول ولم يزالا على هذه الحالة الى الصباح ثم قالت له انا ما يكفيني منك ليلة ولا يوم ولا شهر ولا سنة وانما قصدى ان اقيم معك بقية العمر ولكن اصبر حتى اعمل لك مع زوجي حيلة تحير ذوى الالباب ونبلغ بها الآراب وادخل عليه الشك حتى يطلقنى واتزوج بك وأروح معك الى بلادك وانقل جميع ماله وذخائره عندك واتحيل لك على خراب دياره ومحو آثاره ولكن اسمع كلامى وطاوعنى فيما اقوله لك ولا تخالفنى فقال سمعا وطاعة وما عندى خلاف فقالت له روح الى الخان وان جاء زوجى وعزمك فقل له يا اخى ان ابن آدم ثقيل ومتى أكثر التردد اشمأزت منه الكريم والبخيل وكيف أروح عندك كل ليلة وارقد انا وانت فى القاعة فان كنت انت لاتغتاظ منى فربما يغتاظ حريمك منى بسبب منعك عنه فان كان مرادك عشرتى فخذ لى بيتا بجانب بيتك وتبقى انت تارة تسهر عندى الى وقت النوم وانا تارة اسهر عندك الى وقت النوم ثم اروح الى منزلى وانت تدخل حريمك وهذا الرأى أحسن من حجبك عن حريمك كل ليلة فانه بعد ذلك يأتى الى ويشاورنى فاشير عليه ان يخرج جارنا فان البيت الذى هو ساكن فيه بيتنا والجار ساكن بالكراء ومتى اتيت البيت يهون الله علينا بقية تدبيرنا ثم انها قالت له روح الآن وافعل كما أمرتك فقال لها سمعا وطاعة ثم تركته وراحت وهو جعل نفسه نائما وبعد مدة اتت الجارية فنبهتهما فلما أفاق الجوهرى قال يا تاجر لعل الناموس شوش عليه قال لا فقال الجوهرى لعلك اعتدت عليه انهما فطرا وشربا القهوة وخرجا الى اشغالهما وتوجه قمر الزمان الى العجوز واخبرها بما جرى وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٦٨) قالت بلغنى أيها الملك السعيد ان قمر الزمان لما توجه الى العجوز واخبرها بما جرى وقال لها انها قالت لى كذا وكذا وقلت لها كذا وكذا فهل عندك أكثر من هذا التدبير حتى

يوصلني الى الاجتماع بها جهار افقال ث ياولدي الى هنا انتهى تدبيري وفرغت حيلتي فعند ذلك تركها
وتوجه الى الخان ولما اصبح الصباح توجه اليه الجوهرى عند المساء وعزمه فقال له لا يمكن ان اروح
معك فقال له لماذا وانا احببتك وما بقيت اقدر على فراقك فبالله عليك ان تمض معى فقال له ان كان
مرادك طول العشرة معي ودوام الصحبة بيني و بينك فخذ لى بيتا بجانب بيتك وان شئت تسهر
عندى وانا اسهر عندك وعند النوم يروح كل منا الى بيته و ينام فيه فقال له ان عندى بيتا بجانب بيتي
وهو ملكي فامض معي فى هذه الليلة وفى غد اخليه لك فمضى معه وتعشيا وصليا العشاء وشرب
زوجها الفنجان الذى فيه العمل فرقد وفنجان قمر الزمان لاغش فيه فشربه ولم يرقد فجاءته وقعدت
تسامره الى الصباح وزوجها مرمي مثل الميت ثم انه صحا من النوم على العادة وارسل احضر الساكن
وقال له يارجل ادخل الى بيتى فانى قد احتجت اليه فقال له على الرأس والعين فاخلاه له وسكن فيه قمر الزمان
ونقل جميع مصالحه فيه وفى تلك الليلة سهر الجوهرى عند قمر الزمان ثم راح الى بيته وفى ثانى يوم
ارسلت الصبية الى معمارى ماهر فاحضرته وارغبته بالمال حتى عمل لها سردابا فى قصرها يوصل الى
بيت قمر الزمان وجعل له طابقا تحت الارض فما يشعر قمر الزمان الا وهي داخلة عليه ومعها كيسان
من المال فقال لها من اين جئت فارته السرداب وقالت له خذ هذين الكيسين من ماله وقعدت تهارشه
وتلاعبه الى الصباح ثم قالت له انتظرني حتي اروح له وانبهه ليذهب الي دكانه وآتي لك فقعد
ينتظرها وانصرفت لزوجها وايقظته فقام وتوضأ وصلى وذهب الى الدكان و بعد ذهابه اخذت
اربعة اكياس وراحت الى قمر الزمان من السرداب وقالت له خذ هذا المال وجلست عنده ثم
انصرف كل منهما الى حال سبيله فتوجهت الى بيتها وتوجه قمر الزمان الى السوق ولما رجع فى وقت
المغرب رأى عنده عدة اكياس وجواهر وغير ذلك ثم ان الجوهرى جاء به فى بيته واخذه الى القاعة
وسهر فيها هو واياه فدخلت الجارية على العادة واسقتهما فرقد سيدها وقمر الزمان ما اصابه شيء
لان فنجانه سالم لاغش فيه ثم اقبلت اليه الصبية وجلست تلاعبه وصارت الجارية تنقل المصالح الى
بيته من السرداب ولم يزالوا على هذه الحالة الى الصباح ثم ان الجارية نبهت سيدها واسقتهما القهوة
وكل منهما راح الى حال سبيله وفى ثالث يوم اخرجت له سكينا كانت لزوجها وهى صياغته بيده كلفها
خمسمائة دينار ولم يوجد لها مثيل فى حسن الصياغة ومن كثرة ما طلبها منه الناس وضعها فى صندوق
ولم تسمح نفسه ببيعها لاحد من المخلوقين ثم قالت له خذ هذه السكين فى حزامك وروح الى زوجي
واجلس عنده واخرجها من حزامك وقل له يامعلم انظر هذه السكين فاني اشتريتها فى هذا اليوم
واخبرني هل انا مغلوب فيها او غالب فانه يعرفها و يستحي ان يقول لك هذه سكيني فان قال لك من
اين اشتريتها و بكم اخذتها فقل له رأيت اثنين من اللاوندية يتقاتلان مع بعضهما فقال واحد منهما
للآخر اين كنت قال كنت عند صاحبتي وكلما اجتمع معها تعطيني دراهم وفي هذا اليوم قالت لى ان
يدي لا تطول دراهم في هذا الوقت ولكن خذ هذه السكين فانها سكين زوجي فاخذتها منها ومرادي
بيعها فاعجبتني السكين ولما سمعته يقول ذلك قلت له اتبيعها لى فقال اشتر فاخذتها منه بثلثمائة دينار

خيا ترى هل هي رخيصة أو غالية وانظر ما يقول لك ثم تحدث معه مدة وقم من عنده وتعال الي بسرعة فتراني قاعدة في فم السرداب انتظرك فاعطني السكين فقال لها اسمعا وطاعة ثم أخذ تلك السكين وحطها في حزامه وراح الي دكان الجوهري فسلم عليه ورحب به واجلسه فرأى السكين في حزامه فتعجب وقال في نفسه ان هذه سكيني ومن أوصلها الي هذا التاجر وصار يفكر في نفسه ويقول يا ترى هي سكيني أو سكين تشابهها واذا بقمر الزمان أخرجها وقال يا معلم خذ هذه السكين تفرج عليها فلما أخذها من يده عرفها حق المعرفة واستحى ان يقول هذه سكيني ثم قال له من اين اشتريتها فاخبره بما اوصته به الصبية فقال له هذه بهذا الثمن رخيصة لانها تساوي خمسمائة دينار والتقادت النار في قلبه وارتبطت أياديه عن الشغل في صنعته وصار يتحدث معه وهو غريق في بحر الافكار وكلما كلمه الغلام خمسين كلمة يرد عليه بكلمة واحدة وصار قلبه في عذاب وجسمه في اضطراب وتكدر منه الخاطر وصار كما قال الشاعر

لم ادر قولا اذا حبوا مكالمتي او كلموني يروني غائب الفكر
غرقان في بحر فكر لا قرار له لا فرق للناس انثاها من الذكر

فلما رآه تغيرت حالته قال له لعلك مشغول في هذه الساعة ثم قام من عنده وتوجه الى البيت بسرعة فرآها واقفة في باب السرداب تنتظره فلما رأته قالت له هل فعلت كما أمرتك قال نعم قالت له ما قال لك قال لها قال لي انها رخيصة بهذا الثمن لانها تساوي خمسمائة دينار ولكن تغيرت أحواله فقمت من عنده ولم أدر ما جرى بعد ذلك فقالت هات السكين وما عليك منه ثم أخذت السكين وحطتها في موضعها وقعدت هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الجوهري فانه بعد ذهاب قمر الزمان من عنده التهبت بقلبه النار وكثر عنده الوسوس وقال في نفسه لا بد ان اقوم واتفقد السكين واقطع الشك باليقين فقام واتى البيت ودخل على زوجته وهو ينفخ مثل الثعبان فقالت له ما لك ياسيدي فقال لها اين سكيني قالت في الصندوق ثم دقت صدرها بيدها وقالت ياهمي لعلك تخاصمت مع احد فاتيت تطلب السكين لتضربه قال لها هات السكين اريني اياها قالت حتى تحلف انك لا تضرب بها أحدا فحلف لها ففتحت الصندوق واخرجتها له فصار يقلبها ويقول ان هذا شيء عجيب ثم انه قال لها خذيها وحطيها في مكانها قالت له اخبرني ما سبب ذلك قال لها اني رايت مع صاحبنا سكينا مثلها واخبرها بالخبر كله ثم قال لها لما رأيتها في الصندوق قطعت الشك باليقين فقالت له لعلك ظننت بي وجعلتني صاحبة اللاوندي واعطيته السكين فقال لها نعم اني شككت في هذا الامر ولكن لما رايت السكين ارتفع الشك من قلبي فقالت له يارجل انت ما بقي فيك خير فصار يعتذر اليها حتى أرضاها ثم خرج وتوجه الى دكانه وفي ثاني يوم أعطت قمر الزمان ساعة زوجها وكان صنعها بيده ولم يكن عند أحد مثلها ثم قالت له رح الي دكانه واجلس عنده وقل له ان الذي رأيته بالامس رايته في هذا اليوم وفي يده ساعة وقال لي أتشتري هذه الساعة فقلت له من اين لك هذه

الصياغة قال كنت عند صاحبتي فأعطتني اياها فاشتريتها منه بثمانية وخمسين دينار فانظر هل هي رخيصة بهذا الثمن أو غالية وانظر ما يقول لك واذا اقمت من عنده فأتني بسرعة واعطني اياها فراح اليه قمر الزمان وفعل معه ما أمرته به فلما رآها الجوهري قال هذه تساوي سبعمائة دينار و داخله الوهم ثم ان الغلام تركه وراح الى الصبية واعطاها تلك الساعة واذا بزوجها دخل ينفخ وقال لها أين ساعتي قالت له ها هي حاضرة قال لها هاتيها فاتته بها فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت له يا راجل ما أنت بالاخبر فاخبرني بخبرك فقال لها ماذا أقول انى تحيرت في هذه الحالات ثم أنشد هذه الابيات

تحيرت والرحمن لاشك في أمري ... وضاقت بي الاحزان من حيث لا أدري

سأصبر حتى يعلم الصبر انني ... صبرت على شيء أمر من الصبر

وما مثل مر الصبر صبري وانما ... صبرت على شيء أحر من الجمر

وما الامر أمري في المراد وانما ... أمرت بحسن الصبر من صاحب الامر

ثم قال يا امرأة اني وجدت مع التاجر صاحبنا اولا سكيني وقد عرفتها لان صياغتها اختراع من عقلي ولا يوجد مثلها واخبرني باخبار تغم القلب واتيت فرأيتها ورأيت معه الساعة ثانيا وصياغتها ايضا اختراع من عقلي وليس يوجد مثلها في البصرة واخبرني أيضا باخبار تغم القلب فتحيرت في عقلي وما بقيت أعرف ما جرى لي فقالت له مقتضى كلامك انى انا خليلة ذلك التاجر وصاحبته واعطيته مصالحك وجوزت خيانتي فجئت تسألني ولو كنت ما رأيت السكين والساعة عندي كنت أثبت خيانتي لكن يا رجل حيث انك ظننت بي هذا الظن ما بقيت اوكلك في زاد ولا اشاربك في ماء بعد هذا فاني كرهتك كراهة التحريم فصار يأخذ بخاطرها حتى ارضاها ثم خرج وتندم على مقابلتها بمثل هذا الكلام وتوجه الى دكانه وجلس وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٦٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الجوهري لما خرج من عند زوجته صار يتندم على هذا الكلام ثم ذهب الى الدكان وجلس وصار في قلق شديد وفكر ما عليه من مزيد وهو ما بين مصدق ومكذب وعند المساء اتى الى البيت وحده ولم يأت بقمر الزمان معه فقالت له الصبية اين التاجر قال في منزله قالت هل بردت الصحبة التي بينك وبينه قال والله اني كرهته مما جرى منه فقالت له قم هاته من شان خاطري فقام ودخل عليه بيته فرأى حوائجه منشورة فيه فعرفها فقادت النار في قلبه وصار يتنهد فقال قمر الزمان مالي أراك في فكر فاستحى ان يقول له حوائجي عندك من أوصلها اليك وانما قال له حصل عندي تشويش ولكن قم بنا الى البيت لنتسلى هناك فقال دعني في محلي فلا أروح معك فحلف عليه واخذه ثم تعشى معه وسهر تلك الليلة وصار يتحدث معه وهو غريق في بحر الافكار واذا تكلم الغلام التاجر مائة كلمة يرد عليه الجوهري بكلمة واحدة ثم دخلت عليهما الجارية بفنجانين حسب العادة فلما شربا رقد التاجر ولم يرقد الغلام لان فنجانه غير مغشوش ثم دخلت الصبية على قمر الزمان وقالت له كيف رأيت هذا القرنان الذي هو في غفلته سكران ولا يعرف مكايد النسوان فلا بد ان اخدعه حتى يطلقني ولكن في غد اتهيأ بهيئة جارية وأروح خلفك الى

الدكان وقل له انت يامعلم أني دخلت اليوم خان اليسيرجية فرأيت هذه الجارية فاشتريتها بالف دينار فانظرها هل هي رخيصة بهذا الثمن اوغالية ثم اكشف له عن وجهي ونهودي وفرجه علي ثم خذني وارجع بي الى منزلك وانا ادخل بيتي من السرداب حتى انظر آخر أمرنا معه ثم انهما امضيا ليلتهما على الرأس وصفاء ومنادمة وهراش وبسط وانشراح الى الصباح وبعد ذلك ذهبت الى مكانها وأرسلت الجارية فايقظت سيدها وقمر الزمان فقاما وصليا الصبح وافطرا وشربا القهوة وخرج الجوهري الى دكانه وقمر الزمان دخل بيته واذا بالصبية خرجت من السرداب وهي بصفة جارية وكأن أصلها جارية ثم توجه الى دكان الجوهري ومشت خلفه ولم يزل ماشيا وهي خلفه حتى وصل بها الى دكان الجوهري فسلم عليه وجلس وقال يامعلم اني دخلت اليوم خان اليسيرجية بقصد الفرجة فرأيت هذه الجارية في يد الدلال فاعجبتني فاشتريتها بألف دينار وقصدي ان تتفرج عليها وتنظر هل هي رخيصة الثمن أم لا وكشف له عن وجهها فرآها زوجته وهي لابسة افخر ملبوسها ومتزينة باحسن الزينة ومكحلة ومخضبة كما كانت تتزين قدامه في بيته فعرفها حقق المعرفة بوجهها وملبوسها وصيغتها الانه صاغها بيده ورأى الخواتم التي صاغها جديدا لقمر الزمان في أصبعها وتحقق عنده انها زوجته من سائر الجهات فقال لها ما اسمك ياجارية قالت اسمي حليمة وزوجته اسمها حليمة فذكرت له الاسم بعينه فتعجب من ذلك وقال له بكم اشتريتها قال بالف دينار قال انك اخذتها بلاثمن لان الالف دينار اقل من ثمن الخواتم وملبسها ومصاغها بلا شيء فقال له بشرك الله بالخير وحيث أعجبتك فأنا أذهب بها الى بيتي فقال افعل مرادك فاخذها وراح الى بيته ونزلت من السرداب وقعدت في قصرها هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الجوهري فان النار اشتعلت في قلبه وقال في نفسه أنا أروح أنظر زوجتي فان كانت في البيت تكون هذه الجارية شبيهتها وجل من ليس له شبيه وان لم تكن زوجتي في البيت تكون هي من غير شك ثم أنه قام يجري الى ان دخل البيت فرآها قاعدة بملبسها وزينتها التي رآها بها في الدكان فضرب يدا على يد وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت له يارجل هل حصل لك جنون أو ما خبرك فما هذه عادتك لا بد ان يكون لك امر من الامور فقال لها اذا كان مرادك ان اخبرك فلا تغتمي فقالت قل فقال لها ان التاجر صاحبنا اشترى جارية قدها مثل قدك وطولها مثل طولك واسمها مثل اسمك وملبسها مثل ملبسك وهي تشبهك في جميع صفاتك وفي أصبعها خواتم مثل خواتمك ومصاغها مثل مصاغك فلما فرجني عليها ظننت أنها انت وقد تحيرت في ليتنا ما رأينا هذا التاجر ولا صحبناه ولا جاء من بلاده ولا عرفناه فانه كدر عيشتي بعد الصفاء وكان سببا في الجفاء بعد الوفاء وادخل الشك في قلبي فقالت له تامل في وجهي لعلي اكون انا التي كنت معه والتاجر صاحبي وقد لبست بصفة جارية واتفقت معه على ان يفرجك علي حتي يكيدك فقال أي شيء هذا الكلام انا ما أظن بك أن تفعلي مثل هذه الفعال وكان ذلك الجوهري مغفلا عن مكايدة النساء وما يفعلن مع الرجال ولم يسمع بقول من قال

طحا بك قلب في الحسان طروب . بعيد الشباب عصر حان مشيب

تـكلفني ليـلي وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب
وان تسألوني بالنسـاء فانني خبير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء اوقل ماله فليس له من ودهن نصيب

وقول الآخر

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنة فلن يفوز فتى يعطى النسار سنه
يعقنه عن كمال في فضائله ولوسعي طالبا للعلم الف سنه

وقول الآخر

ان النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من كيد الشياطين
ومن يهن رماه العشق مبتليا قد ضيع الحزم من دنيا ومن دين

ثم قالت له ها انا قاعدة في قصري ورح انت اليه في هذه الساعة واطرق الباب واحتل على الدخول عليه بسرعه فاذا دخلت ورايت الجارية عنده تكون جاريته تشبهني وجل من ليس له شبيه وان لم تر الجارية عنده اكون انا الجارية التي رأيتها معه ويكون ظنك السوء بي محققا فقال صدقت ثم تركها وخرج فقامت هي ونزلت من السرداب وقعدت عند قمر الزمان واخبرته بذلك وقالت له افتح الباب بسرعة وفرجه على فبينما هما في الكلام واذا بالباب يطرق فقال من بالباب قال انا صاحبك فانك فرجتني على الجاريه في السوق وفرحت لك بها ولكن ما كملت فرحتي بها فافتح الباب وفرجني عليها قال لا بأس بذلك ثم فتح له الباب فرأى زوجته قاعدة عنده فقامت وقبلت يده ويد قمر الزمان وتفرج عليها وتحدث معه مدة فراها لا تتميز عن زوجته بشيء فقال يخلق الله مايشاء ثم انه خرج وكثر في قلبه الوسواس ورجع الى بيته فرأى زوجته جالسة لانها سبقته من السرداب حين خرج من الباب وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٧٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن الصبية سبقت زوجها من السرداب حين خرج من الباب ثم قعدت في قصرها فلما دخل زوجها قالت له أي شيء رايت قال رايتها عند سيدها وهي تشبهك فقالت توجه الى دكانك وحسبك سوء الظن ما بقيت تظن بي سوء فقال الامر كذلك فلا تؤاخذيني بما صدر مني قالت سامحك الله ثم قبلها ذات اليمين وذات الشمال وراح الى دكانه فنزلت من السرداب الى قمر الزمان ومعها اربعة أكياس وقالت جهز حالك لسرعة السفر واستعد لتحميل المال بلا امهال حتى افعل لك ما عندي من الحيل فطلع واشترى بغالا وحمل احمالا وجهز تختروانا واشترى مماليك وخدما واخرج الجميع من البلد ومابقي له عاقة واتي لها وقال اني تممت أموري فقالت وأنا الاخرى قد نقلت بقية ماله وجميع ذخائره عندك وماخليت له قليلا ولا كثيرا ينتفع به وكل هذا محبة فيك ياحبيب قلبي فانا أفديك الف مرة بزوجي ولكن ينبغي ان تذهب اليه وتودعه وتقول له انا أريد السفر بعد ثلاثة أيام وجئت لاودعك فاحسب ما تحمل لك عندي من أجرة البيت حتى أورده لك وتبرأ ذمتي وانظر مايكون من جوابه وارجع الي واخبرني وانا احتال عليه وأغيظه

لاجل ان يطلقني فما اراه الا متعلقا بي وما بقي لنا احسن من السفر الى بلادك فقال لها يا حبذا ان صحت الاحلام ثم راح الى دكانه وجلس عنده وقال يا معلم انا مسافر بعد ثلاثة أيام وما جئت إلا لاودعك والمراد انك تحسب ما تحمل لك عندي من أجرة البيت حتى أعطيه لك وتبرأ ذمتي فقال له ما هذا الكلام ان فضلك علي والله ما آخذ منك شيأ من أجرة البيت وحلت علينا البركات ولكنك توحشنا بسفرك ولولا انه يحرم علي لتعرضت لك ومنعتك عن عيالك وبلادك ثم ودعه وتباكيا بكاء شديدا ما عليه من مزيد وقفل الدكان من ساعته وقال في نفسه ينبغي ان أشيع من صاحبي وصار كلما راح يقضي حاجة يروح بيته معه فاذا دخل بيت قمر الزمان يجدها فيه وتقف بين ايديهما وتخدمهما واذا رجع الى بيته يراها قاعدة هناك ولم يزل يراها في بيته اذا دخله ويراها في بيت قمر الزمان اذا دخله مدة الثلاثة أيام ثم انها قالت له اني نقلت جميع ما عندي من الذخائر والاموال والفرش ولم يبق عندي الا الجارية التي تدخل عليكما بالشراب ولكني لا أقدر على فراقها لانها قريبتي وعزيزة عندي وكاتمة لسري ومرادي أن اضربها وأغضب عليها واذا أتى زوجي أقول له انا ما بقيت أقبل هذه الجارية ولا أقعد انا واياها في بيت فخذها وبعها فيأخذها ليبيعها فاشتريها أنت حتى نأخذها معنا فقال لا بأس بذلك ثم انها ضربتها فلما دخل زوجها رأى الجارية تبكي فسألها عن سبب بكائها فقالت ان سيدتي ضربتني فدخل وقال ما فعلت هذه الجارية الملعونة حتى ضربتيها فقالت له يا رجل اني أقول لك كلمة واحدة انا ما بقيت اقدر انظر هذه الجارية فخذها وبعها والا اطلقني فقال أبيعها ولا أخالف لك أمرا ثم انه أخذها معه وهو خارج الى الدكان ومر بها على قمر الزمان وكانت زوجته بعد خروجه بالجارية مرقت من السرداب بسرعة الى قمر الزمان فادخلها في التختروان قبل ان يصل الى الشيخ الجوهري فلما وصل اليه ورأى قمر الزمان الجارية معه قال له ما هذه قال جاريتي التي كانت تسقينا الشراب ولكنها خالفت سيدتها فغضبت عليها وأمرتني ان أبيعها فقال حيث أبغضتها سيدتها ما بقي لها قعود عندها ولكن بعها لي حتى اشم رائحتك فيها واجعلها خادمة لجاريتي حليمة فقال لا بأس خذها فقال له بكم فقال انا لا آخذ منك شيئا لانك تفضلت علينا فقبلها منه وقال للصبية قبلي يد سيدك فبرزت له من التختروان وقبلت يده ثم ركبت في التختروان وهو ينظر اليها ثم قال له قمر الزمان استودعتك الله يا معلم عبيد ابرىء ذمتي فقال له ابرأ الله ذمتك وحملك بالسلامة الى عيالك وودعه وتوجه الى دكانه وهو يبكي وقد عز عليه فراق قمر الزمان لكونه كان رفيقا له والرفيق له حق ولكنه فرح بزوال الوهم الذي حصل له من أمر زوجته حيث سافر ولم يتحقق ما ظنه في زوجته هذا ما كان من امره (وأما) ما كان من أمر قمر الزمان فان الصبية قالت له ان أردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٧١) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان قمر الزمان لما سافر قالت له الصبية ان أردت السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة فقال سمعا وطاعة ثم سلك طريقا غير الطريق التي تعهد

الناس المشي فيها ولم يزل مسافرا من بلاد الى بلاد حتى وصل الى حدود قطر مصر ثم كتب كتابا وارسله الى والده مع ساع وكان والده التاجر عبد الرحمن قاعدا فى السوق بين التجار وفى قلبه من فراق ولده لهيب النار لانه من يوم ما توجه ما اتاه من عنده خبر فبينما هو كذلك واذا بالساعي مقبل وقال لهم يا سادتي من فيكم اسمه التاجر عبد الرحمن فقالوا له ماتريد منه قال لهم ان معي كتابا من عند ولده قمر الزمان وقد فارقته عند العريش ففرح وانشرح وفرح له التجار وهنوه بالسلامة ثم اخذ الكتاب وقرأه فرآه من عند قمر الزمان الى التاجر عبد الرحمن وبعد السلام عليك وعلى جميع التجار فان سألتم عنا فلله الحمد والمنة فقد بعنا واشترينا وكسبنا ثم قدمنا بالصحة والسلامة والعافية فمن بعد ذلك فتح باب الفرح وعمل الولائم واكثر الضيافات والعزائم واحضر آلات الطرب واتى في الفرح بأنواع العجب فلما وصل ولده الصالحية خرج الى مقابلته ابوه وجميع التجار فقابلوه واعتنقه والده وضمه الى صدره وبكى حتى أغمي عليه ولما أفاق قال له يوم مبارك يا ولدي حيث جمعنا بك المهيمن القادر ثم انشد قول الشاعر

وقرب الحبيب تمام السرور ... وكأس الهنا علينا يدور

فأهلا وسهلا بلى مرحبا ... بنور الزمان وبدر البدور

ثم أفاض من شدة الفرح دمع العين وأنشد هذين البيتين

قمر الزمان يلوح في اسفاره ... اشرافه اذ جاء من اسفاره

فشعوره في اللون ليل غيابه ... لكن شروق الشمس من ازراره

ثم ان التجار تقدموا اليه وسلموا عليه فرأوا معه احمالا كثيرة وخدما وتختروانا وهو فى دائرة واسعة فاخذوه ودخلوا به البيت فلما خرجت الصبية من التختروان رآها ابوه فتنة لمن يراها ففتحوا لها قصرا عاليا كأنه كنز انحلت عنه الطلاسم ولما رأتها امه افتتنت بها وظنت انها ملكة من زوجات الملوك وفرحت بها وسألتها فقالت لها انا زوجة ولدك قالت حيث تزوج بك ينبغي لنا ان نقيم لك فرحا عظيما حتى نفرح بك وبولدي هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن فانه بعد ما انفض الناس وراح كل واحد الى حال سبيله اجتمع بولده وقال له يا ولدي ما تكون هذه الجارية عندك وبكم اشتريتها فقال له يا والدي ليست جارية وانما هي التي كانت سبب غربتي فقال له والده وكيف ذلك قال انها التي كان يصفها لنا الدرويش ليلة ما بات عندنا فان آمالي تعلقت تعلقت بها من ذلك الوقت ولا طلبت السفر الا من اجلها حتى تعريت فى الطريق وأخذت العرب أموالي وما دخلت البصرة الا وحدي وحصل لي كذا وكذا وصار يحكي لوالده من المبتدا الى المنتهى فلما فرغ من حديثه قال له يا ولدي وبعد ذلك كله تزوجتها قال لا ولكن وعدتها ان اتزوج بها قال له هل مرادك الزواج بها قال ان كنت تأمرني افعل ذلك والا فلا اتزوجها قال له ان تزوجت بها أكون بريئا منك في الدنيا والآخرة واغضب عليك غضبا شديدا كيف تتزوج بها وهي عملت هذه الفعال مع زوجها وكما عملتها مع زوجها على شأنك تعمل معك مثلها على شأن غيرك فانها



﴿ قمر الزمان يقبل يد والده وقد وقفت الجارية خلفه ﴾

خائنة والخائن ليس له أمان فان كنت تخالفني أكون غضبانا عليك وان سمعت كلامي اختشي لك
على بنت أحسن منها تكون طاهرة زكية أزوجك بها ولو انفق عليها جميع مالي واعمل لك فرحا
ليس له نظير وافتخر بك وبها واذا قال الناس فلان تزوج بنت فلان أحسن من أن يقولوا تزوج
جارية معدومة النسب والحسب وصار يرغب ولده في عدم زواجها ويذكر له في شان ذلك عبارات

ونكتا واشعارا وامثالا ومواعظ فقال قمر الزمان يا والدي حيث كان الامر كذلك فلا علاقة لي بزواجها فلما قال قمر الزمان ذلك الكلام قبله أبوه بين عينيه وقال له ولدي حقا وحياتك يا ولدي لابد لي من أن أزوجك بنتا ليس لها نظير ثم ان التاجر عبد الرحمن حط زوجة عبيد الجوهري وجاريتها في قصر عال وقفل عليها وقيد بهما جارية سوداء توصل لهما اكلهما وشربهما وقال لها انت وجاريتك تنتظران محبوستين في هذا القصر حتى انظر الكما من يشتريكما وأبيعكما له وان خالفت قتلتك انت وجاريتك فانك خائنة ولا خير فيك فقالت له افعل أنت مرادك فاني استحق جميع ما تفعله معي ثم قفل عليهما الباب ووصى عليهما حريمه وقال لا يطلع عندهما احد ولا يكلمهما غير الجارية السوداء التي تعطيهما اكلهما وشربهما من طاقة القصر فقعدت هي وجاريتها تبكي وتتندم على ما فعلت بزوجها هذا ما كان من أمرها (واما) ما كان من امر التاجر عبد الرحمن فانه ارسل الخطاب يخطبون بنتا ذات حسب ونسب لولده فما زالوا يفتشن وكلما رأين واحدة يسمعن بأحسن منها حتى دخلن بيت شيخ الاسلام فرأين بنته ليس لها نظير في مصر وهي ذات حسن وجمال وقد واعتدال لانها أحسن من زوجة عبيد الجوهري بالف طبقة فأخبرته بها فذهب هو والاكابر الى والدها وخطبوها منه وكتبوا الكتاب وعملوا الها فرحا عظيما ثم عمل الولائم وعزم في أول يوم الفقهاء فعملوا مولدا شريفا وثاني يوم عزموا التجار عاما ثم دقت الطبول وزمرت الزمور وزينت الحارة والخط بالقناديل وفي كل ليلة تأتي سائر ارباب الملاعب ويلعبون بانواع اللعب وكل يوم يعمل ضيافة لصنف من أصناف الناس حتى عزم العلماء والامراء والصناجق والحكام ولم يزل الفرح قائما مدة اربعين يوم وكل يوم يقعد التاجر ويستقبل الناس وولده يقعد بجانبه ليتفرج على الناس وهم يأكلون من السماط وكان فرحا ليس له نظير وفي آخر يوم عزم الفقراء والمساكين غريبا وقريبا فصاروا يأتون زمرا ويأكلون والتاجر جالسا وابنه بجنبه فبينما هم كذلك واذا بالشيخ عبيد زوج الصبية داخل في جملة الفقراء وهو عريان تعبان وعلى وجهه أثر السفر فلما رآه قمر الزمان عرفه فقال لابيه انظر يا أبي الى هذا الرجل الفقير الذي دخل من الباب فنظر اليه فرآه رث الثياب وعليه خلق جلباب يساوي درهمين وفي وجهه اصفرار يعلوه غبار وهو مثل مقاطيع الحجاج ويئن أنين المريض المحتاج ويمشي بتهافت ويميل في مشيه ذات اليمين وذات الشمال وقال يا ولدي من هذا قال له هذا المعلم عبيد الجوهري زوج المرأة المحبوسة عندنا فقال له أهذا الذي كنت تحدثني عنه قال نعم وقد عرفته معرفة جيدة وكان السبب في مجيئه انه لما ودع قمر الزمان توجه الى دكانه فجاءته دقة شغل فأخذها واشتغل بها في بقية النهار وعند المساء قفل الدكان وذهب الى البيت ووضع يده على الباب فانفتح فدخل فلم ير زوجته ولا الجارية ورأى البيت في أسوأ الحال منطبقا عليه قول من قال

كانت خليات نحل وهي عامرة ... لما خلا نحلها عادت خليات

كأنها اليوم بالسكان ما عمرت ... أو غال سكانها فصل المنيات

فلما رأى الدار خالية التفت يمينا وشمالا ثم دار فيه مثل المجنون فلم يجد أحدا وفتح باب خزينة فلم يجد فيها شيئا من ماله ولا من ذخائره فعند ذلك أفاق من سكرته وتنبه من غشيته وعرف أن زوجته هي التي كانت تنقاب عليه بالحيل حتى غدرت به فبكى على ما حصل له ولكنه كتم أمره حتى لا يشمت به أحد من أعدائه ولا يتكدر أحد من أحبابه وعلم انه اذا باح بالسر لا يناله الا الهتيكة والتعنيف من الناس وقال في نفسه يا فلان اكتم ما حصل لك من الخبال والوبال وعليك بالعمل بقول من قال

اذا كان صدر المرء بالسر ضيقا فصدر الذي يستودع السر أضيق

ثم انه قفل بيته وقصد الدكان ووكل بها ما نعاما من صناعه وقال له أن الغلام التاجر صاحبي عزم علي أن اروح معه الى مصر بقصد الفرجة وحلف أنه ما يرحل حتى ياخذني معه بحريمي وانت يا ولدي وكيلي في الدكان وأن سألكم عني الملك فقولوا له انه توجه بحريمه الي بيت الله الحرام ثم باع بعض مصالحه واشترى له جمالا وبغالا ومماليك واشترى له جارية وحطها في تختروان وخرج من البصرة بعد عشرة ايام فودعه احبابه وسافر والناس لا يظنون الا انه اخذ زوجته وتوجه الى الحج وفرحت الناس وقد انقذهم الله من حبسهم في المساجد والبيوت في كل يوم جمعة وصار بعض الناس يقول لا رده الله الى البصرة مرة اخرى حتى لا نحبس في المساجد والبيوت في كل يوم جمعة لان هذه الخصلة اورثت اهل البصرة حسرة عظيمة وبعضهم يقول اظنه لا يرجع من سفره بسبب دعاء أهل البصرة عليه وبعضهم يقول أن رجع لا يرجع الا منكس الحال وفرح اهل البصرة بسفره فرحا عظيما بعد ما كانوا في حسرة عظيمة حتى ارتاحت قططهم وكلابهم فلما اتى يوم الجمعة نادى المنادي في البلد على العادة بأنهم يدخلون المساجد قبل صلاة الجمعة بساعتين او يستخفون في البيوت وكذلك القطط والكلاب فضاقت صدورهم فاجتمعوا جميعا وتوجهوا الى الديوان ووقفوا بين يدي الملك وقالوا له يا ملك الزمان أن الجوهري اخذ حريمه وسافر الى حج بيت الله الحرام وزال السبب الذي كنا نحبس لاجله فبأي سبب الان فقال الملك كيف سافر هذا الخائن ولم يعلمني لكن اذا جاء من سفره لا يكون الا خيرا روحوا الى دكاكينكم وبيعوا واشتروا فقد ارتفعت عنكم هذه الحالة هذا ما كان من امر الملك واهل البصرة (وأما) ما كان من امر المعلم عبيد الجوهري فانه سافر عشرة مراحل فحل به ما حل بقمر الزمان قبل دخوله البصرة وطلعت عليه عرب بغداد فعروه واخذوا ما كان معه وجعل نفسه ميتا حتى خلص وبعد ذهاب العرب قام وهو عريان الى أن دخل بلدا فحنن الله عليه اهل الخير فستروا عورته بقطع من الثياب الخلقة وصار يسأل ويتقوت من بلد الى بلد حتى وصل الى مصر المحروسة فاحرقه الجوع فدار يسأل في الاسواق فقال له رجل من اهل مصر يا فقير عليك ببيت الفرح كل واشرب فان هناك في هذا اليوم سماطا للفقراء والغرباء فقال له لا اعرف طريق بيت الفرح فقال له اتبعني وانا اريه لك فتبعه الى أن وصل الى بيت الفرح فقال ادخل ولا تخف فاعلى باب الفرح من حجاب فلما دخل رآه قمر الزمان فعرفه واخبر به اباه ثم أن التاجر عبد الرحمن قال لولده يا ولدي اتركه في هذه الساعة ربما

يكون جائعا فدعه يأكل حتى يشبع ويسكن روعه وبعد ذلك نطلبه فقبضوا عليه حتى أكل واكتفى وغسل يديه وشرب القهوة والشربات السكر الممزوجة بالمسك والعنبر واراد أن يخرج فارسل خلفه والد قمر الزمان فقال له الرسول تعالى ياغريب كلم التاجر عبد الرحمن فقال ما يكون هذا التاجر فقال له صاحب الفرح فرجع وظن انه يعطيه احسانا فلما اقبل التاجر رأى صاحبه قمر الزمان فغاب عن الوجود من الحياء منه وقام له قمر الزمان على الاقدام واخذه بالاحضان وسلم عليه وتباكيا بكاء شديدا ثم انه اجلسه بجانبه فقال له ابوه ياعديم الذوق ماهذا شان ملاقاة الاصحاب ارسله اولا الى الحمام وارسل اليه بدلة تليق به وبعد ذلك اقعد معه وتحدث انت واياه فصاح على بعض الغلمان وامرهم أن يدخلوه الحمام وارسل اليه بدلة من خاص الملبوس تساوى الف دينار واكثر من ذلك المبلغ وغسلوا جسده والبسوه البدلة فصار كأنه شاه بندر التجار وكان الحاضرون سألوا قمر الزمان حين غيابه في الحمام وقالوا من هذا ومن اين تعرفه فقال هذا صاحبي وقد انزلني في بيته وله علي احسان لا يحصى فانه اكرمني اكراما زائدا وهو من اهل السعادة والسيادة وصنعته جوهري ليس له نظير وملك البصرة يحبه حبا كثيرا وله عنده مقام عظيم وكلام نافذ وصار يبالغ لهم في مدحه ويقول انه فعل معي كذا وكذا وانا صرت في حياء منه ولا ادري ما اجازيه به في مقابلة ما صنعه من الاكرام ولم يزل يثني عليه حتى عظم قدره عند الحاضرين وصار مهابا في اعينهم فقالوا نحن كلنا نقوم بواجبه واكرامه من شأنك ولكن مرادنا أن نعرف ما سبب مجيئه الى مصر وما سبب خروجه من بلاده وما فعل الله به حتى صار في هذه الحالة فقال لهم يا ناس لا تتعجبوا ان ابن آدم تحت القضاء والقدر وما دام في هذه الدنيا لا يسلم من الآفات وقد صدق من قال هذه الابيات

الدهر يفترس الرجال فلا تكن ممن تطيشه المناصب والرتب
واحذر من الزلات واجتنب الاسى واعلم بان الدهر شيمته العطب
كم نعمة زالت باصغر نقمة ولكل شيء في تقلبه سبب

اعلموا اني انا دخلت البصرة في أسوأ من هذا الحال واشد من هذا النكال لان هذا الرجل دخل في مصر مستور العورة بالخلقان واما أنا فاني دخلت بلاده مكشوف العورة يد من خلف ويد من قدام ولا نعمني الا الله وهذا الرجل العزيز والسبب في ذلك أن العرب عروني واخذوا جمالي وبغالي واحمالي وقتلوا غلماني ورجالي ورقدت بين القتلى فظنوا اني ميت فذهبوا وفاتوني وبعد ذلك قمت ومشيت عريانا الى ان دخلت البصرة فقابلني هذا الرجل وكساني وانزلني في بيته وقواني بالمال وجميع ما اتيت به معي ليس الا من الله ومن خيره فعند ما سافرت اعطاني شيئا كثيرا ورجعت الى بلادي مجبور الخاطر وفارقته وهو في سيادة وسعادة فلعله حدث له بعد ذلك نكبة من نكبات الزمان اوجبت له فراق الاهل والاوطان وجرى له في الطريق مثل ما جرى لي ولا عجب في ذلك ولكن ينبغي لي الآن ان اجازيه على ما صنع معي من كريم الفعال واعمل بقول من قال

يامحسنا بالزمان ظنا هل تدر ما يفعل الزمن

ماشئت فاصنع جميل فعل كما يدين الفتى يدان

فبينما هم في هذا الكلام وامثاله واذا بالمعلم عبيد مقبل عليهم كانه شاه بندر التجار فقام اليه الجميع وسلموا عليه واجلسوه في الصدر وقال له قمر الزمان يا صاحبي نهارك سعيد مبارك لا تحك على شيء جرى على قبلك فان كان العرب عروك واخذوا منك مالك فاني المال فداء الابدان فلا تغم نفسك فاني دخلت بلادك عريانا وقد كسوتني واكرمتني ولك على الاحسان الكثير فانا اجازيك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

وفي ليلة (٩٧٣) قالت بلغني ايها الملك السعيد أن قمر الزمان لما قال للمعلم عبيد الجوهري انى دخلت بلادك عريانا وقد كسوتني ولك على الاحسان الكثير فانا اجازيك وافعل معك كما فعلت معي بل اكثر من ذلك فطب نفسا وقر عينا وصار يأخذ بخاطره ويمنعه من الكلام لئلا يذكر زوجته وما فعلت معه ولم يزل يعظه بمواعظ وامثال وأشعار ونكت وحكايات واخبار ويسليه فلحظ الجوهري ما اشار اليه قمر الزمان من الكتمان فكتم ما عنده وتسلى بما سمعه من الاخبار والنوادر وانشد قول الشاعر

في جبهة الدهر سطر لو نظرت له ابكاك مضمونه من مقلتيك دما
ماسلم الدهر باليمنى على احد الا ويسراه تسقيه الردى كظما

ثم ان قمر الزمان والده الحاج عبد الرحمن اخذ الجوهري ودخلا به في قاعة الحريم واختليا به فقال له التاجر عبد الرحمن نحن ما منعناك من الكلام الا خوفا من الفضيحة في حقك وحقنا ولكن نحن الآن في خلوة فأخبرني بما جرى بينك وبين زوجتك وولدي فاخبره بالقضية من المبتدا الى المنتهى فلما فرغ من قصته قال له هل الذنب من زوجتك أو من ولدي قال له والله ان ولدك ما عنده ذنب لان الرجال لها الطمع في النساء والنساء عليهن ان يمتنعن من الرجال فالعيب عند زوجتي التي خانتني وفعلت معي هذه الفعال فقام التاجر واختلى بولده وقال له يا ولدي اننا اختبرنا زوجته وعرفنا انها خائنة ومرادي الآن ان اختبره واعرف هل هو صاحب عرض ومروءة أو هو ديوث فقال له وكيف ذلك فقال له مرادي ان احمله على الصلح مع زوجته فان رضي بالصلح وسامحها فاني اضربه بالسيف فاقتله وبعد ذلك اقتلها هي وجاريتها لانه لا خير في حيات الديوث والزانية وان نفر منها فاني أزوجه اختك واعطيه اكثر من ماله الذي اخذته منه ثم انه رجع اليه وقال له يا معلم ان معاشرة النساء تحتاج الى طول البال ومن كان يهواهن فانه يحتاج الى سعة الصدر لانهن يعربدن الرجال ويؤذينهن لعزتهن عليهن بالحسن والجمال فيستعظمن انفسهن ويستحقرن الرجال ولا سيما اذا بانت لهن المحبة من بعولتهن فيقابلنهم بالتيه والدلال وكريه الفعال من جميع الجهات فان كان الرجل يغضب كلما رأى من زوجته ما يكره فلا يحصل بينه وبينها عشرة ولا يوافقهن الا من كان واسع البال كثير الاحتمال وان لم يحتمل الرجل زوجته ويقابل اساءتها بالسماح فانه لا يحصل له في عشرتها نجاح وقد قيل في حقهن لو كن في السماء لمالت اليهن اعناق الرجال ومن قدر وعفا كان

فاجره على الله وهذه المرأة زوجتك ورفيقتك وطالت عشرتها معك فينبغي ان يكون عندك لها السماح وهذا في العشرة من علامات النجاح والنساء ناقصات عقل ودين وهي ان اساءت فانها قد تابت وان شاء الله لا ترجع الى فعل ما كانت تفعله أولا فالرأي عندي انك تصطلح انت وإياها وانا ارد لك اكثر من مالك وانت اقمت عندي فرحبا بك وبها وليس لكما الاما يسركما وان كنت تطلب التوجه الى بلادك فانا أعطيك ما يرضيك وهاهو التختروان حاضر فاركب زوجتك وجاريتها فيه وسافر الى بلادك والذي يجري بين الرجل وزوجته كثير فعليك بالتيسير ولا تسلك سبيل التعسير فقال الجوهري ياسيدي وأين زوجتي فقال له هاهي في هذا القصر فاطلع اليها واستوص بها من شأني ولا تشوش عليها فان ولدي لما جاء بها وطلب زواجها منعته عنها ووضعتها في هذا القصر وقفلت عليها الباب وقلت في نفسي ربما يجيء زوجها فاسلمها اليه لانها جميلة الصورة والتي مثل هذه لا يمكن زوجها أن يتركها والذي حسبته حصل والحمد لله تعالى على اجتماعك بزوجتك وأما من جهة ابني فاني خطبت له زوجة غيرها وهذه الولائم والضيافات من أجل فرحه وفي هذه الليلة ادخله على زوجته وهاهو مفتاح القصر الذي فيه زوجتك فخذه وافتح الباب وادخل على زوجتك وجاريتك وانبسط معهما ويأتيكم الاكل والشرب ولا تنزل من عندها حتى تشبع منها فقال جزاك الله عني كل خير ياسيدي ثم أخذ المفتاح وطلع فرحا فظن التاجر أن هذا الكلام أعجبه وانه رضي به فأخذ السيف وتبعه من خلفه بحيث لم يره ثم وقف ينظر ما يحصل بينه وبين زوجته هذا ما كان من أمر التاجر عبد الرحمن (وأما) ما كان من امر الجوهري فانه دخل على زوجته فرآها تبكي بكاء شديدا بسبب ان قمر الزمان تزوج بغيرها ورأى الجارية تقول لها كم نصحتك ياسيدتي وقلت لك ان هذا الغلام لا ينالك منه خير فاتركي عشرته فما سمعت كلامي حتى نهبت جميع مال زوجك وأعطيته له وبعد ذلك فارقت مكانك وتعلقت في هواه وجئت معه في هذه البلاد وبعد ذلك رماك من باله وتزوج بغيرك ثم جعل آخر تلفك به الحبس فقالت لها اسكتي يا ملعونة فانه وان تزوج بغيري لا بد أن اخطر يوما على باله فانا لا اسلو سامرته وانا على كل حال اتسلى بقول من قال

ياسادتي هل يخطرنا ببالكم	من ليس يخطر غيركم في باله
حاشا كم ان تغفلوا عن حال من	هو غافل في حبكم عن حاله

فلا بد ان يتذكر عشرتي وصحبتي ويسأل عني وانا لا ارجع عن محبته ولا أحول عن هواه ولو مت في السجن فانه حبيبي وطبيبي وعشمي منه أنه يرجع الي ويعمل معي إنبساطا فلما سمعها زوجها تقول هذا الكلام دخل عليها وقال لها يا خائنة ان عشمك فيه مثل عشم ابليس في الجنة كل هذه العيوب فيك وانا ما عندي خبر ولو علمت ان فيك عيبا من هذه العيوب ما كنت قعدتك عندي ساعة واحدة ولكن حيث تيقنت فيك ذلك ينبغي ان اقتلك ولو قتلوني فيك يا خائنة ثم قبض عليها بيديه الاثنتين وانشد هذين البيتين

يا ملاحا اذهبتم صدق ودى　　بالتجنى ولم تراعوا حقوقا
لم بكم صبوة علقت ولكن　　بعد هذا الاسى كرهت العلوقا

ثم اتكأ على زمارة حلقها وكسرها فصاحت الجارية واسيدتاه فقال يا عاهرة العيب كله منك حيث كنت تعرفين ان فيها هذه الخصلة ولم تخبريني ثم قبض على الجارية وخنقها كل ذلك حصل والتاجر ممسك السيف بيده وهو واقف خلف الباب يسمع باذنه ويرى بعينه ثم ان عبيد الجوهرى لما خنقهما فى قصر التاجر كثرت عليه الاوهام وخاف عاقبة الامر وقال فى نفسه ان التاجر اذا علم انى قتلتهما فى قصره لا بد انه يقتلنى ولكن اسأل الله ان يجعل قبض روحى على الايمان وصار متحيرا فى امره ولم يدر ماذا يفعل فبينما هو كذلك واذا بالتاجر عبد الرحمن دخل عليه وقال له لا بأس عليك انك تستاهل السلامة وانظر هذا السيف الذى فى يدى فانى كنت مضمرا على ان اقتلك ان صالحتها ورضيت عليها واقتل الجارية وحيث فعلت هذه الفعال فرحبا بك ثم مرحبا وما جزاؤك الا انى ازوجك ابنتى اخت قمر الزمان ثم انه اخذه ونزل به وامر باحضار الغاسلة وشاع الخبر ان قمر الزمان ابن التاجر عبد الرحمن جاء بجاريتين معه من البصرة فماتتا فصار الناس يعزونه ويقولون له تعيش رأسك وعوض الله عليك ثم غسلوهما وكفنوهما ودفنوهما ولم يعرف احد حقيقة الامر هذا ما كان من امر عبيد الجوهرى وزوجته وجاريته (واما) ما كان من امر التاجر عبد الرحمن فانه احضر شيخ الاسلام وجميع الاكابر وقال يا شيخ الاسلام اكتب كتاب بنتى كوكب الصباح على المعلم عبيد الجوهرى ومهرها قد وصلنى بالتمام والكمال فكتب الكتاب وسقاهم الشربات وجعلوا الفرح واحدا وزفوا بنت شيخ الاسلام زوجة قمر الزمان واخته كوكب الصباح زوجة المعلم عبيد الجوهرى فى تخت روان واحد فى ليلة واحدة وفى المساء زفوا قمر الزمان والمعلم عبيد سواء وادخلوا قمر الزمان على بنت شيخ الاسلام وادخلوا المعلم عبيدا على بنت التاجر عبد الرحمن فلما دخل عليها رآها احسن من زوجته واجمل منها بالف طبقة ثم انه ازال بكارتها ولما اصبح دخل الحمام مع قمر الزمان ثم اقام عندهم مدة فى فرح وسرور وبعد ذلك اشتاق الى بلاده فدخل على التاجر عبد الرحمن وقال يا عم انى اشتقت الى بلادى ولى فيها املاك وارزاق وكنت اقمت فيها صانعا من صناعى وكيلا عنى وفى خاطرى ان اسافر الى بلادى لابيع املاكى وارجع اليك فهل تأذن لى فى التوجه الى بلادى من اجل ذلك فقال له يا ولدى قد اذنت لك ولا لوم عليك فى هذا الكلام فان حب الوطن من الايمان والذى ماله خير فى بلاده ماله خير فى بلاد الناس وربما انك اذا سافرت بغير زوجتك ودخلت بلادك يطيب لك فيها القعود وتصير متحيرا بين رجوعك الى زوجتك وقعودك فى بلادك فالرأى الصواب ان تأخذ زوجتك معك وبعد ذلك ان شئت الرجوع الينا فارجع انت وزوجتك ومرحبا بك وبها لاننا اناس لا نعرف طلاقا ولا تتزوج منا امرأة مرتين ولا نهجر انسانا بطرا فقال يا عم اخاف ان ابنتك لا ترضى بالسفر معى الى بلادى فقال له يا ولدى نحن ما عندنا نساء يخالفن بعولتهن ولا نعرف امرأة تغضب على بعلها فقال له بارك الله فيكم وفى نسائكم ثم انه دخل على

على زوجته وقال لها انا مرادي السفر الى بلادي فما تقولين قالت ان ابي يحكم على مادمت بكرا وحيث انى تزوجت فقد صار الحكم كله فى يد بعلي وانا لا أخالفه فقال لها بارك الله فيك وفى أبيك ورحم الله بطنا حملتك وظهرا القاك ثم بعد ذلك قطع علائقه واخذ فى السفر واعطاه عمه شيئا كثيرا وودع بعضهما ثم اخذ زوجته وسافر ولم يزل مسافرا حتى دخل البصرة فخرجت لملاقاته الاقارب والاصحاب وهم يظنون انه كان فى الحجاز وصار بعض الناس فرحانا بقدومه وبعضهم مغموما لرجوعه الى البصرة وقال الناس لبعضهم انه يضيق علينا فى كل جمعة بحسب العادة ويحبسنا فى الجوامع والبيوت حتى يحبس قططنا وكلابنا هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الملك فانه لما علم بقدومه غضب عليه وأرسل اليه واحضره بين يديه وعنفه وقال له كيف تسافر ولم تعلمني بسفرك فهل كنت عاجزا عن شيء اعطيه لك لتستعين به على الحج الى بيت الله الحرام فقال له العفو ياسيدي والله ما حججت ولكن جرى لي كذا وكذا واخبره بما جرى له مع زوجته ومع التاجر عبد الرحمن المصري وكيف زوجه ابنته الى ان قال له وقد جئت بها الى البصرة فقال له والله لولا اني اخاف من الله تعالى لقتلتك وتزوجت بهذه البنت الاصيلة من بعدك ولو كنت انفق عليها خزائن الاموال لانها لا تصلح الا للملوك ولكن جعلها الله من نصيبك وبارك الله لك فيها فاستوص بها خيرا ثم انه انعم على الجوهري ونزل من عنده وقعد معها خمس سنوات وبعد ذلك توفى الى رحمة الله تعالى فخطبها الملك فما رضيت وقالت أيها الملك انا ما وجدت فى طائفتي امرأة تزوجت بعد بعلها فانا لا أتزوج أحدا بعد بعلي فلا أتزوجك ولو كنت تقتلني فأرسل يقول لها هل تطلبين التوجه الى بلادك فقالت اذا فعلت خيرا تجازى به فجمع لها جميع اموال الجوهري وزادها من عنده على قدر مقامه ثم ارسل معها وزيرا من وزرائه مشهورا بالخير والصلاح وأرسل معه خمسمائة فارس فسار بها ذلك الوزير حتى أوصلها الى أبيها واقامت من غير زواج حتى ماتت وماتوا اجميع واذا كانت هذه المرأة ما رضيت ان تبدل زوجها بعد موته بسلطان كيف تسوى بمن تبدل له فى حال حياته بغلام مجهول الاصل والنسب وخصوصا اذا كان ذلك فى السفاح وعلى غير طريق سنة النكاح فمن ظن ان النساء كلهن سواء فان داء جنونه ليس له دواء فسبحان من له الملك والملكوت وهو الحي الذي لا يموت

﴿حكاية عبد الله بن فاضل عامل البصرة مع أخويه﴾

(ومما يحكى أيضا) ايها الملك السعيد ان الخليفة هرون الرشيد تفقد خراج البلاد يوما من الايام فرأى خراج جميع الاقطار والبلاد دخل الى بيت المال الا خراج البصرة فانه لم يأت فى ذلك العام فنصب ديوانا لهذا السبب وقال علي بالوزير جعفر فحضر بين يديه فقال له ان خراج جميع الاقطار جاء الى بيت المال الا خراج البصرة فانه لم يأت منه شيء فقال يا امير المؤمنين لعل نائب البصرة حصل له أمر ألهاه عن ارسال الخراج فقال له ان مدة حضور الخراج عشرون يوما فما عذره فى هذه المدة حتى لم يرسل الخراج او يرسل باقامة العذر فقال له يا أمير المؤمنين ان شئت ارسلنا اليه رسولا فقال أرسل له ابا اسحق

الموصلي النديم فقال سمعاً وطاعة لله ولك يا أمير المؤمنين ثم ان الوزير جعفر نزل الى داره واحضر أبا اسحق الموصلي النديم وكتب له خطاً شريفاً وقال له امض الى عبد الله بن فاضل نائب مدينة البصرة وانظر ما الذي ألهاه عن ارسال الخراج ثم تسلم منه خراج البصرة بالتمام والكمال وائتني به سريعاً فان الخليفة تفقد خراج الاقطار فوجده قد وصل الا خراج البصرة وان رأيت الخراج غير حاضر واعتذر اليك بعذر فهاته معك ليخبر الخليفة بالعذر من لسانه فاجاب بالسمع والطاعة واخذ خمسة آلاف فارس من عسكر الخليفة وسافر حتى وصل الى مدينة البصرة فعلم بقدومه عبد الله بن فاضل فخرج بعسكره اليه ولاقاه ودخل به البصرة وطلع به قصره وبقية العسكر نزلوا في الخيام خارج البصرة وقد عين لهم ابن فاضل جميع ما يحتاجون اليه ولما دخل ابو اسحق الديوان وجلس على الكرسي اجلس عبد الله بن فاضل بجانبه وجلس الاكابر حوله على قدر مراتبهم ثم بعد السلام قال له ابن فاضل يا سيدي هل لقدومك علينا من سبب قال نعم انما جئت لطلب الخراج فان الخليفة سأل عنه ومدة وروده قد مضت فقال يا سيدي يا ليتك ما تعبت ولا تحملت مشقة السفر فان الخراج حاضر بالتمام والكمال وقد كنت عازماً ان ارسله في غد ولكن حيث أتيت فانا اسلمه اليك بعد ضيافتك ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع احضر الخراج بين يديك ولكن وجب علينا الآن اننا نقدم اليك هدية من بعض خيرك وخير أمير المؤمنين فقال له لا بأس بذلك ثم انه فض الديوان ودخل به قصراً في داره ليس له نظير ثم قدم له ولاصحابه سفرة الطعام فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا ثم رفعت المائدة وغسلت الايادي وجاءت القهوة والشربات وقعدوا في المنادمة الى ثلث الليل ثم فرشوا له سريراً من العاج مرصعاً بالذهب الوهاج فنام عليه ونام نائب البصرة على سرير آخر بجانبه فغلب السهر على ابي اسحق رسول أمير المؤمنين وصار يفكر في بحور الشعر والنظام لانه من خواص ندماء الخليفة وكان له باع عظيم في الاشعار ولطائف الاخبار ولم يزل سهراناً في انشاد الشعر الى نصف الليل فبينما هو كذلك واذا بعبد الله بن فاضل قام وشد حزامه وفتح دولاباً واخذ منه سوطاً وأخذ شمعة مشتعلة وخرج من باب القصر وهو يظن ان أبا اسحق نائم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

وفي ليلة ٩٧٣ قالت بلغني أيها الملك السعيد ان عبد الله بن فاضل لما خرج من باب القصر وهو يظن ان ابا اسحق النديم نائماً فلما خرج تعجب ابو اسحق وقال في نفسه الى اين يذهب عبد الله ابن فاضل بهذا السوط فلعل مراده ان يعذب أحداً ولكن لا بد لي من ان اتبعه وانظر ما يصنع في هذه الليلة ثم ان ابا اسحق قام وخرج وراءه قليلاً قليلاً بحيث انه لم يره فرأى عبد الله فتح خزانة واخرج منها مائدة فيها أربعة أصحن من الطعام وخبزاً وقلة فيها ماء ثم انه حمل المائدة والقلة ومشى فتبعه أبو اسحق مستخفياً الى ان دخل قاعة فوقف ابو اسحق خلف باب القاعة من داخل وصار ينظر من خلال ذلك الباب فرأى هذه القاعة واسعة ومفروشة فرشاً فاخراً وفي وسط تلك القاعة سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج وذلك السرير مربوط فيه كلبان في سلسلتين من الذهب

انه رأى عبد الله حط المائدة على جانب فى مكان وشمر عن أياديه وفك الكلب الاول فصار يتلوى فى يديه ويضع وجهه فى الارض كانه يقبل الارض بين يديه ويعوي عواء خفيفا بصوت ضعيف ثم انه كتفه ورماه فى الارض وسحب السوط ونزل به عليه وضربه ضربا وجيعا من غير شفقة وهو يتلوى بين يديه ولا يجد له خلاصا ولم يزل يضربه بذلك السوط حتى قطع الانين وغاب عن الوجود ثم انه أخذه وربطه فى مكانه وبعد ذلك أخذ الكلب الثانى وفعل به كما فعل بالاول ثم انه اخرج محرمة وصار يمسح لهما دموعهما ويأخذ بخاطرهما ويقول لا تؤاخذانى والله ما هذا بخاطري ولا يسهل على ولعل الله يجعل لكما من هذا الضيق فرجا ومخرجا ويدعو لهما وحصل كل هذا وابو اسحق النديم واقف يسمع باذنه ويرى بعينه وقد تعجب من هذه الحالة ثم انه قدم لهما سفرة الطعام وصار يلقمهما بيده حتى شبعا ومسح لهما أفواههما وحمل القلة وسقاهما وبعد ذلك حمل المائدة والقلة والشمعة واراد ان يخرج فسبقه ابو اسحق وجاء الى سريره ونام ولم يره ولم يعرف انه تبعه واطلع عليه ثم ان عبد الله وضع السفرة والقلة في الخزانه ودخل القاعة وفتح الدولاب ووضع السوط في محله وقلع حوائجه ونام هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من امر ابى اسحق فانه بات بقية تلك الليلة يفكر فى شأن هذا الامر ولم يأته نوم من كثرة العجب وصار يقول فى نفسه يا ترى ما سبب هذه القضية ولم يزل يتعجب الى الصباح ثم قاموا وصلوا الصبح ووضع لهم الفطور فأكلوا وشربوا القهوة وطلعوا الى الديوان واشتغل ابو اسحق بهذه المسألة طول النهار ولكنه كتمها ولم يسأل عبد الله عنها وثانى الليلة فعل بالكلبتين كذلك فضربهما ثم صالحهما واطعمهما وسقاهما وتبعه ابو اسحق فرآه فعل بهما كاول ليلة وكذلك ثالث ليلة ثم انه أحضر الخراج الى ابى اسحق النديم فى رابع يوم فاخذه وسافر ولم يبد له شيئا ولم يزل مسافرا حتى وصل الى مدينة بغداد وسلم الخراج الى الخليفة ثم ان الخليفة سأله عن سبب تاخير الخراج فقال له يا امير المؤمنين رأيت عامل البصرة قد جهز الخراج واراد ارساله ولو تأخرت يوما لقابلنى فى الطريق لكن رأيت من عبد الله بن فاضل عجبا عمرى ما رأيت مثله يا امير المؤمنين فقال الخليفة وما هو يا ابا اسحق قال رأيت ما هو كذا وكذا واخبره بما فعله مع الكلبين وقال رأيته ثلاث ليال متواليات وهو يعمل هذا العمل فيضرب الكلبين وبعد ذلك يصالحهما ويأخذ بخاطرهما ويطعمهما ويسقيهما وأنا اتفرج عليه بحيث لا يرانى فقال له الخليفة فهل سألته عن السبب فقال لا وحياة رأسك يا أمير المؤمنين فقال الخليفة يا ابا اسحق امرتك ان ترجع الى البصرة وتأتيني بعبد الله بن فاضل وبالكلبين فقال يا أمير المؤمنين دعنى من هذا فان عبد الله بن فاضل اكرمنى اكراما زائدا وقد اطلعت على هذه الحالة اتفاقا من غير قصد فاخبرتك بها فكيف أرجع اليه واجئ به فانى ان رجعت اليه لا القى لى وجها حياء منه فاللائق ارسال غيرى اليه بخط يدك فيأتيك به وبالكلبين فقال له ان أرسلت له غيرك ربما ينكر هذا الامر ويقول ما عندى كلاب واما اذا ارسلتك أنت وقلت له انى رأيتك بعيني فانه لا يقدر على انكار ذلك فلا بد من ذهابك اليه واتيانك به وبالكلبين والا فلا بد من قتلك فقال له ابو اسحق سمعا وطاعة يا امير المؤمنين وحسبنا الله ونعم

الوكيل وصدق من قال آفة الانسان من اللسان فانك الجاني على نفسي حيث اخبرتك ولكن ان كتبت خطا بشريفا وانا اذهب اليه وآتيك به فكتب له خطا شريفا وتوجه به الى البصرة فلما دخل على عامل البصرة قال له كفانا الله شر رجوعك يا ابا اسحق فقال ان الرجعت من بعد العمل الخراج ناقص فلم يقبله الخليفة فقال يا امير عبد الله ليس رجوعي من أجل نقص الخراج فانه كامل وقبله الخليفة ولكن أرجو منك عدم المؤاخذة فاني أخطأت في حقك وهذا الذي وقع مني مقدر من الله تعالى فقال له وما وقع منك يا ابا اسحق اخبرني فانك حبيبي وأنا لا أؤاخذك فقال له اعلم اني لما كنت عندك اتبعتك ثلاث ليال متواليات وانت تقوم كل ليلة في نصف الليل وتعذب الكلاب وترجع فتعجبت من ذلك واستحييت ان أسألك عنه وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٧٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان ابو اسحق قال لعبد الله لما رأيت هذا بالكلبين استحييت ان أسألك عنه وقد اخبرت الخليفة بخبرك اتفاقا من غير قصد فالزمني بالرجوع اليك وهذا خط يده ولو كنت أعلم ان الامر يحوج الى ذلك ما كنت أخبرته ولكن جرى القدر بذلك وصار يعتذر اليه فقال له حيث اخبرته فانا أصدق خبرك عنده لئلا يظن بك الكذب فانك حبيبي ولو اخبره غيرك كنت أنكرت ذلك وكذبته فها أنا أروح معك وآخذ الكلبين معي ولو كان في ذلك تلف نفسي وانقضاء اجلي فقال له الله يسترك كما سترت وجهي عند الخليفة ثم انه أخذ هدية تليق بالخليفة وأخذ الكلبين في جنازير من الذهب وحمل كل كلب على جمل وسافروا الى ان وصلوا الى بغداد ودخلوا على الخليفة فقبل الارض بين يديه فاذن له بالجلوس فجلس واحضر الكلبين بين يديه فقال الخليفة ما هذان الكلبان يا امير عبد الله فصار الكلبان يقبلان الارض بين يديه ويحركان اذنابهما ويبكيان كأنهما يشكوان اليه فتعجب الخليفة من ذلك وقال له اخبرني بخبر هذين الكلبين وما سبب ضربك لهما واكرامهما بعد الضرب فقال له يا خليفة ما هذان كلبان وانما هما رجلان شابان ذوحسن وجمال وقد واعتدال وهما اخواي وولد امي وأبي فقال الخليفة وكيف كانا آدميين وصارا كلبين قال ان اذنت لي يا امير المؤمنين أخبرتك بحقيقة الخبر فقال أخبرني واياك والكذب فانه صفة أهل النفاق وعليك بالصدق فانه سفينة النجاة وسيمة الصالحين فقال له اعلم يا خليفة الله انى اذا أخبرتك بخبرهما يكونان هما الشاهدان علي فان كذبت يكذباني وان صدقت يصدقاني فقال له هذان من الكلاب لا يقدران على نطق ولا جواب فكيف يشهدان لك او عليك فقال لهما يا اخواي اذا أنا تكلمت كلاما كذبا فارفعا رؤسكما وحملقا اعينكما واذا تكلمت صدقا فنكسا رؤسكما وغمضا اعينكما ثم انه قال اعلم يا خليفة الله اننا نحن ثلاثة اخوة أمنا واحدة وابونا واحد وكان اسم ابينا افاض لي وما سمي بهذا الاسم الا لكون امه وضعت ولدين توأمين في بطن واحد فمات أحدهما في وقته وساعته وفضل الثاني فسماه ابوه فاضلا ثم رباه واحسن تربيته الى ان كبر فزوجه أمنا ومات فوضعت أخي هذا أولا فسماه منصورا وحملت ثاني مرة ووضعت أخي هذا فسماه ناصرا وحملت ثالث مرة ووضعتني فسماني عبد الله وربانا حتى كبرنا وبلغنا مبلغ الرجال فمات وخلف لنا بيتا ودكانا ملآنا

قماشا مملوا من سائر أنواع القماش الهندي والرومي والخراساني وغير ذلك وخلف لنا ستين الف دينار فلما مات أبونا غسلناه وحملناه مشهدا عظيما ودفناه وذهب لرحمة مولاه وعملنا له عتاقة وختمات وتصدقنا عليه الى تمام الاربعين يوما ثم اني بعد ذلك جمعت التجار واشراف الناس وعملت لهم يوما عظيما وبعدما اكلوا قلت لهم يا تجار ان الدنيا فانية والآخرة باقية وسبحان الدائم بعد فناء خلقه هل تعلمون لاي شيء جمعتكم في هذا اليوم المبارك عندي قالوا سبحان علام الغيوب فقلت لهم ان ابي مات عن جملة من المال وانا خائف ان يكون عليه تبعة لاحد من دين أو رهن أو غير ذلك ومرادي خلاص ذمة أبي من حقوق الناس فمن كان له عليه شيء فليقل ان لي عليه كذا وكذا وانا أورده له لاجل براءة ذمة أبي فقال لي التجار يا عبد الله ان الدنيا لا تغني عن الآخرة ولسنا أصحاب باطل وكل منا يعرف الحلال من الحرام ونخاف من الله تعالى ونجتنب أكل مال اليتيم ونعلم ان اباك رحمة الله عليه كان دائما يبقي ماله عند الناس ولا يخلي في ذمته شيئا الى احد ونحن كنا دائما نسمعه وهو يقول أنا خائف من متاع الناس ودائما كان يقول في دعائه الهي أنت ثقتي ورجائي فلا تمتني وعلي دين وكان من جملة طباعه انه اذا كان لاحد عليه شيء فانه يدفعه له من غير مطالبة واذا كان له على أحد شيء فانه لا يطالبه ويقول له على مهلك وان كان فقيرا يسامحه ويبري ذمته وان لم يكن فقيرا ومات يقول سامحه الله مما لي عنده ونحن كلنا نشهد انه ليس لاحد عنده شيء فقلت بارك الله فيكم ثم اني التفت الى اخوي هذين وقلت لهما يا اخوي ان ابانا ليس عليه لاحد شيء وقد خلف لنا هذا المال والقماش والبيت والدكان ونحن ثلاثة اخوة كل واحد منا يستحق ثلث هذا الشيء فهل نتفق على عدم القسمة ويستمر مالنا مشتركا بيننا ونأكل سواء ونشرب سواء ونقسم القماش والاموال ويأخذ كل واحد منا حصته فابيا الا القسمة ثم التفت الى الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك يا اخوي فنكسا رؤسهما وغضا عيونهما كأنهما قال نعم ثم انه قال فاحضرت قساما من طرف القاضي يا امير المؤمنين فقسم بيننا المال والقماش وجميع ما خلفه لنا ابونا وجعلوا البيت والدكان من قسمي في نظير بعض ما استحقه من الاموال ورضينا بذلك وصار البيت والدكان في قسمي وهما أخذا قسمهما مالا وقماشا ثم اني فتحت دكاني ووضعت فيها القماش واشتريت بجانب من المال الذي خصني زيادة على البيت والدكان قماشا حتى ملأت الدكان وقعدت أبيع واشتري واما اخوي فانهما اشتريا قماشا واكتريا مركبا وسافرا في البحر الى بلاد الناس فقلت الله يساعدهما وانا رزقي يأتيني وليس للراحة قيمة ودمت على ذلك مدة سنة كاملة ففتح الله علي وصرت اكتسب مكاسب كثيرة حتى صار عندي مثل الذي خلفه لنا ابونا فاتفق لي يوما من الايام انني كنت جالسا في الدكان وعلى فروتان احدهما سمور والاخرى سنجاب لان ذلك الوقت كان في فصل الشتاء في اوان اشتداد البرد فبينما انا كذلك واذا باخوي جاءا مقبلين وعلى بدن كل واحد منهما قميص خلق من غير زيادة وشفاههما من البرد وهما ينتفضان فلما رأيتهما عسر علي ذلك وحزنت عليهما وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٧٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله بن فاضل لما قال للخليفة فلما رأيتهما ينتقضان عسر على ذلك وحزنت عليهما وطار عقلي من رأسي فقمت اليهما واعتنقتهما وبكيت على حالهما وخلعت على واحد منهما الفروة السمور وعلى الآخر الفروة السنجاب وادخلتهما الحمام وارسلت الى كل واحد منهما في الحمام بدلة تاجر ألفي وبعد ما اغتسلا لبس كل واحد منهما بدلته ثم اخذتهما الى البيت فرأيتهما في غاية الجوع فوضعت لهما سفرة الاطعمة فأكلا وأكلت معهما ولاطفتهما واخذت بخاطرهما ثم التفتت الى الكلبين وقال لهما هل جرى ذلك بأخوي فنكسا رؤسهما وغضا عيونهما ثم انه قال يا خليفة الله ثم اني سألتهما وقلت لهما ما الذي جرى لكما فقال سافرنا في البحر ودخلنا مدينة تسمى مدينة الكوفة وصرنا نبيع القطعة القماش التي ثمنها علينا نصف دينار بعشرة دنانير والتي بدينار بعشرين دينارا واكتسبنا مكاسب عظيمة واشترينا من قماش العجم الشقة الحرير بعشرة دنانير وهي تساوي في البصرة اربعين دينارا ودخلنا مدينة تسمى الكرخ فبعنا واشترينا وكسبنا مكاسب كثيرة وصار عندنا اموال كثيرة وجعلا يذكران لي البلاد والمكاسب فقلت لهما حيث رأيتما هذا الفرح والخير فالى أي شيء رجعتما عريانين فتنهدا وقالا يا أخانا ما حل بنا الا عين صائبة والسفر ما له امان فلما جمعنا تلك الاموال والخيرات وسقنا متاعنا في مركب وسافرنا في البحر بقصد التوجه الى مدينة البصرة وقد سافرنا ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع رأينا البحر قام وقعد وارغى وازبد وتحرك وهاج وتلاطم بالامواج وصار الموج يقدح الشرار كلهيب النار واختلفت علينا الارياح والتطمت بنا المركب في عين جبل فانكسرت وغرقنا وراح جميع ما كان معنا في البحر وصرنا نتخبط على وجه الماء يوما وليلة فارسل الله لنا مركبا اخرى فاخذتنا ركابها وصرنا من بلاد الى بلاد ونحن نسأل ونتقوت مما نحصله بالسؤال وقاسينا الكرب العظيم وصرنا نقلع من حوائجنا ونبيع ونتقوت حتى قربنا من البصرة حتى شربنا الف حسرة ولو كنا سلمنا بما كان معنا كنا اتينا باموال تضاهي اموال الملك ولكن هذا مقدر من الله علينا فقلت لهما يا أخوي لا تحملا هما فان المال فداء الابدان والسلامة غنيمة وحيث كتبكم الله من السالمين فهذا غاية المنى وما الفقر والغنى الا كطيف خيال ولله در من قال

اذا سلمت هام الرجال من الردى ... فما المال الا مثل قص الاظافر

ثم قلت يا اخوي نحن نقدر أن ابانا قد مات في هذا اليوم وخلف لنا جميع هذا المال الذي عندي وقد طابت نفسي على اننا نقسمه بيننا بالسوية ثم أحضرت قساما من طرف القاضي واحضرت له جميع مالي فقسمه بيننا واخذ كل منا ثلث المال فقلت لهما يا اخوي بارك الله للانسان في رزقه اذا كان في بلده فكل واحد منكما يفتح له دكانا ويقعد فيه لتعاطي الاسباب والذي له شيء في الغيب لا بد أن يحصله ثم سعيت لكل واحد منهما في فتح دكان وملأته له بالبضائع وقلت لهما بيعا واشتريا واحفظا اموالكما ولا تصرفا منها شيأ وجميع ما يلزم لكما من اكل وشرب وغيرهما يكون من عندي ثم صرت اكرمهما وصارا يبيعان ويشتريان في النهار وعند المساء يبيتان في بيتي ولم ادعهما يصرفان شيأ من اموالهما وكلما اجلس معهما للحديث يمدحان الغربة ويذكران محاسنها ويصفان

ما حصل لهما فيهما من المكاسب ونفر يانى على أن اوافقهما على التغريب فى بلاد الناس ثم قال للكلبين هل جرى ذلك يا اخوى فنكسا رؤسهما وغمضا اعينهما تصديقا له ثم قال يا خليفة الله فما زالا يرغبانى ويذكران لى كثرة الربح والمكاسب فى الغربة ويامرانى بالسفر معهما حتى قلت لهما لا بد أن اسافر معكما من اجل خاطركما ثم انى عقدت الشركة بينى وبينهما وحملنا شأمن سائر الاصناف النفيسة واكترينا مركبا وشحناها بالبضائع من انواع المتاجر وانزلنا فى تلك المركب جميع ما نحتاج اليه ثم سافرنا من مدينة البصرة فى البحر العجاج المتلاطم بالامواج الذى الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود ومازلنا مسافرين حتى طلعنا الى مدينة من المدائن فبعنا واشترينا وظهر لنا كثرة المكاسب ثم رحنا منها الى غيرها ولم نزل نرحل من بلد الى بلد ومن مدينة الى مدينة ونحن نبيع ونشترى ونربح حتى صار عندنا مال جسيم وربح عظيم ثم اننا وصلنا الى جبل فالقى الريس المرساة وقال لنا يا ركاب اطلعوا الى البر تنجوا من هذا اليوم وفتشوا فيه لعلكم تجدون ماء فخرج جميع من فى المركب وخرجت انا بجماعتهم وصرنا نفتش على الماء وتوجه كل منا فى جهة وصعدت انا على اعلى الجبل فبينما انا سائر اذ رأيت حية بيضاء تسعى هاربة وورائها ثعبان اسود يسعى خلفها وهو مشوه الخلقة هائل المنظر ثم إن الثعبان لحقها وضايقها ومسكها من رأسها ولف ذيله على ذيلها فصاحت فعرفت انه مفتر عليها فاخذتنى الشفقة عليها وتناولت حجرا من الصوان قدر خمسة ارطال او اكثر وضربته به الثعبان فجا فى رأسه فدقها فما اشعر الا وتلك الحية انقلبت وصارت بنتا شابة ذات حسن وجمال وبهاء وكمال وقد واعتدال كانها البدر المنير فاقبلت على وقبلت يدى ثم قالت لى استرك الله بسترين ستر من العار فى الدنيا وستر من النار فى الآخرة يوم الموقف العظيم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ثم قالت يا انسى انت سترت عرضى وصار لك الجميل ووجب علىّ مكافأتك ثم اشارت بيدها الى الارض فانشقت ونزلت فيها ثم انطبقت عليها الارض فعرفت انها من الجن واما الثعبان فان النار قادت فيه واحرقته وصار رمادا فتعجبت من ذلك ثم انى رجعت الى اخوانى واخبرتهم بما رأيت وبتنا تلك الليلة وعند الصباح قلع الريس الخطاف ونشر القلوع وطوى الاطراف ثم سافر حتى غاب البر عنا ولم نزل مسافرين مدة عشرين يوما ولم نر براولا طيرا وفرغ ماؤنا فقال الريس يا ناس ان الماء الحلو قد فرغ منا فقلنا نطلع البر لعلنا نجد ماء فقال والله انى تهت عن الطريق ولا اعرف طريقا يؤدينا الى جهة البر فحصل لنا غم شديد وبكينا ودعونا الله تعالى أن يهدينا الى الطريق ثم بتنا تلك الليلة فى اسوأ حال ولله در من قال

وكم ليلة بت فى كربة ... يكاد الرضيع لها أن يشيب
فما اصبح الصباح الا اتى ... من الله نصر وفتح قريب

فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح رأينا جبلا عاليا فلما رأينا ذلك الجبل فرحنا واستبشرنا به ثم اننا وصلنا الى ذلك الجبل فقال الريس يا ناس اطلعوا البر حتى نفتش على ماء فطلعنا كلنا نفتش على ماء فلم نر فيه ماء فحصل لنا مشقة بسبب قلة وجود الماء ثم انى صعدت على اعلى ذلك الجبل فرأيت

مخلية بدائرة واسعة مسافة سير ساعة وأكثر فناديت أصحابي فأقبلوا على فلما أتوا قلت لهم انظروا الى هذه الدائرة التي خلف هذا الجبل فاني أرى فيها مدينة عالية البنيان مشيدة الاركان ذات أسوار وبروج وروابي ومروج وهي من غير شك لا تخلو من الماء والخيرات فسيروا بنا نمضي الى هذه المدينة ونجيء منها بالماء ونشتري ما نحتاج اليه من الزاد واللحم والفاكهة ونرجع فقالوا نخاف أن يكون أهل هذه المدينة كفارا مشركين أعداء الدين فيقبضوا علينا ونكون أسرى تحت أيديهم او يقتلونا ونكون قد تسببنا في قتل انفسنا في الهلاك وسوء الارتباك والمغرور غير مشكور لانه على خطر من الاهواء كما قال فيه بعض الشعراء

مادامت الارض ارضا والسماء سما ... ليس المغرر محمود وان سلما

فنحن لا نغرر بانفسنا فقلت لهم يا ناس لا حكم لي عليكم ولكن آخذ اخوي واتوجه الى هذه المدينة فقال لي اخوي نحن نخاف من هذا الامر ولا نروح معك فقلت اما انا فقد عزمت على الذهاب الى هذه المدينة وتوكلت على الله ورضيت بما قدره الله علي فانتظراني حتى اذهب اليها وارجع اليكما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٧٦) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله قال فانتظراني حتى اذهب اليها وارجع اليكما ثم تركتهما ومشيت حتى وصلت الى باب تلك المدينة فرأيتها مدينة عجيبة البناء غريبة الهندسة اسوارها عالية وابراجها محصنة وقصورها شاهقة وابوابها من الحديد الصيني وهي مزخرفة منقوشة تدهش العقول فلما دخلت الباب رأيت دكة من الحجر وهناك رجل قاعد عليها وفي ذراعه سلسلة من النحاس الاصفر وفي تلك السلسلة اربعة عشر مفتاحا فعرفت ان ذلك الرجل بواب المدينة وان المدينة لها اربعة عشر بابا ثم اني دنوت منه وقلت له السلام عليكم فلم يرد علي السلام فسلمت عليه ثانيا وثالثا فلم يرد علي الجواب فوضعت يدي على كتفه وقلت له يا هذا لاي شيء لا ترد علي السلام هل انت نائم او اصم او غير مسلم حتى تمتنع من رد السلام فلم يجبني ولم يتحرك فتأملت فيه فرأيته حجرا فقلت ان هذا شيء عجيب هذا الحجر مصور بصورة ابن آدم ولم ينقص عنه غير النطق ثم تركته ودخلت المدينة فرأيت رجلا واقفا في الطريق فدنوت منه وتأملته فرأيته حجرا وقابلت امرأة عجوزا على رأسها عقدة ثياب مهيأة للغسيل فدنوت منها وتأملتها فرأيتها من الحجر والعقدة الثياب التي على رأسها من الحجر ثم اني دخلت السوق فرأيت زياتا ميزانه منصوبة وقدامه اصناف البضائع من الجبن وغيره وكل ذلك من الحجر ثم اني رأيت سائر المتسببين جالسين في الدكاكين وبعض الناس واقف وبعض الناس جالس ورأيت نساء وصبيانا وكل ذلك من الحجر ثم دخلت سوق التجار فرأيت كل تاجر جالسا في دكانه والدكان ممتلئة بانواع البضائع وكل ذلك من الحجر ولكن الاقمشة كنسيج العنكبوت فصرت اتفرج عليها وكلما صرت مسكت ثوبا من القماش يصير بين يدي هباء منثورا ورأيت صناديق ففتحت واحدا فوجدت فيه ذهبا في اكياس فامسكت الاكياس فذابت في يدي والذهب لم يزل على حاله فحملت منه ما لا أطيقه وصرت اقول في نفسي لو حضر اخواي معي لاخذا

من الذهب كفايتها وتمتعا من هذه الذخائر التي لا اصحاب لها وبعد ذلك دخلت دكانا آخر فرأيت فيه اكثر من ذلك ولكن ما بقيت اقدر ان احمل غير ما حملت ثم اني خرجت من سوق آخر ثم منه الى سوق آخر وهكذا ولا زلت اتفرج على مخلوقات مختلفة وكلها من الحجارة حتى الكلاب والقطط من الحجارة ثم دخلت سوق الصاغة فرأيت فيه رجالا جالسين في الدكاكين والبضائع عندهم بعضها في ايديهم وبعضها في أقفاص فلما رأيت ذلك يا أمير المؤمنين رميت ما كان معي من الذهب وحملت من المصاغ ما أطيق حمله وخرجت من سوق الصاغة الى سوق الجواهر فرأيت الجوهرية جالسين في دكاكينهم وقدام كل واحد منهم قفص ملآن بانواع المعادن كالياقوت والالماس والبلخش وغير ذلك من سائر الاصناف واصحاب الدكاكين احجار فرميت ما كان معي من المصاغ وحملت من الجواهر ما أطيق حمله وبقيت اتندم حيث لم يكن اخواي معي حتى يأخذا من تلك الجواهر ما ارادا ثم اني خرجت من سوق الجواهر فمررت على باب كبير مزخرف مزين بأحسن زينة ومن داخل الباب دكك وجالس على تلك الدكك خدم وجند واعوان وعساكر وحكام وهم لابسون افخر الملابس وكلهم احجار فلمست واحدا منهم فتناثرت ملابسه من على بدنه مثل نسيج العنكبوت ثم اني مشيت في ذلك الباب فرأيت سرايه ليس لها نظير في بنائها واحكام صنعتها ورأيت في تلك السرايه ديوانا مشحونا من الذهب بالاكابر والوزراء والاعيان والامراء وهم جالسون على كراسي وكلهم احجار ثم اني رايت كرسيا من الذهب الاحمر مرصعا بالدر والجواهر وجالس فوقه آدمي عليه افخر الملابس وعلى رأسه تاج كسروي مكلل بنفيس الجواهر التي لها شعاع مثل شعاع النهار فلما وصلت اليه رأيته من الحجر ثم اني توجهت من ذلك الديوان الى باب الحريم ودخلت فيه فرأيت ديوانا من النساء ورأيت في ذلك الديوان كرسيا من الذهب الاحمر مرصعا بالدر والجواهر وجالسة فوقه امرأة ملكة وعلى رأسها تاج مكلل بنفيس الجواهر وحولها نساء مثل الاقمار جالسات على كراسي ولابسات افخر الملابس الملونة بسائر الالوان وواقف هناك طواشية ايديهم على صدورهم كانهم واقفون من اجل الخدمة وذلك الديوان يدهش عقول الناظرين بما فيه من الزخرفة وغريب النقش وعظيم الفرش ومعلق فيه ابهج التعاليق من البلور الصافي وفي كل قدرة من البلور جوهرة يتيمة لا يفي بثمنها مال فرميت ما معي يا أمير المؤمنين وصرت آخذ من هذه الجواهر وحملت منها على قدر ما أطيق وبقيت متحيرا فيما احمله وفيما اتركه لاني رأيت ذلك المكان كانه كنز من كنوز المدن ثم اني رأيت بابا صغيرا مفتوحا وفي داخله سلالم فدخلت ذلك الباب وطلعت اربعين سلما فسمعت انسانا يتلو القرآن بصوت رخيم فمشيت جهة ذلك الصوت حتى وصلت الى باب القصر فرأيت ستارة من الحرير مصفحة بشرائط من الذهب ومنظوم فيها اللؤلؤ والمرجان والياقوت وقطع الزمرد والجواهر فيه تضيء كضوء النجوم والصوت خارج من تلك الستارة فدنوت من الستارة ورفعتها فظهر لي باب قصر مزخرف يحير الافكار فدخلت من ذلك الباب فرأيت قصرا كانه كنز على وجه الدنيا ومن داخله بنت كانها الشمس الضاحية في وسط السماء الصافية وهي لابسة افخر الملابس ومتحلية بانفس ما يكون من الجواهر مع انها بديعة

الحسن والجمال بقد واعتدال وظرف وكمال وخصر نحيل وردف ثقيل وريق يشفي العليل واجفان ذات اعتدال كانها المرادة بقول من قال

سلام على من في الهيف من القد ❊ وماق بساتين الخدود من الورد
كأن الثريا علقت في جبينها ❊ وباقي نجوم الليل في الصدر كالعقد
فلو لبست ثوبا من الورد خالصا ❊ لادمى محاني جسمها ورق الورد
ولو تفلت في البحر والبحر مالح ❊ لاصبح طعم البحر احلى من الشهد
ولو واصلت شيخا كبيرا على عصا ❊ لاصبح ذاك الشيخ مفترس الاسد

ثم انه قال يا أمير المؤمنين لما رأيت تلك البنت شغفت بها حبا وتقدمت اليها فرأيتها جالسة على مرتبة عالية وهي تتلو كتاب الله عز وجل حفظا عن ظهر قلبها وصوتها كانه صرير ابواب الجنان اذا فتحها رضوان والكلام خارج من بين شفتيها يتناثر كالجواهر ووجهها بديع المحاسن زاهر كما قال في مثلها الشاعر

يا مطربا بلغاته ومناقبه ❊ قد زاد فيك تشوق وتشوقي
شيآن فيك يذوب ارباب الهوى ❊ نغمات داود وصورة يوسف

فلما سمعت نغماتها في تلاوة القرآن العظيم وقد قرأت قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم تلجلجت في الكلام ولم أحسن السلام واندهش مني العقل والنظر وصرت كما قال الشاعر

ما هيج لي الشوق حتى تهت عن كلمي ❊ وما دخلت الحي الا لسفك دمي
ولا سمعت كلاما من عواذلنا ❊ الا لاشهد من أهواه في الكلم

ثم تجلدت على هول الغرام وقلت لها السلام عليك أيتها السيدة المصونة والجوهرة المكنونة ادام الله قوائم سعدك ورفع دعائم مجدك فقالت وعليك مني السلام والتحية والاكرام يا عبد الله يا ابن فاضل اهلا وسهلا ومرحبا بك يا حبيبي وقرة عيني فقلت لها يا سيدتي من اين علمت اسمي ومن تكونين أنت وما شأن أهل هذه المدينة حتى صاروا احجارا فاريد ان تخبريني بحقيقة الامر فاني قد تعجبت من هذه المدينة ومن أهلها ومن كونه لم يوجد فيها احد الا أنت فبالله عليك ان تخبريني بحقيقة ذلك على وجه الصدق فقالت لي اجلس يا عبد الله وانا ان شاء الله تعالى أحدثك واخبرك بحقيقة امري وبحقيقة أمر هذه المدينة وأهلها على التفصيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فجلست الى جانبها فقالت لي اعلم يا عبد الله يرحمك الله انني بنت ملك هذه المدينة وهو الذي هو الذي رأيته جالسا في الديوان على الكرسي العالي والذي حوله اكابر دولته واعيان مملكته وكان أبي ذا بطش شديد ويحكم على الف الف ومائة الف وعشرين الف جندي وعدة امراء دولته اربعة وعشرون الفا كلهم حكام واصحاب مناصب وتحت طاعته من المدن الف مدينة غير البلدان والضياع والحصون والقلاع والقرى وامراء العربان الذين تحت يده الف امير كل أمير يحكم على عشرين الف فارس وعنده من الاموال والذخائر والمعادن والجواهر لا عين رأت ولا اذن سمعت . وادرك شهرزاد الصباح

فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٧٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان بنت ملك مدينة الاحجار قالت يا عبد الله ان أبي كان عنده من الاموال والذخائر ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وكان يقهر الملوك و يبيد الابطال والشجعان في الحرب وحومة الميدان وتخشاه الجبابرة وتخضع له الاكاسرة ومع ذلك كان كافرا مشركا بالله يعبد الصنم دون مولاه و جميع عسكره كفار يعبدون الاصنام دون الملك العلام فاتفق انه كان يوما من الايام جالسا على كرسي مملكته وحوله أكابر دولته فلم يشعر الا وقد دخل عليه شخص فاضاء الديوان من نور وجهه فنظر اليه ابي فرآه لابسا حلة خضراء وهو طويل القامة واياديه نازلة الى تحت ركبتيه وعليه هيبة ووقار والنور يلوح من وجهه فقال لابي ياباغي يامفتري الى متى وأنت مغرور بعبادة الاصنام وتترك عبادة الملك العلام قل اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله واسلم أنت وقومك ودع عنك عبادة الاصنام فانها لا تنفع ولا تشفع ولا يعبد بحق الا الله رافع السموات بغير عماد وباسط الارضين رحمة للعباد فقال من أنت أيها الرجل الجاحد لعبادة الاصنام حتى تتكلم بهذا الكلام أما تخشى ان تغضب عليك الاصنام فقال له ان الاصنام أحجار لا يضرني غضبها ولا ينفعني رضاها فاحضر لي صنمك الذي انت تعبده وأمر كل واحد من قومك يحضر صنمه فاذا احضر جميع أصنامكم فادعوهم ليغضبوا علي وأنا أدعو ربي ان يغضب عليكم وتنظرون غضب الخالق من غضب المخلوق فان أصنامكم قد صنعتموها أنتم وتلبست بها الشياطين وهم الذين يكلمونكم من داخل بطون الاصنام فاصنامكم مصنوعة والهي صانع ولا يعجزه شيء فان ظهر لكم الحق فاتبعوه وان ظهر لكم الباطل فاتركوه فقالوا له ائتنا ببرهان ربك حتى نراه فقال ائتوني ببراهين اربابكم فامر الملك كل من كان يعبد ربا من الاصنام أن يأتي به فاحضر جميع العساكر أصنامهم في الديوان هذا ما كان من أمرهم (واما) ما كان من أمري فاني كنت جالسة في داخل ستارة تشرف على ديوان أبي وكان لي صنم من زمردة خضراء جسمه قدر جسم ابن آدم فطلبه أبي فارسلته اليه في الديوان فوضعوه في جانب صنم ابي وكان صنم أبي من الياقوت وصنم الوزير من جوهر الالماس وأما اكابر العساكر والرعية فبعض أصنامهم من البلخش و بعضها من العنبر و بعضها من المرجان و بعضها من العود القماري و بعضها من الآبنوس و بعضها من الفضة و بعضها من الذهب وكل واحد منهم له صنم على قدر ما تسمح به نفسه وأما رعاع العساكر والرعية فبعض أصنامهم من الصوان و بعضها من الخشب و بعضها من الفخار و بعضها من الطين وكل الاصنام مختلفة الالوان ما بين أصفر واحمر واخضر واسود وابيض ثم قال ذلك الشخص لابي ادع صنمك وهؤلاء الاصنام تغضب علي فصفوا تلك الاصنام ديوانا وجعلوا صنم أبي على كرسي من الذهب وصنمي الى جانبه في الصدر ثم رتبوا الاصنام كل منها في مرتبة صاحبه الذي يعبده وقام أبي وسجد لصنمه وقال له يا الهي أنت الرب الكريم وليس في الاصنام أكبر منك وانت تعلم ان هذا الشخص أتاني طاعنا في ربوبيتك مستهزئا بك و يزعم ان له الها أقوى منك و يأمرنا بترك عبادتك و نعبد الهه فاغضب عليه يا الهي وصار يطلب من الصنم

والصنم لا يرد عليه جوابا ولا يخاطبه بخطاب فقال له يا الهي ما هذه عادتك لانك كنت تكلمني اذا تأملتك فمالي أراك ساكتا لا تتكلم هل أنت غافل أو نائم فانتبه وانصرني وكلمني ثم هزه فلم يتكلم ولم يتحرك من مكانه فقال ذلك الشخص لابي مالي أرى صنمك لا يتكلم قال له أظن انه غافل أو نائم فقال له يا عدو الله كيف تعبد الها لا ينطق وليس له قدرة على شيء ولا تعبد الهي الذي هو قريب مجيب وحاضر لا يغيب ولا يغفل ولا ينام ولا تدركه الاوهام يرى ولا يرى وهو على كل شيء قدير والهك عاجز لا يقدر على دفع الضرر عن نفسه وقد كان ملتبسا به شيطان رجيم يضلك ويغويك وقد ذهب الآن شيطانه فاعبد الله واشهد انه لا اله الا هو ولا معبود سواه وانه لا يستحق العبادة غيره ولا خير الا خيره واما الهك هذا فانه لا يقدر على دفع الشر عن نفسه فكيف يقدر على دفعه عنك فانظر بعينيك عجزه ثم تقدم وصار يصكه على رقبته حتى وقع على الارض فغضب الملك وقال للحاضرين ان هذا الجاحد قد صك الهي فاقتلوه فارادوا القيام ليضربوه فلم يقدر احد منهم ان يقوم من مكانه فعرض عليهم الاسلام فلم يسلموا فقال أريكم غضب ربي فقالوا أرنا فبسط يديه وقال الهي وسيدي أنت ثقتي ورجائي فاستجب دعائي على هؤلاء القوم الفجار الذين يأكلون خيرك ويعبدون غيرك يا حق يا جبار يا خالق الليل والنهار اسألك ان تقلب هؤلاء القوم أحجارا فانك قادر ولا يعجزك شيء وأنت على كل شيء قدير فمسخ الله اهل هذه المدينة أحجارا واما أنا فاني حين رأيت برهانه اسلمت وجهي لله فسلمت مما أصابهم ثم ان ذلك الشخص دنا مني وقال لي سبقت لك من الله السعادة ولله في ذلك ارادة وصار يعلمني وأخذت عليه العهد والميثاق وكان عمري سبع سنين في ذلك الوقت وفي هذا الوقت صار عمري ثلاثين عاما ثم اني قلت له يا سيدي جميع ما في هذه المدينة وجميع أهلها صاروا أحجارا بدعوتك الصالحة وقد نجوت أنا حين أسلمت على يديك فانت شيخي فاخبرني باسمك ومدني بمددك وتصرف لي في شيء أقتات منه فقال لي اسمي أبو العباس الخضر ثم غرس لي شجرة من الرمان بيده فكبرت واورقت وازهرت واثمرت رمانة واحدة في الحال فقال كلي مما رزقك الله تعالى واعبديه حق عبادته ثم علمني شروط الاسلام وشروط الصلاة وطريق العبادة وعلمني تلاوة القرآن وصار لي ثلاثة وعشرون عاما وأنا أعبد الله في هذا المكان وفي كل يوم تطرح لي هذه الشجرة رمانة فاكلها واقتات بها من الوقت الى الوقت والخضر عليه السلام يأتيني كل جمعة وهو الذي عرفني باسمك وبشرني بانك سوف تأتيني في هذا المكان وقد قال لي اذا أتاك فاكرميه وأطيعي أمره ولا تخالفيه وكوني له أهلا ويكون لك بعلا واذهبي معه حيث شاء فلما رأيتك عرفتك وهذا هو خبر هذه المدينة وأهلها والسلام ثم انها أرتني شجرة الرمان وفيها رمانة فاكلت نصفها واطعمتني نصفها فما رأيت أحلى ولا اذكى ولا أطعم من تلك الرمانة ثم قلت لها العلك رضيت بما أمرك به شيخك الخضر عليه السلام أن تكوني لي اهلا وأكون لك بعلا وتذهبي معي الى بلادي وامكث بك في مدينة البصرة فقالت نعم ان شاء الله تعالى فاني سميعة لقولك مطيعة لامرك من غير خلاف ثم اني أخذت عليها العهد الوثيق وادخلتني الى خزانة أبيها واخذنا منها على قدر ما استطعنا حمله وخرجنا من تلك

المدينة ومشينا حتى وصلنا الى أخوأي فرأيتهما يفتشان علي فقالا لي اين كنت فانك أبطأت علينا وقلبنا مشغول عليك وأما رئيس المركب فانه قال لي يا تاجر عبد الله ان الريح طاب لنا من مدة وانت عوقتنا عن السفر فقلت له لا ضرر في ذلك ولعل التأخير خير لان غيابي لم يكن فيه غير الاصلاح وقد حصل لي فيه بلوغ الآمال ولله در من قال

وما أدري اذا يممت أرضا ... أريد الخير أيهما يليني
أألخير الذي أنا ابتغيه ... أم الشر الذي هو يبتغيني

ثم قلت لهم انظروا ما حصل لي في هذه الغيبة وفرجتهم على ما معي من الذخائر واخبرتهم بما رأيت في مدينة الحجر وقلت لهم لو كنتم اطعتموني ورحتم معي كان تحصل لكم من هذا شيء كثير فقالوا الله والله لو رحنا ما كنا نستجري أن ندخل على ملك المدينة فقلت لاخواي لا بأس عليكما فالذي معي يكفينا جميعا وهذا نصيبنا ثم اني قسمت ما معي اقساما على قدر الجميع واعطيت لاخواي والريس واخذت مثل واحد منهم واعطيت ما تيسر للخدامين والنوتيه ففرحوا ودعوا لي ورضوا بما أعطيته لهم الا اخواي فانهما تغيرت أحوالهما ولاحت عيونهما فلاحظت ان الطمع تمكن منهما فقلت لهما يا اخواي اظن ان الذي أعطيته لكما لم يقنعكما ولكن أنا أخوكما وانتما أخواي ولا فرق بيني وبينكما ومالي ومالكما شيء واحد واذا مت لا يرثني غيركما وصرت أخفف خاطرهما ثم اني انزلت البنت في الغليون وادخلتها في الخزنة وارسلت لها شيئا تأكله وقعدت أتحدث أنا واخواي فقالا لي يا أخانا ما مرادك ان تفعل بهذه البنت البديعة الجمال فقلت لهما مرادي ان اكتب كتابي عليها اذا دخلت البصرة واعمل فرحا عظيما وادخل بها هناك فقال أحدهما يا أخي اعلم ان هذه الصبية بديعة الحسن والجمال وقد وقعت محبتها في قلبي فمرادي ان تعطيها لي فاتزوج بها أنا وقال الثاني وانا الآخر كذلك فاعطها لي لاتزوج بها فقلت لهما يا اخواي انها قد أخذت علي عهدا وميثاقا اني اتزوج بها فاذا أعطيتها لواحد منكما أكون ناقضا للعهد الذي بيني وبينها وربما يحصل لها كسر خاطر لانها ما أتت معي الا على شرط اني اتزوج بها فكيف أزوجها لغيري ولعلها من جهة نكما تحبانها فانا أحبها أكثر منكما على انها لقيتي وكوني أعطيها الواحد منكما هذا شيء لا يكون أبدا ولكن اذا دخلنا مدينة البصرة بالسلامة انظر لكما بنتين من خيار بنات البصرة واخطبهما لكما وادفع المهر من مالي واجعل الفرح واحدا وندخل نحن الثلاثة في ليلة واحدة واعرضا عن هذه البنت فانها من نصيبي فسكتا وقد ظننت انهما رضيا بما قلت لهما ثم اننا سافرنا متوجهين الى أرض البصرة وصرت أرسل اليها ما تأكل وما تشرب وهي لا تخرج من خزنة المركب وأنا أنام بين اخواي على ظهر الغليون ولم نزل مسافرين على هذه الحالة مدة أربعين يوما حتى بانت لنا مدينة البصرة ففرحنا باقبالنا عليها وانا راكن الى اخواي ومطمئن بهما ولا يعلم الغيب الا الله تعالى فنمت تلك الليلة فبينما انا مستغرق في النوم لم اشعر الا وانا محمول بين ايادي اخواي هذين واحدا قابض على سيقاني والآخر من يدي لكونهما اتفقا على تغريقي في البحر من شأن تلك البنت فلما رأيت روحي محمولا بين أيديهما قلت يا أخواي لاي شيء تفعلان

معي هذه الفعال فقالا يا قليل الادب كيف تبيع خاطرنا ببنت فنحن نرميك في البحر من أجل ذلك
ثم رموني فيه ثم انه التفت الى الكلبين وقال احق ما قلته يا اخوى أم لا فنكسار ؤسهما وسان
وكانهما يصدقان قوله فتعجب الخليفة من ذلك ثم قال يا أمير المؤمنين فلما رموني في البحر
وصلت الى القرار ثم نفضني الماء على وجه البحر فما اشعر الا وطائر كبير قدر الادمي نزل علي وخطفني
وطار بي في الجو الاعلى ففتحت عيني فرأيت روحي في قصر مشيد الاركان عالي البنيان منقوش
بالنقوشات الفاخرة وفيه تعاليق الجواهر من سائر الاشكال والالوان وفيه جوار واقفات واضعات
الايادي على الصدور واذا بامرأة جالسة بينهن على كرسي من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر
وعليها ملابس لا يقدر الانسان ان يفتح عينه فيها من شدة ضياء الجواهر وعليها احزام من الجواهر
لا يفي بثمنه مال وعلى رأسها تاج بثلاث دورات يحير العقول والافكار ويخطف القلوب والابصار ثم
ان الطير الذي خطفني انتفض فصار صبية كانها الشمس المضيئة فامعنت النظر فيها فاذا هي التي
كانت في الجبل بصفة حية وكان الثعبان يقاتلها ولف ذيله على ذيلها وانا حين رأيت الثعبان قهرها وغلب
عليها قتلته بالحجر فقالت لها المرأة التي هي جالسة على الكرسي لاي شيء جئت هنا بهذا الانسي
فقالت لها يا أمي ان هذا هو الذي كان سببا في ستر عرضي بين بنات الجان ثم قالت لي هل تعرف من
أنا قلت لا قالت انا التي كنت في الجبل الفلاني وكان الثعبان الاسود يقاتلني ويريد هتك عرضي
وانت قتلته فقلت انما رأيت مع الثعبان حية بيضاء فقالت أنا التي كنت حية بيضاء ولكني بنت الملك
الاحمر ملك الجان واسمي سعيده وهذه الجالسة هي أمي واسمها مباركة زوجة الملك الاحمر والثعبان
الذي كان يقاتلني ويريد هتك عرضي هو وزير الملك الاسود واسمه درفيل وهو قبيح الخلقة واتفق
انه لما رآني عشقني ثم انه خطبني من أبي فارسل اليه أبي يقول له ومن انت حتى تخطب بنات الملوك يا قطاعة الوزراء حتى
يتزوج بنات الملوك فاغتاظ من ذلك وحلف يمينا انه لا بد ان يفضح عرضي كيدا في أبي وصار يقفو اثري
ويتبعني أينما رحت ومراده ان يفضح عرضي وقد وقع بينه وبين ابي حروب عظيمة ومشقات جسيمة ولم
يقدر عليه ابي لكونه جبارا مكارا ثم ان ابي كلما ضايقه واراد ان يظفر به يهرب منه وقد عجز ابي وصرت
أنا في كل يوم انقلب اشكالا والوانا وكلما انقلبت في صفة ينقلب هو في صفة ضدها وكلما هربت الى ارض
يشم رائحتي يلحقني في تلك الارض حتى قاسيت منه مشقة عظيمة ثم انقلبت في صفة حية وذهبت الى
ذلك الجبل فانقلب هو في صفة ثعبان وتبعني فيه فوقعت في يده وعالجني وعالجته حتى اتعبني وركب
علي وكان مراده يفعل بي ما يشتهيه فأتيت أنت وضربته بالحجر فقتلته وانا انقلبت بنتا وأريتك
روحي وقلت لك على جميل لا يضيع الا مع اولاد الزنا فلما رأيت أخويك فعلا بك هذه المكيدة ورمياك
في البحر بادرت اليك وخلصتك من الهلاك ووجب لك الاكرام من امي وابي ثم انها قالت يا امي
اكرميه في نظير ما ستر عرضي فقالت مرحبا بك يا انسي فانك فعلت معنا جميلا تستحق عليه الاكرام
وأمرت لي ببدلة كنوز يه تساوي جملة من المال وأعطتني جملة من الجوهر والمعادن ثم انها قالت خذوه
وادخلوه على الملك فاخذوني وادخلوني على الملك في الديوان فرأيته جالسا على كرسي وبين يديه المردة

الاعوان فلما رايته زاغ بصري مما رأيته عليه من الجواهر فلما رآني قام على الاقدام وقامت العساكر اجلالا له ثم حياني ورحب بي وأكرمني غاية الاكرام وأعطاني مما عنده من الخيرات وبعد ذلك قال لبعض أتباعه خذوه الى بنتي توصله الي المكان الذي جاءت به منه فاخذوني وذهبوا بي الى سعيدة بنته فحملتني ثم طارت بي وبما معي من الخيرات هذا ما كان من أمري وأمر سعيدة وأما ما كان من أمر ريس الغليون فانه افاق على الخبطة حين رموني في البحر فقال ما الذي وقع في البحر فبكى اخواي وصارا يخبطان على صدورهما ويقولان يا ضيعة اخينا فانه اراد ان يزيل ضرورة في الغليون فوقع في البحر ثم انهما وضعا ايديهما على مالي ووقع بينهما الاختلاف من جهة البنت وصار كل واحد منهما يقول ما آخذها غيري واستمر على الخصام مع بعضهما ولم يتذكرا خاهما ولا غرقه وزال حزنهما عليه فبينماهما في هذه الحالة واذا بسعيده نزلت في وسط الغليون . وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٨٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان عبد الله بن فاضل قال فبينماهما في هذه الحالة واذا بسعيدة نزلت بي في وسط الغليون فرآني اخواي فعانقاني وفرحا بي وصارا يقولان يا اخانا كيف حالك فيما جرى لك ان قلبنا مشغول عليك فقالت سعيدة ان كان قلبكما عليه او كنتما تحبانه ما كنتما رميتماه في البحر وهو نائم ولكن اختارا السكاموكه تموتانها وقبضت عليهما وأرادت قتلهما فصاحا وقالا في عرضك يا اخانا فصرت اتداخل عليها وأقول لها انا واقع في عرضك لا تقتلي اخواي وهي تقول لا بد من قتلهما لانهما خائنان فمازلت الاطفها واستعطفها حتى قالت من شأن خاطرك لا اقتلهما ولكن اسحرهما ثم اخرجت طاسة وحطت فيها ماء من ماء البحر وتكلمت عليها بكلام لا يفهم وقالت اخرجا من الصورة البشرية الى الصورة الكلبية ثم رشتهما بالماء فانقلبا كلبين كما تراهما يا خليفة الله ثم التفت اليهما وقال احق ما قلته يا اخواي فنكسا رؤسهما كأنهما يقولان له صدقت ثم قال يا امير المؤمنين وبعد ان سحرتهما كلبين قالت لمن كان في الغليون اعلموا ان عبد الله ابن فاضل هذا صار اخي وانا اشق عليه كل يوم مرة او مرتين وكل من خالفه منكم او خالف امره وآذاه باليد او باللسان فاني افعل به ما فعلت بهذين الخائنين واسحره كلبا حتى ينقضي عمره وهو في صورة الكلب ولا يجد له خلاصا فقال لها الجميع يا سيدتي نحن كلنا عبيده وخدمه ولا نخالفه ثم انها قالت لي اذا دخلت البصرة فتفقد جميع مالك فان كان نقص منه شيء فاعلمني وانا اجيء لك به من اي شخص كان ومن اي مكان كان ومن كان آخذه اسحره كلبا ثم بعد ان تخزن اموالك ضع في رقبة كل من هذين الخائنين غلا واربطهما في ساق السرير واجعلهما في سجن وحدهما وكل ليلة في نصف الليل انزل اليهما واضرب كل واحد منهما علقة حتى يغيب عن الوجود وان مضت ليلة ولم تضربهما فاني اجيء لك واضربك علقة وبعد ذلك اضربهما فقلت لها سمعا وطاعة ثم انها قالت لي اربطهما في الحبال حتى تدخل البصرة فوضعت في رقبة كل واحد منهما حبلا ثم ربطتهما في الصاري وتوجهت هي الى حال سبيلها وفي ثاني يوم دخلنا البصرة وطلع التجار لملاقاتي وسلموا علي ولم يسأل احد عن اخوي وانما

حمار وينظرون الى الكلاب ويقولون لي يافلان ماذا تصنع بهذين الكلبين اللذين جئت بهما معك فأقول لهم اني ربيتهما في هذه السفرة وجئت بهما معي فيضحكون عليهما ولم يعرفوا انهما اخواي ثم اني وضعتهما في خزانة واتهيت تلك الليلة في توزيع الاحمال التي فيها القماش والمعادن وكان عندي التجار لاجل السلام فاشتغلت ولم أضربهما ولم أربطهما بالسلاسل ولم أعمل معهما ضررا ثم نمت فلم أشعر الا وسعيدة بنت الملك الاحمر قالت لي اما قلت لك ضع في رقابهما السلاسل واضرب كل واحد منهما علقة ثم انها قبضت علي واخرجت السوط وضربتني علقة حتى غبت عن الوجود وبعد ذلك ذهبت الى المكان الذي فيه اخواي وضربت كل واحد منهما بالسوط حتى اشرفا على الموت وقالت كل ليلة اضرب كل واحد منهما علقة مثل هذه العلقة وان مضت ليلة ولم تضربهما فاني اضربك فقلت ياسيدتي في غد احط السلاسل في رقابهما والليلة الآتية اضربهما ولا أرفع الضرب عنهما ليلة واحدة فاكدت علي في الوصية بضربهما فلما اصبح الصباح لم يهن علي ان اضع السلاسل في رقابهما فذهبت الى صائغ وامرته ان يعمل لهما غلين من الذهب فعملهما وجئت بهما ووضعتهما في رقابهما وربطتهما كما امرتني وفي ثاني ليلة ضربتهما قهرا عني وكانت هذه الحركة في مدة خلافة المهدي الثالث من بني العباس وقد اصطحبت معه بارسال الهدايا فقلدني ولاية وجعلني نائبا في البصرة ودمت على هذه الحالة مدة من الزمان ثم اني قلت في نفسي لعل غيظها قد برد فتركتهما ليلة من غير ضرب فأتتني وضربتني علقة لم انس حرارتها بقية عمري فمن ذلك الوقت لم أقطع عنهما الضرب مدة خلافة المهدي ولما توفي المهدي توليت انت بعده وارسلت الى تقرير الاستمرار على مدينة البصرة وقد مضى لي اثنا عشر عاما وانا في كل ليلة اضربهما قهرا عني وبعدما اضربهما آخذ بخاطرهما واعتذر لهما وأطعمهما واسقيهما وهما محبوسان ولم يعلم بهما احد من خلق الله تعالى حتى ارسلت الى ابا اسحق النديم من اجل الخراج فاطلع على سري ورجع اليك فاخبرك فأرسلته ثانيا تطلبني وطلبتهما فأجبت بالسمع والطاعة واتيت بهما بين يديك ولما سألتني عن حقيقة الامر اخبرتك بالقصة وهذه حكايتي . فعند ذلك تعجب الخليفة هرون الرشيد من حال هذين الكلبين ثم قال وهل انت في هذه الحالة سامحت اخويك مما صدر منهما في حقك وعفوت عنهما ام لا فقال ياسيدي سامحهما الله وابرأ ذمتهما في الدنيا والآخرة وانا محتاج لكونهما يسامحاني لانه مضى لي اثنا عشر عاما وانا أضربهما كل ليلة علقة فقال له الخليفة ياعبد الله ان شاء الله تعالى انا اسعى في خلاصهما ورجوعهما آدميين كما كانا أولا واصلح بينكم وتعيشون بقية اعماركم اخوة متحابين وكما انك سامحتهما يسامحانك فخذهما وانزل الى منزلك وفي هذه الليلة لا تضربهما وفي غد مايكون الا الخير فقال له ياسيدي وحياة رأسك اني ان تركتهما ليلة واحدة من غير ضرب تأتيني سعيدة وتضربني وأنا مالي جسد يتحمل ضربا فقال لا تخف فانا اعطيتك خط يدي فاذا اتتك فاعطها الورقة فاذا قرأتها وعفت عنك كان الفضل لها وان لم تطع امري كاني امرك الى الله ودعها تضربك علقة وقدر انك نسيتهما من الضرب وضربتك بهذا السبب واذا حصل ذلك وخالفتني فان كنت انا أمير المؤمنين فاني اعمل خلاصي معها ثم ان الخليفة كتب

لهما ورقة مقدار اصبعين وبعدما كتبها ختمها وقال يا عبد الله اذا اتتك سعيدة فقل لها ان الخليفة ملك الانس امرني بعدم ضربهما وكتب لي هذه الورقة وهو يقرئك السلام واعطها المرسوم ولا تخش بأس ثم اخذ عليه العهد والميثاق انه لا يضربهما فأخذهما وراح بهما الى منزله وقال في نفسه يا ترى ما الذي يصنعه الخليفة في حق بنت سلطان الجن اذا كانت تخالفه وتضربني في هذه الليلة ولكن انا صابر على ضربي علقة وأريح اخواي في هذه الليلة ولو كان يحصل لي من أجلها العذاب ثم انه تفكر في نفسه وقال له عقله لولا ان الخليفة مستند الى سند عظيم ما كان يمنعك عن ضربهما ثم انه دخل منزله ونزع الاغلال من رقاب اخويه وقال توكلت على الله وصار يأخذ بخاطرهما ويقول لهما لا بأس عليكما فان الخليفة الخامس من بني العباس قد تكفل بخلاصكما وانا قد عفوت عنكما وان شاء الله تعالى يكون الأوان قد آن وتخلصان في هذه الليلة المباركة فابشرا بالهناء والسرور فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عواء الكلاب وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٧٩) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله بن فاضل قال لاخويه ابشرا بالهناء والسرور فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عواء الكلاب ويمرغان خدودهما على أقدامه كأنهما يدعوان له ويتواضعان بين يديه فحزن عليهما وصار يلمس بيده على ظهورهما الى ان جاء وقت العشاء فلما وضعوا السفرة قال لهما اجلسا فجلسا يأكلان معه على السفرة فصارت اعوانه باهتين يتعجبون من أكله مع الكلاب ويقولون هل هو مجنون او مختل العقل كيف يأكل نائب مدينة البصرة مع الكلاب وهو اكبر من وزير اما يعلم ان الكلب نجس وصاروا ينظرون الى الكلبين وهما يأكلان معه اكل الحشمة ولا يعلمون انهما اخواه وما زالوا يتفرجون على عبد الله والكلبين حتى فرغوا من الاكل ثم ان عبد الله غسل يديه فمد الكلبان ايديهما وصارا يغسلان وكل من كان واقفا صار يضحك عليهما ويتعجب ويقولون لبعضهم عمرنا ما رأينا الكلاب تأكل وتغسل ايديها بعد اكل الطعام ثم انهما جلسا على المراتب بجنب عبد الله بن فاضل ولم يقدر أحد ان يسأله عن ذلك واستمر الامر هكذا الى نصف الليل ثم صرف الخدم وناموا ونام كل كلب على سرير وصار الخدام يقولون لبعضهم انه نام ونام معه الكلبان وبعضهم يقول حيث اكل مع الكلاب على السفرة فلا بأس اذا ناما معه وما هذا الا حال المجانين ثم انهم لم يأكلوا مما بقي في السفرة من الطعام شيأ وقالوا كيف نأكل فضلة الكلاب ثم اخذوا السفرة بما فيها ورموها وقالوا انها نجسة هذا ما كان من امرهم (واما) ما كان من امر عبد الله بن فاضل فانه لم يشعر الا والارض قد انشقت وطلعت سعيدة وقالت يا عبد الله لاي شيء ما ضربتهما في هذه الليلة ولاي شيء نزعت الاغلال من اعناقهما هل فعلت ذلك عنادا لي او استخفافا بأمري ولكن انا الآن اضربك واسحرك كلبا مثلهما فقال لها يا سيدتي اقسمت عليك بالنقش الذي على خاتم سليمان بن داود عليهما السلام أن تمهلي على حتى اخبرك بالسبب ومهما اردتيه بي فافعليه فقالت له اخبرني فقال لها ان سبب عدم ضربهما ان ملك الانس

الخليفة أمير المؤمنين هرون الرشيد أمرني أن لا اضربهما في هذه الليلة وقد أخذ علي مواثيق وعهودا على ذلك وهو يقرئك السلام وأعطاني مرسوما بخط يده وأمرني أن أعطيك اياه فامتثلت أمره وأطعته وطاعة أمير المؤمنين واجبة وها هو المرسوم فخذيه واقرئيه وبعد ذلك افعلي مرادك فقالت هاته فناولتها المرسوم ففتحته وقرأته وقرأت مكتوبا بسم الله الرحمن الرحيم من ملك الانس هرون الرشيد الى بنت الملك الاحمر سعيدة أما بعد فان هذا الرجل قد سامح أخويه وأسقط حقه عنهما وقد حكمت عليهما بالسماح واذا وقع السماح ارتفع العقاب فان اعترضتم ونافيتم احكامنا اعترضناكم في احكامكم وخرقنا ناموسكم وان امتثلتم امرنا ونفذتم احكامنا فاننا ننفذ احكامكم وقد حكمت عليك بعدم التعرض لهما فان كنت تؤمنين بالله ورسوله فعليك بطاعة ولي الامر وأنه عفوت عنهما فانا اجازيك بما يقدرني عليه ربي وعلامة الطاعة أن ترفعي سحرك عن هذين الرجلين حتى يقابلاني في غد خالصين وان لم تخلصيهما فانا اخلصهما لك بالرغم عنك بعون الله تعالى فلما قرأته ذلك الكتاب قالت يا عبد الله لا افعل شيئا حتى اذهب الى ابي واعرض عليه مرسوم ملك الانس وارجع اليك بالجواب بسرعة ثم اشارت بيدها الى الارض فانشقت ونزلت فيها فلما ذهبت طار قلب عبد الله فرحا وقال اعز الله أمير المؤمنين ثم ان سعيدة دخلت على ابيها وأخبرته بالخبر وعرضت عليه مرسوم أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم قرأه وفهم ما فيه وقال يا بنتي ان أمر ملك الانس علينا ماض وحكمه فينا نافذ ولا نقدر أن نخالفه فامضي الى الرجلين وخلصيهما في هذه الساعة وقولي لهما انتما في شفاعة ملك الانس فانه ان غضب علينا أهلكنا عن آخرنا فلا تحملينا ما لا نطيق فقالت له يا ابت اذا غضب علينا ملك الانس ماذا يصنع بنا فقال لها يا بنتي انه يقدر علينا من وجوه الاول انه من البشر فهو مفضل علينا والثاني انه خليفة الله والثالث انه مصر على ركعتي الفجر فلو اجتمعت عليه طوائف الجن من السبع ارضين لا يقدرون أن يصنعوا به مكروها فان غضب علينا يصلي ركعتي الفجر ويصيح علينا صيحة واحدة فنجتمع بين يديه طائعين ونصير كالغنم بين يدي الجزار ان شاء فأمرنا بالرحيل من اوطاننا الى أرض موحشة لا نستطيع المكث فيها وان شاء هلاكنا أمرنا بهلاك انفسنا فيهلك بعضنا بعضا فنحن لا نقدر على مخالفة امره فان خالفنا امره أحرقنا جميعا وليس لنا مفر من بين يديه وكذلك كل عبد داوم على ركعتي الفجر فان حكمه نافذ فينا فلا تغضبي في هلاكنا من أجل رجلين بل امضي وخلصيهما قبل أن يحيق بنا غضب أمير المؤمنين فرجعت الى عبد الله بن فاضل وأخبرته بما قال ابوها وقالت له قبل لنا ايادي أمير المؤمنين واطلب لنا رضاه ثم انها أخرجت الطاسة ووضعت فيها الماء وعزمت عليها وتكلمت بكلمات لا تفهم ثم رشتهما بالماء وقالت اخرجا من الصورة الكلبية الى الصورة البشرية فعادا بشرين كما كانا وانفك عنهما السحر وقالا نشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ثم وقعا على يد أخيهما وعلى رجليه يقبلانها ويطلبان منه السماح فقال لهما سامحاني انتما ثم انهما تابا توبة نصوحا وقالا قد غرنا ابليس اللعين واغوانا الطمع وربنا جازانا بما نستحقه والعفو من شيم الكرام وصارا يستعطفان أخاهما ويبكيان ويتندمان على ما وقع منهما ثم

ثم قال لهما مافعلتما بزوجتي التي جئت بها من مدينة الحجر فقالوا ما أغوانا الشيطان ورمنياك في البحر وقع الخلاف بيننا وصار كل منا يقول أنا أتزوج بها فلما سمعت كلامنا ورأت اختلافنا وعرفت اننا رمينالك في البحر طلعت من الخزانة وقالت لا تختصما من أجلي فاني لست لواحد منكما أن زوجي راح البحر وأنا اتبعه ثم انها رمت نفسها في البحر وماتت فقال انها ماتت شهيدة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم انه بكى عليها بكاء شديدا وقال لهما لا يصح منكما أن تفعلا معي هذه الفعال وتعدما في زوجتي فقالا أننا أخطأنا وزر بنا جازانا على فعلنا وهذا شيء قدره الله علينا قبل أن يخلقنا فقبل عذرهما ثم أن سعيدة قالت أيفعلان معك هذه الفعال وانت تعفو عنهما فقال يا أختي من قدر وعفا كان اجره على الله فقالت خذ حذرك منهما فانهما خائنين ثم ودعته وانصرفت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٨٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن عبد الله لما حذرته سعيدة من أخويه ودعته وانصرفت الى حال سبيلها فبات عبد الله بقية تلك الليلة هو واخواه على أكل وشرب وبسط وانشرح صدرهم فلما اصبح الصباح ادخلهما الحمام وعند خروجهما من الحمام ألبس كل واحد منهما بدلة تساوي جملة من المال ثم انه طلب سفرة طعام فقدموها بين يديه فأكل هو وأخواه فلما نظرهما الخدام وعرفوا انهما اخواه سلموا عليهما وقالوا للامير عبد الله يا مولانا هنأك الله باجتماعك على اخويك العزيزين واين كانا في هذه المدة فقال لهم هما اللذان رأيتموهما في صورة كلبين والحمد لله الذي خلصهما من السجن والعذاب الاليم ثم انه أخذهما وتوجه الى ديوان الخليفة هرون الرشيد ودخل بهما عليه وقبل الارض بين يديه ودعاله بدوام العز والنعم وإزالة البؤس والنقم فقال له الخليفة مرحبا بك يا أمير المؤمنين أعز الله قدرك أني لما أخذت اخواي وذهبت بهما الى منزلي اطمأنيت عليهما بسببك حيث تكلفت بخلاصهما وقات في نفسي أن الملوك لا يعجزون عن أمر يجتهدون فيه لأن العناية تساعدهم ثم نزعت الاغلال من رقابهما وتوكلت على الله وأكلت انا واياهما على السفرة فلما رآني أتباعي آكل معهما وهما في صورة كلبين استخفوا بعقلي وقالوا لبعضهم لعله مجنون كيف يأكل نائب البصرة مع الكلاب وهو أكبر من الوزير ورموا ما فضل من السفرة وقالوا لا نأكل ما بقي من الكلاب وصاروا يسفهون رأيي وانا اسمع كلامهم ولا اردعليهم جوابا لعدم معرفتهم انهما أخواي ثم صرفتهم وعند ماجاء وقت النوم طلبت النوم فما اشعر الا والارض قد انشقت وخرجت سعيدة بنت الملك الاحمر وهي غضبانة علي وعيناها مثل النار ثم اخبر الخليفة بجميع ما وقع منها ومن أبيها وكيف اخرجتهما من الصورة الكلبية الى الصورة البشرية ثم قال وها هما بين يديك يا أمير المؤمنين فالتفت الخليفة فرآهما شابين كالقمرين فقال الخليفة جزاك الله عني خيرا يا عبد الله حيث اعلمتني بفائدة ما كنت اعلمها ان شاء الله لا أترك صلاة هاتين الركعتين قبل طلوع الفجر مادمت حيا ثم انه عنف أخواي عبد الله بن فاضل على ماسلف منهما في حقه فاعتذرا قدام الخليفة فقال لهم تصافحوا وسامحوا بعضكم وعفا الله عما سلف ثم التفت الى عبد الله وقال يا عبد الله اجعل

أخويك معينين لك وتوصيهما وأوصاهما بطاعة اخيهما ثم انعم عليهم وامرهم بالارتحال الى مدينة البصرة بعد ان اعطاهما انعاما جزيلا فنزلوا من ديوان الخليفة مجبورين وفرح الخليفة بهذه الفائدة التي استفادها من هذه الحركة وهي المداومة على صلاة ركعتين الفجر وقال صدق من قال مصائب قوم عند قوم فوائد . هذا ما كان من أمرهم مع الخليفة (وأما) ما كان من أمر عبد الله ابن فاضل فانه سافر من مدينة بغداد ومعه اخواه بالاعزاز والاكرام وعاوا المقام الى ان دخلوا مدينة البصرة فخرج الاكابر والاعيان لملاقاتهم وزينوا لهم المدينة وادخلوهم بموكب ليس له نظير وصار الناس يدعون له وهو ينثر الذهب والفضة وصار جميع الناس صاحين بالدعاء له ولم يلتفت احد الى أخويه فدخلت الغيرة والحسد في قلوبهما ومع ذلك كان عبد الله يداريهما مداراة العين الرمداء وكلما داراهما لا يزدادان الا بغضا له وحسدا فيه وقد قيل في هذا المعنى

وداريت كل الناس لكن حاسدي مداراته شطت وعز نوالها
وكيف يداري المرء حاسد نعمة اذا كان لا يرضيه الا زوالها

ثم انه أعطي كل واحد منهما سرية ليس لها نظير وجعل لهما خدم وحشم وجواري وعبيد سود وبيض من كل نوع اربعين وأعطى كل واحد منهما خمسين جوادا من الخيل الجياد وصار لهما جماعة واتباع ثم انه عين لهما الخراج ورتب لهما الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما يا اخواي أنا وأنتما سواء ولا فرق بيني وبينكما وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٨١) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان عبد الله رتب لاخويه الرواتب وجعلهما معينين له وقال لهما يا اخواي انا وانتما سواء ولا فرق بيني وبينكما فالحكم بعد الله والخليفة لي ولكما فاحكما في البصرة في غيابي وحضوري وحكمكما نافذ ولكن عليكما بتقوى الله في الاحكام واياكما والظلم فانه ان دام دمر وعليكما بالعدل فانه ان دام عمر ولا تظلما العباد فيدعو عليكما وخبركما يصل الى الخليفة فتحصل فضيحة في حقي وحقكما فلا تتعرضا لظلم احد والذي تطمعان فيه من اموال الناس خذاه من مالي زيادة على ما تحتاجان اليه ولا يخفى عليكما ما ورد في الظلم في محكم الآيات ثم انه صار يعظ اخويه ويامرهما بالعدل وينهاهما عن الظلم حتى ظن انهما احباه بسبب بذل النصيحة لهما ثم انه ركن اليهما وبالغ في اكرامهما ومع اكرامه لهما ما ازداد الا حسدا له وبغضا فيه ثم ان اخويه ناصرا ومنصورا اجتمعا مع بعضهما فقال ناصر لمنصور يا أخي الى متى ونحن تحت طاعة أخينا عبد الله وهو في هذه السيادة والامارة وبعد ما كان تاجرا صار أميرا وبعد ما كان صغيرا صار كبيرا ونحن لم نكبر ولم يبق لنا قدر ولا قيمة وها هو ضحك علينا وعملنا معينين له فما معنى ذلك اليس اننا خدمه ومن تحت طاعته ومادام طيبا لا ترتفع درجتنا ولا يبقى لنا شأن فلا يتم غرضنا الا ان قتلناه واخذنا أمواله ولا يمكن اخذ هذه الاموال الا بعد هلاكه فاذا قتلناه نسود ونأخذ جميع ما في خزائنه من الجواهر والمعادن والذخائر وبعد ذلك تقسمها بيننا ثم نهيء هدية للخليفة ونطلب منه منصب الكوفة وأنت تكون نائب البصرة وانا أكون نائب الكوفة اوانك تكون نائب

الكوفة وانا أكون نائب البصرة ويبقى لكل واحد منا صولة وشأن ولكن لا يتم لنا ذلك الا اذا أهلكناه فقال منصور انك صادق فيما قلت ولكن ماذا نصنع معه حتى نقتله فقال نعمل ضيافة عند احدنا ونعزمه فيها ونخدمه غاية الخدمة ثم نسامره بالكلام ونحكي له حكايات ونكات ونوادر الى ان يذوب قلبه من السهر ثم نفرش له حتى يرقد فاذا رقد نبرك عليه وهو نائم فنخنقه ونرميه فى البحر ونصبح نقول ان اخته الجنية اتته وهو قاعد يتحدث بيننا وقالت له يا قطاعة الانس ما مقدارك حتى تشكونى الى أمير المؤمنين اتظن اننا نخاف منه فكما أنه ملك نحن ملوك وان لم يلزم ادبه فى حقنا قتلناه اقبح قتلة ولكن بقيت انا اقتلك حتى ننظر ما يخرج من يد أمير المؤمنين ثم خطفته وشقت الارض وتوارت به فلما رأينا ذلك غشي علينا ثم استفقنا ولم ندر ما حصل له و بعد ذلك نرسل الى الخليفة ونعلمه فانه يولينا مكانه و بعد مدة نرسل الى الخليفة هدية سنية و نطلب منه حكم الكوفة و واحد منا يقيم فى البصرة والآخر يقيم بالكوفة وتطيب لنا البلاد ونقهر العباد ونبلغ المراد فقال نعم ما اشرت به يا أخي فلما اتفقا على قتل اخيهما صنع ناصر ضيافة وقال لاخيه عبد الله يا أخي اعلم انى انا أخوك ومرادي انك تجبر بخاطري أنت وأخي منصور وتأكلا ضيافتي في بيتي حتى افتخر بك ويقال ان الامير عبد الله أكل ضيافة أخيه ناصر لاجل ان يحصل لي بذلك جبر خاطر فقال له عبد الله لا بأس يا أخي ولا فرق بيني و بينك و بيتك بيتي ولكن حيث عزمتني فما يأبى الضيافة الا اللئيم ثم التفت الى أخيه منصور وقال له اتذهب معي الى بيت اخيك ناصر وتأكل ضيافته وتجبر بخاطره فقال له يا أخي وحيات رأسك ما أروح معك حتى تحلف لى انك بعد ما تخرج من بيت أخي ناصر تدخل بيتي وتأكل ضيافتي فهل ناصر أخوك وأنا لست أخاك فكما جبرت بخاطره تجبر بخاطري فقال لا باس بذلك حبا وكرامة فمتى خرجت من دار أخيك ادخل دارك وكما هو أخي انت أخي ثم ان ناصرا قبل يد أخيه عبد الله ونزل من الديوان وعمل الضيافة وفى ثاني يوم ركب عبد الله وأخذ معه جملة من العسكر واخاه منصورا وتوجه الى دار أخيه ناصر فدخل وجلس هو وجماعته وأخوه فقدم لهم السماط ورحب بهم فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا وارتفعت السفرة والزبادي وغسلت الايادي واقاموا ذلك اليوم على أكل وشرب و بسط ولعب الى الليل فلما تعشوا اصلوا المغرب والعشاء ثم جلسوا على منادمة وصار منصور يحكي حكايته وناصر يحكي حكايته وعبد الله يسمع وكانوا فى قصر وحدهم وبقية العسكر فى مكان آخر ولم يزالوا فى نكت وحكايات ونوادر واخبار حتى ذاب قلب أخيهم عبد الله من السهر وغلب عليه النوم وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٨٢) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان عبد الله لما طال عليه السهر وأراد النوم فرشوا له الفرش ثم قلع ثيابه و نام وناما بجانبه على فرش آخر وصبرا عليه حتى استغرق فى النوم فلما عرفا انه استغرق فى النوم قاما وبركا عليه فافاق فرآهما باركين على صدره فقال لهما ما هذا يا اخواى فقالا له ما نحن اخواك ولا نعرفك يا قليل الادب وقد صار موتك أحسن من حياتك وحطا أيديهما

في رقبته وخنقاه فغاب عن الدنيا ولم يبق فيه حركة فظننا أنه مات وكان القصر على البحر فرموه في البحر
فلعناوقع في البحر سخر الله له درفيلا كان معتادا على مجيئه تحت ذلك القصر لان المطبخ كان فيه
طاقة تشرف على البحر وكانوا كلما ذبحوا الذبائح يرمون تعاليقها في البحر من تلك الطاقة فيأتي
ذلك الدرفيل ويلتقطها من على وجه الماء فاعتاد على ذلك المكان وكانوا في ذلك اليوم قد رموا
اسقاطا كثيرة بسبب الضيافة فكان لذلك الدرفيل زيادة عن كل يوم وحصلت له قوة فلما سمع الخبطة
في البحر أتى بسرعة فرآه ابن آدم فهداه الهادي وحمله على ظهره وشق به في وسط البحر ولم يزل ماشيا
حتى وصل الى البر من الجهة الثانية والقاه على البر وكان ذلك المكان لذي أطلعه فيه على قارعة الطريق
فمرت به قافلة فرأوه مرميا على جانب البحر فقالوا هذا غريق القاه البحر على الشاطىء واجتمع عليه
جماعة من تلك القافلة يتفرجون عليه وكان شيخ القافلة رجلا من أهل الخير وعارفا بجميع العلوم
وخبير بعلم الطب وصاحب فراسة صادقة فقال لهم ياناس ما الخبر فقالوا هذا غريق ميت فاقبل عليه
وتأمله وقال ياناس هذا الشاب فيه الروح وهذا من خيار اولاد الناس الاكابر وتربية العز والنعم
وفيه الرجا ان شاء الله تعالى ثم انه اخذه والبسه بدلة وادفاه وصار يعالجه ويلاطفه مدة ثلاث
مراحل حتى افاق ولكن حصلت له خضة فغلب عليه الضعف وصار الشيخ القافلة يعالجه باعشاب
يعرفها ولم يزالوا مسافرين مدة ثلاثين يوما حتى بعدوا عن البصرة بهذه المسافة وهو يعالج فيه ثم
دخلوا مدينة يقال لها مدينة عوج وهي في بلاد العجم فنزلوا في خان وفرشوا له ورقد فبات تلك
الليلة يئن فما افاق الناس من أنينه فلما أصبح الصباح أتى بواب الخان الى شيخ القافلة وقال له
ماشأن هذا الضعيف الذي عندك فانه اقلقنا فقال هذا رأيته في الطريق على جانب البحر غريقا
فعالجته وعجزت ولم يشف فقال له اعرضه على الشيخة راجحة فقال له وماتكون الشيخة راجحة
فقال عندنا بنت بكر شيخة وهي عذراء جميلة اسمها الشيخة راجحة كل من كان به داء يأخذونه
اليها فيبيت عندها ليلة واحدة فيصبح معافى كانه لم يكن فيه شيء يضره فقال له شيخ القافلة دلني
عليها فقال له احمل مريضك فحمله ومشى بواب الخان قدامه الى ان وصل الى زاوية فرأى خلائق
داخلين بالنذور وخلائق خارجين فرحانين فدخل بواب الخان حتى وصل الى الستارة وقال
دستور ياشيخه راجحة خذي هذا المريض ادخليه من داخل هذه الستارة فقال له
ادخل فدخل ونظر اليها فرآها زوجته التي جاء بها من مدينة الحجر فعرفها وعرفته وسلمت عليه
وسلم عليها فقال لها من أتى بك الى هذا المكان فقالت له لما رأيت اخويك رمياك في البحر وتخاصما
على رميت نفسي في البحر فتناولني شيخي الخضر ابو العباس واتى بي الى هذه الزاوية واعطاني الاذن
بشفا المرضي ونادى في هذه المدينة كل من كان به داء فعليه بالشيخة راجحة وقال لي اقيمي في هذا
المكان حتي يؤن الاوان ويأتي اليك زوجك في هذه الزاوية فصار كل مريض يأتي الي ابسبه
فيصبح طيبا وشاع ذكري بين العالم واقبلت على الناس بالنذور وعندي الخير كثير وانا في عز واكرام
وجميع اهل هذه البلاد يطلبون مني الدعاء ثم انها كسبته فشفي بقدرة الله تعالى وكان الخضر عليه

السلام يحضر عنده في كل ليلة جمعة وكانت تلك الليلة التي اجتمع بها فيها ليلة الجمعة فلما جن الليل جلست هي واياه بعدما تمشيا بين انفر المأكول ثم قعدا ينتظران حضور الخضر فبينما هما جالسان واذا به قد أقبل عليهما فحملهما من الزاوية ووضعهما في قصر عبد الله بن فاضل بالبصرة ثم تركهما وذهب فلما اصبح الصباح تأمل عبد الله في القصر فرآه قصره فعرفه وسمع الناس في ضجة فنظر من الشباك فرأى أخويه مصلوبين كل واحد منهما على خشبة والسبب في ذلك انهما لما رمياه في البحر أصبحا يبكيان ويقولان ان اخانا خطفته الجنية ثم هيأا هدية وارسلاها الى الخليفة واخبراه بهذا الخبر وطلبا منه منصب البصرة فارسل احضرهما عنده وسألهما فاخبراه كما ذكرنا فاشتد غضب الخليفة فلما جن الليل صلى ركعتين قبل الفجر على عادته وصاح على طوائف الجن فحضروا بين يديه طائعين فسألهم عن عبد الله فحلفوا له انه لم يتعرض له أحد منهم وقالوا له ما عندنا خبر به فأتت صعيدة بنت الملك الاحمر واخبرت الخليفة بخبره فصرفهم وفي ثاني يوم رمى ناصرا ومنصورا تحت الضرب فاقرا على بعضهما فغضب عليهما الخليفة وقال خذوهما الى البصرة واصلبوهما قدام قصر عبد الله هذا ما كان من أمرهما (وأما) ما كان من أمر عبد الله فانه أمر بدفن اخويه ثم ركب وتوجه الى بغداد واخبر الخليفة بحكايته وما فعل معه اخواه من الاول الى الآخر فتعجب الخليفة من ذلك واحضر القاضي والشهود وكتب كتابه على البنت التي جاء بها من مدينة الحجر ودخل بها واقام معها في البصرة الى ان اتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان الحي الذي لا يموت

﴿ حكاية معروف الاسكافي ﴾

(ومما يحكى) أيها الملك السعيد أنه كان في مدينة مصر المحروسة رجل اسكافي يرقع الزرابين القديمة وكان اسمه معروفا وكان له زوجة اسمها فاطمة ولقبها العرة وما لقبوها بذلك الا لانها كانت فاجرة شرانية قليلة الحياء كثيرة الفتن وكانت حاكمة على زوجها وفي كل يوم تسبه وتلعنه ألف مرة وكان يخشى شرها ويخاف من أذاها لانه كان رجلا عاقلا يستحي على عرضه ولكنه كان فقير الحال فاذا اشتغل بكثير صرفه عليها واذا اشتغل بقليل انتقمت من بدنه في تلك الليلة واعدمته العافية وتجعل ليلته مثل صحيفتها وهي كما قال في حقها الشاعر

كم ليلة بت مع زوجتي ... في أشأم الاحوال قضيتها

ياليتني عند دخولي بها ... أحضرت سما ثم سقيتها

ومن جملة ما اتفق لهذا الرجل مع زوجته انها قالت له يامعروف أريد منك في هذه الليلة أن تجيء لي معك بكنافة عليها عسل نحل فقال لها الله تعالى يسهل لي حقها وانا اجيء بها لك في هذه الليلة والله ليس معي دراهم في هذا اليوم ولكن ربنا يسهل فقالت له انا ما اعرف هذا الكلام وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٨٣) قالت بلغني ايها الملك السعيد أن معروفا الاسكافي قال لزوجته الله يسهل بحقها وانا اجيء بها اليك في هذه الليلة والله ليس معي دراهم في هذا اليوم لكن ربنا يسهل فقالت

له ما اعرف هذا الكلام ان سهل اولم يسهل لا تجئني الا بالكنافة التي بعسل نحل وان جئت من غير كنافة جعلت ليلتك مثل بختك حين تزوجتني ووقعت في يدي فقال لها الله كريم ثم خرج ذلك الرجل والغم يتناثر من بدنه فصلى الصبح وفتح الدكان وقال اسألك يارب ان ترزقني بحق هذه الكنافة وتكفيني شر هذه الفاجرة في هذه الليلة وقعد في الدكان الى نصف النهار فلم يأته شغل فاشتد خوفه من زوجته فقام وقفل الدكان وصار متحيرا في أمره من شأن الكنافة مع انه لم يكن معه من



﴿ معروف الاسكافي وزوجته قابضة على لحيته ﴾

حق الخبز شيء ثم انه مر على دكان الكنفاني ووقف باهتا وغرغرت عيناه بالدموع فلحظ عليه الكنفاني وقال يا معلم معروف مالك تبكي فاخبرني بما أصابك فاخبره بقصته وقال له ان زوجتي جبارة وطلبت مني كنافة وقد قعدت في الدكان حتى مضى نصف النهار فلم يجئني ولا ثمن الخبز وانا خائف منها فضحك الكنفاني وقال لا باس عليك كم رطلا تريد فقال له خمسة ارطال وقال له السمن

عندي ولكن ما عندي عسل نحل وانما عندي عسل قصب احسن من عسل النحل وماذا يضير
كانت بعسل قصب فاستحي منه لكونه يصبر عليه بثمنها فقال له هاتها بعسل قصب فقلى له الكنافة
بالسمن وغرقها بعسل قصب فصارت تهدى للملوك ثم انه قال له أتحتاج عيشا وجبنا قال نعم فاخذ له
بأربعة أنصاف عيشا وبنصف جبنا والكنافة بعشرة انصاف وقال له اعلم يامعروف انه قد صار عندك
خمسة عشر نصفا رح الى زوجتك واعمل حظا وخذ هذا النصف حق الحمام وعليك مهل يوم
أو يومان أو ثلاثة حتى يرزقك الله ولا تضيق على زوجتك فانا أصبر عليك حتى يأتي عندك دراهم
فاضلة عن مصروفك فاخذ الكنافة والعيش والجبن وانصرف داعيا له وروح مجبور الخاطر وهو
يقول سبحانك ربي ما أكرمك ثم انه دخل عليها فقالت له هل جئت بالكنافة قال نعم ثم وضعها
قدامها فنظرت اليها فرأتها بعسل قصب فقالت له أما قلت لك هاتها بعسل نحل تعمل على خلاف
مرادي وتعملها بعسل قصب فاعتذر اليها وقال لها انا ما اشتريتها الا مؤجلا ثمنها فقالت له هذا
كلام باطل انا ما آكل الكنافة الا بعسل نحل وغضبت عليه وضربته بها في وجهه
وقالت له قم يامعرص هات لي غيرها ولكمته في صدغه فقلعت سنة من أسنانه ونزل
الدم على صدره ومن شدة الغيظ ضربها ضربة واحدة لطيفة على رأسها فقبضت على لحيته
وصارت تصيح وتقول يا مسلمين فدخل الجيران وخلصوا لحيته من يدها وقاموا عليها باللوم وعيبوها
وقالوا نحن كلنا نأكل الكنافة التي بعسل القصب ما هذا التجبر على هذا الرجل الفقير ان هذا عيب
عليك وما زالوا يلاطفونها حتى أصلحوا بينها وبينه ولكنها بعد ذهاب الناس حلفت ما تأكل من
الكنافة شيئا فاحرقه الجوع فقال في نفسه هي حلفت ما تأكل فانا آكل ثم أكل. فلما رأته يأكل
صارت تقول له ان شاء الله يكون أكلها سما يهري بدن البعيد فقال لها ما هو بكلامك وصار يأكل
ويضحك ويقول أنت حلفت ما تأكلين من هذه فالله كريم فان شاء الله في ليلة غد أجيء لك بكنافة
تكون بعسل نحل وتأكلينها وحدك وصار يأخذ بخاطرها وهي تدعو عليه ولم تزل تسبه وتشتمه
الى الصبح فلما أصبح الصباح شمرت عن ساعدها لضربه فقال لها امهليني وانا أجيء اليك بغيرها ثم
خرج الى المسجد وصلى وتوجه الى الدكان وفتحها وجلس فلم يستقر به الجلوس حتى جاءه اثنان من
طرف القاضي وقالا له قم كلم القاضي فان امرأتك شكتك اليه وصفتها كذا وكذا فعرفها وقال الله تعالى
ينكد عليها ثم قام ومشى معهما الى ان دخل على القاضي فرأى زوجته رابطة ذراعها وبرقعها ملوث
بالدم وهي واقفة تبكي وتمسح دموعها فقال له القاضي يا رجل الم تخف من الله كيف تضرب هذه الحرمة
وتكسر ذراعها وتقلع سنها وتفعل بها هذه الفعال فقال له ان كنت ضربتها أو قلعت سنها فاحكم في
بما تختار وانما القصة كذا وكذا والجيران أصلحوا بيني وبينها واخبره بالقصة من الاول الى الآخر
وكان ذلك القاضي من اهل الخير فاخرج له ربع دينار وقال له يارجل خذ هذا واعمل لها به كنافة بعسل
نحل واصطلح أنت واياها فقال له اعطه لها فاخذته واصلح بينهما وقال ياحرمة أطيعي زوجك وانت
يا رجل ترفق بها وخرجا مصطلحين على يد القاضي وذهبت المرأة من طريق وزوجها من طريق آخر

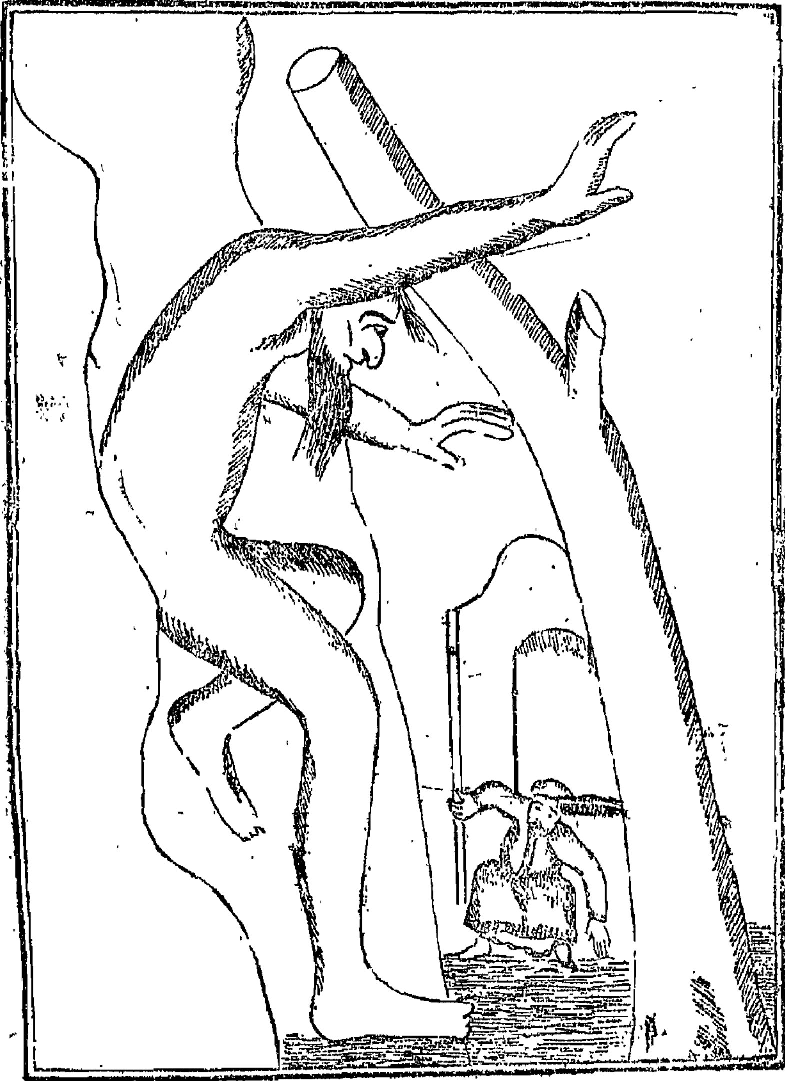
الى دكانه وجلس واذا بالرسل أتوا اليه وقالوا هات خدمتنا فقال لهم ان القاضي لم يأخذ مني شيئاً بل أعطاني ربع دينار فقالوا لا علاقة لنا بكون القاضي أعطاك أو أخذ منك فان لم تعطنا خدمتنا أخذناها بالقهر عنك وصاروا يجرونه في السوق فباع عدته واعطاهم نصف دينار ورجعوا عنه ووضع يده على خده وقعد حزيناً حيث لم يكن عنده عدة يشتغل بها فبينما هو قاعد واذا برجلين قبيحي المنظر قبلا عليه وقالا له قم يا رجل كلم القاضي فان زوجتك شكتك اليه فقال لهما قد اصطلح بيني وبينها فقالا له نحن من عند قاض آخر فان زوجتك اشتكتك الى قاضينا فقام معهما وهو يحتسب عليها فلما رآها قال لها أما



الرسل الذي جاؤا من قبل القاضي

اصطلحنا يا بنت الحلال قالت ما بقي بيني وبينك صلح فتقدم وحكى للقاضي حكايته وقال ان القاضي فلاناً أصلح بيننا في هذه الساعة فقال لها القاضي يا عاهرة حيث اصطلحتما لماذا جئت تشتكين الي

قالت أنه ضربني بعد ذلك فقال لهم القاضي اصطلحا ولا تعد الى ضربها وهي لا تعود الى مخالفتك فاصطلحا وقال له القاضي اعط الرسل خدمتهم فاعطى الرسل خدمتهم وتوجه الى الدكان وفتحها وقعد فيها وهو مثل السكران من الهم الذي أصابه فبينما هو قاعد واذا برجل أقبل عليه وقال له يا معروف قم واستخف فان زوجتك اشتكتك الى الباب العالي ونازل عليك أبو طبق فقام وقفل الدكان وهرب في جهة باب النصر وكان قد بقي معه خمسة أنصاف فضة من حق القوالب والعدة فاشترى باربعة أنصاف عيشا وبنصف جبنا وهرب منها وكان ذلك في فصل الشتاء وقت العصر فلما خرج بين الكيمان نزل عليه المطر مثل أفواه القرب فابتلت ثيابه فدخل العادلية فرأى موضعا خربا فيه حاصل مهجور



﴿ المارد الذي خرج من الحائط عند ما سمع معروف الاسكافي يبكي و يتضجر ﴾

من غير باب فدخل يتمكن فيه من المطر وحوائجه مبتلة بالماء فنزلت الدموع من أجفانه وصار يتضجر مما به ويقول أين أهرب من هذه العاهرة أسألك يا رب أن تقيض لي من يوصلني إلى بلاد بعيدة لا تعرف طريقي فيها فبينما هو جالس يبكي وإذا بالحائط قد انشقت وخرج منها شخص طويل القامة رؤيته تقشعر منها الأبدان وقال له يا رجل ما لك أقلقتني في هذه الليلة أنا ساكن في هذا المكان منذ مائتي عام فما رأيت أحدا دخل هذا المكان وعمل مثل ما عملت أنت فأخبرني بمقصودك وأنا أقضي حاجتك فإن قلبي أخذته الشفقة عليك فقال له من أنت وما تكون فقال له أنا عامر هذا المكان فأخبره بجميع ما جرى له مع زوجته فقال له أتريد أن أوصلك إلى بلاد لا تعرف لك زوجتك فيها طريقا قال نعم قال له اركب فوق ظهري فركب وحمله وطار به من بعد العشاء إلى طلوع الفجر وأنزله على رأس جبل عال وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٨٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن معروفا الإسكافي لما حمله المارد وطار به وأنزله على جبل عال وقال يا إنسي انحدر من فوق هذا الجبل ترى عتبة مدينة فادخلها فإن زوجتك لا تعرف لك طريقا ولا يمكنها أن تصل إليك ثم تركه وذهب فصار معروف باهتا متحيرا في نفسه إلى أن طلعت الشمس فقال في نفسه أقوم وأنزل من أعلى هذا الجبل إلى المدينة فإن قعودي هنا ليس فيه فائدة فنزل إلى أسفل الجبل فرأى مدينة بأسوار عالية وقصور مشيدة وأبنية مزخرفة وهي نزهة للناظرين فدخل من باب المدينة فرآها تشرح القلب الحزين فلما مشى في السوق صار أهل المدينة ينظرون إليه ويتفرجون عليه واجتمعوا عليه وصاروا يتعجبون من ملبسه لأن ملبسه لا يشبه ملابسهم فقال له رجل من أهل المدينة يا رجل هل أنت غريب قال نعم قال له من أي مدينة قال من مدينة مصر السعيدة قال ألك زمان مفارقها قال له البارحة العصر فضحك عليه وقال يا ناس تعالوا انظروا هذا الرجل واسمعوا ما يقول فقالوا ما يقول قال إنه يزعم أنه من مصر وخرج منها البارحة العصر فضحكوا كلهم واجتمع عليه الناس وقالوا يا رجل أأنت مجنون حتى تقول هذا الكلام كيف تزعم أنك فارقت مصر بالأمس في وقت العصر وأصبحت هنا والحال أن بين مدينتنا وبين مصر مسافة سنة كاملة فقال لهم ما مجنون إلا أنتم وأما أنا فإني صادق في قولي وهذا عيش مصر لم يزل معي طريا وأراهم العيش فصاروا يتفرجون عليه ويتعجبون منه لأنه لا يشبه عيش بلادهم وكثرت الخلائق عليه وصاروا يقولون لبعضهم هذا عيش مصر تفرجوا عليه وصارت له شهرة في تلك المدينة ومنهم ناس يصدقون وناس يكذبون ويهزؤون به فبينما هم في تلك الحالة وإذا بتاجر أقبل عليهم وهو راكب بغلة وخلفه عبدان ففرق الناس وقال يا ناس أما تستحون وأنتم ملتمون على هذا الرجل الغريب وتسخرون منه وتضحكون عليه ما علاقتكم به ولم يزل يسبهم حتى طردهم عنه ولم يقدر أحد أن يرد عليه جوابا وقال له تعال يا أخي ما عليك بأس من هؤلاء إنهم لا حياء عندهم ثم أخذه وسار به إلى أن أدخله دارا واسعة مزخرفة وأجلسه في مقعد ملوكي وأمر العبيد ففتحوا له صندوقا وأخرجوا له بدلة تاجر ألفي وألبسه إياها وكان معروف وجيها فصار كأنه شاه بندر التجار ثم إن ذلك التاجر طلب

السفرة فوضعوا اقدامه باسفرة فيها جميع الاطعمة الفاخرة من سائر الالوان فاكلا وشربا وبعد ذلك قال له يا أخي ما اسمك قال اسمي معروف وصنعتي اسكاف أرقع الزرابين القديمة قال له من أي البلاد انت قال من مصر قال من أي الحارات قال له هل انت تعرف مصر قال له انا من أولادها فقال له انا من الدرب الاحمر قال من تعرف من الدرب الاحمر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٩٥) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الرجل سال معروف الاسكاف وقال له من تعرف من الدرب الاحمر قال له فلانا وفلانا وعد له ناسا كثيرين قال له هل تعرف الشيخ احمد العطار قال هو جاري الحيط في الحيط قال له هل هو طيب قال نعم قال له كم له من الاولاد قال ثلاثة مصطفى ومحمد وعلي قال له ما فعل الله باولاده قال اما مصطفى فانه طيب وهو عالم مدرس وأما محمد فانه عطار وقد فتح له دكانا بجنب دكان أبيه بعد ان تزوج وولدت زوجته ولدا اسمه حسن قال بشرك الله بالخير قال واما علي فانه كان رفيقي ونحن صغار وكنت دائما العب أنا واياه وبقينا نروح بصفة اولاد النصارى وندخل الكنيسة ونسرق كتب النصارى ونبيعها ونشتري بثمنها نفقة فاتفق في بعض المرات ان النصارى رأونا وأمسكونا بكتاب فاشتكونا الى اهلنا وقالوا لابيه اذا لم تمنع ولدك من اذانا شكوناك الى الملك فأخذ بخاطرهم وضربه علقة فبهذا السبب هرب من ذلك الوقت ولم يعرف له طريقا وهو غائب له عشرون سنة ولم يخبر عنه أحد بخبر فقال له هو انا علي ابن الشيخ احمد العطار وانت رفيقي يا معروف وسلما على بعضهما وبعد السلام قال يامعروف اخبرني بسبب مجيئك من مصر الى هذه المدينة فأخبره بخبر زوجته فاطمة العره وما فعلت معه وقال له انه لما اشتد علي اذاها هربت منها في جهة باب النصر ونزل علي المطر فدخلت في حاصل خرب في العادلية وقعدت ابكي فخرج لي عامر المكان وهو عفريت من الجن وسألني فأخبرته بحالي فأركبني على ظهره وطار بي طول الليل بين السماء والارض ثم حطني على الجبل وأخبرني بالمدينة فنزلت من الجبل ودخلت المدينة والتم علي الناس وسألوني فقلت لهم اني طلعت البارحة من مصر فلم يصدقوني فجئت انت ومنعت عني الناس وجئت بي الى هذه الدار وهذا سبب خروجي من مصر وانت ما سبب مجيئك هنا قال له غلب علي الطيش وعمري سبع سنين من ذلك الوقت وانا دائر من بلد الى بلد ومن مدينة الى مدينة حتى دخلت هذه المدينة واسمها اختيان الختن فرأيت اهلها ناسا كراما وعندهم الشفقة ورأيتهم يأتمنون الفقير ويداينونه وكل ما قاله يصدقونه فقلت لهم انا تاجر وقد سبقت الحملة وصرادي مكان انزل فيه حملتي فصدقوني واخلوا لي مكانا ثم اني قلت لهم هل فيكم من يداينني الف دينار حتى تجيء حملتي أرد له ما آخذه منه فاني محتاج الى بعض مصالح قبل دخول الحملة فاعطوني ما أردت وتوجهت الى سوق التجار فرأيت شيأ من البضاعة فاشتريته وفي ثاني يوم بعته فربحت فيه خمسين دينارا واشتريت غيره وصرت أعاشر الناس واكرمهم فأحبوني وصرت ابيع واشتري فكثر مالي واعلم يا أخي ان صاحب المثل يقول الدنيا فشر وحيله والبلاد التي لا يعرفك احد فيها مهما شئت فافعل فيها وانت اذا قلت لكل من سألك انا صنعتي اسكاف وفقير وهربت من زوجتي والبارحة طلعت من مصر فلا يصدقونك

وتصير عندهم مسخرة مدة اقامتك في هذه المدينة وإن قلت هم اني عفريت نفروا منك ولا يقرب منك احد ويقولون هذا رجل معفرت وكل من تقرب منه يحصل له ضرر وتبقى هذه الاشاعة قبيحة في حقي وحقك لكونهم يعرفون اني من مصر قال وكيف اصنع قال أنا اعلمك كيف تصنع أن شاء الله تعالى اعطيك في غد الف دينار وبغلة تركبها وعبد يمشي قدامك حتى يوصلك الى باب سوق التجار فادخل عليهم واكون أنا قاعدا بين التجار فمتى رأيتك أقوم لك وأسلم عليك وأقبل يدك وأعظم قدرك وكلما أسألك عن صنف من القماش وقلت لك هل جئت معك بشيء من الصنف الفلاني فقل كثير وأن سألوني عنك اشكرك واعظمك في اعينهم ثم اني اقول لهم خذوا له حاصلا ودكانا واصفك بكثرة المال والكرم واذا اتاك سائل فاعطه ما تيسر فيثقون بكلامي ويعتقدون عظمتك وكرمك ويحبونك وبعد ذلك اعزمك واعزم جميع التجار من شانك واجمع بينك وبينهم حتى يعرفك جميعهم وتعرفهم. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٩٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر عليا قال لمعروف اعزمك واعزم جميع التجار من شانك واجمع بينك وبينهم حتى يعرفك جميعهم وتعرفهم لاجل أن تبيع وتشتري وتاخذ وتعطي معهم فما تمضي عليك مدة حتى تصير صاحب مال فلما أصبح الصباح أعطاه ألف دينار والبسه بدلة واركبه بغلة وأعطاه عبدا وقال أبرأ الله ذمتك من الجميع لانك رفيقي فواجب عليّ اكرامك ولا تحمل هما ودع عنك سيرة زوجتك ولا تذكرها لاحد فقال له جزاك الله خيرا ثم ركب البغلة ومشى قدامه العبد الى أن وصله الى باب سوق التجار وكانوا جميعا قاعدين والتاجر علي قاعد بينهم فلما رآه قام ورمى روحه عليه وقال له نهارك مبارك يا تاجر معروف يا صاحب الخيرات والمعروف ثم قبل يده قدام التجار وقال يا اخواننا آنسكم التاجر معروف فسلموا عليه وصار يشير لهم بتعظيمه فعظم في أعينهم ثم انزله من فوق ظهر البغلة وسلموا عليه وصار يختلي بواحد بعد واحد منهم ويشكره عنده فقالوا له هل هذا تاجر فقال لهم نعم بل هو اكبر التجار ولا يوجد واحد أكثر مالا منه لان أمواله وأموال ابيه واجداده مشهورة عند تجار مصر وله شركاء في الهند والسند واليمن وهو في الكرم على قدر عظيم فاعرفوا قدره وارفعوا مقامه واخدموه واعلموا أن مجيئه الى هذه المدينة ليس من أجل التجارة وما قصده الا الفرجة على بلاد الناس لانه غير محتاج الى التغريب من اجل الربح والمكاسب لان عنده اموالا لا تاكلها النيران وأنا من بعض خدمه ولم يزل يشكره حتى جعلوه فوق رؤسهم وصاروا يخبرون بعضهم بصفاته ثم اجتمعوا عنده وصاروا يهادونه بالفطورات والشربات حتى شاه بندر التجار اتى له وسلم عليه وصار يقول له التاجر على بحضرة التجار ياسيدي لعلك جئت معك بشيء من القماش الفلاني فيقول له كثير وكان في ذلك اليوم فرجه على اصناف القماش المثمنة وعرفه اسامي الاقمشه الغالي والرخيص فقال له التاجر من التجار ياسيدي هل جئت معك بجوخ احمر قال كثير قال واحمر دم الغزال قال كثير وصار كلما ساله عن شيء يقول له كثير فعند ذلك قال يا تاجر علي أن المدينك لو اراد أن يحمل ألف حمل من القماشات المثمنة يحملها فقال له يحملها

من حاصل من جملة حواصله ولا ينقص منه شيء فبينما هما قاعدون واذا برجل سائل دار على التجار فمنهم من أعطاه نصف فضة ومنهم من أعطاه جديد وغالبهم لم يعطه شيأ حتى وصل الى معروف فكبش له كبشة ذهب وأعطاه اياها فدعا له وذهب فتعجب التجار منه وقالوا ان هذه عطايا ملوك فانه أعطى السائل ذهبا من غير عدد ولولا انه من أصحاب النعم الجزيلة وعنده شيء كثير ما كان أعطى السائل كبشة ذهب وبعد حصة أتته امرأة فقيرة فكبش واعطاها وذهبت تدعو له وحكت للفقراء فأقبلوا عليه وصار كل من أتى له يكبش له ويعطيه حتى انفق الالف دينار وبعد ذلك ضرب كفا على كف وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فقال له شاه بندر التجار مالك يا تاجر معروف قال كان غالب هذه المدينة فقراء ومساكين ولو كنت اعرف انهم كذلك كنت جئت معي في الخراج بجانب من المال وأحسن به الى الفقراء وأنا خائف أن تطول غربتي ومن طبعي أني لا أرد السائل وما بقي معي ذهب فاذا أتاني فقير ماذا أقول له قال له قل له الله يرزقك قال ما هي عادتي وقد ركبني الهم بهذا السبب وكان مرادي ألف دينار أتصدق بها حتى تجيء حملتي فقال لا باس وأرسل بعض أتباعه فجاءه بالف دينار فأعطاه اياها فصار يعطي كل من مر به من الفقراء حتى أذن الظهر فدخلوا الجامع وصلوا الظهر والذي بقي معه من الالف دينار نثره على رؤس المصلين فانتبه له الناس وصاروا يدعون له وصارت التجار تتعجب من كثرة كرمه وسخائه ثم انه مال على تاجر آخر وأخذ منه الف دينار وفرقها وصار التاجر علي ينظر فعله ولا يقدر أن يتكلم ولم يزل على هذه الحالة حتى أذن العصر فدخل المسجد وصلى وفرق الباقي فما قفلوا باب السوق حتى اخذ خمسة آلاف دينار وفرقها وكل من اخذ منه شيأ يقول له حتى تجيء الحملة أن اردت ذهبا أعطيك وان أردت قماشا أعطيك فان عندي شيأ كثيرا وعند المساء عزموه التجار وعزم معه التجار جميعا واجلسه في الصدر وصار لا يتكلم الا بالقماشات والجواهر وكلما ذكروا له شيأ يقول عندي منه كثير وثاني يوم توجه الى السوق وصار يميل على التجار ويأخذ منهم النقود ويفرقها على الفقراء ولم يزل على هذه الحالة مدة عشرين يوما حتى اخذ من الناس ستين الف دينار ولم تأته حملة ولا كبة حامية فضجت الناس على اموالهم وقالوا ما أتت حملة التاجر معروف والى متى وهو يأخذ اموال الناس ويعطيها للفقراء فقال واحد منهم الرأي أن نتكلم مع بلدية التاجر علي فأتوه وقالوا له يا تاجر علي أن حملة التاجر معروف لم تأت فقال لهم اصبروا فانها لا بد أن تأتي عن قريب ثم انه اختلى به وقال له يا معروف ما هذه الفعال هل أنا قلت لك قمر الخبز او احرقه أن التجار ضجوا على اموالهم وأخبروني انه صار عليك ستون الف دينار أخذتها وفرقتها على الفقراء ومن أين تقضي الناس وأنت لا تبيع ولا تشتري فقال له أي شيء يجري وما مقدار الستين الف دينار لما تجيء الحملة أعطيهم أن شاؤا قماشا وأن شاؤا ذهبا وفضة فقال له التاجر علي الله أكبر وهل ألك حملة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٩٧) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن التاجر علي قال له الله أكبر وهل انت لك حملة قال كثير قال له الله عليك وعلى مماجنتك اهل أنا علمتك هذا الكلام حتى تقوله لي فأنا أخبر بك الناس

قال المزح بلا كثرة كلام هل أنا أفقير أن حملني فيها شيء كثير فاذا جاءت ياخذون متاعهم المثل مثلي أنا غير محتاج اليهم فمند ذلك اغتاظ التاجر علي وقال له يا قليل الادب لا بد أن اريك كيف تكذب علي ولا تستحي فقال له الذي يخرج من يدك افعله و يصبرون حتى يجيء حملتي و ياخذون متاعهم من بادة فبتر كه ومضى وقال في نفسه أنا شكرته سابقا وأنا ذممته الآن صرت كاذبا وادخل في قول من قال من شكر وذم كذب مرتين وصار متحيرا في أمره ثم أن التجار أتوه وقالوا يا تاجر علي هل كلمته قال نعم يا أنا أنا ما استحي منه ولي عنده الف دينار ولم اقدر أن اكلمه عليها وانتم لما اعطيتموه ماشاورتموني



﴿التاجر علي وهو يكلم معروف وهو يتكلم لا يعني﴾

ويبقى لكم على كلام فطالبوه منكم له وان لم يعطكم فاشكوه الى ملك المدينة وقولوا له انه نصاب نصب علينا فان الملك يخلصكم منه فتوجهوا الى الملك واخبروه بما وقع وقالوا يا ملك الزمان اننا متحيرون في أمرنا مع هذا التاجر الذي كرمه زائد فانه يفعل كذا وكذا وكل شيء أخذه يفرقه على الفقراء بالكثرة ولو كان مقلا ما كانت تسمح نفسه ان يكبش الذهب ويعطيه للفقراء ولو كان من أهل النعمة كان صدقه ظهر لنا بمجيء حملته ونحن لا نرى له حملة مع انه يدعي ان له حملة وقد سبقها وكلما ذكرنا له صنفا من أصناف القماش يقول عندي منه كثير وقد مضت مدة ولم يبن عن حملته خبر وقد صار لنا عنده ستون ألف دينار وكل ذلك فرقه على الفقراء وصاروا يشكرونه ويمدحون كرمه وكان ذلك الملك طماعا أطمع من أشعب فلما سمع بكرمه وسخائه غلب عليه الطمع وقال لوزيره لو لم يكن هذا التاجر عنده أموال كثيرة ما كان يقع منه هذا الكرم كله ولا بد ان تأتي حملته ويجتمع هؤلاء التجار عنده ويفرق عليهم أموالا كثيرة فأنا أحق منهم بهذا المال فأريد ان أعاشره وأتودد اليه حتى تأتي حملته والذي يأخذه منه هؤلاء التجار آخذه أنا وأزوجه ابنتي وأضم ماله الى مالي فقال له الوزير يا ملك الزمان ما أظنه الا نصابا والنصاب قد أخرب بيت الطماع وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٨٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الوزير لما قال للملك ما أظنه الا نصابا والنصاب قد أخرب بيت الطماع قال له الملك يا وزير أنا أمتحنه وأعرف هل هو نصاب أو صادق وهل هو تربية نعمة أو لا قال الوزير بماذا تمتحنه قال الملك ان عندي جوهرة فأنا أبعث اليه وأحضره عندي واذا جلس أكرمه وأعطيه الجوهرة فان عرفها وعرف ثمنها يكون صاحب خير ونعم وان لم يعرفها فهو نصاب محدث فأقتله أقبح قتلة ثم ان الملك أرسل اليه وأحضره فلما دخل عليه سلم عليه فرد عليه السلام وأجلسه الى جانبه وقال له هل أنت التاجر معروف قال نعم قال له ان التجار يزعمون ان لهم عندك ستين ألف دينار فهل ما يقولونه حق قال نعم قال له لم لم تعطهم أموالهم قال يصبرون حتى تجيء حملتي وأعطيهم المثل مثلين وان أرادوا ذهبا أعطيهم وان أرادوا فضة أعطيهم وان أرادوا بضاعة أعطيهم والذي له ألف أعطيه ألفين في نظير ما ستر به وجهي مع الفقراء عندي شيأ كثيرا ثم ان الملك قال له يا تاجر خذ هذه وانظر ما جنسها وما قيمتها وأعطاه جوهرة قدر البندقة كان الملك اشتراها بألف دينار ولم يكن عنده غيرها وكان مستعزا بها فأخذها معروف بيده وقرط عليها بالابهام والشاهد فكسرها لان الجوهر رقيق لا يتحمل فقال له الملك لاي شيء كسرت الجوهرة فضحك وقال يا ملك الزمان ما هذه جوهرة هذه قطعة معدن تساوي ألف دينار كيف تقول عليها انها جوهرة ان الجوهرة يكون ثمنها سبعين ألف دينار وانما يقال على هذه قطعة معدن والجوهرة ما لم تكن قدر الجوزة لا قيمة لها عندي ولا أعتني بها كيف تكون ملكا وتقول على هذه جوهرة وهي قطعة معدن قيمتها ألف دينار ولكن أنتم معذورون لكونكم فقراء وليس عندكم ذخائر لها قيمة فقال له الملك يا تاجر هل عندك جواهر من الذي تخبر به قال كثير فغلب الطمع على الملك فقال له هل تعطيني

جواهر صحاحا قال له حتى تجيء الحملة اعطيك كثيرا ومهما طلبته فعندي منه كثير واعطيك من
غير ثمن ففرح الملك وقال للتجار اذهبوا الى حال سبيلكم واصبروا عليه حتى تجيء الحملة ثم تعالوا
خذوا مالكم مني فراحوا هذا ما كان من أمر معروف والتجار (وأما) ما كان من الملك فانه أقبل
على الوزير وقال له لاطف التاجر معروفا وخذ واعط معه في الكلام واذكر له ابنتي حتى يتزوج بها ونغتنم
هذه الخيرات التي عنده فقال الوزير يا ملك الزمان ان حال هذا الرجل لم يعجبني واظن انه نصاب
وكذاب فاترك هذا الكلام لئلا تضيع بنتك بلا شيء وكان الوزير سابقا ساق على الملك ان يزوجه
البنت واراد زواجها له فلما بلغها ذلك لم ترض ثم ان الملك قال له يا خائن أنت لا تريد لي خيرا لكونك
خطبت ابنتي سابقا ولم ترض ان تتزوج بك فصرت الآن تقطع طريق زواجها ومرادك ان بنتي
تبور حتى تاخذها أنت فاسمع مني هذه الكلمة ليس لك علاقة بهذا الكلام كيف يكون نصابا أو كذابا
مع انه عرف ثمن الجوهرة مثل ما اشتريتها به وكسرها لكونها لم تعجبه وعنده جواهر كثيرة فتى
دخل على ابنتي يراها جميلة فتأخذ عقله ويحبها ويعطيها جواهر وذخائر وأنت مرادك ان تحرم
بنتي وتحرمني من هذه الخيرات فسكت الوزير وخاف من غضب الملك عليه وقال في نفسه أغر الكلاب
على البقر ثم ميل على التاجر معروف وقال له ان حضرة الملك أحبك وله بنت ذات حسن وجمال يريد ان
يزوجها لك فما تقول فقال له لا باس ولكن يصبر حتى تأتي حملتي فان مهر بنات الملوك واسع ومقامهن
ان لا يمهرن الا بمهر يناسب حالهن وفي هذه الساعة ما عندي مال فليصبر علي حتى تجيء الحملة فالخير
عندي كثير ولا بد ان أدفع صداقها خمسة آلاف كيس واحتاج الى الف كيس افرقها على الفقراء
والمساكين ليلة الدخلة والف كيس أعطيها للذين يمشون في الزفة والف كيس أعمل بها الأطعمة
للعساكر وغيرهم واحتاج الى مائة جوهرة أعطيها للملكة صبيحة العرس ومائة جوهرة أفرقها على
الجواري والخدم فاعطي كل واحدة جوهرة تعظيما لمقام العروسة واحتاج الى ان اكسو الف عريان
من الفقراء ولا بد من صدقات وهذا شيء لا يمكن الا اذا جاءت الحملة فان عندي شيئا كثيرا واذا
جاءت الحملة لا ابالي بهذا المصروف كله فراح الوزير واخبر الملك بما قاله فقال الملك حيث كان مراده
ذلك كيف تقول عنه انه نصاب كذاب قال الوزير ولم ازل اقول ذلك فزجره الملك ووبخه وقال له
وحياة رأسي ان لم تترك هذا الكلام لاقتلنك فارجع اليه وهاته عندي وانا مني له اصطفي فذهب
اليه الوزير وقال له تعال كلم الملك فقال سمعا وطاعة ثم جاء اليه فقال له الملك لا تعتذر بهذه الاعذار
فان خزنتي ملآنة فخذ المفاتيح عندك وانفق جميع ما تحتاج اليه واعط ما تشاء واكس الفقراء وافعل
ما تريد وما عليك من البنت والجواري واذا جاءت حملتك فاعمل مع زوجتك ما تشاء من الاكرام
ونحن نصبر عليك بصداقها حتى تجيء الحملة وليس بيني وبينك فرق أبدا ثم أمر شيخ الاسلام انه
يكتب الكتاب فكتب كتاب بنت الملك على التاجر معروف وشرع في عمل الفرح وامر بزينة البلد
ودقت الطبول ومدت الاطعمة من سائر الالوان واقبلت أرباب الملاعيب وصار التاجر معروف
يجلس على كرسي في مقعد وتأتي قدامه أرباب الملاعب والشطار والجنك وأرباب الحركات الغريبة

والملاهي العجيبة وصار يأمر الخازندار ويقول له هات الذهب والفضة فيأتيه بالذهب والفضة وهو يزيد ويعطي المتفرجين ويعطي كل من لعب بالكبشة ويحسن للفقراء والمساكين ويكسو العريانين وصارفرحا عجاجا وما بقي الخازندار يلحق ان يجيء بالاموال من الخزنة وكاد قلب الوزير ان ينفقع من الغيظ ولم يقدر ان يتكلم وصار التاجر علي يتعجب من بذل هذه الاموال ويقول للتاجر معروف الله والرجال على صدغك أما كفاك ان أضعت مال التجار حتى تضيع مال الملك فقال له التاجر معروف لا علاقة لك واذا جاءت الحملة أعوض ذلك على الملك باضعافه وصار يبدد الاموال ويقول في نفسه كبة حامية والذي يجري علي يجري والمقدور ما منه مفر ولم يزل الفرح مدة أربعين يوما وفي ليلة الحادي والاربعين عملوا الزفة للعروسة ومشى قدامها جميع الامراء والعساكر ولما دخلوا بها صار ينثر الذهب على رؤس الخلائق وعملوا لها زفة عظيمة وصرف أموالا لها مقدار عظيم وادخلوه على الملكة فقعد على المرتبة العالية وارخوا الستائر وقفلوا الابواب وخرجوا وتركوه عند العروسة فخبط يدا على يد وقعد حزينا مدة وهو يضرب كفا على كف ويقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فقالت له الملكة يا سيدي سلامتك مالك مغموما فقال كيف لا أكون مغموما وأبوك قد شوش علي وعمل معي عملة مثل حرق الزرع الاخضر قالت وما عمل معك أبي قل لي قال أدخلني عليك قبل أن تأتي حملتي وكان مرادي أقل ما يكون مائة جوهرة أفرقها على جواريك لكل واحدة جوهرة تفرح بها وتقول ان سيدي أعطاني جوهرة في ليلة دخلته على سيدتي وهذه الخصلة كانت تعظيما لمقامك وزيادة في شرفك فاني لا أقصر ببذل الجواهر لان عندي منها كثيرا فقالت لا تهتم بذلك ولا تغم نفسك بهذا السبب أما أنا فما عليك مني الا اني أصبر عليك حتى تجيء وأما الجواري فما عليك منهن قم اقلع ثيابك واعمل انبساطا ومتى جاءت الحملة فاننا نتحصل على تلك الجواهر وغيرها فقام وقلع ما كان عليه من الثياب وجلس على الفراش وطلب الهراش ووقع الهراش وحط يده على ركبتها فجلست هي في حجره والقمته شفتها في فمه وصارت هذه الساعة تنسي الانسان اباه وأمه فحضنها وضمها اليه وعصرها في حضنه وضمها الى صدره ومص شفتها حتى سال العسل من فمها ووضع يده تحت أبطها الشمال فحنت أعضاؤه وأعضاؤها للوصال ولكزها بين النهدين فراحت بين الفخذين وتحزم بالساقين ومارس العملين ونادي يا أبا اللثامين وحط الدخير واشعل الفتيل وحرر على بيت الابرة واشعل النار فخسف البرج من الاربعة أركان وحصلت النكتة التي لا يسئل عنها انسان وزعقت الزعقة التي لا بد منها وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٩٠) قالت بلغني ايها الملك السعيد ان بنت الملك لما زعقت الزعقة التي لا بد منها ازال التاجر معروف بكارتها وصارت تلك الليلة لا تعد من الاعمار لاشتمالها على وصل الملاح من عناق وهراش ومص ورضع الى الصباح ثم دخل الحمام ولبس بدلة من ملابس الملوك وطلع من الحمام ودخل ديوان الملك فقام له من فيه على الاقدام وقابلوه باعزاز واكرام وهنوه وباركوا له وجلس بجانب

الملك وقال ابن الخارزندار فقالوا ها هو حاضر بين يديك فقال هات الخلع والبس جميع الوزراء والامراء وارباب المناصب فجاءه بجميع ما طلب وجلس يعطي كل من أتى له ويهب لكل انسان على قدر مقامه واستمر على هذه الحالة مدة عشرين يوما ولم يظهر له حملة ولا غيرها ثم ان الخازندار تضايق منه غاية الضيق ودخل على الملك في غياب معروف وكان الملك جالسا هو والوزير لا غير فقبل الارض بين يديه وقال يا ملك الزمان أنا أخبرك بشيء لانك ربما تلومني على عدم الاخبار به اعلم ان الخزنة فرغت ولم يبق فيها شيء من المال الا القليل وبعد عشرة أيام نقفلها على الفارغ فقال الملك يا وزير ان حملة نسيبي تأخرت ولم يبن عنها خبر فضحك الوزير وقال له الله يلطف بك يا ملك الزمان ما أنت الا مغفل عن فعل هذا النصاب الكذاب وحياة رأسك انه لا حملة له ولا كبة تريحنا منه وانما هو ما زال ينصب عليك حتى اتلف أموالك وتزوج بنتك بلا شيء والى متى وأنت غافل عن هذا الكذاب فقال له يا وزير كيف العمل حتى نعرف حقيقة حاله فقال له يا ملك الزمان لا يطلع على سر الرجل الا زوجته فارسل الى بنتك لتأتي خلف الستارة حتى أسالها عن حقيقة حاله لاجل ان تختبره وتطلعنا على حاله فقال لا بأس بذلك وحياة رأسي ان ثبت انه نصاب كذاب لاقتلنه اشأم قتلة ثم انه اخذ الوزير ودخل الى قاعة الجلوس وارسل الى بنته فأتت خلف الستارة وكان ذلك في غياب زوجها فلما أتت قالت يا ابي ما تريد فقال كلمي الوزير فقالت ايها الوزير ما بالك قال يا سيدتي اعلمي ان زوجك أتلف مال أبيك وقد تزوج بك بلا مهر وهو لم يزل يعدنا ويخلف الميعاد ولم يبن لحملته خبر وبالجملة تريد ان تخبرينا عنه فقالت ان كلامه كثير وهو في كل وقت يجيء ويعدني بالجواهر والذخائر والقماشات المثمنة ولم أر شيئا فقال يا سيدتي هل تقدرين في هذه الليلة ان تأخذي وتعطي معه في الكلام وتقولي له اخبرني بالصحيح ولا تخف من شيء فانك صرت زوجي ولا أفرط فيك فاخبرني بحقيقة الامر وانا ادبر لك تدبيرا ترتاح به ثم قربي وبعدي له في الكلام وأريه المحبة وقرريه ثم بعد ذلك اخبرينا بحقيقة أمره فقالت يا أبت أنا اعرف كيف أختبره ثم انها ذهبت وبعد العشاء دخل عليها زوجها معروف على جري عادته فقامت له واخذته من تحت ابطه وخادعته خداعا زائدا وناهيك بمخادعة النساء اذا كان لهن عند الرجال حاجة يردن قضاءها وما زالت تخادعه وتلاطفه بكلام أحلى من العسل حتى سرقت عقله فلما رأته مال اليها بكليته قالت له يا حبيبي يا قرة عيني ويا ثمرة فؤادي لا أوحشني الله منك ولا فرق الزمان بيني وبينك فان محبتك سكنت فؤادي ونار غرامك أحرقت أكبادي وليس فيك تفريط أبدا ولكن مرادي ان تخبرني بالصحيح لان حيل الكذب غير نافعة ولا تنطلي في كل الاوقات والى متى وأنت تنصب وتكذب على أبي وانا خائفة ان ينفضح أمرك عنده قبل ان تدبر له حيلة فيبطش بك فاخبرني بالصحيح وما لك الا ما يسرك ومتى اخبرتني بحقيقة الامر لا تخش من شيء يضرك فكم تدعي انك تاجر وصاحب أموال ولك حملة وقد مضت لك مدة طويلة وأنت تقول حملتي حملتي ولم يبن عن حملتك خبر ويلوح على وجهك الهم بهذا السبب فان كان كلامك ليس له صحة فاخبرني وانا ادبر لك تدبيرا تتخلص به ان شاء الله فقال لها يا سيدتي

أخبرك بالصحيح ومهما أردت فافعلي فقالت قل وعليك بالصدق فان الصدق سفينة النجاة وإياك والكذب فانه يفضح صاحبه ولله در من قال

عليك بالصدق ولو انه ... أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا الله فأغبى الورى ... من أسخط المولى وأرضى العبيد

فقال يا سيدتي اعلمي اني لست تاجرا ولا لي حملة ولا لي كبة حامية وانما كنت في بلادي رجلا اسكافيا ولي زوجة اسمها فاطمة العرة وجرى لي معها كذا وكذا واخبرها بالحكاية من أولها الى آخرها فضحكت وقالت انك ماهر في صناعة الكذب والنصب فقال يا سيدتي الله تعالى يبقيك لستر العيوب وفك الكروب فقالت اعلم انك نصبت على أبي وغررته بنشرة فشرك حتى زوجني بك من طمعه ثم أتلفت ماله والوزير منكر ذلك عليك وكم مرة يتكلم فيك عند أبي ويقول له انه نصاب كذاب ولكن أبي لم يطعه فيما يقول وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ٩٩١) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان زوجة معروف قالت له ان الوزير تكلم فيك عند أبي ويقول له انه نصاب كذاب وأبي لم يطعه بسبب انه كان خطبني ان يكون لي بعلا وأكون له أهلا ثم ان المدة طالت وقد تضايق أبي وقال لي قرريه وقد قررتك وانكشف المغطي وأبي مصر لك على الضرر بهذا السبب ولكنك صرت زوجي وأنا لا أفرط فيك فان أخبرت أبي بهذا الخبر ثبت عنده انك نصاب كذاب وقد نصبت على بنات الملوك وأذهبت أموالهم فذنبك عنده لا يغفر ويقتلك بلا محالة ويشيع بين الناس اني تزوجت برجل نصاب كذاب وتكون فضيحة في حقي واذا قتلك أبي ربما يحتاج ان يزوجني الى آخر وهذا شيء لا أقبله ولو مت ولكن قم الآن والبس بدلة مملوك وخذ معك خمسين ألف دينار من مالي واركب على جواد وسافر الى بلاد يكون حكم أبي لا ينفذ فيها واعمل تاجرا هناك واكتب لي كتابا وارسله مع ساع يأتيني به خفية لأعلم في أي البلاد أنت حتى أرسل اليك كل ما طالته يدي ويكثر مالك فان مات أبي أرسلت اليك فتجيء باعزاز واكرام وان مت أنت أو مت أنا الى رحمة الله تعالى فالقيامة تجمعنا وهذا هو الصواب وما دمت طيبا وأنا طيبة لا اقطع عنك المراسلة والأموال قم قبل ان يطلع النهار عليك وتحتار بك الدمار فقال لها يا سيدتي أنا في عرضك ان تودعيني بوصالك فقالت لا بأس ثم واصلها واغتسل ولبس بدلة مملوك وأمر السياس ان يشدوا له جوادا من الخيل الجياد فشدوا له جوادا ثم ودعها وخرج من المدينة في آخر الليل وسار فصار كل من رآه يظن انه مملوك من مماليك السلطان مسافر في قضاء حاجة ولما أصبح الصباح جاء أبوها هو والوزير الى قاعة الجلوس وارسل اليها أبوها فأتت خلف الستارة فقال لها يا بنتي ما تقولين قالت أقول سود الله وجه وزيرك فانه كان مراده ان يسود وجهي من زوجي قال وكيف ذلك قالت انه دخل علي أمس قبل ان اذكر له هذا الكلام واذا بفرج الطواشي دخل علي وبيده كتاب وقال ان عشرة مماليك واقفون تحت شباك القصر وأعطوني هذا الكتاب وقالوا قبل لنا أيادي سيدي معروف التاجر وأعطه هذا الكتاب فاننا من مماليكه الذين مع الحملة وقد بلغنا انه تزوج بنت الملك فأتينا له لنخبره بما حصل لنا في

الطريق فاخذت الكتاب وقرأته فرأيت فيه من المماليك الخمسمائة الى حضرة سيدنا التاجر معروف وبعد فالذي نعلمك به انك بعد ما تركتنا خرج العرب علينا وحاربونا وهم قدر الفين من الفرسان ونحن خمسمائة مملوك ووقع بيننا وبين العرب حرب عظيم ومنعونا عن الطريق ومضى لنا ثلاثون يوما ونحن نحاربهم وهذا سبب تأخيرنا عنك وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٩٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان بنت الملك قالت لابيها ان زوجي جاءه مكتوب من اتباعه مضمونه ان العرب منعونا عن الطريق وهذا سبب تاخيرنا عنك وقد أخذوا منا مائتي حمل قماش من الحملة وقتلوا منا خمسين مملوكا فلما بلغه الخبر قال خيبهم الله كيف يتحاربون مع العرب لاجل مائتي حمل بضاعة وما مقدار مائتي حمل فما كان ينبغي لهم ان يتاخروا من أجل ذلك فان قيمة المائتي حمل سبعة آلاف دينار ولكن ينبغي الي أروح اليهم واستعجلهم والذي أخذه العرب لاتنقص به الحملة ولا يؤثر عندي شيئا واقدر انى تصدقت به عليهم ثم نزل من عندي ضاحكا ولم يغتم على ماضاع من ماله ولا على قتل مماليكه ولما نزل نظرت من شباك القصر فرأيت العشرة مماليك الذين أتوا له بالكتاب كانهم الاقمار كل واحد منهم لابس بدلة تساوى الف دينار وليس عند أبي مملوك يشبه واحدا منهم ثم توجه مع المماليك الذين جاؤا له بالمكتوب ليجيء بحملته والحمد لله الذي منعني ان أذكر له شيئا من الكلام الذي امرتني به فانه كان يستهزىء بي وبك وربما كان يراني بعين النقص ويبغضني ولكن العيب كله من وزيرك الذي يتكلم في حق زوجي كلاما لا يليق به فقال الملك يا بنتي ان مال زوجك كثير ولا يفكر في ذلك ومن يوم دخل بلادنا وهو يتصدق على الفقراء وان شاء الله عن قريب ياتي بالحملة ويحصل لنا منه خير كثير وصار ياخذ بخاطرها ويوبخ الوزير وانطلت عليه الحيلة هذا ما كان من أمر الملك (وأما) ما كان من أمر التاجر معروف فانه ركب الجواد وسار في البر الاقفر وهو متحير لا يدرى الى أي البلاد يروح وصار من ألم الفراق ينوح وقاسى الوجد واللوعات وأنشد هذه الابيات

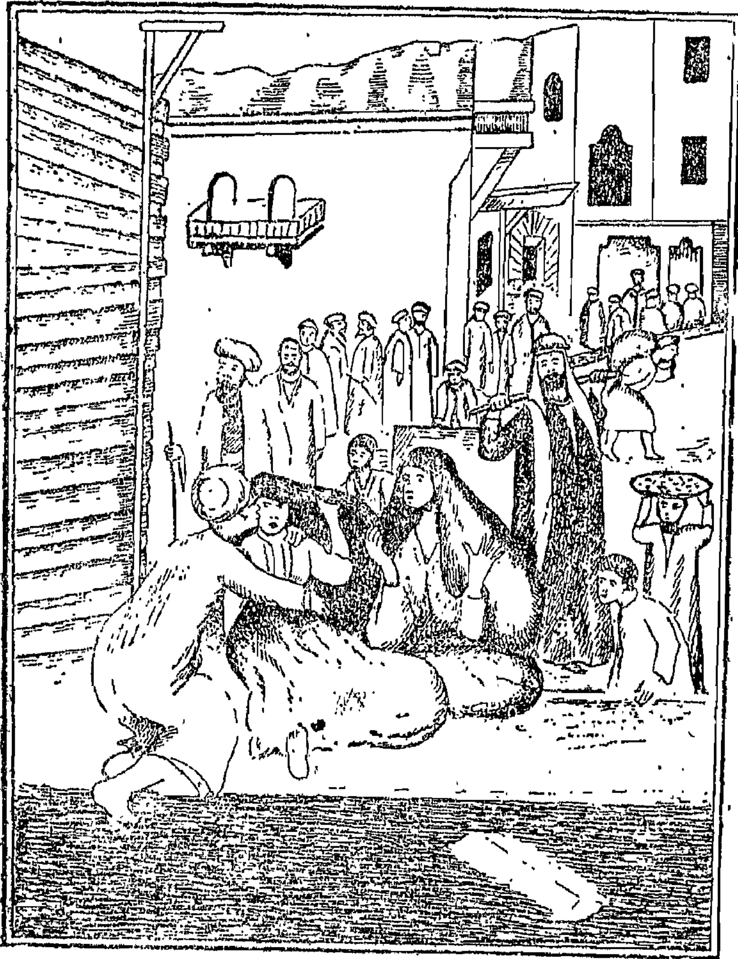
غدر الزمان بشملنا فتفرقا | والقلب ذاب من الجفا وتحرقا
والعين تقطر من فراق أحبتي | هذا الفراق متى يكون الملتقى
ياطلعة البدر المنيرانا الذي | في حبكم ترك الفؤاد ممزقا
ياليتني لم اجتمع بك ساعة | من بعد طيب وصالكم ذقت الشقا
مازال معروف بدينا مغرما | ان كان صبابة فلها البقا
يابهجة الشمس المنيرة ادركي | قلبا لمعروف المحبة محرقا
ياهل ترى الايام تجمع شملنا | ونفوز منها بالمسرة واللقا
ويضمنا قصر الحبيبة بالهنا | واضم فيه معانقا غصن النقا
ياطلعة البدر المنيرة شمسه | مزال وجهك بالمحاسن مشرقا

اني راض بالغرام وهمه حيث السعادة في الهوى عين الشقا

فلما فرغ من شعره بكى بكاء شديدا وقد انسدت الطرقات في وجهه واختار الممات على الحياة ثم انه مشى كالسكران من شدة حيرته ولم يزل سائرا الى وقت الظهر حتى أقبل على بلد صغيرة فرأى رجلا حراثا قريبا منها يحرث على ثورين وكان قد اشتد به الجوع فقصد الحراث وقال له السلام عليكم فرد عليه السلام وقال مرحبا بك ياسيدي هل أنت من مماليك السلطان قال نعم قال انزل عندي للضيافة فعرف أنه من الاجاويد فقال له يا أخي ما أنا ناظر عندك شيئا حتى تطعمني اياه فكيف تعزم علي فقال الحراث ياسيدي الخير موجود انزل أنت وها هي البلد قريبة وأنا أذهب وآتي لك بغداء وعليق لحصانك قال حيث كانت البلد قريبة فانا اصل اليها في مقدار ما تصل أنت اليها واشترى مرادي من السوق وآكل فقال له ياسيدي ان البلد كفر صغير وليس فيها سوق ولا بيع ولا شراء سألتك بالله أن تنزل عندي وتجبر بخاطري وأنا اذهب اليها وارجع اليك بسرعة فنزل ثم ان الفلاح تركه وراح البلد ليجيء له بالغداء فقعد معروف ينتظره ثم قال في نفسه انا شغلنا هذا الرجل المسكين عن شغله ولكن انا اقوم واحرث عوضا عنه حتى يأتي في نظير ما عوقته عن شغله ثم أخذ المحراث وساق الثيران فحرث قليلا وعثر المحراث في شيء فوقعت البهائم فساقها فلم تقدر على المشي فنظر الى المحراث فرآه مشبوكا في حلقة من الذهب فكشف عنها التراب فوجد تلك الحلقة في وسط حجر من المرمر قدر قاعدة الطاحون فعالج فيه حتى قلعه من مكانه فبان من تحته طبق بسلالم فنزل في تلك السلالم فرأى مكانا مثل الحمام بأربعة لواوين الليوان الاول ملآن من الارض الى السقف بالذهب والليوان الثاني ملآن زمردا ولؤلؤا ومرجانا من الارض الى السقف والليوان الثالث ملآن ياقوتا وبلخشا وفيروزا والليوان الرابع ملآن بالالماس ونفيس المعادن من سائر أصناف الجواهر وفي صدر ذلك المكان صندوق من البلور الصافي ملآن بالجواهر اليتيمة التي كل جوهرة منها قدر الجوزة وفوق ذلك الصندوق علبة صغيرة قدر الليمونة وهي من الذهب فلما رأى ذلك تعجب وفرح فرحا شديدا وقال ياهل ترى أي شيء في هذه العلبة ثم انه فتحها فرأى فيها خاتما من الذهب مكتوبا عليه أسماء وطلاسم مثل دبيب النمل فدعك الخاتم واذا بقائل يقول لبيك لبيك ياسيدي فاطلب تعط هل تريد أن تعمر بلدا أو تخرب مدينة أو تقتل ملكا أو تحفر نهرا أو نحو ذلك فمهما طلبته فانه قد صار باذن الملك الجبار خالق الليل والنهار فقال له يامخلوق ربي من أنت وما تكون قال انا خادم هذا الخاتم القائم بخدمة مالكه فمهما طلبه من الاغراض قضيته له ولا عذر لي فيما يأمرني به فاني سلطان على اعوان من الجان وعدة عسكري اثنان وسبعون قبيلة كل قبيلة عدتها اثنان وسبعون الفا وكل واحد من الالف يحكم على الف مارد وكل مارد يحكم على الف عون وكل عون يحكم على الف شيطان وكل شيطان يحكم على الف جني وكلهم من تحت طاعتي ولا يقدرون على مخالفتي وانا مرصود لهذا الخاتم لا أقدر على مخالفة من ملكه وها أنت قد ملكته وصرت انا خادمك فاطلب ما شئت فاني سميع لقولك مطيع لامرك واذا احتجت الي في أي وقت في البر

والسحر فادعك الخاتم تجدني عندك واياك ان تدعكه مرتين متواليتين فتحرقني بنار الاسماء وتعدمني وتندم على بعد ذلك وقد عرفتك بحالي والسلام . وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

ليلة ٩٩٣) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان خادم هذا الخاتم لما اخبر معروفاً بأحواله قال معروف ما اسمك قال اسمي ابو السعادات فقال له يا أبا السعادات ما هذا المكان ومن ارصدك



التاجر معروف عندما عثر على الكنز

في هذه العلبة قال له يا سيدي هذا المكان كنز يقال له كنز شداد بن عاد الذي عمر ارم ذات العماد التي لم تخلق مثلها في البلاد وانا كنت خادمه في حياته وهذا خاتمه وقد وضعه في كنزه والسكنه

نصيبك فقال له معروف هل تقدر ان تخرج ما في هذا الكنز على وجه الارض قال نعم اسهل ما يكون فقال اخرج جميع ما فيه ولا تبق منه شيئا فاشار بيده الى الارض فانشقت ثم نزل وغاب مدة لطيفة واذا بغلمان صغار ظراف بوجوه حسان قد خرجوا وهم حاملون مشنات من الذهب وتلك المشنات ممتلئة ذهبا وفرغوها ثم راحوا وجاؤا بغيرها وما زالوا ينقلون من الذهب والجواهر فلم تمض ساعة حتى قالوا ما بقي في الكنز شيء ثم طلع له ابو السعادات وقال له ياسيدي قد رأيت ان جميع ما في الكنز قد نقلناه فقال له ما هذه الاولاد الحسان قال هؤلاء أولادي لان هذه الشغلة لا تستحق ان اجمع لها الاعوان وأولادي قضوا حاجتك وتشرفوا بخدمتك فاطلب ما تريد غير هذا فقال له هل تقدر ان تجيء لي ببغال وصناديق وتحط هذه الاموال في الصناديق وتحمل الصناديق على البغال قال هذا اسهل ما يكون ثم انه زعق زعقة عظيمة فحضرت أولاده بين يديه وكانوا ثمانمائة فقال لهم لينقلب بعضكم في صورة البغال وبعضكم في صورة المماليك الحسان الذين اقل من فيهم لا يوجد مثله عند ملك من الملوك وبعضكم في صورة المكاريه وبعضكم في صورة الخدامين ففعلوا كما أمرهم ثم صاح على الاعوان فحضروا بين يديه فأمرهم ان ينقلب بعضهم في صورة الخيل المسرجة بسروج الذهب المرصع بالجواهر فلما رأى معروف ذلك قال اين الصناديق فأحضروها بين يديه قال عبوا الذهب والمعادن كل صنف وحده فعبوها وحملوها على ثلثمائة بغل فقال معروف يا أبا السعادات هل تقدر ان تجيء لي باحمال من نفيس القماش قال اتريد قماشا مصريا اوشاميا أوعجميا أوهنديا أورميا قال هات لي من قماش كل بلدة مائة حمل على مائة بغل قال ياسيدي اعطني مهلة حتى ارتب اعواني بذلك وآمر كل طائفة ان تروح الى بلد لتجيء بمائة حمل من قماشها وينقلب الاعوان في صورة البغال ويأتون حاملين البضائع قال ما قدر زمن المهلة قال مدة سواد الليل فلا يطلع النهار الا وعندك جميع ما تريد قال امهلتك هذه المدة ثم أمرهم ان ينصبوا له خيمة فنصبوها وجلس وجاؤا له بسماط وقال له ابو السعادات ياسيدي اجلس في الخيمة وهؤلاء أولادي بين يديك يحرسونك ولا تخش من شيء وانا ذاهب اجمع أعواني وارسلهم ليقضوا حاجتك ثم ذهب ابو السعادات الى حال سبيله وجلس معروف في الخيمة والسماط قدامه وأولاد أبي السعادات بين يديه في صورة المماليك والخدم والحشم فبينما هو جالس على تلك الحالة واذا بالرجل الفلاح قد أقبل وهو حامل قصعة عدس كبيرة ومخلاة ممتلئة شعيرا فرأى الخيمة منصوبة والمماليك واقفة وايديهم على صدورهم فظن أنه السلطان أتى ونزل في ذلك المكان فوقف باهتا وقال في نفسه ياليتني كنت ذبحت فرختين وحمرتهما بالسمن البقري لاجل خاطر السلطان واراد ان يرجع ليذبح فرختين يضيف بهما السلطان فرآه معروف فزعق عليه وقال للمماليك احضروه فحملوه هو والقصعة العدس وأتوا بهما قدامه فقال له ما هذا قال هذا غداؤك وعليق حصانك فلا تؤاخذني فاني ما كنت اظن ان السلطان يأتي الى هذا المكان ولو علمت ذلك كنت ذبحت له فرختين وضيفته ضيافة مليحة فقال له معروف ان السلطان لم يجيء وانا انا نسيبه وكنت مغبونا منه وقد أرسل الي

نعماليك فصاحوني وانا الآن أريد ان ارجع الى المدينة وأنت قد عملت لي هذه الضيافة على غير معرفة وضيافتك مقبولة ولو كانت عدسا فانا ما آكل الا من ضيافتك ثم أمره بوضع القصعة في وسط السماط وأكل منها حتى إكتفى وأما الفلاح فانه ملأ بطنه من تلك الالوان الفاخرة ثم ان معروفا غسل يديه وأذن للماليك في الاكل فنزلوا على بقية السماط وأكلوا ولما فرغ القصعة ملأها ذهبا وقال له اوصلها الى منزلك وتعالى عندي في المدينة وانا أكرمك فاخذ القصعة ملآنة ذهبا وساق الثيران وذهب الى بلده وهو يظن انه نسيب الملك وبات معروف تلك الليلة في انس وصفاء وجاؤا له ببنات من عرائس الكنوز فدقوا الآلات ورقصوا قدامه وقضى ليلته وكانت لا تعد من الاعمار فلما اصبح الصباح لم يشعر الا والغبار قد علا وطار وانكشف عن بغال حاملة احمالا وهي سبعمائة بغل حاملة اقمشة وحولها غلمان مكارية وعكامة وضوية وابو السعادات راكب على بغلة وهو في صورة مقدم الحملة وقدامه تختروان له اربع عساكر من الذهب الاحمر الوهاج مرصعة بالجواهر فلما وصل الى الخيمة نزل من فوق ظهر البغلة وقبل الارض وقال ياسيدي ان الحاجة قضيت بالتمام والكمال وهذا التختروان فيه بدلة كنوزية لا مثيل لها من ملابس الملوك فالبسها واركب في التختروان وأمرنا بما تريد فقال له يا أبا السعادات مرادي ان اكتب لك كتابا تروح به الى مدينة خيتان الختن وتدخل على عمي الملك ولا تدخل عليه الا في صورة ساع انيس فقال له سمعا وطاعة فكتب كتابا وختمه فاخذه ابو السعادات وذهب به حتى دخل على الملك فرآه يقول يا وزيري ان قلبي على نسيبي واخاف أن تقتله العرب ياليتني كنت اعرف أين ذهب حتى كنت اتبعه بالعسكر ويا ليته كان اخبرني بذلك قبل الذهاب فقال الوزير الله تعالى يلطف بك على هذه الغفلة التي أنت فيها وحياة رأسك ان الرجل عرف اننا انتبهنا له فخاف من الفضيحة وهرب وما هو الا كذاب نصاب واذا بالساعي داخل فقبل الارض بين يدي الملك ودعا له بدوام العز والنعم والبقاء فقال له الملك من أنت وما حاجتك فقال له انا ساع ارسلني اليك نسيبك وهو مقبل بالحملة وقد أرسل معي كتابا وها هو فأخذه وقرأه فرأى فيه وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٩٤) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك اخذ الكتاب وقرأه وفهم رموزه ومعناه فرأى فيه من بعد مزيد السلام على عمنا الملك العزيز فاني جئت بالحملة فاطلع وقابلني بالعسكر فقال الملك سود الله وجهك ياوزير كم تقدح في عرض نسيبي وتجعله كذابا نصابا وقد أتى بالحملة فما أنت الا خائن فأطرق الوزير رأسه الى الارض حياء وخجلا وقال ياملك الزمان انا ما قلت هذا الكلام الا لطول غياب الحملة وكنت خائفا على ضياع المال الذي صرفه فقال ياخائن أي شيء اموالي احينما تأتي حملته فانه يعطيني عوضا عنها شيئا كثيرا ثم أمر الملك بزينة المدينة ودخل على بنته وقال لها ابشري ان زوجك عن قريب يجيء بحملته وقد أرسل الي مكتوبا بذلك وها انا طالع لملاقاته فتعجبت البنت من هذه الحالة وقالت في نفسها ان هذا شيء عجيب هل كان يسخر بي ويتمسخر علي أو كان يختبر في حين أخبرني بانه فقير ولكن الحمد لله حيث لم يقع مني تقصير في حقه

تقصيرا هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر التاجر المصري فانه لما رأى الزينة سأل عن سبب
ذلك فقالوا له ان التاجر معروفا نسيب الملك قد أتت حملته فقال الله اكبر ما هذه الداهية أنه قد
أتاني هاربا من زوجته وكان فقيرا فمن أين جاءت له حملة ولكن لعل بنت الملك دبرت له حيلة
خوفا من الفضيحة والملوك لا تعجز عن شيء فالله تعالى يستره ولا يفضحه وادرك شهرزاد الصباح
فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٩٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان التاجر عليا لما سأل عن الزينة
اخبروه بحقيقة الحال فدعا له وقال الله يستره ولا يفضحه وسائر التجار فرحوا وانسروا لاجل أخذ
أموالهم ثم ان الملك جمع العسكر وطلع وكان ابو السعادات قد رجع الى معروف واخبروه بأنه بلغ
الرسالة فقال له معروف حملوا فحملوا ولبس البدلة الكنوزية وركب في التختروان فصار اعظم
واهيب من الملك بألف مرة ومشى الى نصف الطريق واذا بالملك قابله بالعسكر فلما وصل اليه رآه لابسا
تلك البدلة وراكبا في التختروان فرمى روحه عليه وسلم عليه وحياه بالسلام وجميع اكابر الدولة
سلموا عليه وبان ان معروفا صادق ولا كذب عنده ودخل المدينة بموكب يفقع مرارة الاسد
وسعت اليه التجار وقبلوا الارض بين يديه ثم ان التاجر عليا قال له قد عملت هذه العملة وطلعت
بيدك يا شيخ النصابين ولكن تستاهل فالله تعالى يزيدك من فضله فضحك معروف ولما دخل
السراية قعد على الكرسي وقال ادخلوا احمال الذهب في خزانة عمي الملك وهاتوا احمال الاقمشة
فقدموها له وصاروا يفتحونها حملا بعد حمل ويخرجون ما فيها حتى فتحوا السبعمائة حمل فنقى
أطيبها وقال ادخلوه للملكة لتفرقه على جواريها وخذوا هذا الصندوق الجواهر وادخلوه لها
لتفرقه على الجواري والخدم وصار يعطي التجار الذين لهم عليه دين من الاقمشة في نظير ديونهم
والذي له الف يعطيه قماشا يساوي الفين أو اكثر وبعد ذلك صار يفرق على الفقراء والمساكين
والملك ينظر بعينه ولا يقدر ان يعترض عليه ولم يزل يعطي ويهب حتى فرق السبعمائة حمل ثم التفت
الى العسكر وجعل يفرق عليهم معادن وزمردا ويواقيت ولؤلؤا ومرجانا وغير ذلك وصار لا يعطي
الجواهر الا بالكبشة من غير عدد فقال له الملك يا ولدي يكفي هذا العطاء لانه لم يبق من الجملة الا
القليل فقال له عندي كثير واشتهر صدقه وما بقي أحد يقدر ان يكذبه وصار لا يبالي بالعطاء لان الخادم
يحضر له مهما طلب ثم ان الخازندار اتى للملك وقال يا ملك ان الخزينة امتلأت وصارت لا تسع بقية
الاحمال وما بقي من الذهب والمعادن اين نضعه فأشار له الى مكان آخر ولما رأت زوجته هذه الحالة
ازداد فرحها وصارت متعجبة وتقول في نفسها يا هل ترى من أين جاء له كل هذا الخير وكذلك
التجار فرحوا بما أعطاهم ودعوا له وأما التاجر علي فانه صار متعجبا ويقول في نفسه يا ترى كيف صنع
وكذب حتى ملك هذه الخزائن كلها فانها لو كانت من عند بنت الملك ما كان يفرقها على الفقراء ولكن
ما احسن قول من قال

ملك الملوك اذا وهب ۞ لا تسألن عن السبب

الله يعطي من يشاء فقف على حد الأدب

هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من أمر الملك فانه تعجب غاية العجب مما رأى من معروف ومن كرمه وسخائه ببذل المال ثم بعد ذلك دخل معروف على زوجته فقابلته وهي متبسمة ضاحكة فرحانة وقبلت يده وقالت هل كنت تتمسخر علي أو كنت تجربني بقولك انا فقير وهارب من زوجتي والحمد لله حيث لم يقع مني في حقك تقصير وأنت حبيبي وما عندي أعز منك سواء كنت غنيا أو فقيرا وأريد ان تخبرني ما قصدت بهذا الكلام قال اردت تجريبك حتى أنظر هل محبتك خالصة أو على شأن المال وطمع الدنيا فظهر لي ان محبتك خالصة وحيث انك صادقة في المحبة فرحبا بك وقد عرفت قيمتك ثم انه اختلى في مكان وحده ودعك الخاتم فحضر له ابو السعادات وقال له لبيك فاطلب ما تريد قال أريد منك بدلة كنوزية لزوجتي وحليا كنوزيا مشتملا على عقد فيه أربعون جوهرة يتيمة قال سمعا وطاعة ثم احضر له ما أمره به فحمل البدلة والحلي بعد ان صرف الخادم ثم دخل على زوجته ووضعهما بين يديها وقال لها خذي والبسي فرحبا بك وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٩٦) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان التاجر معروف قال لزوجته مرحبا بك فلما نظرت الى ذلك طار عقلها من فرحتها ورأت من جملة الحلي خلخالين من الذهب مرصعين بالجواهر صنعة الكهنة وأساور وحلقا وحزاما لا يتقوم بثمنها أموال فلبست البدلة والحلي ثم قالت ياسيدي مرادي ان ادخرها للمواسم والاعياد قال البسيها دائما فان عندي غيرها كثير فلما لبستها ونظرها الجواري فرحن وقبلن يديه فتركهن واختلى بنفسه ثم دعك الخاتم فحضر له الخادم فقال له هات لي مائة بدلة بمصاغها فقال له سمعا وطاعة ثم احضر البدلات وكل بدلة مصاغها في قلبها فأخذها وزعق على الجواري فأتين اليه فأعطى كل واحدة بدلة فلبسن البدلات وصرن مثل الحور العين وصارت الملكة بينهن مثل القمر بين النجوم ثم أن بعض الجواري أخبر الملك بذلك فدخل على ابنته فرآها تدهش من رآها هي وجواريها فتعجب من ذلك غاية العجب ثم خرج واحضر وزيره وقال له ياوزير انه حصل كذا وكذا فما تقول في هذا الامر قال ياملك الزمان أن هذه الحالة لا تقع من التجار لأن التاجر تقعد عنده القطع الكتان سنين ولا يبيعها الا بمكسب فمن اين للتجار قوم كرم مثل هذا الكرم ومن اين لهم أن يحوزوا مثل هذه الاموال والجواهر التي لا يوجد منها عند الملوك الا قليل فكيف يوجد عند التجار منها احمال فهذا لا بد له من سبب ولكن أن طاوعتني ابين لك حقيقة الامر فقال له اطاوعك ياوزير فقال له اجتمع عليه ووادده وتحدث معه وقل له ياسيبي في خاطري أن اروح انا وانت والوزير من غير زيادة بستانا لاجل النزهة فاذا خرجنا الى البستان نحط سفرة المدام ونغصب عليه واسقيه ومتى شرب المدام ضاع عقله وغاب رشده فنسأله عن حقيقة امره فانه يخبرنا باسراره والمدام فضاح ولله در من قال

ولما شربناها ودبت دبيبها · الى موضع الاسرار قلت لها قفي

مخافة أن يسطو على شعاعها　　فتظهر ندمانى على سرى الخفى

ومتى أخبرنا بحقيقة الأمر فاننا نطلع على حاله ونعمل به ما نحب ونختار فان هذه الحالة التى هو فيها أخشى عليك من عواقبها فربما تطمع نفسه فى الملك فيستميل العسكر اليه بالكرم وبذل الاموال فيعزلك ويأخذ الملك منك فقال له الملك صدقت وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفى ليلة ٩٩٧) قالت بلغنى أيها الملك السعيد أن الوزير لما دبر للملك هذا التدبير قال له صدقت وباتا متفقين على هذا الامر فلما أصبح الصباح خرج الملك الى المقعد وجلس واذا بالخدامين والسياس دخلوا عليه مكروبين فقال لهم ما الذى اصابكم قالوا ياملك الزمان أن السياس قشروا الخيل وعلقوا عليها وعلى البغال التى جاءت بالحملة فلما اصبحنا وجدنا المماليك سرقوا الخيل والبغال وفتشنا الاصطبلات فما رأينا خيلا ولا بغالا ودخلنا محل المماليك فلم نر فيه احدا ولم نعرف كيف هربوا فتعجب الملك من ذلك لانه ظن أن الاعوان كانوا خيلا وبغالا ومماليك ولم يعلم انهم كانوا أعوان خادم الرصد فقال لهم ياملاعين الف دابة وخمسمائة مملوك وغيرهم من الخدام كيف هربوا ولم تشعروا بهم فقالوا ما عرفنا كيف جرى لنا حتى هربوا فقال إنصرفوا حتى يخرج سيدكم من الحريم ويخبروه بالخبر فانصرفوا من قدام الملك وجلسوا متحيرين فبينما هم جالسون على تلك الحالة واذا بمعروف قد خرج من الحريم فرآهم مغتمين فقال لهم ما الخبر فأخبروه بما حصل فقال وما قيمتهم حتى تغتموا عليهم امضوا إلى حال سبيلكم وقعد يضحك ولم يغتظ ولم يغتم من هذا الامر فنظر الملك فى وجه الوزير وقال له اى شىء هذا الرجل الذى ليس للمال عنده قيمة فلا بد لذلك من سبب ثم انهم تحدثوا ساعة وقال الملك يانسيبى خاطرى أن أروح أنا وأنت والوزير بستانا لاجل النزهة فما تقول فقال لا بأس ثم انهم ذهبوا وتوجهوا الى بستان فيه من كل فاكهة زوجان انهاره دافقة وأشجاره باسقة وأطياره ناطقة ودخلوا فى قصر يزيل عن القلوب الحزن وجلسوا يتحدثون والوزير يحكى غريب الحكايات ويأتى بالنكت المضحكات والالفاظ المطربات ومعروف مصغ الى الحديث حتى طلع الغداء وحطوا سفرة الطعام وباطية المدام وبعد أن أكلوا وغسلوا أيديهم ملأ الوزير الكاس واعطاه الملك فشربه وملأ الثانى وقال لمعروف هاك كأس الشراب الذى تخضع لهيبته اعناق ذوى الالباب فقال معروف ما هذا يا وزير قال الوزير هذه البكر الشمطاء والعانس العذراء ومهدية السرور الى السرائر ومازال يرغبه فى الشراب ويذكر له من محاسنه ما استطاب وينشده ما ورد فيه من الاشعار ولطائف الاخبار حتى مال الى ارتشاف ثغر القدح ولم يبق له غيره مقترح ومازال يملأ له وهو يشرب ويستلذ ويطرب حتى غاب عن صوابه ولم يميز خطأه من صوابه فلما علم أن السكر بلغ به الغاية وتجاوز النهاية قال له ياتاجر معروف والله انى متعجب من اين وصلت اليك هذه الجواهر التى لا يوجد مثلها عند الملوك الاكاسرة الا وعمرنا ما رأينا تاجرا حاز اموالا كثيرة مثلك ولا أكرم منك فان فعالك افعال ملوك وليست افعال تجار فبالله عليك أن تخبرنى حتى اعرف قدرك ومقامك ومقدارك فصار يختبره بالكلام ويخادعه وهو غائب العقل فقال له معروف انا لست تاجرا ولا من اولاد الملوك واخبره

بحكايته من أولها الى آخرها فقال له بالله عليك ياسيدى معروف أن تفرجنى على هذا الخاتم حتى ننظر كيف صنعته فقلع الخاتم وهو فى حال سكره وقال خذ وا تفرجوا عليه فاخذه الوزير وقلبه وقال هل اذا دعكته يحضر الخادم قال نعم ادعكه يحضر لك و تفرج عليه فدعكه واذا بقائل يقول لبيك ياسيدى اطلب تعط هل تخرب مدينة او تعمر مدينة او تقتل ملكا فمهما طلبته فانى افعله لك من غير خلاف فاشار الوزير الى معروف وقال للخادم احمل هذا الخاسر ثم ارمه في اوحش الاراضى الخراب حتى لا يجد فيها ما يأكل ولا ماء يشرب فيهلك من الجوع كمدا ولا يدري به احدا فخطفه الخادم طار به بين السماء والارض فلما رأى معروف ذلك أيقن بالهلاك وسوء الارتباك فبكى وقال ياأبا السعادات إلى أين أنت رائح بي فقال له انا رائح ارميك في الربع الخراب ياقليل الادب من يملك رصدا مثل هذا و يعطيه للناس يتفرجون عليه لكن تستاهل ما حل بك ولولا انى اخاف الله لرميتك من مسافة الف قامة فلا تصل الى الارض حتى تمزقك الرياح فسكت وصار لا يخاطبه حتى وصل به الى الربع الخراب و رماه هناك و رجع وخلاه فى الارض الموحشة هذا ما كان من أمره (وأما) ما كان من الوزير فانه لما ملك الخاتم قال للملك كيف رأيت اما قلت لك ان هذا كذاب نصاب ما كنت تصدقنى فقال له الحق معك ياوزيرى الله يعطيك العافية هات هذا الخاتم حتى اتفرج عليه فالتفت الوزير بالغضب و بصق فى وجهه وقال له ياقليل العقل كيف اعطيه لك وابقى خدامك بعد ان صرت سيدك ولكن أنا ما بقيت ابقيك ثم دعك الخاتم فحضر الخادم فقال له احمل هذا القليل الادب و ارمه في المكان الذى رميت فيه نسيبه النصاب فحمله وطار به فقال له الملك يامخلوق ربى أي شيء ذنبي فقال له الخادم لا أدرى وانما أمرنى سيدى بذلك وأنا لا أقدر ان اخالف من ملك خاتم هذا الرصد ولم يزل طائرا به حتى رماه فى المكان الذي فيه معروف ثم رجع وتركه هناك فسمع معروفا يبكى فأتى له واخبره وقعدا يبكيان على ما أصابهما ولم يجدا أكلا ولا شربا هذا ما كان من امرهما (وأما) ما كان من أمر الوزير فانه بعد ما شتت معروفا والملك قام وخرج من البستان وارسل الى جميع العسكر وعمل ديوانا واخبرهم بما فعل مع معروف والملك واخبرهم بقصة الخاتم وقال لهم ان لم تجعلونى سلطانا عليكم أمرت خادم الخاتم ان يحملكم جميعا و يرميكم فى الربع الخراب فتموتوا جوعا وعطشا فقالوا له لا تفعل معنا ضررا فاننا قد رضينا بك سلطانا علينا ولا نعصى لك أمرا ثم انهم اتفقوا على سلطنته عليهم قهرا عنهم وخلع عليهم الخلع وصار يطلب من أبى السعادات كل ما أراده فيحضر بين يديه فى الحال ثم انه جلس على الكرسي وأطاعه العسكر وأرسل الى بنت الملك يقول لها حضري روحك فاني داخل عليك فى هذه الليلة لانى مشتاق اليك فبكت وصعب عليها ابوها وزوجها ثم انها أرسلت تقول امهلنى حتى تنقضى العدة ثم اكتب كتابى وادخل علىّ فى الحلال فارسل يقول لها انا لا أعرف عدة ولا طول مدة ولا احتاج الى كتاب ولا أعرف حلالا من حرام ولا بد من دخولى عليك فى هذه الليلة فارسلت تقول له مرحبا بك ولا بأس بذلك وكان ذلك مكرا منها فلما رجع له الجواب فرح وانشرح صدره لانه كان مغرما بحبها ثم أمر بوضع الاطعمة بين

جميع الناس وقال كلوا هذا الطعام فانه وليمة الفرح فاني أريد الدخول على الملكة في هذه الليلة فقال له شيخ الاسلام لا يحل لك الدخول عليها حتى تنقضي عدتها وتكتب كتابك عليها فقال له انا لا أعرف عدة ولا مدة فلا تكثر علي كلاما فسكت شيخ الاسلام وخاف من شره وقال للعسكران هذا كافر ولا دين له ولا مذهب له فلما جاء المساء دخل عليها فرآها لابسة أفخر ما عندها من الثياب ومزينة بأحسن الزينة فلما رأته قابلته وهي ضاحكة وقالت له ليلة مباركة وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ٩٩٨) قالت بلغني أيها الملك السعيد أن بنت الملك قابلت الوزير وقالت له مرحبا بك ولو كنت قتلت أبي وزوجي لكان أحسن عندي فقال لها لا بد أن اقتلهما فاجلسته وصارت تمازحه وتظهر له الوداد فلما لاطفته وتبسمت في وجهه طار عقله وانما خادعته بالملاطفة حتى تظفر بالخاتم وتبدل فرحه بالنكد على ام ناصيته وما فعلت معه هذه الفعال الا على رأي من قال

وقد بلغت بحيلتي ... ما ليس يبلغ بالسيوف
ثم انثنيت بمغنم ... حلو المجاني والقطوف

فلما رأى الملاطفة والابتسام هاج عليه الغرام وطلب منها الوصال فلما دنا منها تباعدت عنه وبكت وقالت يا سيدي أما ترى الرجل الناظر الينا بالله عليك أن تسترني عن عينه فكيف تواصلني وهو ينظر الينا فاغتاظ وقال أين الرجل قالت ما هو في فص الخاتم يطلع رأسه وينظر الينا فظن انه خادم الخاتم ينظر اليهما فضحك وقال لا تخافي ان هذا خادم الخاتم وهو تحت طاعتي قالت انا اخافه من العفاريت فاقلعه وارمه بعيدا عني فقلعه ووضعه على المخدة ودنا منها فرفسته برجلها في قلبه فانقلب على قفاه مغشيا عليه وزعقت على اتباعها فاتوها بسرعة فقالت امسكوه فقبض عليه أربعون جارية وعجلت باخذ الخاتم من فوق المخدة ودعكته واذا بأبي السعادات اقبل يقول لبيك يا سيدتي فقالت احمل هذا الكافر وضعه في السجن وثقل قيوده فاخذه وسجنه في سجن الغضب ورجع وقال لها قد سجنته فقالت له اين ذهبت بأبي وزوجي قال رميتهما في الربع الخراب قالت أمرتك ان تأتيني بهما في هذه الساعة فقال سمعا وطاعة ثم طار من امامها ولم يزل طائرا الى ان وصل الى الربع الخراب ونزل عليهما فرآهما قاعدين يبكيان ويشكوان لبعضهما فقال لهما لا تخافا قد اتاكما الفرج واخبرهما بما فعل الوزير وقال لهما اني قد سجنته بيدي طاعة لها ثم امرتني بارجاعكما ففرحا بخبره ثم حملهما وطار بهما فما كان غير ساعة حتى دخل بهما على بنت الملك فقامت وسلمت على أبيها وزوجها واجلستهما وقدمت لهما الطعام والحلوى وباتا بقية الليلة وفي ثاني يوم البست أباها بدلة فاخرة والبست زوجها بدلة فاخرة وقالت يا أبت اقعد أنت على كرسيك ملكا على ما كنت عليه أولا واجعل زوجي وزير ميمنة عندك واخبر عسكرك بما جرى وهات الوزير من السجن واقتله ثم احرقه فانه كافر واراد أن يدخل علي سفاحا من غير نكاح وشهد على نفسه انه كافر وليس له دين يتدين به واستوص بنسيبك الذي جعلته وزير ميمنة عندك فقال سمعا وطاعة يا بنتي ولكن

اعطيني الخاتم أو اعطيه لزوجك فقالت أنه لا يصلح لك ولا له وانما الخاتم يكون عندي وربما أحميه اكثر منكما ومهما أردتما فاطلباه مني وانا اطلب لكما من خادم هذا الخاتم ولا تخشيا بأساً مادمت أنا طيبة وبعد موتي فشأنكما والخاتم فقال أبوها هذا هو الرأي الصواب يا بنتي ثم أخذ نسيبه وطلع الى الديوان وكان العسكر قد باتوا في كرب عظيم بسبب بنت الملك وما فعل معها الوزير من انه دخل عليها سفاحاً من غير نكاح وأساء الملك ونسيبه وخافوا ان تنتهك شريعة الاسلام لانه ظهر لهم إنه كافر ثم اجتمعوا في الديوان وصاروا يعنفون شيخ الاسلام ويقولون له لماذا لم تمنعه من الدخول على الملكة سفاحاً فقال لهم يا ناس ان الرجل كافر وصار مالكاً للخاتم والله وأنتم لا يخرج من أيدينا في حقه شيء فالله تعالى يجازيه بفعله فاسكتوا انتم لئلا يقتلكم فبينما العساكر مجتمعون يتحدثون في هذا الكلام واذا بالملك دخل عليهم في الديوان ومعه نسيبه معروف وادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

(وفي ليلة ٩٩٩) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان العساكر من شدة غيظهم جلسوا في الديوان يتحدثون في شأن الوزير وما فعل بالملك ونسيبه وبنته واذا بالملك دخل عليهم في الديوان ومعه نسيبه معروف فلما رأته العساكر فرحوا بقدومه وقاموا له على الاقدام وقبلوا الارض بين يديه ثم جلس على الكرسي واخبرهم بالقصة فزالت عنهم تلك الغصة وأمر بزينة المدينة واحضر الوزير من الحبس فلما مر بالعساكر صاروا يلعنونه ويشتمونه ويوبخونه حتى وصل الى الملك فلما امتثل بين يديه أمر بقتله اشنع قتلة فقتلوه ثم حرقوه وراح الى سقر في أسوأ الاحوال وقد اجاد فيه من قال .

فلا رحم الرحمن تربة عظمه ولازال فيها منكر ونكير

ثم ان الملك جعل معروفاً وزير ميمنة عنده وطابت لهم الاوقات وصفت لهم المسرات واستمروا على ذلك خمس سنوات وفي السنة السادسة مات الملك فجعلته بنت الملك سلطاناً مكان أبيها ولم تعطه الخاتم وكانت في هذه المدة حملت منه ووضعت غلاما بديع الجمال بارع الحسن والكمال ولم يزل في حجر الدادات حتى بلغ من العمر خمس سنوات فمرضت أمه مرض الموت فاحضرت معروفاً وقالت له أنا مريضة قال لها سلامتك يا حبيبة قلبي قالت له ربما أموت فلا تحتاج الى أن أوصيك على ولدك وانما أوصيك بحفظ الخاتم خوفاً عليك وعلى هذا الغلام فقال ما على من يحفظه بأس فقلعت الخاتم واعطته له وفي ثاني يوم توفيت الى رحمة الله تعالى وأقام معروف ملكاً وصار يتعاطى الاحكام فاتفق له في بعض الايام انه نفض المنديل فانفضت العساكر من قدامه الى اماكنهم ودخل هو قاعة الجلوس وجلس فيها الى ان مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار فدخل عليه أرباب منادمته من الاكابر على عادتهم وسهروا عنده من أجل البسط والانشراح الى نصف الليل ثم طلبوا الاجازة بالانصراف فأذن لهم وخرجوا من عنده الى بيوتهم وبعد ذلك دخلت عليه جارية كانت مقيدة بخدمة فراشه ففرشت له

المرتبة وقلعته البدلة والبسته بدلة النوم وانضطجع فصارت تكبس أقدامه حتى غلب عليه النوم فخرجت من عنده وراحت الى مرقدها ونامت هذا ما كان من أمرها (وأما) ما كان من أمر الملك معروف فانه كان نائما فلم يشعر الا وشيء بجانبه في الفراش فانتبه مرعوبا وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم فتح عينيه فرأى بجانبه امرأة قبيحة المنظر فقال لها من انت قالت لا تخف أنا زوجتك فاطمة العرة فنظر في وجهها فعرفها بمسخة صورتها وطول أنيابها وقال من أين دخلت علي ومن جاء بك الى هذه البلاد فقالت له في أي البلاد أنت في هذه الساعة قال في مدينة خيتان الختن وانت متى فارقت مصر قالت في هذه الساعة قال لها وكيف ذلك قالت اعلم اني لما تشاجرت معك وأغواني الشيطان على ضررك واشتكيتك الى الحكام ففتشوا عليك فما وجدوك وسأل القضاة عنك فما رأوك وبعد ان مضى يومان لحقتني الندامة وعلمت أن العيب عندي وصار الندم لا ينفعني وقعدت مدة أيام وانا أبكي على فراقك وقل ما في يدي واحتجت الى السؤال لاجل القوت فصرت أسأل كل مغبوط وممقوت ومن حين فارقتني وانا آكل من ذل السؤال وصرت في أسوأ الاحوال وكل ليلة اقعد ابكي على فراقك وعلى ماقاسيت بعد غيابك من الذل والهوان والتعسة والخسران وصارت تحدثه بما جرى لها وهو باهت فيها الى ان قالت وفي أمس درت طول النهار أسأل فلم يعطيني أحد شيئا وصرت كلما أقبل على أحد واسأله كسرة يشتمني ولا يعطيني شيأ فلما أقبل الليل بت من غير عشاء فاحرقني الجوع وصعب علي ماقاسيت وقعدت أبكي واذا بشخص تصور قدامي وقال لي يا امرأة لاي شيء تبكين فقلت انه كان لي زوج يصرف علي ويقضي اغراضي وقد فقد مني ولم أعرف أين راح وقد قاسيت الغلب من بعده فقال ما اسم زوجك قلت اسمه معروف قال انا أعرفه اعلمي ان زوجك الآن سلطانا على مدينة وان شئت ان أوصلك اليه افعل ذلك فقلت له انا في عرضك ان توصلني اليه فحملني وطار بي بين السماء والارض حتى اوصلني الى هذا القصر وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٠٠٠) قالت بلغني أيها الملك السعيد ان فاطمة العرة قالت لمعروف ان ذلك المارد أتى بي الى هذا القصر وقال لي ادخلي في هذه الحجرة ترى زوجك نائما على السرير فدخلت فرأيتك في هذه السيادة وأنا ما كان في أملي انك تفوتني وانا رفيقتك والحمد لله الذي جمعني علىك فقال لها هل أنا فتك أو أنت التي فتيني وأنت تشكيني من قاض الى قاض وختمت ذلك بشكايتي الى الباب العالي حتى نزلت علي أبا طبق من القلعة فهربت قهرا عني وصار يحكي لها على ماجرى له الى ان صار سلطانا وتزوج بنت الملك واخبرها ابانها ماتت وخلف منها ولدا صار عمره سبع سنين فقالت والذي جرى مقدر من الله تعالى وقد تبت وانا في عرضك أنك لا تفوتني ودعني آكل عندك العيش على سبيل الصدقة ولم تزل تتواضع له حتى رق قلبه لها وقال لها توبي عن الشر واقعدي عندي وليس لك الا ما يسرك فان عملت شيئا من الشر أقتلك ولا أخاف من أحد فلا يخطر ببالك انك تشكيني الى الباب العالي وينزل لي أبو طبق من القلعة فاني صرت سلطانا والناس تخاف مني وأنا لا أخاف الا من الله تعالى فاني معي خاتم استخدام متى دعكته يظهر لي خادم الخاتم واسمه أبو

السعادات ومهما طلبته منه يأتيني به فان كنت تريدين الذهاب الى بلدك أعطيك ما يكفيك طول عمرك وأرسلك الى مكانك بسرعة وان كنت تريدين القعود عندي فاني أخلي لك قصرا وافرشه لك من خاص الحرير واجعل لك عشرين جارية تخدمك وارتب لك المآكل الطيبة والملابس الفاخرة وتصيرين ملكة وتقيمين في نعيم زائد حتى تموتي أو أموت أنا فما تقولين في هذا الكلام قالت أنا أريد الاقامة عندك ثم قبلت يده وتابت عن الشر فافرد لها قصرا وحدها وأنعم عليها بجوار وطواشية وصارت ملكة ثم ان الولد صار يروح عندها وعند أبيه فكرهت الولد لكونه ليس ابنها فلما رأى الولد منها عين الغضب والكراهة نفر منها وكرهها ثم ان معروفا اشتغل بحب الجواري الحسان ولم يفكر في زوجته فاطمة العرة لانها صارت عجوزا شمطاء بصورة شوهاء وسحنة معطاء أقبح من الحية الرقطاء خصوصا وقد أساءته اساءة لا مزيد عليها وصاحب المثل يقول الاساءة تقطع أصل المطلوب وتزرع البغضاء في أرض القلوب ولله در من قال

احرص على حفظ القلوب من الاذى　　فرجوعها بعد التنافر يعسر
ان القلوب اذا تنافر ودها　　مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

ثم ان معروفا لم يأوها لخصلة حميدة فيها وانما عمل معها هذا الاكرام ابتغاء مرضاة الله تعالى (ثم) ان دنيازاد قالت لاختها شهرزاد ما أطيب هذه الالفاظ التي هي اشد أخذا للقلوب من سواحر الالحاظ وما أحسن هذه النكت الغريبة والنوادر العجيبة فقالت شهرزاد واين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك فلما أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح أصبح الملك منشرح الصدر ومنتظرا لبقية الحكاية وقال في نفسه والله لا اقتلها حتى أسمع بقية حديثها ثم خرج الى محل حكمه وطلع الوزير على عادته بالكفن تحت أبطه فمكث الملك في الحكم بين الناس طول نهاره وبعد ذلك ذهب الى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير على جري عادته وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح

(وفي ليلة ١٠٠١ وهي اخر الكتاب) ذهب الملك الى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير فقالت لها اختها دنيازاد تممي لنا حكاية معروف فقالت حبا وكرامة ان أذن لي الملك بالحديث فقال لها قد أذنت لك بالحديث لانني متشوق الى سماع بقيته

قالت بلغني أيها الملك السعيد ان الملك معروفا صار لا يعتني بزوجته من أجل النكاح وانما كان يطعمها احتسابا لوجه الله تعالى فلما رأته ممتنعا عن وصالها ومشتغلا بغيرها بغضته وغلبت عليها الغيرة ووسوس لها ابليس انها تأخذ الخاتم منه وتقتله وتعمل ملكة مكانه ثم انها خرجت ذات ليلة من الليالي ومضت من قصرها متوجهة الى القصر الذي فيه زوجها الملك معروف واتفق بالامر المقدر والقضاء المسطر أن معروفا كان راقدا مع محظية من محاظيه ذات حسن وجمال وقد واعتدال ومن حسن تقواه كان يقلع الخاتم من أصبعه اذا أراد أن يجامع احتراما للاسماء الشريفة التي هي مكتوبة عليه فلا يلبسه الا على طهارة وكانت زوجته فاطمة العرة لم تخرج من موضعها الا بعد أن

الحاجات علما بأنه اذا جامع يقلع الخاتم و يجعله على المخدة حتى يطهر وكان من عادته انه متى جامع يأمر المحظية ان تذهب من عنده خوفا على الخاتم واذا دخل الحمام يقفل باب القصر حتى يرجع من الحمام ويأخذ الخاتم ويلبسه وبعد ذلك كل من دخل القصر لا حرج عليه وكانت تعرف هذا الامر كله فخرجت بالليل لاجل ان تدخل عليه في القصر وهو مستغرق في النوم وتسرق هذا الخاتم بحيث لا يراها فلما خرجت كان ابن الملك في هذه الساعة قد دخل بيت الراحة ليقضي حاجة من غير نور فقعد في الظلام على ملاقي بيت الراحة وترك الباب مفتوحا عليه فلما خرجت من قصرها رآها مجتهدة في المشي الى جهة قصر أبيه فقال في نفسه يا هل ترى لاي شيء خرجت هذه الكاهنة من قصرها في جنح الظلام واراها متوجهة الى قصر أبي فهذا الامر لا بد له من سبب ثم انه خرج وراءها وتبع أثرها من حيث لا تراه وكان له سيف قصير من الجوهر وكان لا يخرج الى ديوان أبيه الا متقلدا بذلك السيف لكونه مستعزا به فاذا رآه أبوه يضحك عليه ويقول ماشاء الله ان سيفك عظيم يا ولدي ولكن ما نزلت به حربا ولا قطعت به رأسا فيقول له لا بد ان اقطع به عنقا يكون مستحقا للقطع فيضحك من كلامه ولما مشى وراء زوجة أبيه سحب السيف من غلافه وتبعها حتى دخلت قصر أبيه فوقف لها على باب القصر وصار ينظر اليها فرآها وهي تفتش وتقول أين وضع الخاتم ففهم انها دائرة على الخاتم فلم يزل صابرا عليها حتى لقيته فقالت هاهو والتقطته وأرادت ان تخرج فاختفى خلف الباب فلما خرجت من الباب نظرت الى الخاتم وقلبته في يدها وأرادت ان تدعكه فرفع يده بالسيف وضربها على عنقها فزعقت زعقة واحدة ثم وقعت مقتولة فانتبه معروف فرأى زوجته مرمية ودمها سائل وابنه شاهر السيف في يده فقال له ما هذا يا ولدي قال يا أبي كم مرة وأنت تقول لي ان سيفك عظيم ولكنك ما نزلت به حربا ولا قطعت به رأسا وأنا أقول لك لا بد ان اقطع به عنقا مستحقا للقطع فها انا قد قطعت لك عنقا مستحقا للقطع وأخبره بخبرها ثم انه فتش على الخاتم فلم يره ولم يزل يفتش في أعضائها حتى رأى يدها منطبقة عليه فأخذه من يدها ثم قال له انت ولدي بلا شك ولا ريب أراحك الله في الدنيا والآخرة كما ارحتني من هذه الخبيثة ولم يكن سعيها الا هلاكها ولله در من قال

اذا كان عون الله للمرء مسعفا ... يأتي له من كل امر مراده

وان لم يكن عون من الله للفتى ... فاول ما يجني عليه اجتهاده

ثم ان الملك معروفا زعق على اتباعه فاتوه مسرعين فاخبرهم بما فعلت زوجته فاطمة العرة وأمرهم ان يأخذوها ويحطوها في مكان الى الصباح ففعلوا كما أمرهم ثم وكل بها جماعة من الخدام فغسلوها وكفنوها وعملوا لها مشهدا ودفنوها وما كان مجيئها من مصر الا لترابها ولله در من قال

مشيناها خطا كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطا مشاها

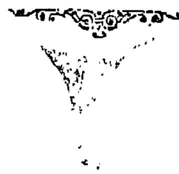
ومن كانت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

وما أحسن قول الشاعر

وما أدري اذا يموت أرضا   اريد الخير أيهما يليني
هل الخير الذى أنا ابتغيه   ام الشر الذى هو يبتغيني

ثم ان الملك معروفا ارسل يطلب الرجل الحراث الذى كان ضيفه وهو هارب فلما حضر جعله وزير ميمنته وصاحب مشورته ثم علم ان له بنتا بديعة فى الحسن والجمال كريمة الخصال شريفة النسب رفيعة الحسب فتزوج بها وبعد مدة من الزمان زوج ابنه وأقاموا مدة فى أرغد عيش وصفت لهم الاوقات وطابت لهم المسرات الى ان اتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب الديار العامرات وميتم البنين والبنات فسبحان الحى الذى لا يموت وبيده مقاليد الملك والملكوت (وكانت) شهرزاد فى هذه المدة قد خلفت من الملك ثلاثة ذكور فلما فرغت من هذه الحكاية قامت على قدميها وقبلت الارض بين يدى الملك وقالت له ياملك الزمن وفريد العصر والاوان انى جاريتك ولى الف ليلة وليلة وأنا أحدثك بحديث السابقين ومواعظ المتقدمين فهل لى فى جنابك من طمع حتى اتمنى عليك امنية فقال لها الملك تمنى تعطى ياشهرزاد فصاحت على الدادات والطواشية وقالت لهم هاتوا أولادى فجاؤا لها بهم مسرعين وهم ثلاثة أولاد ذكور واحد منهم يمشى وواحد يحبى وواحد يرضع فلما جاؤا بهم أخذتهم ووضعتهم قدام الملك وقبلت الارض وقالت ياملك الزمان ان هؤلاء أولادك وقد تمنيت عليك ان تعتقنى من القتل إكراما لهؤلاء الاطفال فانك ان قتلتنى يصير هؤلاء الاطفال من غير أم ولا يجدون من يحسن تربيتهم من النساء فعند ذلك بكى الملك وضم أولاده الى صدره وقال ياشهرزاد والله انى قد عفوت عنك من قبل مجىء هؤلاء الاولاد لكونى رأيتك عفيفة نقية وحرة تقية بارك الله فيك وفى أبيك وأمك وأصلك وفرعك وأشهد الله على انى قد عفوت عنك من كل شىء يضرك فقبلت يديه وقدميه وفرحت فرحا زائدا وقالت أطال الله عمرك وزادك هيبة ووقارا وشاع السرور فى سراية الملك حتى انتشر فى المدينة وكانت ليلة لا تعد من الاعمار ولونها أبيض من وجه النهار واصبح الملك مسرورا وبالخير مغمورا فارسل الى جميع العسكر فحضروا وخلع على وزيره أبى شهرزاد خلعة سنية جليلة وقال له سترك الله حيث زوجتنى ابنتك الكريمة التى كانت سببا لتوبتى عن قتل بنات الناس وقد رأيتها حرة نقية عفيفة زكية ورزقنى الله منها ثلاثة أولاد ذكورا والحمد لله على هذه النعمة الجزيلة ثم خلع على كافة الوزراء والامراء وارباب الدوله وامر بزينة المدينة ثلاثين يوما ولم يكلف أحدا من أهل المدينة شيأ من ماله بل جميع الكلفة والمصاريف من خزانة الملك فزينوا المدينة زينة عظيمة لم يسبق مثلها ودقت الطبول وزمرت الزمور ولعب سائر أرباب الملاعب واجزل لهم الملك العطايا والمواهب وتصدق على الفقراء والمساكين وعم باكرامه سائر رعيته وأهل مملكته واقام هو ودولته فى نعمة

وسرور ولذة وحبور حتى أتاهم هازم اللذات ومفرق الجماعات فسبحان من لا يفنيه تداول الاوقات، ولا يعتريه شيء من التغيرات ولا يشغله حال عن حال وتفرد بصفات الكمال والصلاة والسلام على امام حضرته وخيرته من خليقته سيدنا محمد سيد الانام وتضرع به اليه في حسن الختام



(أما بعد) حمداً لله مسدي النعم. ومفيض احسانه على الملوك والخدم والصلاة والسلام على من هو للانبياء امام . وعلى آله الابرار وصحبه الاخيار.

فقد تم طبع هذا الكتاب . الجامع من محاسن الاخبار العجب العجاب المتضمن لفنون من النوادر والآثار والآداب . الشارح لاحوال العصور الوسطى الاسلامية . والممثل لاخلاق أهلها ومعاملتهم وعاداتهم الاهلية . وبالجملة فهو تحفة لمطالعه وطرفة لقارئه

يطلب من مكتبة و

مطبعة محمد علي صبيح ميدان الأزهر بمصر

(فهرست المجلد الرابع من الف ليله وليلة)

(تمت)

